تفسير القرآن الكريم

الموسوم بـ

أقصى الغايات في تفسير الآيات

الدكتور محمد فرج طه

المجلد الأوّل

تقريظ الأستاذ الدكتور/ زكي محمد أبو سريع

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المتفرغ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، وعلى الصحب والآل والأتباع إلى يوم البعث والنشور، وبعد؛

فإن الحق -جل وعلا- قد بعث محمدًا -صلوات الله وسلامه عليه- رحمة للعالمين، وأنزل عليه الكتاب مصدقًا لما بين يديه من الكتب والصحف ومهيمنًا عليها، وخاطب نبيه الخاتم فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقد تعلق القرآن بقلب الرسول ﷺ حتى كان قرآنًا يمشي على الأرض في حركاته وسكناته، ولقد أشفق عليه بعض أصحابه فقال: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». [أخرجه البخاري ٤٨٣٧، ومسلم ٢٨٢٠].

وقد تأسَّى به أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قدر استطاعتهم حتى كان يُسمع لهم دويٌّ كدويِّ النحل في ليلهم ونهارهم وفي حلِّهم وترحالهم، يقول المولى _تبارك وتعالى_: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠] ويقول الرسول ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» [أخرجه ابن ماجه ٢١١، والنسائي في السنن الكبرى ٨٠٧٣].

والأخ الكريم الأستاذ الدكتور/ **محمد فراج** امتثل قول الله ﷻ لنبيه ﷺ:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فقدَّم تفسيرًا وسطًا فلا هو بالطويل الممل، ولا بالقليل المخل، والأخ الكريم سماه «**أقصى الغايات في تفسير الآيات**» نسأل الله -جلَّت قدرته- أن يُديم النفع به، وأن يجعله في موازين الحسنات ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨،٨٩].

كتبه

الأستاذ الدكتور/ زكي محمد أبو سريع

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المتفرغ

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر

الثلاثاء ٢٧ من جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ

الموافق ٩ من يناير ٢٠٢٤م

تقريظ الأستاذ الدكتور/ عبد الشافي الشيخ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم - جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حظي القرآن الكريم بما لم يحظ به كتاب سبق، ففي كل عصر التفَّت حوله أقلامُ العلماء، وانبرت له هممُهم لتكتب أسماؤُهم في سجلِّ خدمة كتاب الله، وكلٌّ قد أجاد في تناوله حسب ما فتح الله عليه وأفاض، وتوالت الجهود حول تفسير كتاب الله تعالى، فلم يخل عصرٌ من علماءَ أفذاذ ساهموا في تفسير كلام رب العالمين بما أجاد الله عليهم من فيوضه وبركاته، وتشتد الحاجة إلى قراءة جديدة لكتاب الله تعالى تُبرز جواهره في أسلوب رقيق يواكب هذا التطور غير المسبوق لعصرنا الحاضر، وكان لهذا الهدف رجالٌ من علماء الأزهر الشريف الذين تربوا في أروقته، وعايشوا التآليف والمكتبات، ونهلوا العلم من أوعيته ومصادره الشرعية، وتتلمذوا على يد كبار العلماء المشهود لهم بالوسطية والورع والعلم الفيّاض، وكان من بين هؤلاء الرجال فضيلة العالم الدكتور/ محمد فراج ذاك العالم الأزهري النشيط، والحاصل على درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن الكريم من كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر، وقد كنت مشرفًا عليه في إعداده للرسالة المباركة والتي تشهد له بالعلم والورع والأمانة في النقل، وقد عرض عليَّ تفسيرَه القيّم، الذي سماه: **أقصى الغايات في تفسير الآيات**، وهو تفسير كاملٌ لكتاب الله تعالى، فوجدت فيه الأسلوبَ الراقي البسيط، يسلك فيه مسلك الجمهور، فلا يُغْرِب ولا يُبْعِد في تفسيره عن الآراء المعتمدة، عارضًا للمعنى في ثوب قشيب يليق

بجلال القرآن الكريم، لديه أمانة في النقل والعزو، يقف على كل ما يحتاج إليه الباحث عن التفسير في الآية، فنفع الله به وتقبَّل اللهُ عملَه وجعله خالصًا لوجهه الكريم، وألا يحرمَنا الأجر من وراء هذا العمل بمنّه وفضله وجوده وكرمه، وصل اللّهم وسلم وزد وبارك على أشرف الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأستاذ الدكتور/

عبد الشافي الشيخ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

جامعة الأزهر الشريف

تقديم الدكتور/ محمود صدقي الهوَّاري

الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني بمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛

فإنَّ خير ما أُنفقت فيه الأعمار، وصُرفت فيه الهمم خدمةُ كتاب الله عزَّ وجلَّ بمحاولة فهم معانيه، وبيان مقاصده ومراميه، واستنباط إشاراته وهداياته.

ولو توفَّر العلماء والأدباء والمفكِّرون على هذا الكتاب ما أدركوا نهاية عطائه؛ فلكلِّ جيلٍ حظُّه من العطاء بقدر استعداداته، وبقدر إمداد الله الكريم.

ولا عجب فهو «الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [سنن التِّرمذيِّ ٥/١٧٢، حديث رقم (٢٩٠٦)، باب ما جاء في فضل القرآن].

ولقد تصدى للوقوف على معانيه، وكشف كنوزه، واستخراج دُرره، وتحصيل ثمراته، وإدراك مقاصده وغاياته؛ أساطين العلماء على اختلاف فنونهم وتنوع علومهم، وكان أهل التَّفسير وعلماؤه أصحاب القِدْح المعلَّى في ميدان تأمُّل كتاب الله فجاء تفسيرهم مدارسَ متعدِّدةً؛ فكان التَّفسير بالمأثور، أو ما يقال له التَّفسير بالرِّواية، وهو التَّفسير الَّذي يحاول الوصول إلى المعنى القرآني اعتمادًا على الوحي، فهو يفسِّر آيات القرآن بآيات القرآن، أو بما جاء عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أحاديث، وما نقل عن الصَّحابة والتَّابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان منها التَّفسير بالرَّأي، وهو ما يقال له التَّفسير بالدِّراية، وهو هذا اللَّون من التَّفسير الَّذي يعمد فيه المفسِّر إلى معرفة معاني كلام العرب وأساليبهم في القول، والبحث في أسباب النُّزول، وما إلى ذلك ممَّا يعين على فهم مقاصد الآية ومعانيها الظَّاهرة والخفيَّة.

وعن هاتين المدرستين تفرَّعت ألوان التأمُّل في كتاب الله ما بين مطوَّلٍ وموجزٍ، فكان من المطوَّل منها التَّفسير التَّحليليُّ الَّذي يُعنى فيه المفسِّرون ببيان معانى الألفاظ والكلمات، وإظهار بلاغة النَّظم والتَّركيب، والكشف عن أسباب النُّزول، وبيان ألوان الأعجاز اللُّغويِّ أو الكونيِّ، مع ذكر ما يتعلَّق بالآيات من أحكامٍ فقهيَّةٍ، إلى آخر ما يجتهد المفسِّرون في إثباته في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، ثمَّ يتباين أهل هذا اللَّون من التَّفسير بحسب عناية المفسِّر، فمنهم من يُعنى بالأحكام الفقهيَّة، ومنهم من يُعنى باللَّطائف اللُّغويَّة والنِّكات البلاغيَّة، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التَّاريخ، ومنهم من يعني بالمسائل العقديَّة، ومنهم من يستطرد في بيانٍ وعظيٍّ يخاطب العاطفة والوجدان إلى آخر ألوان التَّفسير التَّحليليِّ.

ومن التَّفسير الموجز منها التَّفسير المباشر الَّذي يتعرَّض لبيان معاني الآيات القرآنيَّة إجمالًا، مع بيان الألفاظ الغريبة، وإعادة عرض الآيات بأسلوب قريب للنَّاس؛ ليسهل فهمها وتظهر مقاصدها، وهذا اللَّون من التَّفسير أشبه ما يكون بإعادة نثر النَّظم القرآنيِّ، وربَّما كان بيان المعنى الإجماليِّ أليق بعامَّة النَّاس.

وفيما بين أيدينا تفسيرٌ وسطٌ لكتاب الله تعالى، ثريٌّ بالمعاني، حافلٌ بالبيان، يُقرِّب معاني الآيات في غير بسطٍ ولا تطويلٍ يملُّه القرَّاء، ويتجاوز التَّفسير الَّذي يقتصر على الكلمة ومعناها.

وقد قدَّم محرِّره لكلِّ سورةٍ ببيانٍ وجيزٍ عنها، وإظهارٍ لفضلها ومكانتها، وأشار إلى ما

في الآيات من معانٍ يقف عندها المبتدئون، ويكتفي بها المنتهون.

وإنِّي لأثق أنَّ الوقوف مع كلمات القرآن تأمُّلًا ودراسةً منحةٌ من الله الكريم لبعض عباده، الَّذين يختصُّهم بخدمة كتابه، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا خدَّامًا لكتابه، ولقد وفَّق الله –فيما أحسب– محرِّر هذا التَّفسير إلى أن يحيا مع القرآن الكريم في آياته وسوره، في سياحةٍ تدبُّريَّةٍ: يغدو على آياته ويروح، ويقلِّبها على وجوهها، ويتأمَّل معانيها القريبة والبعيدة، ويوازن بين ألوان المعاني المبثوثة في التَّفاسير المختلفة، ثم هو يقطف منها أشهاها، وأقربها إلى القارئ بحيث لا يوغل به في لغةٍ عويصةٍ، ولا يقتحم به أبواب المسائل العميقة، وحسبه فضلًا أنَّه قرَّب كتاب الله الكريم لخلقه وعباده، فالله تعالى نسأل أن يمنح صاحبه أجرًا كبيرًا، وأن يرزق قارئه فهمًا سديدًا، وقلبًا موصولًا به مقبلًا عليه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه، أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه

د/محمود صدقي الهوَّاري

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني

بمجمع البحوث الإسلامية

تقريظ الشيخ مكي الإدريسي الحسني

إمام المسجد الكبير بحي علي صو بالعاصمة السنغالية داكار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن الأزهر الشريف له دورٌ كبير في نشر الدعوة الإسلامية، والفكر الوسطي الإسلامي المستنير في ربوع الدنيا، والبلاد الإسلامية بصفة خاصة، وذلك من خلال البعثات التي يرسلها، ومن البلاد التي حظيت باستقبال هذه البعثات بلاد أفريقيا، وأخص من هذه البلاد دولة السنغال -التي هي بلدي التي أعتز بها- ومن بين الرجال الذين أرسلهم الأزهر المعمور -منارة العلم- لتعليم أبنائنا في السنغال علوم الشريعة وغيرها، العالم الجليل والابن البار، والشاب الذي نشأ في طاعة الله- أحسبه كذلك والله حسيبه -فضيلة العالم الجليل الدكتور/ محمد فراج طه الأزهري، الذي هو خير من يمثل الأزهر العامر، فقد دفع إليَّ تفسيره: أقصى الغايات في تفسير الآيات؛ لأطالعه فألفيته كتابًا في التفسير نافعًا، يجمع الشتات ويوضح المراد بأعذب أسلوبٍ، وأرق عبارة بعيدًا عن الحشو والتعقيد، جامعًا فيه الراجح من أقوال المفسرين -رضوان الله عليهم- بعبارات قليلة المبنى كثيرة المعنى، وجدير بالذكر أن فضيلة الدكتور/ محمد فراج الأزهري تخرج على يديه الكثير من أبناء السنغال في مختلف العلوم الشرعية والعربية؛ لاسيما القرآن الكريم وعلومه، فأسأل الله أن ينفع به، وأن يجزيه الخير، وأن يأجره على ما يقدِّمه في خدمة

الإسلام والمسلمين، وأن يجعل ذلك في موازين حسنات والديه، وعلمائه الذين علموه من رجال الأزهر الشريف.

الشيخ

مكي الإدريسي الحسني

إمام المسجد الكبير بحي علي صو

بالعاصمة السنغالية داكار

مقدمة

الحمدُ للهِ المتوحِّدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتعالي عن الأشباهِ والأمثالِ، أحمدُه سبحانَه وأشكُرُه؛ مَنَّ علينا بواسعِ الفضلِ وجزيلِ النَّوَال، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كَتَب الفلاحَ لمن اتَّبَعه واحتكمَ إلى شرعِه، ففاز في الحالِ والمآلِ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه -صلى الله وسلمَ وبارَكَ عليه- وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد مَرَّ على الإنسانية حين من الدهر وهى تَتَخَبَّطُ في مَهَمه من الضلال متسع الأرجاء، وتسير في غمرة من الأوهام، ومضطرب فسيح من فوضى الأخلاق وتنازع الأهواء، ثم أراد الله لهذه الإنسانية المعذَّبة أن ترقى بِرُوح من أمره، وتسعدَ بوحي السماء، فأرسل إليها على حين فترة من الرسل رسولًا صنعه الله على عينه، واختاره أمينًا على وحيه، فاطَّلع عليه بنوره وهَدْيه، كما يطَّلع البدر على المسافر البادي بعد أن افتقده في الليلة الظلماء.

ذلك هو محمد بن عبد الله ﷺ نبيُّ الرحمةِ، ومُبَدِّد الظلمة، وكاشفُ الغُمة، أرسله الله إلى هذه الإنسانية الشَّقيَّة المعذَّبة، ليزيل شِقوتها، ويَضَع عنها إصرها، والأغلال التي في أعناقها، وأنزل عليه كتابًا ﴿يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة: ١٦]، وجعل له منه معجزة باهرةً، شاهدةً على صدق دعوته، مؤيِّدةً لحَقِّيَّة رسالته، فكان القرآنُ هو الهداية والحُجَّة، هداية الخلق وحُجَّة الرسول ﷺ.

لم يَكَد هذا القرآن الكريم يقرع آذان القوم حتى وصل إلى قلوبهم، وتَمَلَّك عليهم حسَّهم ومشاعرهم، ولم يُعرِض عنه إلا نَفَرٌ قليل، إذ كانت على القلوب منهم أقفالُها، ثم لم يلبث أن دخل الناس في دين الله أفواجًا، ورفع الإسلام رايته خفَّاقةً فوق ربوع الكفر، وأقام المسلمون صرح الحق مُشَيَّداً على أنقاض الباطل(١).

لذا سعد المسلمون بهذا الكتاب الكريم، الذى جعل الله فيه الهدى والنور، ومنه طِبُّ الإنسانية وشفاءُ ما في الصدور، وأيقنوا بصدق الله حيث يصف القرآن فيقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٩].

فقد كَثُرت التفاسير حول هذا الكتاب الكريم، فأحببت أن أجمع تفسيرًا يجمع الشتات ويوضح المراد، بأوجز أسلوب، وأعذب عبارة؛ ليستفيد منه الطالب والمنتهي، وقد أسميته: «**أقصى الغايات في تفسير الآيات**»، فأسأل الله تعالى أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتب لي أجره، وأن يكون ذخرًا لي يوم ألقاه، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الأكرم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه العبد الفقير لعفو ربه،

محمد فراج طه علي

عضو مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية بمشيخة الأزهر

(١) التفسير والمفسرون (١/ ١٠).

(١) سـورة الفـاتحة مكية

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

تفسير الاستعاذة:

اتَّفق المفسِّرون على أن (الاستعاذة) ليست من القرآن، وأشهر صِيغها الواردة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وزِيد عليهما في بعض الروايات «من همزه ونفثه ونفخه»، والمعنى: أي: ألتجئ وأعتصم وأتحَصَّن بالله من أذى الشيطان الرجيم؛ لأنه عَدُوٌّ مبين لا يَملُّ ولا يَكلُّ مِن سعْيه لإضلال الإنسان؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨]، وقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، وعن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَفْتَحَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السورة مكية، وتسمى «الفاتحة» لافتتاح الكتاب العزيز بها حيث إنها أول القرآن في الترتيب لا في النزول، وتسمى أم الكتاب؛ لأنها جمعت مقاصده الأساسية، والسبع المثاني؛ لأنها تعاد وتثنى في الصلاة، والشافية، والوافية،

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٨٠٨)، وأحمد في مسنده برقم: (٣٨٢٨).

والكافية، والأساس، والحمد، وقد عدت السورة الخامسة في ترتيب نزول السور، وهي سبعُ آياتٍ في قولِ الجمهور مِن أهل العلم وهي خمسٌ وعشرونَ كلمةً، ومئةٌ وثلاثةٌ وعشرونَ حرفًا، وهي - على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وفروعه، تتناول العقيدة، والعبادة، والتشريع، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه -جلَّ وعلا- بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقين، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه، إلى غير ذلك من المقاصد والأغراض والأهداف، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة[(١)].

من فضائلها:

أ- ما روي أن أبيَّ بن كعب «قرأ على النبي ﷺ أم القرآن فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيمُ الذي أوتيتهُ»[(٢)] فهذا الحديث الشريف يشير إلى قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي

(١) التيسير في التفسير (١/ ٧٢)، والوسيط (١/ ٧١)، وصفوة التفاسير (١/ ٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١١٢٠٥)، وأحمد في مسنده برقم: (٩٣٤٥).

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الآية: ٨٧].

ب – ما روي أن أبا سعيد بن المعلَّى –رضي الله عنه– قال كُنْتُ أُصَلِّي في المَسْجِدِ، فَدَعانِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فقالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثُمَّ قالَ لِي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ السُّوَرِ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ. ثُمَّ أخَذَ بيَدِي، فَلَمَّا أرادَ أنْ يَخْرُجَ، قُلتُ له: أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟ قالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السَّبْعُ المَثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ»(١).

افتتح الله بهذه الآية سورة الفاتحة وكل سورة من سور القرآن –ما عدا سورة التوبة– ليرشد المسلمين إلى أن يبدأوا أعمالهم وأقوالهم باسم الله الرحمن الرحيم، التماسًا لمعونته وتوفيقه، ومخالفة للوثنيين الذين يبدأون أعمالهم بأسماء آلهتهم أو طواغيتهم فيقولون: باسم اللات، أو باسم العزى، أو باسم هبل(٢).

(١)– ﴿بِسْمِ﴾ الباءُ للإلصاقِ، ومعناه: أَتيمَّن وأتبرَّك وأستعينُ وأستثبتُ وأستغيثُ باسمِ اللَّه، والاسم: اشتقاقُه مِن: سَمَا يَسْمُو سُمُوًّا، وسَمَى يَسْمِي سُمِيًّا؛ أي: عَلَا، والمعنى أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء مستعينًا به في كل أموري، وطالبًا وحده منه العون، فإنه الرب المعبود ذو الفضل والجود، ﴿اللَّهِ﴾: علم على الذات العلية، ﴿الرَّحْمَنِ﴾: المتصفة ذاته بالرحمة وهي صفة خاصة به، ﴿الرَّحِيمِ﴾: من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم: (٤٤٧٤).

(٢) صفوة التفاسير (١/٢٣).

يرحم غيره بالفعل، وهما في الأصل صفتان مأخوذتان من الرحمة، وهي رقة في القلب تقتضي الإحسان والتفضل بالنعم، والمراد هنا: الإحسان والتفضل بالنعم، ورحمةُ اللَّهِ هي إرادتُه الخيرَ بأهلِه، وقيل: هي إعطاءُ اللَّهِ العبدَ ما لا يَستحقُّه مِن المثوبةِ، ودفعُ ما يَستوجبه مِن العقوبة، معنى الاسمين مختلفٌ فلم يَكن تكرارًا، والبسملة بَدَأَت باسم اللَّه وهو دلالةُ الهَيبة، فذَكَر بعده اسمين مشتقَّين مِن الرحمة، ليبشِّرهم أنَّه يُوصِل إلى عباده آثارَ رحمتِه أَكثر ممَّا يُوصِل إليهم آثارَ رهبته، وفي تقديمِ اسمِ ﴿الرَّحمن﴾ على ﴿الرَّحيمِ﴾: أنَّه اسمٌ خاصٌّ للَّه تعالى، فقدِّم على ﴿الرَّحيمِ﴾ الذي قد يُسمَّى به غيرُه؛ ولأنَّ ﴿الرَّحمن﴾ أبلغُ في المدح، فكان أَولى بالسَّبق[(١)].

(٢ - ٥) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد: على قسمين: حمدٌ على ذاته وصفاته، وحمدٌ على آلائه ونعمائه، وقد اشتملَ قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الوجهين، والألفُ واللامُ في ﴿الْحَمْدُ﴾ لاستغراق الجنس ﴿رَبِّ﴾ الرب: المالك والسيد، وفيه معنى الربوبية والتربية والعناية. ﴿الْعالَمِينَ﴾: جمع عالم، وهو ما سوى الله، وهو أنواع كعالم الإنسان والحيوان والنباتات ... إلخ. ثم إضافةُ الربِّ إلى العالَمين بيانٌ أنه ربُّ الجميع، ليس كأربابِ الأشياء المخصوصة، وإيضاحُ أنه مستحقٌّ حمدَ الكلِّ؛ إذ هو خالقُهم ومُرَبِّيهم ومالكهم، وليس وجود ربوبيَّته بوجودهم، فقد كان ربَّ العالمين قبل أن يكونوا، ويكون ربَّ العالمين بعد أن يَبِيدوا، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ سبق الكلام عليهما في البسملة، أي: الشُّكر للَّهِ بما صَنَعَ إلى خَلْقه، ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: المراد أن الأمر في قبضة قدرته يوم القيامة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ العبادة: الطاعة مع غاية الخضوع الناشئ من استشعار القلب عظمة المعبود، والمعنى: لا نعبد غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الاستعانة:

(١) بحر العلوم (١/ ٣٩)، والمحرر الوجيز (١/ ٦٥).

طلب المعونة منه، أي: نخصك بطلب المعونة(١).

(٦-٧) ﴿اهْدِنَا﴾: أي: ثبِّتنا على هذا الصراط المستقيم، وقيل: أَرْشِدْنا إلى الطاعات، وهو طلبُ إعطاءِ الرُّشدِ في كلِّ ساعةٍ إلى الطريق المستقيم كيلا يَزيغَ عنه لحظةً، وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا﴾: انتظامه بما قبله: أن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إظهارُ التوحيد من نفسه، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ طلبُ العونِ من ربه، وقوله: ﴿اهْدِنَا﴾ سؤالُ الثباتِ على دِينه، وهو تحقيقُ عبادته واستعانتِه. ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: والصّراط هو السبيل، وقيل: هو الطريق السَّوِيُّ، وقيل: هو الطريق الواضح المعتدل، والمراد به طريق الإسلام. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مَنَنْتَ عليهم، وهو بدلٌ عن قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو كالتفسير له، والبدلُ يَتبعُ المبدَلَ منه في إعرابه، ومعناه: طريق الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والهداية، وهم الأنبياءُ والصدِّيقونَ والشُّهداءُ والصالحون ولا شك أنهم غير من عرفوا الحق وابتعدوا عنه كفرًا وعنادًا أو جهلًا وضلالًا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [مريم: ٥٨]. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: المبعدون عن رحمة الله المعاقبون أشد العقاب لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وقيل: هم اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: الذين ضلوا الطريق، وقيل: هم النصارى، وإنما خصَّ اليهود بالغضب في هذه الآية والنصارى بالضلال؛ لأن وعيد الغضب فوق الوصف بالضلال؛ لأن الغضب هو إرادة الانتقام لا محالةَ، واليهودُ أحقُّ بذلك؛ لغايةِ قبحِ كفرهم، وبلوغِهم الغايةَ في التمرُّد والمعاندة ﴿آمِّينَ﴾: تقبل منا واستجب دعاءنا، وليست من القرآن ولكن يسن ختم الفاتحة بها(٢).

(انتهى تفسير سورة الفاتحة).

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٩١).

(٢) التيسير في التفسير (١/ ١٧٦)، والكشف والبيان (١/ ١٢٥)، وروح المعاني (١/ ٣١٥).

(٢) سورة البقرة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق، وسميت بالبقرة؛ لأنها انفردت بذكر قصة البقرة التي كلف قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبحها بعد أن قتل فيهم قتيل ولم يعرفوا قاتله، وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة المطففين وقبل آل عمران، وآياتُها: مئتان وست وثمانون آيةً، وكلماتُها: ستةُ آلافٍ ومئةٌ وستَّ عَشَرَةَ كلمةً، وحروفُها خمسة وعشرون ألفًا وستُّ مئةٍ وثمانيةٌ وخمسون، ومناسبتها لسورة الفاتحة: هناك مناسبة ظاهرة بين السورتين، لأن سورة الفاتحة قد اشتملت على أحكام الألوهية والعبودية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم اشتمالًا إجماليًّا، فجاءت سورة البقرة ففصلت تلك المقاصد، ووضحت ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من هدايات وتوجيهات[(١)].

وهذه السورة الكريمة اشتملت على منهجين عظيمين:

المنهج الأول: طابعه أنه خطاب عام لجميع الناس فقد بدئت السورة بالكلام على القرآن، وأثره، ثم بيان موقف الناس منه، فمنهم المؤمن المسالم، والكافر المجاهر، والمنافق المخادع. ثم اتجهت لخطاب أمة الدعوة- الناس جميعا- حيث دعاهم الله إلى الإيمان الصحيح، مبينًا لهم إعجاز القرآن وصدق الرسول. ثم ذكر قصة خلق الإنسان وتكريمه، وموقف الشيطان منه.

(١) التيسير في التفسير (١/ ١٨٣)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٢٧).

ثم التفت إلى بنى إسرائيل - الطبقة الواعية في المجتمع المدني - فدعاهم إلى ما فيه خيرهم وذكرهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من نقمه، وبين لهم قبائحهم وسيئات آبائهم، وأطال في ذلك، وتعرض لأبى الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى علاقته بالعرب، وإلى موقفهم منه، وكل هذا لم يعرفه الرسول ﷺ إلا عن طريق الوحي.

أما المنهج الثاني: فطابعه أنه خطاب للمسلمين - أمة الإجابة - وهو واقع في عجز السورة وقد بدئ بالكلام على أول حادثة دينية تمس المسلمين وأهل الكتاب - تحويل القبلة - ثم عالجت السورة المجتمع الإسلامي فذكرت الكثير من التشريعات والقوانين، وما يجب أن يكون عليه المجتمع المثالي المسلم. وكان الأساس الأول الدعوة إلى التوحيد الخالص لله، وتعرضت لأحكام القصاص والوصية والقتال والإنفاق في سبيل الله، ولبيان بعض العبادات كالصيام والحج، وأظهرت أحكام الخمر، ونكاح المشركات والعدة والإيلاء والطلاق والرضاع، والربا وأحكام التداين والمعاملات وخاصة الرهن، وفي خلال ذلك قصص وحكم، ثم ختمت السورة الكريمة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة والإنابة، والتضرع إلى الله -عز وجل- برفع الأغلال والآصار، وطلب النصرة على الكفار وهذا دعاء إسلامي كامل[(١)]، ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم[(٢)].

---

(١) التفسير الواضح (١/ ١٢).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٠٣).

فضلها:

وقد ورد في فضل سورة البقرة أحاديث متعددة، وآثار متنوعة منها ما روي عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إنَّ الشَّيْطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ»(١).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ سَنَامًا، وإنَّ سَنَامَ القرآنِ، سورةُ البقرةِ، مَن قرأها في بيتِه ليلًا لم يَدْخُلْهُ الشيطانُ ثلاثَ ليالٍ، ومَن قرأها في بيتِه نهارًا لم يَدْخُلْهُ الشيطانُ ثلاثةَ أيامٍ»(٢)، هذه السورة فضلها عظيم، وثوابها جسيم، ويقال لها فسطاط القرآن، وذلك لعظمها وبهائها وكثرة أحكامها ومواعظها(٣).

(١) - (الم) الأحرف المقطعة من المتشابهِ الذي لا يَعلم تأويلَه إلا اللَّهُ، وقيل: إنَّ هذه الحروفَ احتجاجٌ من اللَّه تعالى على الكفَّار؛ لأن النبيَّ ﷺ لـمَّا قال لهم: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ [هود: ١٣] وعجزوا عنه، أنزل اللَّه جلَّ جلالُه هذه الحروفَ؛ أي: إن القرآن من هذه الحروف التي هي لغاتُكم، فليس عجزُكم عن الإتيان بمثلِها إلا لأنه كلامُ اللَّه تعالى لا مِثْلَ له.

(٢) - ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: إن هذا الكلام البليغ المعجز: مكون من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٨٠)

(٢) أخرجه بن حبان في صحيحه حديث رقم (٧٨٠) والحاكم في مستدركه حديث رقم (٣٠٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٥٢).

جنس الأحرف التي يتكون منها كلامكم؛ وهي الألف، واللام، والميم، والمراد بالكتاب هنا: قيل: هو اللوحُ المحفوظ، وقيل: هو التوراةُ والإنجيل، وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والضحَّاك وقتادة: هو القرآنُ، وعليه الجمهورُ، وهو الأشهرُ والأظهرُ، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: لا شكَّ فيه، والرَّيب: شكٌّ فيه خوفٌ، وهو أخصُّ من الشكِّ، فكلُّ ريبٍ شكٌّ وليس كلُّ شكٍّ ريبًا، ﴿هُدًى﴾ أي: هداية وإرشاد، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: الذين أخذوا لأنفسهم وقاية من النار، وأصلُ هذه الكلمة من الوقاية، وهي الحفظ، والتَّوقِّي: التحفُّظ، والاتِّقاء: الاحتفاظ؛ أي: الاحترازُ عن الآفَة، والاسم منه: التقوى، التي هي تركُ الذنوب بعد تمامِ الإيمان(١).

(٣) - ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ بدلالةِ دخولِ الألف واللام فيه، وهو موصولٌ؛ لأنه يُتمُّ بصلته وهو: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ومحلُّ: ﴿الَّذِينَ﴾ يجوز أن يكون نصبًا على المدح، ويجوز أن يكون رفعًا بإضمارِ كلمة: هم، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: الإيمانُ في اللغة هو التصديق، وقد آمَنَ به ولَه؛ أي: صدَّقه، وآمَنَهُ؛ أي: أَثبتَ له الإيمان، والإيمان: هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها، وسلامة العمل، وقيل: هو التصديقُ بالقلب والإقرارُ باللسان. ﴿بِالْغَيْبِ﴾: هو في اللغة: نقيضُ الشهادة، أي: يؤمنون باللَّه. وقيل: يصدِّقون الرسل، وقيل: يصدِّقون بالآخرة، وبالجملة: أن الغيب كلُّ ما لا يصلُ إليه العبد إلا بدليلٍ، وهو ما غاب عن الحسِّ مما يجبُ الإيمان به، وهو ما أَخبر به النبيُّ ﷺ من الكائنات بعده في الدنيا وما بعد الموت من أحوال القيامة والجنة والنار. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: أي: إقامتُها: بإتمامُ ركوعها

---

(١) الكشف والبيان (١/ ١٣٦)، والبسيط (٢/ ١٣)، ومعالم التنزيل (١/ ٥٩).

وسجودها وما يجب فيها، وهو في معنى التقويم؛ أي: التسويةِ، فلا يُدخل نقصًا في شيءٍ من أفعالها وأركانها، ولا خللًا في فرائضها وواجباتها وسُنَنها وآدابها. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: الرزقُ: هو الإعطاءُ وإن اختلفت وجوهه ﴿يُنْفِقُونَ﴾ أي: من الأموال التي أعطيناهم يؤتون الزكاة، وقيل: هو التصدُّق من أنواع الأموال في الوجوه المختلفة، ويتناول ذلك الصرفَ إلى كلِّ خير(١).

(٤) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أي: أُوحي إليك، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: ويؤمنون بما أنزل من الكتبِ قبْلَكَ على سائر الأنبياء، وانتظامُ هذه الآيةِ بما قبلَها: ما ذُكر: أنه لمَّا نزل مدحُ المؤمنين بالتقوى والإيمانِ بالغيب والصلاةِ والإنفاقِ في الآية الأولى، قال أهلُ الكتب: هذا لنا وهي أوصافُنا، فنزل قولُه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فجعل المدحَ للمؤمنين الذين يؤمنون بما أُنزل على محمدٍ ﷺ كما يؤمنون بما أُنزل على الأنبياء الذين قبلَه، فثبَت خروجهم عن ذلك بكفرهم بما أُنزل على محمد ﷺ، ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ أي: الدارُ الآخرة، وقيل هي: يوم القيامة، وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب أليم ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: يعلمون بغيرِ شكٍّ، ويؤمنون بالقيامة وما فيها تمام الإيمان؛ من غير شك ولا شبهة.

(٥) - ﴿أُولَئِكَ﴾: أي: المذكورون قبله، وهم المتَّقون الموصوفون بالإيمان بالغيب وسائرِ الأوصاف المذكورة بعده، ﴿عَلَى هُدًى﴾: أي: على رُشدٍ، وقيل:

---

(١) زاد المسير (١/ ٢٤)، والجامع لأحكام (١/ ١٣٨)، والبحر المحيط (١/ ٣٣)، الدر المصون (١/ ٨٦).

على بيانٍ وحجةٍ، وقيل: على صوابٍ وحقٍّ وصحةٍ، ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: هذا إثباتُ توفيقِ اللَّه تعالى، وبيانُ أنه مِن عنده حصَل لهم، وهذا فضلٌ منه عليهم حيث مدَحهم وهو الذي منَحهم، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ فهو ابتداءٌ آخَرُ، وكلمةُ ﴿هُمُ﴾ تأكيدٌ، ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الباقون في النعيم المقيم، وقيل: الفائزون بقَهْر الأعداء[١].

(٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أصلُ الكفر في اللغة: السَّتر، والمعنى: إن الذين ستَروا الإيمانَ بالكفر، والتوحيدَ بالشرك، والحقَّ بالباطل، والنعمةَ بالكفران، وخبرَ اللَّه بالتكذيب، ورسالةَ الرسل بالجحود، وأمورَ القيامة بالإنكار، والمراد بهم: اليهودُ الذين حول المدينة، وقيل: هم مشركو أهلِ الكتاب كلُّهم. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: مستوٍ عندهم الإنذارُ وتركُه، واختلفوا في الذين أُريدوا بهذه الآية: قيل: هم رهطٌ من اليهود، والآية نزلت في شأن اليهود، وقيل: نزلت الآيةُ في شأن شيبةَ وعُتبةَ والوليدِ بنِ المغيرة، ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ الإنذار: الإعلام مع التخويف أي: وعظتهم أم لم تعظهم، وخوفتهم أم لم تخوفهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عنادًا واستبدادًا واستكبارًا[٢].

(٧) - ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾: انتظامُه بما قبله: أنه ذَكر هؤلاء بصفاتهم وحالاتهم، ثم أَلحق به ذكرَ عقوباتهم، والمعنى: طبع اللَّه على قلوبهم فلا يعقلون الخير. وقيل:

---

(١) البحر المحيط (١/ ٤٣) جامع البيان (١/ ١٠٦)، والبسيط (٢/ ٨٢).

(٢) جامع البيان (١/ ١٠٨)، وبحر العلوم (١/ ٩١)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ١٥٩) والمحرر الوجيز (١/ ١٥٠).

أي: أَقفل عليها وأَغلقها فلا تَعِي خيرًا ولا تَسمعُه، والتحقيقُ: أن اللَّه -عز وجل- طبَع عليها فجعلها بحيث لا يَخرج منها ما فيها من الكفر، ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان. ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: هي جمعُ القلب وهو الفؤاد، وقلبُ كلِّ شيءٍ خالصُه وأشرفُه، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: فالسَّمْعُ في الأصل: هو السَّماع، وهو مصدرٌ، والسَّمْع أيضًا الأُذُن بمعنى: السامعة، ثم معنى الآيةِ: ختَم اللَّه على آذانهم فجعلَها لا تُصغي إلى خيرٍ ولا تَعيهِ ولا تقبلُه، عقوبةً لهم على سوءِ اختيارهم وميلِهم إلى الباطل وإيثارهم. ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾: أي: على عيونهم، فالبصرُ: العين، وجمعُه: الأبصار، ومعناه: يتعامَون عن الحقِّ مع وجودِ العيون، كما يَتصامُّون عنه مع وجود الآذان. ﴿غِشَاوَةٌ﴾: فالغِشاوةُ والغِشاءُ: الغطاءُ، والتغشيةُ: التغطية، والمعنى: وعلى أبصارِ قلوبهم غطاءُ غَفلةٍ وغلافُ شبهةٍ، وكما تعامَوا عن الحقِّ في الدنيا فكذلك يُبعثون في العُقبى، ثم بيَّن عقوبتهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فالعذابُ: العقوبة، ﴿عَظِيمٌ﴾: أي: كبيرٌ، وقيل: أي: كثيرٌ، وقيل: أي: دائم، وهو التعذيب بالنار أبدًا.

(٨) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: أي: ومن جنسِ الإنس، والناس: جمع إنسانٍ على غير لفظه، ﴿مَنْ يَقُولُ﴾: (مَن) كلمةٌ تصلُح للواحد والجمع، وهاهنا للجمع؛ أي: قومٌ يقولون، وهم عبدُ اللَّه بنُ أُبيٍّ بنُ سَلُولَ، ومعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ، وجَدُّ بنُ قيسٍ، وغيرُهم، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أخبر عنهم أنهم يدَّعون ذلك. ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ليسوا بمؤمنين، فنَفَى الإيمانَ عنهم؛ لأنه لم يكن في قلوبهم، وفي الآيةِ معجزةُ النبيِّ ﷺ؛ فإنهم أظهَروا الإيمانَ وأضمَروا الكفر، والنبيُّ ﷺ أَخبر

عما في قلوبهم، وذلك غيبٌ[١].

(٩) - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يخادعون رسولَ اللَّه ﷺ والمؤمنين بإظهارِ الإيمان مع إضمار الكفر، ورفَع درجة النبي ﷺ والمؤمنين حيث جعَل خداعَهم خداعَه، كما جعَل إيذاءَهم إيذاءَه، وقيل: معناه: يُفسدون ما أظهَروا من الإيمان بما أضمَروا من الكفر. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطفٌ على الأول؛ أي: ويخادعون المؤمنين أيضًا، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: ولا ينفذُ خداعُهم فيمَن قصَدوه، فكأنهم خدَعوا أنفسهم، كما يقال: فلانٌ يسخر بفلانٍ وما يَسخر إلا بنفسه. وقيل: معناه: وما يرجعُ وَبالُ خداعهم إلا إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: وما يعلَمون أنه خداعٌ لأنفسهم.

(١٠) - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: شكٌّ، وقيل: نفاقٌ، وقيل: ظُلمةٌ، والمرضُ في اللغة: العلَّةُ، والإمراضُ: إثباتُ صفة المرض، والتمريضُ: القيام على المريض، وقيل: هو كلُّ ما خرج به الإنسان عن حدِّ الصحة في جسدٍ أو اعتقادٍ؛ من علةٍ أو نفاقٍ أو تقصيرٍ في أمرٍ. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: الزيادة خلافُ النقصان، ومعناه: جازاهم اللَّه بزيادةِ شكٍّ على شكِّهم عقوبةً لهم على إصرارهم وعنادهم، وقيل: فزادتهم عداوةُ اللَّه مرضًا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: يصلُ ألمُه إلى القلوب، وقيل: هو الشديدُ الذي لا يزولُ ولا ينقطع، والألمُ في اللغة: الوجع، والأليم: الوجيع، وهو بمعنى: المؤلم؛ أي: المُوجِع، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: أي: بكونهم كاذبين، أي: يَكْذبون على اللَّه تعالى بإثباتِ الشريك، وقيل: أي: بتحليلِ ما

(١) الكشف والبيان (١/ ١٤٧)، وزاد المسير (١/ ٢٤ - ٢٥)، والتيسير في التفسير (١/ ٢٣٤).

حرَّمه اللَّه وتحريمِ ما حلَّله(١).

(١١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا﴾: (إذا) كلمة توقيتٍ، وهي ظرفٌ للزمان المستقبَل، و(إذ) ظرفٌ للزَّمان الماضي، والفسادُ ضدُّ الصلاح، والإفسادُ ضدُّ الإصلاح. والمعنى: وإذا قال المسلمون لهؤلاء المنافقين: لا تَعملوا المعاصيَ في أرض المدينة وما حولها، وقيل: أي: لا تفرِّقوا الناسَ عن محمدٍ ﷺ، والمراد بهم: المنافقون، وقيل: هم اليهودُ، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ هي وجهُ بساطِ الدنيا، والسماءُ سقفُها، وقيل: أريدَ بها هاهنا أرضُ المدينة، فإن إفسادَ المنافقين كان فيها. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ الإصلاحُ: ضدُّ الإفساد، ثم لقولهم هذا وجوهٌ: أحدها: أنهم أنكروا الإفساد -وهو النِّفاق وما نُهوا عنه- لأنهم كانوا يُخفون ذلك، فأَظْهَرَ اللَّه تعالى ما أضمَروا، وكَشَفَ ما ستَروا، والثاني: أنهم اعتذروا إلى المسلمين، وقالوا: إنما نوافقُ الكفارَ ونمايلهم نريد بها الإصلاحَ بينهم وبين المؤمنين، وهذا قولُ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

(١٢) - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾: (ألَا) كلمة تنبيهٍ، و(إنَّ) كلمة تأكيدٍ، و(هم) كنايةٌ عن المذكورين قبلَه، و(هم) الثانية تأكيدٌ؛ لأن التكريرَ تأكيدٌ، أثبتوا لأنفسهم اسمَ المُصلِحين، فنفاه اللَّه عنهم وأثبت لهم اسم المفسِدين، وقيل: في هذا ما يدلُّ على أنهم وصفوا أنفسَهم بالإصلاح والمؤمنين بالإفساد، واقتضى أنهم قالوا: إنما نحن مصلحون وأنتم مفسدون، فردَّ اللَّه عليهم القولين، وقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(١/ ١٧١)، وتفسير النسفي(١/ ١٨)، والبحر المحيط(١/ ٥٣).

(٢) جامع البيان (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩).

﴿الْمُفْسِدُونَ﴾، وتقديرُه: هم المفسدون لا أنتم ﴿وَلَكِنْ﴾: كلمةُ استدراكٍ، وقيل: هي تحقيقُ شيءٍ تُثْبته بدلَ شيءٍ تنفيهِ. ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أنَّهم مفسدون، وأنَّ فِعلَهم إفسادٌ.

(١٣) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الآيةَ نزلت في شأنِ اليهود ومسلمي أهل الكتاب: عبدِ اللَّه بنِ سَلَام وأصحابِه، والنَّجاشيِّ وأصحابِه فعلى هذا تأويلُ الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لليهود: ﴿آمِنُوا﴾ بمحمدٍ وكتابه ﴿كَمَا آمَنَ﴾ عبدُ اللَّه بنُ سَلَام وأصحابُه والنَّجاشيُّ وأصحابُه؛ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾؛ أي: هؤلاء الجهَّال؛ أي: ابنُ سَلَام وأصحابُه والنجاشيُّ وأصحابُه، وفي الآية بيانُ رسالة النبيِّ ﷺ، وهو أنه أَخبر بما في قلوب المنافقين بإخبار ربِّ العالمين، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾: هو جمع السَّفيه، قيل: السُّفهاء: الجُهَّال، وقيل: الجُهَّالُ الظَّالمون القائلون خلافَ الحقِّ، ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أنهم هم السُّفهاء، وقيل: أي: لا يعلمون عاقبةَ صنيعهم[(١)].

(١٤) - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: ﴿لَقُوا﴾؛ أي: عايَنوا، واللِّقاء: الرُّؤية والمُعايَنة، أي: إذا عاين اليهودُ المؤمنين، وقيل: وإذا عاين المنافقون المؤمنين، وانتظامُ هذه الآيةِ بالآية التي قبلَها: أنه ذكر في تلك الآية ما قالوا لهم، وذكرَ في هذه الآية ما قال المنافقون لأولئك، في تلك الآية مقابلةُ التَّسْفيه بالتَّسْفيه، وفي هذه الآية مقابلةُ الاستهزاء بالاستهزاء. ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: أي: إذا انفردوا وقيل: أفْضَوا إليهم،

---

(١) التيسير في التفسير (١/ ٣٢١).

وقيل: رجعوا إليهم. ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾؛ أي: صرفوا خَلْوتَهم إلى شياطينهم، والشياطين جمع شيطان، وهو: كلُّ مُتَمرِّدٍ عند العرب شيطانٌ، والمراد بهم: اليهودُ الذين أمَروهم بالتكذيب، وقيل: هم رؤساؤهم في الكفر، وسُمُّوا شياطينَ لبُعدهم عن الحقِّ، فإنَّ الشُّطُونَ: هو البُعد، ولعُتوِّهم وتَمرُّدهم، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: أي: إنَّا عونٌ لكم على محمدٍ ﷺ وإنْ كنَّا معه ظاهرًا، وقيل: إنَّا على ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ الهُزْء: السُّخرية من شيءٍ يَحِقُّ عند صاحبه ولا يَحِقُّ عند الهازئ، وانتظامُه بما قبلَه: أنهم لمَّا قالوا لشياطينهم: ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾، قالوا: فما لكم تشهدون مشاهدَهم، وتدخلون مساجدَهم، وتحُجُّون وتَغْزون معهم؟ قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، والمعنى: ساخرون بمحمدٍ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وقيل: أي: مُكذِّبون بما يدعو إليه[(١)].

(١٥) - ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: معناه: يجازيهم في الآخرة جزاءَ استهزائهم، ودلَّت الآيةُ على قُبْح الاستهزاء بالناس، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، ثم مُقابلةُ الاستهزاء بالاستهزاء دليل على أنَّ الجزاءَ من جنس العمل، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: أي: يتركهم، وقيل: أي: يُخلِّيهم، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾؛ أي: في كفرهم وضلالهم، والطُّغيان: هو مجاوزةُ الحد، وقيل: هو إظهارُ القوة على مَن لا قوة له. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتردَّدون، وقيل: يتحيَّرون، والعَمَه: هو التَّردُّدُ في الحَيرة.

(١٦) - ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾: فالشراء: البيع، والاشتراء: الابْتِيَاع، ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أي: أَخذوا الكفرَ، وتَركوا الإيمان، وقيل: الشَّكَّ بالإيقان،

---

(١) جامع البيان (١/ ٢٠٣)، والنكت والعيون (١/ ٧٥).

وقيل: الجهلَ بالعلم، وقيل: الفُرقةَ بالجماعة، وقيل: النِّفاقَ بالإخلاص وقيل: اختاروها، وقيل: أي: استبدَلوها، وهو كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٨]. ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾: فالرِّبْح والرَّبَح: الفضل، ومعناه: فما ربحوا في تجارتهم، وهي اشتراءُ الضلالة بالهدى ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: وما نالوا الهدى حيث اشتروا الضلالةَ بالهدى، وقيل: ما اهتدَوا إلى الاتِّجار بالتجارة الرابحة التي اهتدَى إليها المؤمنون(١).

(١٧) - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أي: حالُهم كحال المُستوقِد، والمثل: الصفة والقصة الغريبة، والمراد أن حالهم تناهت في الظهور والوضوح حتى أضحت كالمثل الذي لا ينكر ﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: أي: أشعل نارًا، يقال: وَقَدَتِ النارُ وُقودًا؛ أي: اشتَعلَت، وأَوقَدَها غيرُها واستوقَدَها؛ أي: أشعلَها، ويقال: استوقد؛ أي: سأل غيرَه أنْ يُوقِد، فإن سينَ الاستفعال للطلب والسؤال، والمراد بهم في الآية هم: اليهودُ -لعنهم اللَّه-، وقيل: المنافقون ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾: أي: أنارت، والضوء: النور، وضاء؛ أي: نارَ، ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ أي: جهات المستوقد، يقال: حَوْلَه وحَوَالَيْه وحَوْلَيه، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: سوَّد وجوههم في الآخرة عقوبةً لهم، وقيل: أَذْهبه اللَّه، والنور هاهنا: ضوءُ النار التي أوقَدوها، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾: أي: خلَّاهم في ظُلُماتٍ، وقيل: لم يأتهم بضياءٍ يبصرون به. ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لا يبصرون ما حولهم لذهابِ النور، ومعنى الآية: مثلُ المنافقين في كفرهم ونِفاقهم كمثلِ رجلٍ أَوقد نارًا في ليلةٍ مظلمةٍ في مَفازةٍ واستضاء بها واستَدفأ بها، ورأى ما

(١) التيسير في التفسير (١/ ٣٣٠)، وتفسير مقاتل (١/ ٩٠ - ٩١)، والمحرر الوجيز (١/ ٩٤).

حوله واتَّقى ما حَذر وخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طَفِئتْ نارُه فبقي في ظلمةٍ خائفًا متحيِّرًا، فكذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزِّها وأمنوا بسببها، فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأَمِنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظُّلْمة وبَقُوا في العذاب والنِّقْمة(١).

(١٨) - ﴿صُمٌّ﴾: الصَّمَم: انسداد خروقِ المسامع، وجمعُه: الصُّمُّ، ﴿بُكۡمٌ﴾: فالبَكَمُ: هو الخَرَس، وهو آفَةٌ في اللسان لا يتمكَّن معها أن يعتمد مواضعَ الحروف. وجمعُه: البُكْم ﴿عُمۡيٌ﴾: العَمَى: ذهابُ بصر العين والقلب، والعَمَايَة: الجَهَالة، ومِن العمى: الأعمى في العين، وجمعُه: العُمْي، ومن القلب العَمِي، وجمعه: العَمُون، قال الله تعالى: ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]، ثم رفعُ هذه الكلمات بإضمارِ كلمةِ: هم؛ أي: هم صمٌّ بكمٌ عميٌ، والمعنى: أي: صمٌّ عن استماع الحق، بكمٌ عن التكلُّم به، عُميٌ عن إبصاره. ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ الرجوع: الانصراف، والمعنى: لا يرجعون إلى الحق، وقيل: عن التَّعامي والتَّصامِّ والتباكُم(٢).

(١٩) - ﴿أَوۡ﴾ يحتمِل أن يكون للتخيير؛ أي: إن شئتُم فاجعلوا مَثَل المنافقين كمَثَل المستوقِد نارًا، وإن شئتُم فاجعلوا مَثَلَهم كمَثَل أصحابِ صَيِّبٍ، ويجوز أن يكون بمعنى الواو؛ أي: وكصيبٍ، ويجوز أن يكون بمعنى: بل، ﴿كَصَيِّبٍ﴾ الكافُ للتشبيه، وهو أحدُ أقسام البلاغة، وهو أبلغُ في المعنى، وأوقعُ في القلب، وأعذبُ في الأسماع، وأوصلُ إلى المراد، والصيب: المطر، من قولهم:

---

(١) بحر العلوم (١/ ٥٥)، والكشف والبيان (١/ ١٥٦)، ومعالم التنزيل (١/ ٦٧).

(٢) التيسير في التفسير (١/ ٣٥٩)، وتأويلات أهل السنة (١/ ٣٩٠ - ٣٩١).

صاب يَصُوب صَوبًا:، وقيل: السَّحاب، أي: كسحابٍ، لأنه تعالى قال: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، وذلك في السحاب لا في المطر، وسمِّي السحاب صيِّبًا لأن الصيِّب منه، وهو المطرُ الذي يَصُوبُ؛ أي: يَنزل. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السماء الدنيا، وقيل: من السحاب، والتوفيقُ بين التفسيرين: أن المطر من السحاب عِيانًا وهو من السماوات أصلًا؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[النور: ٤٣]. ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾: هي ظلمة الليل والسحابِ والمطرِ، وقيل: ما يستره المطرُ والسحاب من نور المطالع، ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾: الرعدُ والبرقُ المذكوران في هذه الآية هو الصوتُ والنار التي تلمع في السَّحاب، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾: قيل: يضعون، وقيل: يُدخلون، ودلت الآيةُ أن إطلاق اسمِ الشيء على بعضه جائزٌ مجازًا، فإنه ذكر جَعْلَ الأصابع في الآذان، والمقصود جعلُ بعضِها لا كلِّها، ومعنى هذا: يسدُّون آذانهم بأصابعهم خوفًا من الرعد. ﴿فِي آذَانِهِمْ﴾: هي جمعُ أُذن، وهي الجارحة السامِعة ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: هي جمع الصاعقة، وهي الصوت مع النار، وقيل: هي صوتُ الرعد الشديد الذي يُصْعق منه الإنسان؛ أي: يُغشى عليه أو يموت. ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي: من قِبَل الصواعق وبسببها، أو فيه مضمرٌ وتقديره: يجعلون أصابعهم في آذانهم تحرُّزًا من الصواعق، أو: خوفًا من الصواعق. ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: الحذر: الخوفُ الباعثُ على التحفُّظ والتيقُّظ ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: أي: يُميتهم إن شاء فلا فائدةَ لحذَرهم. وقيل: أي: هو عالم بالكفار فيُطْلِعُ رسولَه على

أفعالهم، وقيل: أي: يجمعهم في جهنم بما فعلوا[١].

(٢٠) - ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ أي: قارَبَ ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ الخَطْف: الاستِلابُ بسرعةٍ ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ أي: كلما أضاء البرقُ الطريقَ لهم. ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾: المشي: السَّيرُ السَّهل، والمعنى: كلما نارَ البرقُ فأنارَ الطريقَ مضوا في طريقه وضوئه، فإذا انقطَع وقفوا، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: القيام: الانتصاب، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: (لو) كلمةُ شرطٍ، والمعلَّق به يَمتنِعُ بامتناعِ شرطه، وقد يكون للتمنِّي والمشيئة: الإرادة. ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾: أي: لأَذْهَبه، والمعنى: ولو شاء اللَّهُ لذهب بسمعِ رؤوسهم وأبصارِ رؤوسهم كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها، وقيل: ولو شاء اللَّه لجعلهم صمًّا وعميًا في الآخرة كما جعلهم في الدنيا كذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: إنه على كل شيءٍ قادرٌ، وإنما ذُكر قبلَه إذهابُ السمع والبصر لا غير لأنهما هما المذكوران في القصة، فالرعدُ يؤثِّر في السمع، والبرق يؤثر في البصر، واللَّه تعالى قادرٌ على إزالتهما في هذه الحالة، وقادرٌ على كل شيءٍ في كلِّ حالةٍ.

(٢١) - ﴿يَاأَيُّهَا﴾ (يا) نداء، وهو مدحٌ ابتداءً، وبعثٌ على ملازمة الإنسانية انتهاءً، و(أيُّ) اسمٌ مبهَمٌ مبنيٌّ على الضم لأنه منادًى مفردٌ معرفةٌ، و﴿النَّاسُ﴾ صفةٌ له، و(ها) تنبيهٌ لازمٌ لـ (أيّ)، وهو عوضٌ عن الإضافة في (أيّ)؛ لأن أصلَ (أيّ) أن يكون مضافًا في الاستفهام، ﴿النَّاسُ﴾ هنا يَصلح اسمًا للمؤمنين والكافرين والمنافقين، ﴿اعْبُدُوا﴾: معناه: أيها المؤمنون أطيعوا، وأيها الكافرون

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤)، والكشف والبيان (١/ ١٦٤)، والمحرر الوجيز (١/ ١٠٣)، والبحر المحيط (١/ ٢٥٢).

آمِنوا، وأيها المنافقون أَخلصوا، وهو وجهُ انتظام هذه الآية بتلك الآيات.

﴿رَبَّكُمُ﴾؛ أي: إلهكم ومالكَكم ومربِّيكم. ﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي: أَوْجَدكم، فهو المستحِقُّ لعبادتكم إياه، وهي العملُ له على الخلوص. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: الواو للعطف؛ أي: وخلَق الذين من قبلِكم فاستحقَّ عبادتهم وأمَرهم أيضًا بعبادته، وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ دلالةٌ على شمول القدرة والصَّنعة، وتنبيهٌ عن سِنَة الغفلة، أنهم كانوا فمضوا، وجاؤوا وانقضَوا، فلا تنسَوا مصيركم، ولا تستجيزوا تقصيركم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي: اعبدوا ربَّكم راجين التقوى، وللتقوى هاهنا معنيان: التقوى في الدنيا عملًا، والتقوى في الآخرة أملًا: ففي الدنيا: الاتِّقاءُ عن الشرك إنْ حُمِلَ الأمرُ بالعبادة على التوحيد، والاتِّقاءُ عن الذنوب إنْ حُمل ذلك على الطاعات. والاتِّقاءُ في الآخرة هو الاحتفاظُ عن النار وسائر العقوبات(١).

(٢٢) - ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾. أي: صيَّر لكم الأرض، وقيل: خلَق، وقيل: بسَط. ﴿الْأَرْضَ﴾: هي التي نحن عليها ﴿فِرَاشًا﴾: أي: بساطًا، والفَرْش: البَسْط، وهو مصدرٌ، والفراش: البساط، وهو اسمٌ لِمَا يُفرش؛ أي: يُبسط، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: معطوفٌ على الأول؛ أي: وجعَل السماء بناءً، وهي السماء التي فوقنا، مشتقَّةٌ من سما يسمو سموًّا؛ أي: عَلا، ﴿بِنَاءً﴾؛ أي: مبنيَّةً. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: من السماء التي هي سقفُ الدنيا، أو من السحاب ﴿مَاءً﴾؛ أي: مطرًا، ﴿فَأَخْرَجَ﴾أي: فأوجد، ليس أنها موضوعةٌ في الأشجار فأخرجها منها.

(١) التيسير في التفسير (١/ ٣٩٢)، تأويلات أهل السنة (١/ ٣٩٩).

﴿بِهِ﴾؛ أي: بالماء الذي ذُكر وهو المطر. ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات: جمع الثمرة، وأصلها: الزيادة والنماء، ثم هي هاهنا المأكولاتُ كلُّها من الحبوب والفواكه وغيرِها مما يخرج من الأرض والشجر ثم الألفُ واللام في ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ للتعريف، ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾: قيل: طعامًا، وقيل: قُوتًا، وقيل: غذاءً، وهي متقاربةٌ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: هو جمعُ نِدٍّ، وهو المِثْلُ، أي: لا تَصِفُوا للّه أمثالًا وشركاءَ في مُلكه، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أن اللّه هو الذي خلقَكم ومَن قبلَكم، وخلقَ السماءَ والأرض وخلقَ الأرزاق، دون الأصنامِ فإنَّها لا تَضُرُّ ولا تَنفع، فأنتم تعلمون وتُقِرُّون أن اللّه هو الذي فعَل ذلك.

(٢٣) - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: انتظامُه بما قبلَه: أنه خطابٌ للَّذين ناداهم فقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ وقد أمرهم بالإيمان، وهو باللّه ورسوله وكتابه، فأثبت دليلَ ربوبيَّته بما ذَكر في تلك الآية، وأثبت رسالةَ رسوله وصحةَ كتابه في هذه الآية.

ثم كلمة (إنْ) لمعانٍ: للشَّرْط: كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]. وبمعنى (إذ): كما في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. وللنفي: كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]. ﴿كُنْتُمْ﴾؛ أي: أنتم. ﴿فِي رَيْبٍ﴾ أي: شكٍّ، ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾: أي: الذي نزَّلنا وهو القرآن، ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: هو نبيُّنا المصطفى محمدٌ ﷺ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾: هذا أمرٌ بالإتيان بسورةٍ، والإتيانُ في اللغة هو المجيء، والإتيانُ، في هذه الآية: المعارَضة؛ أي: عارِضوا هذا القرآن بسورةٍ ﴿فَأْتُوا﴾ صيغتُه صيغةُ أمرٍ، ومعناه: الإعجاز، ﴿بِسُورَةٍ﴾ إطلاقُه يتناول أقصرَ السور، وهي

في القرآن سورةُ الكوثر، وهي ثلاثُ آياتٍ قصارٍ، وهذا أبلغُ إلزامٍ، وأتمُّ قطعٍ لأهل الخصام، فقد كان التحدِّي أولًا بالإتيان بمثلِ كلِّ القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، ثم أخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم بعشرِ سورٍ بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣]، ثم بسورةٍ بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، وقد عجزوا عن ذلك كلِّه فلزمتهم الحجة. ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: أي: مِن مثلِ هذا القرآن على زَعْمكم، فقد كانوا يقولون: لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَادْعُوا﴾: أي: أَحْضِروا، وقيل: أي: استَعينوا ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾ أي: آلهتكم لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم وتشفَعُ لهم، وهو الأشبهُ؛ لأن قوله: ﴿وَادْعُوا﴾ خطابٌ للكلِّ، فيتناول كلَّ الفصحاء وكلَّ الأعوان والشهداء، فكان الكلُّ مأمورين بأنْ يكونوا داعين، فلا يكونون مدعوِّين، فالأصحُّ إرادةُ: ما تعبدون، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا صلةُ قوله: ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾؛ أي: الذين اتَّخَذْتُموهم شهداءَ من دون اللَّه، وهذا صفةُ الأصنام؛ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: غيرِ اللَّه، وكلمة (دون) لها معانٍ، ومعناها هاهنا: غير. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في مقالتِكم: إن محمدًا ﷺ تقوَّله مِن تِلقاء نفسه(١).

(٢٤) - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: فإن لم تأتوا بسورةٍ من مثله، ولم تستعينوا بالشهداء. ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: لستُم بفاعلين ذلك أبدًا، فـ (لن) نفيُ تأبيدٍ. وقيل:

(١) التفسير البسيط (٢/ ٢٣١)، والمحرر الوجيز(١/ ١٩٩)، وزاد المسير ١/ ٤٩.

معناه: لن تقدروا أن تفعلوا، وهذه الآيةُ دليلُ صدقِ النبيِّ ﷺ؛ فإنه أَخبر فكان كما أَخبر، وذاك غيبٌ عنا، فلا يكونُ إلا عن إخبارٍ مِن عالم الغيب له بذلك. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾: أي: ولمَّا عجزتُم عن معارَضة القرآن بمثلِه لزمتْكم الحجةُ أن محمدًا ﷺ رسولي والقرآنَ كتابي، ولزمَكم تصديقُه والإيمانُ به، ولمَّا لم تؤمنوا صرتُم من أهل النار فاتَّقوها، والنارُ هي نارُ جهنم، ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾؛ أي: حطبُها، فالوَقود بفتح الواو: ما يُوقد به النارُ وهو الحطب، وقوله: ﴿النَّاسُ﴾ هم الكفَّار هاهنا، ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: الأصنامُ التي عبدوها، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وإنما جُعل التعذيب بها ليتحقَّقوا أنهم عذِّبوا بعبادتها، وليَرَوا ذلَّها ومهانتَها بعد اعتقادهم عزَّها وعظمتَها، ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: هُيِّئت وخُلقت والمعنى: اتَّقوا الكفرَ الموجِبَ للنار، فإنها أُعدَّتْ للكفار(١).

(٢٥) - ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والبشارةُ بفتح الباء وضمِّها وكسرها: الخبرُ الصِّدق السَّارُّ الذي ليس عند المخبَرِ علمُه، سمِّيت بها لأنها تؤثِّر في البشَرة بالبِشْر، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم. ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: هي جمع جنة، وهي البستان، وقيل: الجَنَّة كلُّ بستان فيه نخلٌ ﴿تَجْرِي﴾ أي: يجري ماؤها، ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾؛ أي: من أسافِلِ أرضها، وقيل: من تحت أشجارها، وقيل: من تحت غُرفها، وقيل: إنها تجري في غير أُخدود. ﴿الْأَنْهَارُ﴾هي جمع نهر، وهو مَسيل الماء، وهي الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ

(١) معاني القرآن الزجاج (١/ ١٣٤ – ١٣٥)، والبحر المحيط(١/ ١٠٢)، والدر المصون(١/ ٢٠٤).

﴿مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآية [محمد: ١٥]. ﴿كُلَّمَا﴾ كلمةٌ تقتضي عمومَ الأفعال ﴿رُزِقُوا﴾؛ أي: أُعطوا ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الجنات، و(مِن) في ﴿مِنْهَا﴾ لبيان المكان؛ أي: من هذا المكان يرزقون. ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ (مِن) في هذا للتجنيس. أي: كلما رزقوا ثمرةً، ﴿رِزْقًا﴾ أَخبر أنَّ لهم رزقًا في الجنة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قالوا: هذا الذي رُزقناهُ مِن ثمار الجنة مِثْلُ الذي كنَّا رُزقناه مِن ثمار الدنيا؛ أي: في الصورةِ والاسمِ، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي: متماثلًا في كلِّ الأوقات، ومعنى التشابهِ: هو التَّماثُلُ في اللونِ دونَ الطَّعم، فتكون ثمار الجنَّة في ألوان ثمار الدُّنيا، وإنْ خالَفَتْها في الطَّعم فكانت ألذَّ وأطيبَ. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: ولهم في الجنات زوجاتٌ؛ وهنَّ نساء الدُّنيا وحُور الجنَّة جميعًا، ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ الطُّهر والطَّهارة خلافُ الدَّنَس، والمعنى: مُطهَّرات الأبدان في الخِلْقة، فهنَّ مِن المِسك والكافور والعنبر والزَّعفران، لا مِن التراب والمَنِيِّ والعَلَقة، وقيل: مُطهَّرات الأبدان في الحال، فليس تحتَ الجلود دمٌ ولا قيحٌ، ولا في البطونِ ما في بطون البشر. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: وهم في الجنَّات باقون دائمون مقيمون، لا يموتون ولا يخرجون، والبقاء الأبديُّ في الجنَّة لأهلها وفي النار لأهلها، قولُ جميعِ أهلِ الإسلام(١).

(٢٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أي: لا يَترك ضربَ المَثَل بالبعوضة، وقيل: أي: لا يَمتنع عنه. ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾؛ أي: يبيِّنَ، والضَّرْبُ في القرآن لمعانٍ: للإيلام مِن

---

(١) الكشف والبيان (١/ ٥٨)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٠٧) والجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٥).

غير خَدْشٍ ولا جَرحٍ: قال تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]. وللضَّرْب مِن غير إيلامٍ: قال تعالى: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].وللقَطْع: قال تعالى: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، إلى غير ذلك من المعاني، ﴿مَثَلًا﴾ أي: أن يذكر شبهًا، ﴿مَا﴾ وكلمة (ما) تصلُح صلةً زائدةً مؤكِّدة معناها: حقًّا، وهي في القرآن على أوجهٍ: للنفي: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩]. وللجحد: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].وللمصدر: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٧]. وللاستفهام: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].إلى غير ذلك، ﴿بَعُوضَةً﴾: هي مِن صغار البَقِّ، والبَعضُ مِن الشيءِ: طائفةٌ منه، وتبعيضُ بعضُ الشيءِ: تجزئتُه، وكأنَّ البعوضةَ بعض البقَّة؛ لِصِغَرِها. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ الفوقُ: العُلو، والمعنى: فما فوقها في الكِبَر، وقيل: فما دونها في الصِّغَر، والكلمة مِن الأضداد، كالوَراء يكون للخَلْف والأمام، وقال أهلُ التحقيق: أي: فما فوقها في الصِّغَر؛ لأنَّ الغرضَ المطلوبَ هاهنا هو الصِّغَرُ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: فأمَّا الذين اعتقدوا بقلوبهم دينَ الحقِّ وأقرُّوا بألسنتِهم بذلك، فيعلمون أنَّ هذا المثَلَ حقٌّ مِن اللَّه تعالى، فيتفكَّرون في هذا المثَلِ الحقِّ، ويوقنون أنَّ اللَّهَ هو خالقُ الكبير والصغير، كلُّ ذلك في قدرته سواءٌ، كما أنَّ الخلقَ عاجزون عن خَلْق الكبير والصغير، كلُّ ذلك في عجزهم سواء. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ هذا استفهامٌ بمعنى الإنكار، ومعناه: وأمَّا الذين أشركوا والذين هادوا فيقولون: أيُّ شيءٍ أراد اللَّهُ تعالى بالضَّرْب بالبعوض مثلًا؟ وأيُّ فائدةٍ في هذا؟ وهذا سَفَهٌ منهم. ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ

﴿كَثِيرًا﴾ فالكثيرُ خلافُ القليل، وعددٌ كاثرٌ؛ أي: كثيرٌ، والمعنى: هذا إخبارٌ عن اليهود أو المشركين أو المنافقين، أنَّهم قالوا: يُضِلُّ اللَّهُ بالمَثَل كثيرًا مِن الناس، ويَهدي اللَّهُ بالمَثَل كثيرًا مِن الناس، وقيل: يُضلُّ به مَن استخفَّ بالمَثَل ولم يَعُدَّه حكمةً وهم الكافرون، ويهدي به مَن عَرف وجهَ حكمته وعَلم فائدته وهم المؤمنون. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الفِسْقُ والفُسوق: الخروجُ عن الطاعة، والمعنى أي: الذين لا يَنظرون في أعاجيب هذا المَثَل[(١)].

(٢٧) - ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ هذا نعتُ الفاسقين، ونقضُ هذا العهد: هو الجحودُ بعد الإقرار، والنفورُ بعد الاستقرار، وقيل: هو ميثاقُ اللَّه تعالى على أهل الكتاب؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: بالقول ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ أي: بالفعل، ونقضُهم ما قال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: كتموا صفَةَ محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفَسقوا ونَقضوا العهدَ ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: عَرَض الدُّنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كتموا الحقَّ لأجل العَرَض اليسير مِن الشعير، وأَوقعوا أنفسَهم بذلك في السَّعير. ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي: بعد توثيق ذلك العهد، وقيل: بعد توثيقِ اللَّه تعالى ذلك العهد، والتوثيقُ والإيثاقُ: الإحكامُ، والميثاقُ: العهدُ المُحكَم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ هذه مِن صفات الفاسقين ؛ أي: هم المضيِّعون حقَّ اللَّه تعالى وحقَّ خلقه؛ فتضييعُ حقِّ اللَّه بنقضِ

---

(١) التفسير البسيط (٢/ ٢٦٨)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٨)، وزاد المسير (١/ ٥٤) والكشاف (١/ ٢٣٦)، والبحر المحيط (١/ ١٢٠).

عهده، وتضييعُ حقِّ خَلْقه بقطيعة أرحامهم، والقَطْع في اللغة: الإبانةُ، والقطيعةُ: الهجرانُ، والأمرُ بالشيءِ: الدُّعاءُ إلى تحصيله، والائتمارُ: الامتثالُ بالأمر، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا مِن صفاتِ هؤلاء الفاسقين أيضًا، والإفساد معناه هنا: هو الكفرُ، وقيل: هو العملُ بالمعاصي، وقيل: هو حملُ الغير على الفساد ودعاؤه إليه، وقيل: هو صدُّ الناس عن دينِ اللَّه واتِّباعِ رسولِ اللَّه ﷺ. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ أي: هؤلاء المذكورونَ هم المنافقون الهالكونَ المغبونونَ.

(٢٨) - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: لِمَ تكفرونَ باللَّه وهو خلَقكم؟، وقيل: أي: كيف استَجَزْتم مِن أنفسِكم الكفرَ باللَّه وهو خالقُكم؟، وهذا استفهام توبيخي، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾؛ أي: نُطَفًا أجزاؤها متساويةٌ ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾؛ أي: جعلكم أحياءً قادرِين عالمين ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا عند انقضاءِ آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: يومَ القيامة للحسابِ والجزاءِ على أعمالكم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم.

(٢٩) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لأجلكم لتتقوَّوا به على طاعته، لا لتَصرِفوه في وجوه معصيته، ﴿جَمِيعًا﴾ أي: لتنتفعوا به وتعتبروا، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي: عمد إلى خَلْقها، والسماء: لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع، بدليل قوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: صعد، وعن بعضِهم؛ أي: أقبل. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي: صيرها، ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ أي: سبع سماوات طباقًا بعضها فوق، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (كُلّ) كلمةُ إحاطةٍ واشتمالٍ؛ أي: وهو عالمُ بكلِّ شيءٍ، عالمٌ بخلق الأرضينَ

والسماوات، وغيرِهما مِن الذوات والصفات. والعليم: جاء على بناء: فعيل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم(١).

(٣٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ واذْكُر يا محمَّد ﷺ حين قال الله تعالى للملائكة هذا. ﴿رَبُّكَ﴾ خطابٌ للنبيِّ محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ هو جمع: المَلَك، وهو يُجمَع على: الأَمْلاك والمَلائِك والمَلائِكة، والملائكةُ: رسلُ اللَّهِ تعالى، وكان هذا خطابًا لملائكة السماء، وقيل: كان هذا خطابًا لملائكة الأرض، وقيل: كان خطابًا لكل الملائكة. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾ فقيل: معناه: إني خالق؛ أي: سَأخلُق، ﴿خَلِيفَةً﴾، أي: سأجعلُ خليفةً يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو -آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ- وذريته. ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل بغير وجه حق، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ أي: ننزهك عما لا يليق بك واللام صلةٌ، وقيل: بل معناه: نُطهِّر قلوبَنا مِن الشرك، وأنفسَنا مِن المعصية ﴿لَكَ﴾؛ أي: لأَجْلك. ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم.

(٣١) - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ التعليمُ: تلقينُ العلم، والتعلُّمُ: تلقُّنه، والتعليم: الإعلام أيضًا، أراد اللَّهُ تعالى أنْ يُظهِر فضلَه عليهم، فعلَّمه وأظهر فضله عليهم بعلمه ما لا يعلمون. ووجهِ تعليمه: أن الله تعالى أرسل إليه مَلَكًا مِن غير هؤلاء، وأوحى إليه بِذِكْر أسماءِ المخلوقات، فسمعها وحفظها. ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: أي:

---

(١) الكشف والبيان(١/ ٥٩)، وبحر العلوم١(/ ٣٠٩)، وجامع البيان(١/ ١٩٠).

علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ حتى القصعة والقصيعة، وكلَّ نَسَمة يَخلقها إلى يوم القيامة، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾؛ أي: عرض أصحابَ الأسماءِ، وهم: الناس والملائكة والجنُّ والشياطين وغيرُهم، ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾: الإنباءُ: الإخبار، أي: أخبروني بأسماءِ هؤلاء المسمَّيات، ودلَّت الآيةُ أنَّ الاسمَ هاهنا هو التسميةُ، وهو خطابٌ بمجرَّد إخبارٍ لا بإعلامٍ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة(١).

(٣٢) - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ﴾ هو تأكيد خطاب ﴿أَنْتَ﴾ للمبالغة في التأكيد، لأنَّه تكرير، وفيه تأكيدٌ وتقريرٌ. ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته، وأفادت الآيةُ أنَّ العبدَ ما ينبغي له أنْ يَغفُل عن نقصانه، وعن فضلِ اللَّهِ وإحسانه، ولا يَأنف أنْ يقولَ: لا علم لي، فيما لا يَعلم، ولا يَكتم فيما يَعلم.

(٣٣) - ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أي: أخبر وأعلِم الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: المسميات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾؛ أي: أَخبرهم بها، وعَلموا فضله، وعَرفوا عجزهم. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ ظاهرُه استفهامٌ ومعناه التقرير؛ أي: قد قلتُ لكم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غابَ عن أهل السماوات وغابَ عن أهلِ الأرض. ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم أتجعل فيها....إلخ ﴿وَمَا

---

(١) جامع البيان (١/ ٢٢١)، ومعالم التنزيل (١/ ٨٠) وتفسير الخازن (١/ ١٠٣) وإرشاد العقل السليم (١/ ٨٦)، والوسيط (١/ ٨٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢١٩).

﴿كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: تسرون من قولكم لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم، وقيل: ما تبدون مِن الطاعات وتكتمون مِن النيَّات.

(٣٤) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ نَظْمُها بما قَبْلها: أنَّه لمَّا أَظهر فضلَه عليهم بالعلم، أَمرَهم بتعظيمه بسجود التحية. ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: اختلف فيهم: قيل: هم ملائكةُ الأرض الذين كانوا مع إبليسَ، وقيل: هم ملائكةُ السماواتِ السبعِ، وقيل: كلُّ الملائكة، ﴿اسْجُدُوا﴾ فالسجودُ في اللغة: الانقيادُ، ومعناه في الآية: هو الإيماءُ دون السجود المستوفي المشروعِ في الصلاة، كالذي يَفعله الناسُ في لقاء عظمائهم مِن الخضوع والتواضع لهم؛ تشريفًا لهم وتعظيمًا، وقيل: -وهو قول الجمهور-: كان بوضع الوجهِ على الأرض كما هو في الصلاة، ودليلُه قولُه تعالى في آية أخرى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، ﴿لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾؛ أي: إلى آدم، فكان هو قبلةً أُمروا بالتوجُّه إليها، والسجودُ كان عبادةً للَّه تعالى، وقيل -وهو الصحيح-: بل كان لآدمَ؛ ولو كان للَّه تعالى ما امتنع إبليسُ مِن العبادة للَّه تعالى، ولا فرقَ بين كون آدمَ قبلةً وبين غيرِه، والصحيحُ أنَّه كان تحيةً لآدمَ على الخصوص، ولذلك امتنع إبليسُ عنه، فلم يرَ آدمَ مستحِقًّا لتعظيمه فأَبى واستكبر، ولم يكن عبادةً لآدمَ؛ لأنَّ العبادةَ لا تكون إلَّا للَّه تعالى. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: ﴿إِلَّا﴾ كلمةُ استثناء، ﴿إِبْلِيسُ﴾ قيل: هو اسمٌ أعجميٌّ ولا اشتقاقَ له، وقيل: هو مشتقٌّ مِن أَبْلَسَ يُبلس: إذا يَئِسَ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فإبليسُ يَئس بكفره وإصراره مِن رحمة اللَّه تعالى، وامتنعَ عن السجود لآدمَ، ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ الإباء - بكسر الهمزة-: الامتناعُ، والإيباء، وتفسير ﴿أَبَى﴾: عتى، وقيل: امتنع، وقيل: كَرِه،

وقيل: رَدَّ، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ الاستكبارُ: الاستعظام، والإكبارُ: الإعظام، والتَّكبُّر: التعظُّم، ومعناه هنا: أي: واستعظم نفسَه، وقيل: استعظمَ أمرَ اللَّهِ بذلك إيَّاه، وهو كالاستنكار، وقيل: أي: امتنعَ عن الفعل، وعظَّم نفسَه عن الالتزام. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: كان مِن الكافرين بإبائه واستكباره في علم اللَّه(١).

(٣٥) - ﴿وَقُلْنَا﴾، هو عطف على قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وفيه إضمارٌ؛ أي: خلقنا له زوجه وقلنا لهما ذلك. ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾: أي: استَقرَّ، وقيل: أي: أَقِمْ، ﴿أَنْتَ﴾:ضميرُ المخاطب بقوله: ﴿اسْكُنْ﴾، وإنَّما أظهره ليصحَّ عطفُ اسمٍ آخَرَ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ لأنّ المعطوفَ لا بُدَّ له مِن معطوفٍ عليه.

﴿وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي: زوجتك وهي حوَّاء، والجنَّة كانت بستانًا بين فارسَ وكِرمان مِن أرض فلسطين، وقالوا: لا يجوز أن تكون هذه جنّةَ الخلد؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى أَمرهما ونَهاهما فيها، وجنَّة الخلد لا يكون فيها أمرٌ ولا نهيٌ، ولأنَّهما أُخرجا منها، وداخلُ جنَّة الخلد لا يَخرج منها، ولأنَّهما زلَّا فيها، وجنَّة الخلد لا يقع الزَّلل فيها، ولأنَّ الشيطانَ وسوسَ إليهما فيها، ولا وسوسةَ في جنَّة الخلد. ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: هذا أمرٌ لآدمَ وحوَّاء. ﴿رَغَدًا﴾: أي: طيِّبًا واسعًا، وقيل: هنيئًا، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: في أيِّ بقعةٍ شئتُما مِن الجنَّة، وقيل: يعني: مِن أيِّ ثمارها شئتُما. ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ أي: لا تأكُلا، ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وهي شجرة البُر، وقيل: السُّنبلة التي جعلها اللَّه تعالى رزقَ أولاده في الدُّنيا، وقيل: إنَّها التِّين، وقيل: هي شجرةُ

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٨٠) وجامع البيان (١/ ٢٢٤)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٤٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٥)، والدر المصون (١/ ٢٧١).

الكافور، والصحيح: ليس في بيانِ ماهيَتها نصٌّ قاطعٌ، ولا نعرف حقيقةَ ذلك إلَّا بالوحي. ﴿فَتَكُونَا﴾ أي: فتصيرا، ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الظُّلْمُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعه، أي: من العاصين، وقيل: مِن الواضعِين أنفسَكما في غيرِ موضعهما.

(٣٦) - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: أي: حَملهما على الزَّلَّة؛ أي: بطريق التسبُّب، وهو بالوسوسة وبالغرور وبالدُّعاء، وقيل: أي: دعاهما إلى الزَّلل وإلى إتيان ما أَوجب خروجَهما عنها. ﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الجنَّة، وقيل: عن الشجرة، وقيل: عن الطاعة، ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾: أي: سبَّب الشيطانُ خروجَهما؛ وهو الوسوسةُ التي بها زلَّا، فأُمرا بالخروج ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي: مِن الجنَّة، وقيل: مِن الحال الذي كانا فيه، يعني: مِن النِّعمة والراحة إلى البلاء والشِّدَّة، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ أي: إلى الأرض أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما، والهبوط بضم الهاء: الانحدار من علوّ. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: إن إبليس عدو لآدم وحواء، وهما له عدو، وقيل: إن إبليس عدو للمؤمنين، وهم أعداؤه. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: موضعُ قرارٍ، والمُستَقَرُّ: مكانُ الاستقرار، ﴿وَمَتَاعٌ﴾:أي: معاشٌ، وقيل: أي: مُدَّةٌ، وقيل: أي: منفعةٌ، ﴿إِلَى حِينٍ﴾: أي: إلى غايةٍ، والحينُ في الأصل اسمٌ للزمان المجهول[1].

(٣٧) - ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ﴾: أي: أَخذ وحَفظ، ﴿مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾: الكلمات: جمعُ كلمةٍ، وهي مجموعُ حروفٍ، والمراد بها هنا قولُهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ

(١) التفسير البسيط (٢/ ٤٠٢)، وجامع البيان (١/ ٢٤٢ - ٢٤٣)، وبحر العلوم (١/ ١١٢)، وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٣٨)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٦٠)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٨٥).

لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: التوبة: الرجوع، أي: رجع إليه من ذنبه، وتاب اللّه عليه؛ أي: وفَّقه للتوبة وقبِلها منه، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: أي: الكثيرُ القَبول للتوبة، وهذا وعدٌ مِن اللّه أنَّ العبدَ إذا أَذنب ذنبًا وتاب، ثم وقع في الذَّنب ثم تاب، وتكرَّر ذلك منه، قَبِل اللّهُ منه كلَّ ذلك، إذا كانت التوبةُ في كلِّ مرةٍ صحيحةً. ﴿الرَّحِيمُ﴾ معناه: أنَّه اسمٌ يَرحم التائبَ فيغفر حَوبته ويَقبل توبته.

(٣٨) - ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ أي: من الجنة، ومعناه: اهبطوا على عداوةِ بعضكم لبعضٍ، وعلى سُكناكم في الأرض إلى حينٍ. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: الفاء للتعقيب، و(إمَّا) كلمتان؛ (إنْ) وهي كلمةُ، شرطٍ، و(ما) وهو للصِّلة، و(يَأتِ) شرطٌ، والنون للتأكيد، ومعناه: ليأتينَّكم، ﴿مِنِّي هُدًى﴾: هذا مصدرٌ أُريد به النعتُ وهو الهادي، وهو نعتُ منعوتٍ مُضمَرٍ وهو الكتاب أو الرسول، وإنَّما وُحِّد لأنَّ المراد أحدُهما، أو بذِكر أحدِهما يصير الآخَرُ مذكورًا، فإنَّ الرسول يأتي بالكتاب، والكتاب ينزل على الرسول. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ خطابٌ لذرِّيَّة بني آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ إبليسَ -لعنه اللّه- وذرِّيَّتَه -لعنهم الله- لا يأتيهم كتابٌ ولا رسولٌ، ولا يكون منهم اتِّباعٌ. ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي: فمَن عَمل بالكتاب فلم يخالفه وأطاع الرسول فلم يُفارقه. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: فليس عليهم خوفٌ فيما بين أيديهم من الآخرة. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي: لا يَهتمُّون على ما فاتهم من الدنيا.

(٣٩) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الكفرُ: نفيُ ما للّه تعالى مِن الصفات الحميدة، والتكذيبُ: إثباتُ ما لا يليق باللّه تعالى مِن الصفات الذميمة،

والآياتُ: العلاماتُ الدالَّة على وحدانيَّة اللَّه تعالى مِن الكُتب المنزلة وغير ذلك.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أي: سُكَّان جهنَّم، فسمُّوا أصحابَها لاتصالهم بها وبقائهم فيها. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي: دائمون لا يموتون فيها ولا يُخرجون منها.

(٤٠) - ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: يا أولادَ يعقوبَ، وأصله: بنين، وهو جمعُ ابنٍ، وإسرائيل: اسمُ يعقوبَ، قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إسرا) بالعبرانية: عبدٌ، و(إيل) هو: اللَّه، ومعناه: عبدُ اللَّه، وفيه أقاويلُ أُخرُ لا يُعتمد عليها. ﴿اذْكُرُوا﴾: يجوز أن يكون أمرًا بالذُّكر وهو الحفظُ الذي يضادُّ النسيانَ، ﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ النِّعمةُ اسمُ جنسٍ، فيقع على كل النعم، والمراد بها هنا: هي كلُّ النِّعم التي أَنعم اللَّهُ تعالى بها على كلِّ خَلْقه، وهي كلُّها تقتضي الوفاء بعهده، وقيل: هي النِّعم التي كانت على سَلَفهم: مِن الإنجاء، وبعثِ الأنبياء، وتظليلِ الغمام، وإنزالِ المنِّ والسلوى للطعام. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: قيل: هو الأمرُ بالوفاء بالميثاق الذي أَخذ اللَّهُ تعالى على ذرِّيَّة آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ مِن الإيمان به والائتمارِ بأمره. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: أي: بوَعْدكم، ويكون العهد بمعنى الوعد، وقيل: أي: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في أداء الفرائض ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بقَبولها والجزاء عليها ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: أي: أَفرِدوني بالرَّهبة، لانفرادي بالقُدرة، وقيل: أو خافوني في ترك الوفاء به دون غيري[(١)].

(٤١) - ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾: وهو تفسيرُ العهد الذي مرَّ؛ أي: آمِنوا

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣) وجامع البيان (١/ ٢٥٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٦٨)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٩٢)، والبحر المحيط (١/ ١٧٧).

بالقرآن الذي أنزلْتُه على محمَّدٍ ﷺ، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مُوافِقًا للتوراة التي معكم في التوحيد، والإخبارِ عن الأمور الماضية والمستقبَلة، وفيها ذِكْرُ نعتِه وإنزالِ القرآنِ عليه. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: قيل: بالقرآن، وقيل: بمحمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقيل: أي: بما معكم؛ وهو التوراة، فإنَّ فيه نعت محمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا تأخذوا على تغييرِ كتابكم وتبديلِه ثمنًا، وقيل: لا تأخذوا طَمعًا على كتمانِ ما فيه مِن ذِكر محمَّدٍ ﷺ وتصديقِ القرآن، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾: أي: اخشوني، وخافوني دون غيري.

(٤٢) - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: اللَّبس بفتح اللام: الخلطُ، ومعناه: لا تخلطوا الصدقَ بالكذب؛ أي: نعتَ محمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بنعت الدجال، وقيل: اليهوديَّة والنصرانيَّة بالإسلام، وقيل: التوراة المنزلةَ بما كتبتُم بأيديكم، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾: أي: فلا تكتموا الحقَّ، وهو أمرُ محمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقيل: القرآن، وقيل: الإيمان، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنَّه حقٌّ ولكنْ تكابرون.

(٤٣) - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: اقبلُوها وأدُّوها، والمراد بها هنا: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء والزيادة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء، وسميت زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات ﴿وَارْكَعُوا﴾: الرُّكوع في اللغة: هو الانحناء، وفي الشرع: هو ركنٌ مخصوصٌ في الصلاة بين القيام والسجود، والمعنى: اركعوا في الصلاة ركوعَ أهل الإسلام، ولم يكن لصلاة اليهود ركوعٌ؛ أي: أسلموا واعملوا عملَ أهل الإسلام، ولذلك قال: ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؛ أي: مع

المسلمين الذين يركعون في صلاتهم.

(٤٤) -﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾: البِرُّ في اللغة لأشياءَ: للصِّدق، ولحفظ اليمين، ولمراعاة حقِّ الوالدين، وللطاعة، ومعناه هاهنا: أتأمرون الناسَ بطاعة اللَّهِ وأنتم تَعْصونه؟!. وقيل: أتأمرون الناسَ بالتمسُّك بكتابكم، وتتركونه أنتم بجحد ما فيه مِن نبوَّة محمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟، وقيل -وهو الأظهرُ والأشهر-: أتأمرون الناسَ بتصديق محمَّدٍ ﷺ واتِّباعه وأنتم تخالفونه؟، وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ والتهديد. ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: النِّسيان في اللغة نقيضُ الذُّكْر، والنِّسيانُ: التركُ أيضًا، ومعنى الآية هاهنا: ولا تفعلون أنتم كأنَّكم نسيتُم أنفسَكم، أو: تتركون أنفسكم، فلا تُنْجُونها عن العقوبة بالإيمان به ومتابعته. ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي: التوراةَ، وتَعرفون أنَّ المصطفى حقٌّ، وأنَّ كتابَه صدقٌ، ثم تخالفون علمَكم. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أي: ليس لكم عقلٌ تَعرفون به أنَّه قبيحٌ منكم تركُ إصلاحِ أنفسكم والاشتغالُ بغيركم، وقبيحٌ أيضًا مخالفةُ ما تعلمون(١).

(٤٥) - ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾: أي: اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أمروا بالصبر وهو الصوم؛ لأنه يكسر الشهوة، والصلاة؛ لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر، والاستعانة بهما تكون على الطاعات، وتركِ السيئات، وتحمُّل الأذى والمصيبات، والصبر حبسُ النَّفس، وهو يكون على أداءِ الطاعات مع مشقَّتها، وعلى تركِ المعاصي مع شهوتها. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾: أي: ثقيلةٌ، والهاء في

---

(١) التفسير البسيط (٢/ ٤٥٦)، وجامع البيان (١/ ٢٦٠)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٧٨) والكشاف (١/ ٢٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٣١٧).

﴿وَإِنَّهَا﴾ راجعةٌ إلى الاستعانة وقيل: إنَّها راجعةٌ إلى الصلاة، ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: أي: على أمَّةِ محمَّدٍ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والخشوعُ في اللغة: التَّذلُّل، وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: هم الذين خشعت أنفسُهم بالتَّذلُّل بالإيمان للَّه تعالى بما أنزل، وقيل: ﴿الْخَاشِعِينَ﴾: الخائفين.

(٤٦) - ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: أي: يُوقنون، وقيل: يَعلمون، وإنَّما جازت تسميةُ العلم ظنًّا؛ لأنَّ في الظَّنِّ طرفًا مِن العلم واليقين، ولولاه لكان جهلًا، ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾: أي: مُعاينُوه، وهو كنايةٌ عن شهودِ مشهد العَرْض والسؤالِ يوم القيامة، وقيل: أي: يَعلمون أنَّهم يموتون، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: أي: ويعلمون أنَّهم راجعون يوم القيامة إلى اللَّه تعالى؛ أي: إلى جزائه إيَّاهم على أعمالهم.

(٤٧) - ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ مر تفسيره، والتكريرُ للتأكيد والتقرير، ولأنَّ الأوَّل في إنعامه عليهم، وهذا الثاني في إنعامِه على آبائهم. ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: الفَضْلُ: الزيادةُ، والتفضيلُ: إثباتُها، والإفضالُ: الإنعام، ومعناه: واذكروا أيضًا أنِّي جعلتُ لكم فضلًا على أهلِ زمانكم بإعطاء الرئاسة والمالِ. ثم لم يكن لهم بهذا فضلٌ على أمَّة محمَّدٍ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنَّ اللَّهَ تعالى قال لهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠](١).

(٤٨) - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: ولـمَّا ذكر أنَّه

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (٢/ ٣٨)، والكشف والبيان (١/ ٦٩)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٨١) والجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٢١)، وزاد المسير (١/ ٧٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٩٤)، وجامع البيان (١/ ٢٦٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٩٧).

فضَّلهم بأنْ جعلهم أولادَ الأنبياء، قالوا: إنَّ آباءَنا يخلِّصوننا يوم القيامة، فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾؛ أي: خافوا عذابَ يومٍ؛ لأنَّ نفسَ اليوم لا يتَّقى، ويجوز أن يقال: إنَّ اليومَ مخوفٌ أيضًا؛ لأنَّ المخاوف فيه. ﴿لَا تَجْزِي﴾، قيل: أي: لا تُغني، وقيل: أي: لا تكفي، وقيل: أي: لا تقضي، وهذا هو الموافقُ لأصل اللغة، يقال: جزى الدَّينَ؛ أي: قضاهُ، وتجازاه؛ أي: تقاضاه، وجزاه بعمله؛ أي: قضاهُ في حقِّه، ﴿نَفْسٌ﴾؛ أي: نفسٌ مؤمنةٌ ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾ أي: عن نفسٍ كافرةٍ، وهو كقوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ الآية [لقمان: ٣٣].

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾: يُقرأ بالياء والتاء، فمَن أنَّث فلأنَّ الشفاعةَ مؤنَّثةٌ لفظًا، وأمَّا التذكير فلأنَّ تأنيثَ ما ليس بذي روحٍ غيرُ حقيقيٍّ، والحاصل: أنَّ ما كان تأنيثه ليس بحقيقيٍّ فتأنيثُه وتذكيره جائزٌ إنْ تقدَّم أو تأخَّر، وكان بينهما حائلٌ أو لم يكن، وفي الحقيقيِّ يجوز تأنيثُها بكلِّ حالٍ، وتذكيرُها إذا تقدَّم الفعلُ وبينهما حائلٌ، ولا يَحْسُنُ بغير حائلٍ. ﴿مِنْهَا﴾ الهاء راجعةٌ إلى النفس التي ذُكِرت أولًا، وهي النفسُ المؤمنةُ التي لا تُقبل شفاعتُها في الكافر، والشفاعةُ مصدرُ الشافعِ والشفيعِ، وهو طالبُ قضاءِ حاجةِ غيرِه. ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي: فديةٌ؛ سُميت الفديةُ عدلًا؛ لأنها تعادل المفديَّ؛ أي: تُماثله، والمعنى: لا يُؤخذ مِن الكافر فديةٌ ينجو بها مِن النار، ولا يجد ذلك ليفتديَ به، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: النُّصرةُ: العونُ، والنُّصرةُ: المنعُ أيضًا؛ أي: لا يعاوَنون ولا يُمنعون عن أيدي المعذِّبين، وهذا للكافرين.

(٤٩) - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾: أي: واذكروا أيضًا إذ خلَّصناكم، ومعناه:

خلَّصنا آباءَكم. وجعل ذلك نعمةً عليهم؛ لأنَّهم نجوا بنجاتهم، ومن عادة العرب هذا، يقولون: قتلناكم يوم عُكاظ؛ أي: قتل آباؤنا آباءَكم. ﴿مِنْ آلِ﴾ وحقيقةُ الآل هم الذين تَؤول أمورُهم إليه في نسبةٍ أو صحبةٍ، ﴿فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو اسمُ الملك الذي كان لهم في ذلك الوقت خاصَّةً، وقيل: إنه اسمٌ لكلِّ مَن كان ملكَ مصر، كقيصرَ للروم، وكسرى لفارس، والخاقان للتُّرك، وتُبَّعٍ لأهل اليمن. ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾: قومُه وأهل دينه. ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾): قيل: أي: يذيقونكم، وقيل: أي: يديمون عليكم ذلك. ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّهُ وأشقَّه، ومعناه: يحملونكم على ما فيه غايةُ الأذى، ولا يكون العذابُ إلَّا سيِّئًا، لكن بعضه يخفُّ وبعضه يشتدُّ، فسوءُ العذاب ما اشتدَّ منه. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: يجوز أن يكون تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾؛ إذ لا عاطفَ بينهما، ويجوز أن يكون أمرًا آخر سواه، والذَّبحُ: قطعُ الحُلقوم والأوداج. والأبناءُ جمع الابن، والمرادُ من الأبناء هم الذُّكور خاصَّةً؛ لانهم كانوا يذبحون الغلمان لا غير، وكذا أُريدَ به الصغارُ دون الكبار؛ لأنهم كانوا يذبحون الصغار. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: أي: يستبْقون بناتكم ويتركونهنَّ حيَّاتٍ، ولأنَّ بقاءَ البناتِ ممَّا يَشُقُّ على الآباء، ولاسيما بعد ذبح البنين. ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي: في ذلك الإنجاء نعمةٌ عظيمةٌ من ربِّكم، وقيل: أي: في ذلك التَّعذيب منهم من التذبيح والاستحياء محنةٌ عظيمةٌ(١).

(٥٠) - ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: أي: فلقنا، والفرقُ: الفَصْلُ، والتَّفريقُ: التَّمييزُ؛ أي: واذكروا أيضًا مِنَّتي عليكم بأن جعلتُ لكم بحرَ النِّيل

(١) جامع البيان(٢/ ٢٧٤) ومعاني القرآن للزجاج(١/ ١٠٢).

أفراقًا؛ أي: اثني عشر فرقًا، قال تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. ﴿بِكُمُ﴾ للباء وجهان: أحدهما: لكم، والباء قد تجيء بمعنى اللام، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[الحج: ٦] أي: لأنَّ اللَّه، والثاني: أي: بدخولكم، فتكون الباء على حقيقتها. ﴿الْبَحْرَ﴾ سُمِّيَ به لاستبحاره؛ أي: اتِّساعِهِ وانبساطِه. ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾: أي: سلَّمناكم، وهو إنجاءٌ قبل الوقوع. ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ الإغراقُ: الإهلاك في الماء. ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وهو فيهم؛ لأنَّه عُلِمَ دخولُه فيهم. ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: تَنظرون بأبصاركم إلى انفراقِ البحر حين سَلكتُم فيه، وانطباقِهِ على آل فرعون حين غَرِقوا فيه بعد سلامتِكُم منه[١].

(٥١) - ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى﴾: ذكَّرهم منّةً أخرى فيها أتبعوا المنَّة الأُولى بالجهل والبلادة؛ أي: واذكروا نعمتي على آبائكم بما وعدت موسى أن يأتيَ الطُّورَ، فأنزلَ عليه التَّوراةَ التي فيها بيانُ ما يَحتاجون إليه، ففعلَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنجزتُه ما وَعدتُهُ، ولـمَّا تأخَّر رجوعُه كفرَ آباؤكم بي، واتَّخذوا العجلَ إلهًا، فعفوتُ عنهم؛ إنعامًا عليهم. ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي: انقضاءَ أربعينَ ليلةً، أو تمامَ أربعين ليلةً؛ لأنَّ وعدَ إنزال الكتاب بعد انقضاء هذه المدَّة. ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ أي: بأيَّامها، فإنَّ ذكر الأيام جميعًا يقتضي دخولَ ما يُوازيها مِن اللَّيالي ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: أي: اتَّخذتم العجلَ إلهًا أو معبودًا، والعجلُ: ولدُ البقرة إلى أن يكبرَ، وإضمار قوله: معبودًا وإلهًا، جائزٌ؛ لوضوح معناه. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: مِن بعد إنجائكم من الغَرَق.

---

(١) التفسير الكبير(٣/ ٧٠) والجامع لأحكام القرآن(١/ ٣٣٠) وتفسير ابن كثير(١/ ٩٦).

وقيل: أي: مِن بعد انطلاقِ موسى إلى الطُّور. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: أي: كافرون، وقيل: أي: ضارُّون أنفسَكم. وقيل: أي: الواضعون العبادةَ غيرَ موضعِها.

(٥٢) - ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: أي: تجاوزنا، وأصلُه محوُ الأثر، وقد عَفَت الدِّيارُ؛ أي: محت آثارُها، وعفَتْها الرِّيحُ، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي: من بعد اتِّخاذكُم العجلَ، فلم نعاجِلْكُم بالإهلاك، بل أمهلناكُم إلى مجيء موسى، فنبَّهكم وأخبرَكُم بكفارةِ ذنوبكم، وقيل: أي: بعد التَّوبة والقتل. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: لِتشكروا هذه النِّعمةَ؛ فإنَّ الإنعامَ يوجِبُ الشُّكرَ. وقيل: معناه: لتؤمِنوا وتوحِّدوا؛ فإنَّ الشكرَ اسمٌ للإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

(٥٣) - ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى﴾: أي: أعطيناه ﴿الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة، ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ فيه أقاويل: قيل: هو التَّوراة أيضًا، وسماه باسمين متفقَين معنًى؛ واختلافهما لفظًا، كما يقال: سُحقًا له وبعدًا، والدَّليلُ على أنَّه اسمُ التَّوراة أيضًا قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، على أنَّهما وإن كانا اسمين لشيءٍ واحدٍ فمعناهما مختلفٌ، فإنَّ الكتابَ هو المكتوبُ المجموع، والفرقانَ هو الفارقُ بين الحقِّ والباطل، فصحَّ الجمعُ بالواو؛ لتغاير المعنيين، وقيل: الفرقانُ: هو بيانُ معاني التَّوراة. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾): أي: لتهتدوا بالكتابِ من الضلال.

(٥٤) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾: أصله: يا قومي، فحذفت الياء تخفيفًا لكثرة الاستعمالِ في النِّداء. ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: ضَررتُم أنفسَكم بإيجاب العقوبة عليها. ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ أي: باتِّخاذه إلهًا وعبادتِه.

﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾: أي: خالقكم. ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: القتلُ: إزهاقُ الرُّوح، والأنفُسُ جمعُ النَّفْسِ، وهي هذه البُنيَةُ الإنسانيَّةُ هاهنا، وهو بيانُ كيفيَّة التَّوبة، وقيل: القتلُ معطوفٌ على التَّوبة؛ أي: ارجِعوا إلى اللَّه تعالى بالإيمان، فقد أعرضتُم عنه بالكفرِ، بعبادةِ العجل، واقتلوا أنفسَكم بعد هذه التَّوبة. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾: أي: ذلك القتلُ، والتَّوبةُ، أو القتلُ الذي هو توبةٌ: أنْفَعُ لكم عند اللَّه مِن الامتناعِ الذي هو إصرارٌ وفيه عذابُ النَّار. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: فعلتُم ذلك، فقَبِل توبتكم. ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: أي: كثيرُ قَبول التَّوبة، وقولُه تعالى: ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي: رحِمكم، فقَبِلَ توبتكُم، ففتَحَ بابَ التَّوبة وقَبِلَها. وقيل: ﴿التَّوَّابُ﴾ يَقبَلُ التَّوبةَ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ يُمهِل ولا يُعاجِلُ بالعقوبة[(١)].

(٥٥) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى﴾: أي: واذكروا أيضًا إذ قلتم: يا موسى؛ أي: إذ قال السَّبعون مِن أسلافِكم الذين اختارَهُم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ذهبوا معه إلى الطُّور. ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾: أي: لن نُصدِّقَك، ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: أي: حتَّى نرى اللَّه عِيانًا، وقيل: علانِيَةً. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: وهي كلُّ أمرٍ هائلٍ مميتٍ، أو مزيلٍ للعقل والفهم، ويكون صوتًا، ويكون نارًا، ويكونُ غيرَ ذلك، واختُلِفَ فيها هاهنا: قيل: كانت نارًا، نزلَتْ مِن السَّماء فأحرقتهُم. وقيل: هي الموت، وقيل: الصوت، وماتوا به، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: أي: إلى الصَّاعقة، فإنْ كانت نارًا، فقد عاينوها، وإن كان صوتًا هائلًا، فقد ماتَ به بعضُهم أوَّلًا، ورأى الباقون أنَّهم ماتوا،

(١) التفسير البسيط (٢/ ٥٢٨)، والكشف والبيان(١/ ٧٣)، ومعاني القرآن للفراء(١/ ٣٧)، والمحرر الوجيز(١/ ٢٩٦)، وزاد المسير(١/ ٨١)، والبحر المحيط(١/ ٢٠٢).

ويُسمَّى هذا رؤيةَ الموت مجازًا.

(٥٦) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: أي: أحييناكم بدعاءِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والبعثُ في القرآن لمعانٍ: للإحياء، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]، وللإنباء، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، وللإرسال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: لتشكروا نعمةَ الحياةِ بالتَّوحيدِ والطَّاعة، وقيل: لتشكروا العفو عنكم.

(٥٧) - ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: أي: جعلناه مظلِّلًا لكم؛ أي: مُلقيًا الظلَّ، والغمامُ: السَّحابُ الأبيض سُمِّيَ به لأنَّهُ يَغُمُّ السَّماءَ؛ أي: يستُرها. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾: هو ما يَسقطُ على الشَّجر فيأكلُهُ النَّاس، وقيل: هو شرابٌ كان ينزلُ عليهم، فكانوا يَمزجونه بالماء فيشربونَهُ. ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ واحدتها سلواةٌ، وهو طائرٌ أبيضُ يشبهُ السُّمَّانى وهو كالحمام، يضربُ إلى الحُمرة، ويكونُ بناحيةِ اليمن. وقيل: هو العسل، واشتقاقه من السُّلوِّ ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: فيه مضمرٌ؛ أي: قلنا لهم: كلوا، والطَّيِّباتُ هاهنا تَحتملُ ثلاثةَ أوجهٍ: الحلالات، والشَّهيات، والخاليات عن الأدواءِ والمضرَّاتِ. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: وما وضعوا فعلهم ذلك وعصيانهم إيانا موضع مضرة علينا ومنقصة لنا، ولكنهم وضعوه من أنفسهم موضع مضرة عليها ومنقصة لها ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: يضرون.

(٥٨) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: أي: بيتَ المقدس، وقيل: البلدةَ التي فيها بيتُ المقدس، وهي إيلياء، والدُّخولُ: الانتقال من الخلاء إلى الحصن،

ونقيضُه الخروج، والقريةُ: الأبنيةُ التي هي مجتمعُ النَّاس، ومعناه: واذكروا أيضًا إذ قلنا لأسلافِكم: ادخلوا هذه القريةَ لتسكنُوها، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: أي: أبحناها لكم، ووسَّعناها عليكم، فتعيشوا فيها أين شئتم، بلا تضييقٍ ولا منعٍ، وهو تمليكٌ لهم بطريق الغنيمة، وذَكَرَ الأكلَ لأنَّه معظمُ المقصود. ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: قيل: هو بابٌ بعينه، وقيل: هو بابُ حطَّةٍ، وهو البابُ الثَّامن مِن بيت المقدس، وقيل: ﴿الْبَابَ﴾ وجهٌ من وجوه القرية عُيِّن لهم، كأنَّه قال لهم: ادخلوا مِن هذا الوجه. ﴿سُجَّدًا﴾ أي: رُكَّعًا، وقيل: ساجدين قبلَ الدُّخول سجدةَ الشُّكر على قتلِ الجبَّارين، أو فتحِ القرية، وقيل: أي: مطأطئين رؤوسَكم، خاضعين خاشعين. ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: قولوا لا إله إلا اللَّه، وقيل: هو بسم اللَّه الرحمن الرحيم، وقيل: حُطَّ عنا ذنوبَنا، فإنَّا انحطَطْنا لوجْهِك. ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الغَفْرُ والغُفرانُ والمغفرةُ: سترُ الذُّنوب، والخطايا جمع الخطيَّة، والخطأُ ضدُّ الصَّواب، والخطيئة: الإثم، وخطئ؛ أي: أَثِمَ متعمِّدًا، وأخطأ إذا لم يتعمَّد. ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: سنزيدُ المحسنين منكم بطاعتِه في أمرنا هذا إحسانًا فنزيدُه في سَعَة دُنياهُ وثوابِ عُقباه(١).

(٥٩) - ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: أي: غيَّروا، فلم يَقولوا: حطَّة، بل قالوا: حنطة، استهزاءً، وهذا كان من بعضهم، وفعل المحسنون ما أُمِروا به، ولهذا لم يقل: فبدلوا، بل قال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وظاهرُه يَدلُّ على أنَّهم بدَّلوا القولَ وحدَه دون العملِ به، وقيل: بل بدَّلوا القول والعمل جميعًا،

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٢٠٠)، ولطائف الإشارات (١/ ٩٣)، وجامع البيان (١/ ٧١٢ - ٧١٣).

ومعنى قوله: ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: أمرًا غيرَ الذي أُمِروا به، ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: على الذين بدَّلوا ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذابًا. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: عذَّبناهم بهذا لخروجِهم عن طاعتنا.

(٦٠) - ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى﴾ أي: طلب السقيا، وتقديرُه: وإذ استسقانا، والاستسقاءُ: سؤالُ السَّقيِ وطلبُه، وهو بالدُّعاء هاهنا، وقد سَقيتُه سَقيًا بفتح السِّين؛ أي: أعطيتُه ما يشربُه، وأسقيتُهُ؛ أي: دعوتُ له بالسُّقيا، ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ هم بنو إسرائيل، ومعناه: واذكروا أيضًا إذ سأَلَ موسى ربَّه أن يَسقِيَهم، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ التي كانت معجزته، وهي التي كانت تَنقلِبُ حيَّةً، فأمَّا الحجرُ فقد قيل: هو الحجرُ الذي ذهبَ بثيابِ موسى، والصَّحيحُ أنَّه كان معيَّنًا؛ فقد عرَّفهُ بالألف واللام. ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ أي: مِن الضَّرب، فدلَّ ذلك على الضَّرب، وبه انفجرَت العيون، وقيل: هاهنا مضمرٌ؛ أي: فضَربَ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، والإضمارُ جائزٌ، وقوله تعالى: ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يكونُ كنايةً عن الحجر؛ أي: من الحجر، وحُذِف لعلمِنا أنَّ موسى صلوات اللَّه عليه لا يخالِفُ الأمرَ، ولأنَّ الظَّاهرَ يدلُّ عليه، وهو كقوله: أمرتُهُ بالتِّجارة، فاكتسب الأموال، والانفجارُ: الانشقاقُ الواسع، والانبجاسُ: الانشقاقُ الضيِّق، وقيل: الانفجارُ: الخروجُ بكثرةٍ، والانبجاسُ: قليلًا قليلًا، وقيل: الانفجارُ: الخروجُ من اللَّيِّن، والانبجاسُ: الخروجُ من الصُّلب، وقيل: هما واحدٌ. ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ والعينُ: الينبوع، وهي مشتقَّةٌ مِن العين الباصرة؛ لأنَّها أشرفُ ما في الرَّأس، وهذه أشرفُ ما في الأرض، ولأنَّ الماءَ يخرجُ مِن هذه كالدَّمع يخرجُ مِن تلك، وإنَّما جُعِلَت

على هذا العدد؛ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا اثني عشرَ سبطًا، وكانوا لا يأتلفون، فجُعل لكلِّ سِبْطٍ مشربٌ على حدةٍ مِن عينٍ على حدةٍ؛ لئلَّا يتنازعوا. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ أي: موضعَ شربِهم، وكان كلُّ سِبْطٍ يَعرفُ عينَ نفسِه، فيجيء فيأخذُ مقدارَ حاجتِه، ثمَّ ينقطعُ الماء. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ وهاهنا مضمرٌ أيضًا؛ أي: قلنا لهم: كلوا مِن المَنِّ والسَّلوى، واشربوا من ماء عيون الحَجر، وهما ممَّا رزقَكم اللَّهُ تعالى؛ أي: أعطاكم. ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ العثِيُّ: أشدُّ الفساد. وقيل: المبالغة في الإفساد، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في التِّيهِ. وقيل: في الدُّنيا. ﴿مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تبالغوا في الإفساد حالةَ الإفساد[١].

(٦١) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ أي: واذكروا أيضًا إذ قلتم: يا موسى لن نصبر؛ أي: لن نقدرَ على حبسِ أنفُسنا على نوعٍ واحدٍ من الطَّعام، وهو المنُّ والسَّلوى، وإنما قالوا: ﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وهما اثنان؛ لأنَّهم كانوا يأكلونَ أحدَهما بالآخر، كما يُؤكَلُ الخبزُ باللَّحم. ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي: سلْهُ، ومعناه: ادعُ لنا ربَّك، فإنَّك إنْ تَدعُ يُخْرِجْ. ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ البقلُ: كلُّ ما يُؤكَلُ مِن الطَّعامِ مِن الخُضَر، وهو في الأصل كلُّ نبتٍ اخضرَّت به الأرضُ ﴿وَقِثَّائِهَا﴾ هو الخيار، ﴿وَفُومِهَا﴾ هو الحنطة، وقيل: هو الخبز، وقيل: هو الثُّوم. ﴿وَعَدَسِهَا﴾ هو الحبُّ المعروفُ، وقوله: ﴿وَبَصَلِهَا﴾ هو معروفٌ أيضًا. ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: هذا استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: أتسألون الأردأ بدلًا عن الأعلى. ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا

---

(١) جامع البيان (١/ ٧٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٩)، وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٥٠).

﴿سَأَلْتُمْ﴾ المصرُ: كلُّ كُورةٍ يقام فيها الحدود ويُغزَى فيها الثغورُ، ويُقسَم فيها الأموال من الفيء والصَّدقات، ثمَّ اختلفَ أنَّه بلدٌ بعينه، أو بلدٌ من البلاد: قيل: هو مصرُ فرعون الذي خرجوا منه، والأظهرُ أنَّهم لم يُؤمروا بهبوط مصر فرعون، وقيل: أراد به بيت المقدس، وقيل: أراد به مِصرًا من الأمصار غيرَ معيَّن؛ لأنَّ ما سألوهُ مِن البقل ونحوِه لا يكون إلَّا في الأمصار، ومعناه: انزلوا بعضَ الأمصار إن كنتُم تريدونَ هذه الأشياء؛ لأنَّكم في البَرِّيَّةِ، فلا يوجدُ فيها ما تَطلبون، وإنَّما يوجدُ ذلك في الأمصار. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي: أُلصِقَت بهم، وأُلزِموها، وأُدِيمَت لهم، يقال للشيء الدائم: هذا ضربةُ لازمٍ ولازبٍ، وضُرِبَ عليهم البعثُ؛ أي: ألزموه وفُرِضَ عليهم، ﴿الذِّلَّةُ﴾: الذِّلَّةُ: نقيض العزَّة، أي: تذليلُ الأنفسِ في الأعمال المهينة، كالحِراثة ونقلِ العَذِرَة، وذُلِّ الكسب، والأوَّلُ كان يأتيهم مِن غير كسبٍ، وقيل: فرضُ الجزية عليهم. ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر، وقيل: الفاقة، وقيل: هي التَّعبُ والمشقَّةُ في تحصيلِ هذه الأشياء التي سألوها. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قيل: احتملوه، وقيل: انصرفوا عنه، وقيل: استحقُّوه، وقيل: أقرُّوا به، وقيل: لازموه، وهو الأوجه. يُقال: بوأتُه منزِلًا، فتبوأَهُ؛ أي: ألزمتهُ إيَّاهُ فلزِمَهُ. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: ضَرْبُ الذِّلَّةِ والمسكنةِ واستحقاقُ الغضبِ بسبب كفرِهم بآيات اللَّه، وهي التوراة؛ لاستحلالهم ما حرَّم اللَّهُ فيه. ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾: زكريا ويحيى وغيرَهما. ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾:أي: ظلمًا، وقيَّدهُ بهذا الوصف تأكيدًا، وتحقيقُه: كانوا يَقتلون الأنبياءَ، وقتلُ الأنبياءِ قتلٌ يكون بغيرِ حقٍّ على كلِّ حالٍ. ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾: أي: ذلك الكفرُ بشؤمِ عصيانِهم، ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾:

أي: بمجاوزتهم الحدَّ، وذلك يكونُ في كلِّ خلافٍ[(١)].

(٦٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: مِن مُشرِكي العرب وغيرِهم ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود، وسمُّوا به لأنَّهم هادوا عن الحقِّ؛ أي: مالوا، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ واحدهم: نصرانيّ، وسمُّوا به لتَناصُرِهم وتعاونِهم فيما بينهم على إقامة ملَّتهم، وقيل: لنصرهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ يقال: صبأ صبوءًا، إذا خرجَ مِن دينٍ إلى دين، سمُّوا به لأنَّهم خرجوا من دينِ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، وخالفوهما، وقيل: الصَّابئون: فرقةٌ يَعبدون الملائكة، ويصلون إلى الكعبة، ويقرؤون الزَّبورَ.

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: مَن آمنَ منهم؛ أي: مِن اليهود والنَّصارى والصابئين. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: بشريعته، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثوابُ إيمانِهم وعملِهم الصَّالح. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يخافون أن تبطلَ لهم حسنةٌ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: بفوتِ ثوابِها.

(٦٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ أي: واذكروا أيضًا ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: العهدَ بالانقيادِ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما يخبرُكم به، وقبلتموه، وخرجتُم معه مِن مصرَ، فقرَّبناهُ نجِيًّا، وأعطيناهُ الألواحَ فيها التوراةُ، فأتاكُم بها، فلم تقبلوها، وقلتم: هي شديدةٌ لا نطيقُها، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي: اقتلعنا فوقكم الجبل، وقيل: هو يقعُ على كلِّ جبل، وقيل: إنَّ الطُّورَ هو الجبل المُنبِتُ وقيل: هو جبلٌ بعينِه، وقيل: هو الجبلُ الذي كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه حين كلَّمهُ اللَّهُ تعالى وأنزلَ عليه

---

(١) جامع البيان (٢/ ١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٣) (٦١٤)، والنكت والعيون (١/ ١٢٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤١)، وزاد المسير (١/ ٨٩).

الألواح، وقيل: هو جبلٌ مِن جبالِ فلسطين، انقلعَ مِن أصلِه وقَام على رؤوسِهم مثلَ الظُّلَّةِ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: اقبلوا ما أعطيناكم بجِدٍّ ومواظبةٍ، وقيل: باقتدارٍ ونشاطٍ وأداءٍ لما فُرِضَ عليكم. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ قيل: أي: ادرسوهُ لِترَقَّ قلوبُكم، ولتذكروا به الوعدَ والوعيدَ. ويَحتملُ ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: احفظُوه ولا تَنسوه، ويجوزُ إرادةُ المعنيين جميعًا. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: لتَصيروا متَّقين، وعن النَّارِ متوقِّين(١).

(٦٤) - ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: أعرضتم عن الدَّوام عليه من بعد القَبول، وقيل: من بعد أخذِ الميثاق ورفعِ الطور. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ هو زيادةُ الإنعام، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ هي عطفُهُ؛ أي: فلولا فضلُهُ ورحمتُه بردِّ الجبل عنكم، وإمهالِكم إلى أنْ تُبتُم بعدَما تولَّيتُم، لوقعَ الجبلُ عليكم، فمتُّم كافرين خاسرين، وهذا في حق الذين تابوا بعد ما تولَّوا، وقيل: أي: ولولا فضلُ اللَّه عليكم بإنجاءِ آبائِكم من العذاب، وردِّ الطور عنكم، لما توالدتُم أنتم، ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الخسرانُ في الأصل: ذهابُ رأس المال، وهو هاهنا هلاكُ النَّفسِ؛ لأنَّها هي الأصل، وقيل: أي: من المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمانِ الثَّواب(٢).

(٦٥) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ خطابٌ لأهل عصر النبيِّ ﷺ، يقول: "لقد علمتم": عرفتم أصحابَ السَّبتِ وما أحللنا بهم مِن النَّكالِ في الدُّنيا؛ بالمسخِ حين

---

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٢٢٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٩٥ - ٩٦).

(٢) التفسير البسيط (٢/ ٦٣٢)، والكشف والبيان(١/ ٨٠)، وجامع البيان(١/ ٣٢٨)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ١٢٠)، والنكت والعيون(١/ ٣٥٥).

اعتدَوا بالاصطيادِ يومَ السبت، فلم يكن تأخيرُ العقوبةِ عن أسلافِكم الذين كانوا قبلَكم على عصيانِهم ونقضِهم ميثاقهم: للعجزِ عن تعجيلِ ذلك، بل فضلًا ورحمةً، ولو شئنا لعاجَلناهم بما عاجَلنا به أصحابَ السَّبت، وكذا أنتم في تمرُّدِكم على محمَّدٍ ﷺ؛ لو شئنا لأنزلْنا بكم ما أنزلنا بهم، ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ أي: للذين جاوزوا الحدَّ الذي حُدَّ لهم مِن تركِ الصَّيد يومَ السَّبْتِ مِن أسلافِكم. والسَّبتُ آخرُ أيَّامِ الأسبوع، سُمِّيَ به لأنَّه سُبِتَ فيه خَلْقُ كلِّ شيء؛ أي: قُطِعَ وتُمِّمَ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ أي: للذين اعتدَوا، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي: مسخناهم قردةً. ﴿كُونُوا﴾ أمرُ تسخيرٍ، والقردةُ جمعُ قردٍ، كالفيلَة جمعُ فيل، والدِّيكةِ جمعُ ديك. ﴿خَاسِئِينَ﴾ أي: صاغرين مبعَدين مطرودين، وقيل: أي: ساكتين لا يتكلَّمون.

(٦٦) - ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: جعلنا هذه العقوبةَ، وقيل: أي: جعلنا المسخةَ، وقيل: أي: جعلنا هذه القريةَ التي اعتدى أهلُها. ﴿نَكَالًا﴾ النَّكالُ: الفضيحةُ الشَّاهرةُ الزَّاجرة، وقيل: العقوبةُ التي يُنْكَلُ بها عن الإقدامِ على مثلِ تلك الجناية. ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قيل: من عقوبة الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ مِن فضيحة الدُّنيا، فيُذْكَرون بها إلى قِيام السَّاعة، وقيل: فجعلناها عقوبةً لما مَضى مِن ذنوبهم، وعبرةً لمَن بعدهم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وعظًا لجميع المؤمنين، أي: الذين يتَّقون عقابَ اللَّه، وقيل: المتَّقون في هذه الآيةِ اسمٌ لهذه الأمة؛ أي: موعظةٌ لأمَّة محمَّدٍ ﷺ، سمَّاهم: متَّقين؛ لاتِّقائِهم الشِّركَ، ولأنَّ اللَّهَ تعالى يقيهم النار[١].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس(١/ ١٨٤) والمحرر الوجيز(١/ ٣٣٦) والدر المصون(١/ ٤١٤)، وجامع البيان(٢/ ١٧٦)، والكشف والبيان(١/ ٨١)، ومعاني القرآن للفراء(١/ ٤٣)، وزاد المسير(١/ ٩٥).

(٦٧) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي: واذكروا أيضًا إذ قال موسى لقومِه، وهم أسلافُكم مِن بني إسرائيل، دلَّهم بذكرِ هذه القصَّة على جهلِ أوائلهم وتشديدِهم على أنفسِهم، واعتراضِهم على نبيِّهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ليَتبيَّنَ بها أمرُ القتيل الذي كان وقعَ فيهم. ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ الاستفهام هنا للاستنكار، و﴿هُزُوًا﴾؛ أي: سخريةً، وهو مصدرٌ هاهنا أُريدَ به المفعولُ به، كما يقال: هذا عِلْمُ اللَّه؛ أي: معلومُه، واللَّهُ رجاؤنا؛ أي: مرجوُّنا، ظنُّوا أنَّ موسى يَستهزِئ بهم ويُداعبُهم، قالوا: نُخبِرُكَ أنَّ رجلًا منَّا قُتِلَ، فتقولُ لنا: اذبحوا بقرةً! فيَحتملُ أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرَهُم بذبحِها، ولم يبيِّن المرادَ والثمرة بها، فلذلك وقعَ هذا القولُ منهم موقعَ الهُزْءِ. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بيَّن أنَّ الاستهزاءَ عمل لا يَستجِيزُه مثلُهُ مِن أنبياء اللَّه تعالى، وأنَّه مِن عملِ الجهَّال، فعلموا أنَّه جِدٌّ، وأنَّه مِن عندِ اللَّه، ودلَّ هذا أنَّ الاستهزاءَ بأمرِ الدِّينِ كبيرةٌ، وأنَّه ضربٌ مِن الجهالة.

(٦٨) - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: سلْ لأجلنا ربَّك. ﴿يُبَيِّنْ لَنَا﴾ أي: وقل له يبين لنا، ﴿مَا هِيَ﴾ أي أيُّ بقرةٍ هي؟ وليس بسؤالِ جنسٍ؛ لأنَّه قد بيَّن لهم أنَّها بقرةٌ، لكنَّه سؤالٌ عن سنِّها. ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾ أي: اللَّهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ قيل: لا كبيرةٌ، وقيل: لا هَرِمةٌ، وقيل: لا مُسِنَّةٌ، ومعناها واحدٌ. ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ أي: فتيةٌ لَم تلِد، وقيل: صغيرةٌ، وقيل: شابَّةٌ، وقيل: هي التي وَلَدَت مرَّةً. ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: فوق البِكْرِ دون المسنَّة، ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين البكرِ والفارض. ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي: فاذبحوا

البقرةَ التي تُؤمَرون بذبحِها.

(٦٩) - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ أي: سَلهُ يبيِّن لنا ما لونُها؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ هي الصُّفْرَةُ المعروفة التي هي بين البياضِ والحُمرة. ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي: شديدٌ صفرتُها. ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ أي: تَروق هذه البقرةُ مَن نظرَ إليها، وتُعجبُه، وتُفرِحُ قلبَه؛ لتمام خلقِها.

(٧٠) - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ طلبوا تمامَ الكشفِ ببيان الوصفِ بعد السُّؤال عن السِّنِّ واللَّون. ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ البقرُ جمعُ بَقَرة، كالشَّجر جمع شجرة ﴿تَشَابَهَ﴾ بمعنى: اشتبهَ وخفيَ، وأراد به: خفيت واشتبهت، وقيل: معناه أنَّ جنسَ البقرِ تشابهَ علينا. ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قيل: أي: إنَّا بمشيئةِ اللَّه تعالى نهتدي للبقرة التي أُمِرنا بذبحها إذا اجْتَمعَت لنا أوصافُها التي تتميَّزُ بها عن غيرها(١).

(٧١) - ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ أي: قال موسى: يقول اللَّهُ تعالى: هذه البقرةُ ليست بمُذلَّلةٍ بالعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي: تُقلِّبُها للزراعة. ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي: الأرض المهيأة للزراعة. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: سالمةٌ مِن العيوب كلِّها. ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: لا لونَ فيها يُخَالِفُ لونَ جميع جلدِها. ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي: الآن بَيَّنت لنا الصِّفةَ التي كنَّا نطلبُ بالصِّدق، وقيل: أي: الآن تبيَّن لنا أنَّك جئتَ بالحقِّ والجِدِّ، وما كُنتَ هازئًا، ومن قال: كفروا بنسبته إلى الهزء، فقد آمنوا بهذا الانقيادِ والقَبول والاعتقاد. ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾

---

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٢٥٤)، وتأويلات أهل السنة (١/ ٦٤).

أي: اشتروها وذبحوها، ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: فعلوا ذلك بعد الاستقصاءِ، حتَّى كاد يقع اليأسُ عن ذلك، وقيل: خوفًا على أنفسهم أن يَفتَضِحوا بظهورِ القاتل، وقيل: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاءِ ثمنها.

(٧٢) - ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ أي: واذكروا أيضًا إذ قَتل بعضُ أسلافِكم، وأُضيفَ الفعلُ إليهم لرضاهُم بفعلِ أولئك، ﴿نَفْسًا﴾ هي عاميل بن شراحيل. ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي: تدافعتُم واختلفتُم، فدَفعَ كلُّ واحدٍ منكم الفعلَ عن نفسه، وأحالَ على غيرِه ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: مُظهِرٌ أمرَ القتيلِ بحقِّه وصدقِه ليظهرَ البريءُ(١).

(٧٣) - ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي: اضربوا المقتولَ، وإنَّما قال: اضربوهُ، على التَّذكير، وإن تقدَّم ذِكْرُ النَّفسِ؛ لاعتبار المعنى، فإنَّه كان رجلًا، وأَنَّثَ في قوله: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ لأنَّه صرفَ الكناية إلى النفسِ، وهي مؤنَّثة سماعًا، فصَرفَ إحدى الكنايتين إلى اللفظِ، والأُخرى إلى المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾[محمد: ١٣]. ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي: بشيءٍ من البقرةِ المذبوحة، واختلفوا في ذلك البعض. فقيل: هو الفخذ، وقيل: هو البُضعة التي تكونُ بين الكتفين، وقيل: هو عظم منها، وقيل: هو عَجْبُ الذَّنَب، ومنهُ يُركَّبُ الخلقُ، ومنه يبدأ يوم القيامة. وفي الحقيقة أنه لا يعلم ذلك إلَّا بالخبر عن الله تعالى، لكن نقول: ﴿بِبَعْضِهَا﴾ بقدرِ ما في الكتاب ذكره ﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أي: كما أحيا هذا المقتولَ يُحيي الموتى يوم القيامة. ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: دلائله

(١) جامع البيان (٢/ ١٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٨).

الأُخرى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معناهُ: لتعقِلوا ما يجبُ عليكم مِن أمر دينكُم إذا رأيتُم آياتِ اللَّه في إحياءِ الموتى ونحوِه، وقيل: تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

(٧٤) - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: غَلُظَت واشتدَّت، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: مِن بعد إحياءِ القتيل، وهو خطابٌ لقاتليه؛ أي: حَيِيَ القتيلُ، فأخبرَ أنَّ ابنَي عمِّه قَتلاه، فأنكرا معَ ظهور هذه الآيةِ العظيمة. ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أ﴾ أي: هذه القلوبُ مثلُ الحجارةِ في الشِّدَّة والغِلظة. ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أي: من الحجارة. ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ أي: الحجرُ الذي يتفجَّرُ منه ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: يسيلُ واسعًا كثيرًا، والأنهارُ جمعُ نهرٍ، وهو معروف، ومعناه: المجرى الواسعُ من مجاري الماء. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ أي: يتصدَّعُ فيخرجُ منه الماءُ القليلُ، و"يَشَّقَّق" أصله: يَتَشَقَّق، أُدغِمت التَّاء في الشِّين ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ والهبوطُ: النُّزول، والخشيةُ: الخوفُ عن العلمِ. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يخفى على اللَّه شيءٌ مِن أعمالكم، فيجازيكم بها[١].

(٧٥) - ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ وانتظامُه بما قبلَه أنَّ النبيَّ ﷺ والصَّحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لـمَّا سَمعوا هذه الآيات، وهي في مخاطبة اليهود، طمعوا أن يؤثِّرَ ذلك في قلوبِهم فيؤمنوا، قال اللَّهُ تعالى: أفترجون: -وهذا استفهامٌ بمعنى

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٨١)، وجامع البيان(٢/ ٢٥٤)، وجامع البيان(١/ ٩٩٥)، والجامع لأحكام القرآن(٢/ ٣)، وتفسير ابن أبي حاتم(١/ ٧٨١)، والتيسير في التفسير (٢/ ٢٦٥)، وبحر العلوم (١/ ١٣٠).

النهي؛ أي: لا ترجوا، وهو خطابٌ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه- مِن هؤلاء القاسيةِ قلوبُهم أنْ يُصَدِّقوكم؟ وآمَنَ له؛ أي: صدَّقه، قال اللّه تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧]، يقول: لا تَطمعوا فيهم أن يصدقوكم بما جاء به محمد ﷺ، ثمَّ بيَّن معنى بُعد الطَّمعِ عن ذلك بما بعدَه، وهو قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾؛ أي: وهؤلاء أولادُ قومٍ سمعوا كلامَ اللّه، وهم السَّبعون الذين اختارَهم موسى صلوات اللّه عليه للميقات، وقيل: إنَّهم سألوا موسى أنْ يَسألَ اللّهَ تعالى أن يُسمعهم كلامَه، فقال لهم: اغتسلوا، والبسوا الثِّيابَ النظيفةَ، ثم قال: أوصيكم ببرِّ الوالدين، وألَّا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا يظلمَ بعضُكم بعضًا، ولا يشهد بعضُكم على بعضٍ زورًا. ففعلوا، فأسمعَهم اللّهُ كلامَه، فقال: إنِّي أنا ربُّكم لا إله إلا أنا الحيُّ القيُّوم؛ لكنَّ الصَّحيحَ أنَّهم لم يسمعوا كلامَ اللّه بلا واسطة، فإنَّ ذلك كان لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الخصوص، لم يشركهُ فيه غيرُه في الدُّنيا، ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾؛ أي: التوراةَ من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقراءته، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ التَّحريفُ: التغيير، والانحراف: الميلُ، والتَّحرُّفُ كذلك، والمعنى: أي: يُحرِّفون التوراة، وقيل: أي: الوحي الذي يسمعونه من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن بعد ما علِموا تأويلَه، وعرفوه وفهموه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه من عند اللّه، ويعلمون أنَّه رسولُ اللّه، وأنَّه حقٌّ. والمعنى: أي: يتأوَّلونه على غيرِ تأويلِه، ويَعدِلون به عن جهتِه مِن بعد ما عقلوا تأويلَهُ عن اللّه تعالى، وهم يعلمون أنَّهم يحرفونَه باطلًا ويتعمَّدونه حسدًا وبغيًا؛ أو يعلمون أنَّه يُورِثُ الوِزْرَ والعقوبةَ.

(٧٦) - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾؛ أي: وإذا لقي المنافقون، وهم الذين كانوا من أهلِ الكتاب، وآمنوا بلسانهم خوفًا من القتل والسَّبي، وهم يُضمِرون الكفرَ، إذا لقوا المؤمنين المخلِصين مِن أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ أي: نحن مؤمنون مثلَكم مخلصون. ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾؛ أي: صاروا على الخَلْوَة مع رؤسائهم ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قال هؤلاء الرؤساء مِن اليهود لهؤلاء المنافقين: أتحدِّثونَهم؟ هذا استفهامٌ بمعنى النَّهي؛ أي: لا تُحَدِّثوا العربَ بما فتح اللَّهُ تعالى عليكم؛ أي: أنزلَ اللَّهُ تعالى عليكم، وهو ما في التَّوراة من نعتِ النَّبيِّ ﷺ، وحقِّيَّةِ رسالتِه ودينِه وكتابِه. ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ أي: ليقولوا: نحنُ أكرمُ على اللَّه مِنكم، وأحبُّ إليه منكم. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: في القيامة، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، وقيل: أي: يكون لهم حجَّةٌ عند اللَّه في الدُّنيا والآخرة. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تعقلون أنَّكم إنْ فعلتُم ذلك عادتِ الحُجَّةُ عليكم وفيه عيبُكم وعيبُ سَلَفِكم[(١)]؟.

(٧٧) - ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هؤلاء المنافقون، أو هؤلاء اليهود. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: ما يُخفون وما يُظهرون مِن القول والعمل، وقيل: ما يُسِرُّون مِن الاعتقاد، ويعلنون من الإقرار.

---

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٢٧٤)، وتأويلات أهل السنة (١/ ٦٤ - ٦٥)، والتفسير البسيط (٣/ ٨٣)، ومعاني القرآن للفراء(١/ ٤٩)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١١٧ -)، وجامع البيان(٢/ ٣٧٦ - ٣٧٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١٥٩).

(٧٨) - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾؛ أي: ومن اليهود أمِّيُّون؛ أي: قومٌ لا يكتبون ولا يقرؤون مِن كتابٍ، سُمِّيَ الأُمِّيُّ به؛ لأنَّه على الخِلقةِ التي ولدتهُ الأمُّ عليها، وهي عدمُ الكتابة والقراءة مِن الكتاب، فأمَّا تسميةُ العرب أمِّيِّين فلأنَّ الأصلَ فيهم عدمُ الكتابة، وهي في بعضهم نادرةٌ، وفي هذه الآية ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ هذا ذمٌّ لهم؛ لعدم العلم، وتقليدِهم رؤساءَهم في الباطل. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ هو جمع أمنيَّة، وللأماني ثلاثة تفاسير: أحدها: أنها الأكاذيب، تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها، والثاني: أنَّها القراءات، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، والثالث: أنَّها الشَّهوات، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [النساء: ١٢٠]، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ أي: وما هم إلَّا ظانُّون لا علم لهم.

(٧٩) - ﴿فَوَيْلٌ﴾ الويلُ: العذاب، وقيل: هو الشَّديدُ مِن العذاب، وقيل: هي كلمةُ تحسُّرٍ وتَفجُّعٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾؛ أي: التوراةَ مغيرين فيها ومبدِّلين. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ قيل: هو تأكيدٌ للفعل بحصولِه بما هو مختصٌّ به أي: يتولَّونه بأنفسِهم، فقد يقول الإنسان: كتبتُ إلى فلانٍ، إذا أمرَ غيرَهُ أن يكتبَ عنه إليه، وإذا قال: كتبتُ بنفسي، أو بيدي، فقد أخبر أنَّه باشرَهُ بنفسه. ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؛ أي: يشيرون إلى الذي كتبوه وهو مغيَّر أنَّه منزَّلٌ من عند الله تعالى. ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: يكتبون ذلك ليأخذوا به ما الكثيرُ منه قليل؛ لأنَّه فانٍ غيرُ باقٍ؛ فإنَّ المأكولَ يَذهبُ، والملبوسَ يبلى، والرِّياسةَ تزولُ بالموت. ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: من التحريف والباطل ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: يُحصِّلونَ لأنفسِهم مِن حُطام الدُّنيا بهذا الفعل، وقيل: إنَّ

الاكتسابَ هو اجتلابُ الحظِّ بما هُيِّئَ له من الأسباب. وتبديلُهم كان بتغيير نعتِ النبيِّ ﷺ، واكتسابُهم كان ببيع المكتوب بالثَّمن، ويأخذون الرِّشوةِ مِن أغنيائهم، وقد ذكر اللَّهَ تعالى الويلَ في هذه الآية ثلاث مرَّاتٍ، وله وجوه: أحدها: أنَّه في حقِّ تضييع حقِّ رسوله المصطفى -صلي اللَّه عليه وسلم- بتبديل نعتِه، واللَّهُ تعالى يبالغ في وعيدِ مضيِّع حقِّ أحبائه، والثاني: أنَّ الأوَّل هو أخذُ الجزية والمذلَّة في الدُّنيا، والثاني هو عذاب القبر، والثالث: وهو عذاب النار(١).

(٨٠) - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾؛ أي: وقال هؤلاءِ حين أوعِدوا بالتَّحريف والكسب الخبيث: نحن أولادُ الأنبياء، ولن نُعذَّبَ يومَ القيامة إلَّا مدَّة يسيرة. هي أربعون يومًا، وهي مدَّة غيبةِ موسى عَلَيهِ السَّلَامُ عنهم وعبادتِهمُ العجلَ فيها. ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾؛ أي: قل يا محمد ﷺ لهم: أتَّخذتم هذا؟ وألفُ الاستفهام بمعنى التوبيخ ومعناه: أخذتُم مِن اللَّه وثيقةً لكم أنَّه لا يُعذِّبُكم أكثرَ مِن هذه المدَّة فلن يخلفَ اللَّهُ وعدَه. ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: بل تَقولون كاذِبين على اللَّه ما لا علمَ لكم به.

(٨١ -٨٢) - ﴿بَلَى﴾ أصله: بل، وهو ردٌّ لما قبلَه، وإثباتٌ لما بعده، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ السَّيِّئةُ العملُ الفاسدُ، ولذلك ذُكِرَ في مقابلةِ العمل الصالح في الآية التي تليها. ﴿سَيِّئَةً﴾: هي الشِّرك وتأنيثها على هذا يكون على قصد إرادة الفعلة أو الخصلة أو نحوها، وقيل: هي الكبيرةُ التي أوعدَ اللَّه تعالى عليها النَّار. ﴿وَأَحَاطَتْ

---

(١) جامع البيان (١/ ٣٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٤ -٢٤٧) وبحر العلوم(١/ ١٣٢)، والكشف والبيان (٣/ ١٠٠٣).

﴿بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾؛ أي: أطافت به من كل وجه. فأهلكته، واشتمَلتْ عليه، فلا يَتَخلَّصُ مِنها، من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]، وقولِه تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]، وقيل: أي: استولَت عليه وغلَبَتهُ، فلم يبقَ لغيرها عليه حكمٌ، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ جَمَعَ هذا وهو راجعٌ إلى قوله: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وهو واحدٌ لفظًا؛ لأنَّ معناه الجمع. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ولمَّا أوعدَ الكفَّارَ بالنَّار، أوعد المؤمنين بالجنَّة.

(٨٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: واذكروا أيضًا إذ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل، وهذا الميثاقُ مشتملٌ على الإيمان والعمل الصالح المذكورَين قبله ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: لا تجعلون الألوهيَّة إلَّا لله، ويَحتملُ نفسَ العبادة؛ أي: لا تعبدونَ غير الله من الأصنام وغيرها. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: ويحسنون بالوالدين إحسانًا، ودلَّ على إضمار هذا الفعل إظهارُ هذا المصدر، وهو يقتضي الفعل. ومعنى بالوالدين إحسانًا؛ أي: إلى الوالدين، وهذا كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي: إليَّ، ويقال: أحسن به وإليه، وأساء به وإليه ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾؛ أي: ذي القرابة، وهو عطف على الوالدين؛ أي: وتحسنون إلى القريب أيضًا. ﴿وَالْيَتَامَى﴾ هو عطفٌ على الوالدين وذي القربى في الأمر بالإحسان إليهم، وهو جمعُ يتيم، وهو الصَّغير الذي مات أبوه، ومن الحيوانات: الصغيرُ الذي ماتت أمُّه ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ عطفٌ على الوالدين أيضًا في ذلك، وهو جمع مسكين، وهو الذي أسكنته الحاجة. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾؛ أي: أخذنا

عليهم الميثاقَ بما سبق، وقلنا لهم في هذا الميثاقِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، أي: قولوا يا أهلَ الكتاب حقًّا وصِدْقًا في حقِّ محمَّدٍ ﷺ، وأخبِروا بأنَّه مذكور في كتابكم أنَّه رسولٌ حقٌّ، وقيل: أرادَ به ملاطفةَ كلِّ النَّاس في الكلام، فأمَرَنا بالإحسان بالمالِ في حقِّ أقوامٍ مخصوصين، وهم الوالدان والأقرباءُ واليتامى والمساكين، ولمَّا كان المالُ لا يَسَعُ الكلَّ، أمرَ بمعاملة النَّاس كلِّهم بالقول الجميل الذي لا يَعجِزُ عنه العاقلُ[1]. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿وَقُولُوا﴾ وحاصلُه أنَّه أمر بقَبولها وأدائِها على شرائطِها، وإنَّما ذكرهما تنصيصًا مع دُخولها في العبادة المذكورة في أوَّل الآية؛ تقديمًا لهما وتخصيصًا، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: أعرضتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ﴾؛ أي: لم يتوبوا. ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾، أي: عن الوفاء بالعهد؛ أي: بالميثاق، وله ثلاثة أوجه: أحدها: تولَّى أسلافُكم عن الوفاءِ بالعهد معرضين، والثاني: ثمَّ تولَّى أسلافُكم، وأنتم يا أهلَ عصر النبيِّ ﷺ معرضون كإعراضهم، وقد كان لزِمَكُم بهذا الميثاقِ ما لزمهم، والثالث: ثمَ تولَّيتم أنتم يا هؤلاء معرضين عن ذلك أيضًا، مع أنَّه لزِمَكم أيضًا. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناءُ من ثبت على الحقِّ مِن السَّلف فلم يتول، وهم السِّبْطان والنِّصفُ الذين لم يَعبدوا العجلَ، والسَّبعون المختارون للميقات، أو استثناء مَن أسلمَ في عصر النَّبيِّ ﷺ، من عبد اللَّه بن سلام وأصحابه.

(٨٤) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾؛ أي: واذكروا أيضًا إذ أخذنا ميثاقكم.

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٥٣ – ٥٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٢٦)، معاني القرآن للزجاج (١/ ١٦٢)، البحر المحيط (١/ ٢٨٢ – ٢٨٣).

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾؛ أي: لا يسفكْ بعضُكم دمَ بعضٍ؛ أي: لا يُصِب. ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾؛ أي: ولا يخرجْ بعضُكم بعضًا من دارِه فيغصبَها، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾؛ أي: اعترفتُم بحقِّيَّة الميثاقِ والتزمتمُوه. ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسِكم بقَبوله وضمان الوفاء به، والشَّهادةُ تأكيدٌ وقَطْعٌ بصحَّة الشَّيء[١].

(٨٥) - ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ بمعنى الذين، وقيل: معناه: يا هؤلاء، حُذِفَ حرفُ النِّداء، وقيل: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ تابعٌ لـ﴿أَنْتُمْ﴾ كالنَّعت والتَّأكيد له. ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أهل ملتكم. ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾؛ أي: نقضًا للعهد. ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾؛ أي: تعاونون، والظَّهير: المعين، والمظاهَرةُ: المعاونة، والتَّظاهُرُ: التَّعاونُ، وأصله الظهر وبه يقعُ الاستنادُ والاعتماد، وقرئت: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ خفيفةً، وأصلُه: تتظاهرون بتاءين، حُذِفَت إحداهما تخفيفًا، وقرأت أيضًا بالتَّشديد، وهو إدغامُ التَّاء في الظَّاء، وهذا مضارعٌ بمعنى الحال؛ أي: مُتَظاهرين عليهم ومتعاونين. ﴿بِالْإِثْمِ﴾: الذنب. ﴿الْعُدْوَانِ﴾: الاعتداء ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾؛ أي: جاؤوكم مأسورين؛ أي: ظَهَروا لكم على هذه الحالة، ولم يُرِد به الإتيانَ الاختياريَّ. ﴿تُفَادُوهُمْ﴾؛ أي: تُعطوا فداءَهم، وتشتروهم به للتخليص، والمفاداةُ مفاعلةٌ منه، والفداءُ يَقعُ بين الفادي والأسير، والمفاداةُ تجري بين الفادي وبين قابلِ الفداء. ﴿وَهُوَ﴾ إشارةٌ إلى الإخراج، ثمَّ أُعيدَ ذكرُه صريحًا توكيدًا. وقيل: إنه إشارةٌ إلى الحديث والخبر، كأنه قال: والخبرُ أنَّه محرَّمٌ عليكم إخراجُهم. ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٣١٠)، جامع البيان (٢/ ٢٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٣)

والجملة بينهما اعتراض أَيْ: كَمَا حَرَّمَ تَرْك الْفِدَاء، كانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار والتَّوبيخ والتَّهديد؛ أي: تَفدون أُساراكم دون أُسارى غيرِكم. ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة، وقيل: بل كانوا يَفدون كلَّ الأُسارى، لكن كانوا لا يَتركون القتلَ والإخراجَ، فهُدِّدوا لذلك. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ الخزيُ: الفضيحة والذلة والهوان، أي: ليس جزاءُ مَن فعلَ ذلك إلَّا ما يَفتَضِحُ به في الدُّنيا، فيَستحيي مِن ذلك، ثمَّ يَرجعُ في الآخرة إلى أشدِّ العذاب، وهو التَّعذيبُ في جهنَّم، وهو أشدُّ مِن خِزيِهم في الدُّنيا، وأشدُّ مِن كلِّ عذابٍ كان قبلَه، والمراد بالخزي هاهنا: هو إجلاءُ بني النَّضيرِ من ديارهم لأوَّل الحشرِ، كما كانت عادتهم، وقتلُ بني قريظة وسبيُ ذراريهم، كما كانت عادتهم. وقيل: جزاؤهم الخزيُ في الدُّنيا، لكن لا يُعاقبون في الدُّنيا، وإن استوجَبوا ذلك، بل يُرَدُّون إلى أشدِّ العذابِ في الآخرة، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو مطلع علينا ويرانا -جل جلاله[(١)]-

(٨٦) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾؛ أي: بالحياةِ الآخرة، ومعناه هاهنا: أَخَذوا قليلَ الدُّنيا بدلًا عن كثيرِ الآخرة. ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ

---

(١) النكت والعيون (١/ ١٥٥).

﴿الْعَذَابُ﴾؛ أي: لا يُهوَّن. ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾؛ أي: لا يعانون يومئذٍ، وقيل: أي: لا يمنَعون مِن العذاب.

(٨٧) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ انتظامُها بما قبلها أنَّ اللّهَ تعالى أخبرَ أنَّه أعطى بني إسرائيل شيئين؛ الكتابَ، والرُّسلَ، ثمَّ بيَّن معامَلَتهم في حقِّ الكتاب، فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، وبيَّن معاملَتهم في حقِّ الرُّسل، فقال تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؛ أي: ولقد أعطينا موسى التوراة. ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾؛ أي: أَتْبَعنا وأَردَفنا، وقيل: وَاتَرْنا الرُّسُلَ مِن بعده، فقد روي أنَّ اللّهَ تعالى بعثَ بعد موسى إلى عصر سيِّدنا عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أربعةَ آلاف نبي. وقيل: سبعين ألف نبي.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: الآيات الظَّاهرات، مِن قولك: بان؛ أي: ظهرَ، وأَبانَ كذلك، ويكونُ أَبانَ بمعنى أظهر أيضًا، واختُلِف في المراد بها هاهنا: قيل: هي الإنجيل، وقيل: هي المعجزاتُ وهي إذهابُ البَرَصِ، وإبراءُ الأكمَهِ، وإحياءُ الموتى، والإخبارُ بما يَأكلون وما يدَّخِرون في بيوتِهم وشفاءُ المرضى.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾؛ أي: قوَّيناه، والأَيْدُ: القُوَّةُ، والتَّأييدُ: التقويةُ. ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قيل: هو جبريلُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، و﴿الْقُدُسِ﴾: الطُّهر؛ أضيفَ الرُّوح إلى صفتِه، وهو كذكر نعته، ومعناهُ: أي: جبريلُ الطَّاهرُ، ومعنى تقويته به أنَّه عصمَهُ به مِن أوَّلِ حالِهِ إلى كِبرِه، فلم يَدْنُ منه شيطانٌ عند الولادةِ، ورفعَهُ هو إلى السماء حين قصدَ اليهودُ قتلَهُ.

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الألف للاستفهام، ومعناهُ الاستنكار. ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ﴾ أي: بما لا تُحِبُّ. ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: استعظمتُم، فلم تقبلوه، ولم تعملوا به.

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ أي: كذَّبتُم طائفةً مِن الرُّسل، وهم الذين لم تقدروا على قتلهم، كعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونحوه. ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتلتُم طائفةً، وهم مَن قدرتُم على قتلِهم، كزكريا ويحيى -عليهما السلام- ونحوهما(١).

(٨٨) - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لمَّا خاطبَهم النَّبيُّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ سكتوا، ولم يمكنهم التكذيبُ، فقالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؛ أي: في غلافٍ فلا تعي ما تقول ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾؛ أي: طردَهم وأبعدهم بكفرِهم وعُتوِّهم وعِنادِهم رسولَ اللَّه ﷺ؛ لا أنَّ قلوبَهم بمحَلٍّ لا يفهمون ذلك كما يزعمون، ولكنَّ ذلك لتركِ التَّفكُّر والتَّدبُّرِ فيها. ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون إلَّا بقليلٍ ممَّا في أيديهم، ويكفرون بما وراءَه، وما زائدة لتأكيد القلة أي: إيمانهم قليل جدًّا.

(٨٩) -﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ هو القرآن، وهو موافقٌ للكتاب الذي معهم، وهو التَّوراة؛ في التَّوحيد والطَّاعة والأخبار. ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يَستنصِرون، يقال: استفتحَ اللَّه؛ أي: استَنصرَهُ، ففَتح عليه؛ أي: نَصرَه، وذكر أنَّه كان إذا اشتدَّت الحربُ بينهم وبين مشركي العرب، أخرجوا التَّوراة ووَضعوا أيديَهم على موضعِ ذكر النَّبي ﷺ، وقالوا: اللّهمَّ إنَّا نسألُك بحقِّ نبيِّك الذي وعدتنا أن تبعثَهُ في آخر الزمان أن تَنصرَنا اليوم على عدوِّنا، فكانوا يُنصَرون. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾؛

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ١٢٩)، وجامع البيان(١/ ٤٠٣) ومعاني القرآن للزجاج(١/ ١٦٨)، والكشف والبيان(١/ ١٠٢٤)، والمحرر الوجيز(١/ ٣٨٥).

أي: الأمرُ الذي عرفوهُ حقًّا في كتابهم. ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾؛ أي: جَحَدوه وكذَّبوه ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أخبرَ أنَّهم لمَّا كَفروا استحقُّوا اللَّعنةَ مِن اللَّه، وهو الطَّردُ والإبعادُ مِن الرَّحمةِ والكرامة والجنَّة على الإطلاق في حقِّ الكفَّار، وإذا ذُكِرتِ اللَّعنة في حقِّ مذنبٍ مِن المؤمنين، فهي الطَّردُ والإبعادُ عن الكرامة التي وُعِد بها مَن لا يكونُ في ذلك الذَّنْب.

(٩٠) - ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ﴾ بئس شيئًا اشتَروا به أنفسهم، أي: باعوا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: حظها من الثواب ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ مع الفعل مصدر، وتقديره: كفرُهم، أي: بئس العِوضُ الذي أخذوه عن أنفسِهم كفرُهم. ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: بالقرآن. ﴿بَغْيًا﴾ أي: حسدًا، وأصلُ البغي: الحسدُ، والباغي: هو الظَّالمُ الذي يَفعلُ ذلك عن حسدٍ ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: كفروا للحسد بإنزال اللَّه تعالى القرآنَ على محمَّدٍ ﷺ، فإنَّهم كانوا يَعتقدون نبيَّ آخرِ الزَّمان، ويتمنَّون خروجَه، وهم يَظنُّون أنَّه مِن ولدِ إسحاق، فلمَّا ظهرَ أنَّه مِن ولدِ إسماعيل حَسَدوه، وكرهوا أن يَخرُجَ الأمرُ مِن بني إسرائيل فيكونَ لغيرِهم. والفَضْلُ: هو الكتابُ والرِّسالةُ، والبغيُ قيل: هو ظلمُهم أنفسَهم بذلك. ﴿فَبَاءُوا﴾ أي: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله والتنكير للتعظيم، ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: مُذِلٌّ بعد عزِّهم في الدُّنيا[١].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٧٢)، والمحرر الوجيز (١/ ٣٩١)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٤٠).

(٩١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: وإذا قال أصحابُ رسول اللَّه ﷺ لهؤلاء اليهودِ الذين يكفرونَ بالقرآن: آمنوا بالقرآنِ والإنجيل. ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: بالتَّوراة التي هي كتابُنا، أُنزِلَ على نبيِّنا موسى صلوات اللَّه عليه، والمنزَلُ على النَّبيِّ منزَلٌ على أمَّتِه معنى؛ لأنَّه يَلزمُهم. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: سِواهُ، وقيل: أي: بما بعدَه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى ما وراءَه، فوحَّد لتوحُّدِ اللَّفظ. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ أي: الإنجيلُ موافقٌ للتَّوراة، والقرآنُ كذلك، وعيسى مصدِّقٌ لموسى ومحمَّد -صلوات اللَّه عليه وتسليماته عليهم- وبه يَبطُلُ إيمانُهم بالتَّوراة وبموسى؛ لأنَّ في التوراة الأمرَ بالإيمان بالإنجيل وبالقرآن، وبعيسى ومحمَّدٍ، -عليهما السلام- وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يَأمرُ بذلك، فمن كفرَ بما وافقَ كتابَه ورسولَه، فقد كفرَ بكتابِه ورسوله. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: فلم قتلتم أنبياء اللَّه؟، وإنَّما وبَّخهم بقتل الأنبياء -والخطاب لأهل عصرِ النَّبيِّ ﷺ، وهم لم يُباشروا ذلك-؛ لأنَّهم أولاد أولئك الذين فَعلوا ذلك، وهم يُوالونَهم، ويَرضون بما فعلوا، فشاركوهُم فيه، وأولئك قَتلوا زكريَّا ويحيى وغيرَهما، وقَصدوا قتلَ عيسى عليهم السلام، ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بما أنزل عليكم، وهي التوراة، وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين من زمن نبينا ﷺ بما فعل آباؤهم لرضاهم به.

(٩٢) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: المعجزات الظَّاهرات، وقيل: هي الآياتُ التسع، وهي: الطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، والعصا، واليدُ البيضاءُ، وفَلْقُ البحرِ، وتفجيرُ الماءِ مِن الحَجر. ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

﴿الْعِجْلَ﴾ أي: معبودًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: مِن بعد انطلاقِهِ إلى الجبل. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: واضعون العبادةَ في غيرِ موضعِها

(٩٣ - ٩٤) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أعاد حديثَ عبادتِهمُ العجل في الآية المتقدِّمة، وحديثَ أخذِ الميثاقِ ورفعِ الطُّور في هذه الآية، مع أنَّ القصَّة واحدةٌ، والسُّورةَ واحدةٌ، وقد ذكرَهما مرَّة؛ لأنَّ ذِكرهما فيما تقدَّمَ كان مِن تَعدادِ النِّعم، فإنَّه قال: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾، وقال في رفع الطور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، وذَكَرهما هاهنا توبيخًا لهم في دَعْواهمُ الإيمانَ بما أُنزِلَ عليهم، وهم قد عَبدوا العجلَ، ورَدُّوا الميثاقَ، ولم يذكر بعدَهما عفوًا ولا نحوَه. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي: سماعَ قَبولٍ وطاعةٍ، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قيل: قالوا: سمعنا قولَكَ، وعصينا أمرَك. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: وبشؤم عصيانِهم تمكَّنَ حبُّ ذلك العجلِ في قلوبهم، فلم يَزُل، يقال: أُشْرِبَ الصَّبغُ في الثَّوب، وشُرِّبَ فيه؛ أي: تمكَّنَ، وهاهنا مضمرٌ وهو حبُّ العجل ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ إثباتُ فعلِهم واختيارِهم، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهو ردٌّ على هؤلاء ما ادَّعوهُ أنَّهم يؤمنون بالتَّوراة، معناه: إن كنتم مؤمنين كما تَزعُمون، وإيمانُكم يأمرُكم بقتلِ الأنبياء، وعبادةِ العِجْل، ونقضِ الميثاقِ، وتكذيبِ محمَّدٍ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ بئس ما يأمرُكم به إيمانُكم. وقيل: إن كان حبُّ عبادةِ العجلِ يَعدِلُ حبَّ عبادةِ خالقِكم؛ فبئسَ الإيمانُ إيمانٌ يأمرُ العبادَ بالكفرِ. ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ وفي ردِّ هذا ردُّ ما بعدَه أي: قل لهم يا محمَّدُ ﷺ: إن كانت الدَّارُ الآخرة -وهي الجنَّةُ- عند اللَّه خالصةً لكم؛ أي: صافيةً، والخُلوصُ: الصَّفوة،

والإخلاصُ: تصفيةُ السِّرِّ والقول والعملِ للَّه تعالى، واستخلاصُ الشيءِ: استصفاؤهُ لنفسِه، وتخليصُ الممتحَن: تصفيتُه عن المِحنة. ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ أي: من دون محمَّد ﷺ وأصحابِه، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: تشهَّوه، وقيل: فاسألوا الموتَ، وقيل: فتمنَّوا الموتَ لأنفسِكم إن كنتُم صادقين في دعوى البنوَّة، والمحبَّة، والاختصاص بالجنة، وأكثرُ أهل العلم على هذا، ووجهُه: إن كانت لكم عند اللَّه خالصةً هذه المنزلةُ، ولا يدخلُ غيرُكم الجنَّةَ، فتَمنَّوا الموتَ لتصيروا إليها؛ لأنَّ مَن كان على هذه الصِّفة لا يَكرهُ لقاءَ اللَّه، بل يَحرِصُ على التَّعجيل إلى كرامتِه[1].

(٩٥) - ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ أي: لن يتشهَّوا الموتَ أبدًا، ولن يسألوه، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما عمِلوا بأنفسِهم، والعربُ تضيفُ فعلَ كلِّ النَّفس إلى اليد؛ لحصول الفعل مِنَ اليدين في الغالب، وعلى متعارَفهم نزلَ القرآنُ، قال تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ومعنى قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: بقتلِهم الأنبياءَ. وقيل: بتغييرهم نعتَ النبيِّ ﷺ وتكذيبِه، وقصدِهم إطفاءَ نورِ اللَّه بأفواهِهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: بعقوبةِ هؤلاء وهم ظالمون بهذه الأفعال، وخصَّهم بذلك وإن كان اللَّهُ تعالى عالمًا بهم وبغيرِهم؛ لأنَّه أرادَ به تخصيصَهُم بالتَّهديد، وهو أبلغُ وعيدٍ، وقيل: عليمٌ بالظالمين، يَفضحُهم بردِّ دعواهم الكاذبةِ بالحُججِ الصَّادقة، فإنَّه عالم بأفعالهم، غيرُ غافلٍ عن أحوالهم.

---

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٣٢٩)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٤٢)، معاني القرآن للزجاج (١/ ١٧١).

(٩٦) - ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ اللامُ للتَّأكيد، وكذلك النُّون المشدَّدة في آخره؛ أي: يا محمَّد ﷺ؛ ستجدُ هؤلاء اليهود لا يتمنَّون الموت؛ لأنهم أشدُّ الناسِ حرصًا على الحياة؛ أي: ولوعًا بها، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: وأحرصَ مِن الذين أشركوا باللَّه، وهم المجوس. وإنَّما كان اليهودُ أحرصَ على الحياة، مع أنَّهم مُقِرُّون بالقيامة، من المجوس والمشركين، وهم ينكرون البعث؛ لما قال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّ اليهودَ عرفوا ما لهم في الآخرة مِنَ الخزي بما صنعوا مِنَ الظلم، وضيَّعوا من العلم.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي: يحبُّ أحدُ هؤلاء المشركين، ومعنى الودِّ هاهنا: التمنِّي؛ ولذا قال بعده: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، و(لو) كلمةُ تمنٍ أي: يتمنَّى أن يُعطَى العُمُرَ والبقاءَ ألف سنة، ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: وما أحدٌ من اليهود والمشركين وهم المجوس بمنجِّيه مِنَ العذاب تعميرُه، الزحزحةُ: التَّبعيدُ، والتَّزحزحُ: التَّباعدُ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يَرى أعمالَهم مِنَ الكفرِ والمعاصي، لا يَخفى عليه شيءٌ، فيُجازيهم بالخِزيِ والذُّلِّ في الدُّنيا، والعقوبةِ في العُقبى.

(٩٧) - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ جبريل: هو اسمٌ ليس بعربيٍّ، عرَّبته العربُ على هذه الوجوه، ومعناه: عبدُ اللَّه، فإنَّ "جبر" هو العبد، و"إيل" هو اللَّه، قاله ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والآيةُ في شأنِ اليهود أيضًا وذمِّهم وردِّ مقالاتهم، ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: فإنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نزَّل القرآن، وهو قولُ عامَّةِ أهل التَّفسير والتَّأويل ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي: أوحاهُ إليكَ وقذفَهُ في قلبِك، وقيل: أي: عليك؛ لتحفَظه بقلبك، وقيل: أي: تثبيتًا لقلبك. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بأمرِ اللَّه. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: موافقًا لما قبلَه من كتب الأنبياء، ﴿وَهُدًى﴾ أي: هاديًا للمؤمنين، على معنى أنَّ النفع يقعُ لهم،

وقيل: أي: للكلِّ على العموم، ومعناه: أنَّه دالٌّ مرشِدٌ لهم. ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مبشِّرًا للمؤمنين على الخصوص[١].

(٩٨) - ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ ذُكِر تعظيمًا للأمر على مَن يُعادي أحدًا مِن ملائكته، ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ معناه: عبدُ اللَّه، وهو كجبريل في أنَّ العرب عرَّبته، والواو في هذا بمعنى (أو)؛ إذ استحقاقُ العداوة غيرُ موقوفٍ على عداوة جميعهم، وإنَّما أعاد ذِكْرَ جبريلَ وميكائيلَ مع ذكر الملائكةِ، وهما داخلان فيهم؛ ليكون أنْفى للشُّبهة، وأبعدَ مِنَ التأويل، كي لا يقول اليهود: إنَّهما غيرُ داخلَين أو أحدَهما في جملة الملائكة، أو هو زيادةُ تشريفٍ لهما وتقديمٌ لذكرهما على وجه التخصيص. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقلْ: فإنَّه، مع سَبْقِ ذكر "اللَّه" صريحًا مرَّةً؛ إخراجًا للكلام عن احتمال التأويل، إذ لو قيل: فإنَّه؛ احتمل أنْ يعودَ إلى جبريل وميكائيل؛ لتقدُّم ذكرهما. ﴿عَدُوٌّ﴾ أي: مُعَادٍ، وعداوةُ اللَّه تعالى هي إرادةُ العقوبةِ والطَّردِ والتَّبعيدِ عن الخير. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: (لهم)؛ إظهارًا أنَّهم مع استحقاقِهم لعداوة اللَّه كفَّارٌ بمعاداتهم أولياءَ اللَّه.

(٩٩) - ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: القرآن، قال اللَّه تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: لا يُنكِرها إلَّا الجاحدون الخارجون عن أمر اللَّه.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ١٧٧)، وجامع البيان (١/ ٤٢٢ -٤٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٨٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٦٢) والكشف والبيان (١/ ١٠٣٦)، والبحر المحيط (١/ ٣١٠).

(١٠٠) - ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ الألفُ ألفُ استفهامٍ بمعنى التوبيخ، أي: نقضَهُ فريقٌ منهم عنادًا، وأكثرُهم نَقضَهُ جهلًا، فكلُّهم كفَّارٌ؛ بعضُهم بنقض العهدِ، وأكثرُهم بجحودِ الحقِّ، وقيل: نبذوا الكتابَ وخالفوهُ كأنَّهم جهلةٌ به وبالعهد الذي عليهم في التَّوراةِ وغيرها. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بل أكثر اليهود لا يؤمنون بالتوراة؛ لأن فيها نقض المواثيق، وخلف العهود ذنب لا يغفر، وقيل: بل أكثرهم لا يؤمنون بالله[١].

(١٠١) - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ هو محمَّدٌ ﷺ. ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ أي: خالفوه ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: أُعْطُوا علمَ الكتاب، وهم أحبارُهم، ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾: هو التَّوراة هاهنا، وقيل: هو القرآن، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: نبذوهُ وراءَ ظهورهم وهو بين أيديهم يقرؤونه، لكن نَبَذوا العملَ به، وقيل: أدرجوه في الحرير والدِّيباج وحلَّوه بالذَّهب والفضَّة، ولم يُحِلُّوا حلالَه، ولم يُحَرِّموا حرامَهُ، فذلك النَّبْذ. ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يفقهون فتعمَّدوا الخلافَ مع علمِهم، فالتحقوا بالجُهَّال.

(١٠٢) - ﴿وَاتَّبَعُوا﴾؛ أي: كتابَ السِّحر الذي كان فيه؛ تقويةً لهم فيما يُخاصِمون النبيَّ ﷺ، فأظهرَ اللَّهُ تعالى لعباده أنَّ ذلك كان سحرًا وكفرًا وباطلًا، لا يجوزُ التعلُّقُ به، ﴿مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما تتلوهُ، وقيل: أي: تَتَّبعُ؛ ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: في ملكه وسلطانه؛ أي: في أيَّامه ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: ما

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ١٨٠)، وجامع البيان(١/ ٤٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٣)، والكشف والبيان(١/ ١٠٥١)، ومعاني القرآن" للأخفش(١/ ١٤٧).

سَحَرَ سليمان، وهو نفيٌ؛ إذ لم يكفر؛ لأنَّه لم يَسْحَر. ﴿وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سَحَروا فكفروا به. ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أخبر أنَّ الملَكَين لا يعلِّمان السحر أحدًا، وإنَّما يعلِّم الشياطين ذلك الناسَ. ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ أي وكما اتبع رؤساء اليهود السحر كذلك اتبعوا ما أنزل على الملَكْين وهما هاروت وماروت بمملكة بابل بأرض الكوفة، وقد أنزلها الله ابتلاءً وامتحانًا للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ أي: أحدًا، و﴿مِنْ﴾ للتَّأكيد أي: ولا يعلِّم الملَكَان أحدًا السِّحر، بل يبالغان في نهيه، ويقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: امتحانٌ واختبار لك، ننهاك عن السحر، فإن قَبِلْتَ نَهْيَنا؛ نجوت، وإنْ لم تقبلْ؛ خَسِرْت، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: فلا تسحَر، فإنَّه كفرٌ. ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي: فيتعلَّم اليهودُ مِنَ الكفر والسِّحر مِنَ الشياطين ما يقعُ به البغضُ بين الزَّوجين فيفترقان؛ لأنَّ الكفرَ مِن أحدهما سببُ الفرقة؛ كالسِّحر يقع به الفرقةُ. ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: وليس اليهودُ والسَّحرةُ ضارِّين بالسِّحر أحدًا إلَّا بعلم اللَّه، ولا يجوز حملُ الإذن هاهنا على الأمرِ والإطلاق؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى لا يأمرُ بالكفر والإضرار. ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أي: منهما ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي: يتعلَّمون لنفعِهم، فيضرُّهم ولا ينفعُهم، وقيل: أي: ما يَضُرُّهم في الدُّنيا، ولا ينفعهم في الآخرة. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: أهلَ الكتاب الذين نَبذوا الكتاب، واتَّبعوا السِّحر، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾؛ أي: لَمَنِ اختارَ السِّحرَ على كتاب اللَّه تعالى. ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي: ليس له يوم القيامة نصيب خير، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾

أي: ولبئس ما باعوا، والضمير في: ﴿بِهِ﴾ يرجعُ إلى السِّحر وكتاب الشَّيطان. ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين، أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ نفى عنهم العلم؛ لأنهم لم يعملوا به فكانوا أسوأ من الجهلة، وقيل: أي: لو كانوا يَعلمون وبالَهُ في الآخرة، وقيل: لو كانوا يَعلمون أنَّه يضرُّهم ولا يَنفعُهم(١).

(١٠٣) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ أي: لو أنَّ أهلَ الكتاب والسَّحرةَ آمنوا بالقرآن والنَّبيِّ ﷺ، واتَّقوا الشِّركَ والسِّحرَ ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: لثوابُ اللَّه لهم على إيمانِهم وتَقواهم خيرٌ لهم من كُفرِهم وسِحْرِهم. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يَعملون بعلمِهم.

(١٠٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ أي: لا تقولو للنبي ﷺ ﴿رَاعِنَا﴾ بالتَّنوين: أي: لا تقولوا قولًا راعِنًا؛ أي: سفهًا وجهلًا وحُمقًا، والأرعنُ: الأهوج الأحمق، وهي: أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي ﷺ فنهي المؤمنون عنها، وقيل: هي من المكافأة؛ أي: المساواة؛ أي: لا تطالبوا بالمساواة في المعاملة والمخاطبة ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ أي: انتظرنا؛ لأنَّ طلبَ الانتظار أقربُ إلى التَّواضُعِ والاحترام مِن طلب المراعاة التي هي طلبُ المساواة. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي: ما تُؤمَرون به، واقبلوهُ، واعمَلوا به. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: للكفَّار مِنَ اليهود وغيرِهم

---

(١) البحر المحيط(١/ ٣٢٤)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ١٨٢)، وزاد المسير(١/ ١٢٠) والتفسير الكبير(١/ ٢٠٢)، وجامع البيان(١/ ٤٤٣)، ومعالم التنزيل(١/ ١٢٦).

في الآخرة لعنادهم عذابٌ وجيعٌ.

(١٠٥) - ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ما يحب الكفار من اليهود والنصارى ومن المشركين وهم عبدة الأصنام ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: على نبيِّكم؛ لأنَّ المنزَّل عليه منزَّل على أمَّته، ﴿مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن، وفيه كلُّ خير. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: بنبوَّته ووحيه ودينِه مَن يشاء، لا مَن تشاؤون، وقال اللَّهُ تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: على من يَختارهُ بالنبوَّة والوحي، ودلَّت الآية على أنَّ العبد لا يستحقُّ على اللَّه شيئًا، فإنَّ مؤدِّي الواجب لا يكون متفضِّلًا(١).

(١٠٦) - ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ وانتظامُها بما قبلها أنَّ اليهود قالوا: إنَّ محمدًا ﷺ لا يَثبتُ على شيءٍ، بل يَأمر بشيءٍ ثمَّ ينهى عنه، ويَنهى عن شيءٍ ثمَّ يأمرُ به، وكذا التَّحريم والتَّحليل، فأخبرَ اللَّهُ تعالى أنَّه لا يفعلُ ذلك مِن جهةِ نفسه، بل اللَّه تعالى يَنسخُ ويُبَدِّلُ، ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: ما نرفع مِن حكمِ آيةٍ من القرآن مع بقاء تلاوتها، ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ أي: نجعلْها منسيَّةً على القلوب برفعِ حكمِها، وتلاوتِها، وقيل: نؤخِّرها ونبقها غيرَ منسوخةٍ، وقيل: نثبت تلاوتَها، ونرفع حكمَها؛ ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ قيل: ليس هذا للتفضيلِ على معنى: بأحسن منها، فإنَّ الآيات كلَّها كلامُ اللَّه تعالى، فلا تتفاضلُ في أنفسها، بل معناه: بما هو أنفع لكم وأرفق، وقيل: ﴿بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾؛ أي: بأخفَّ وأسهل، ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في السُّهولة

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٣٨٣)، وتأويلات أهل السنة (١/ ٥٢٩).

والصَّلاح والثَّواب، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير.

(١٠٧) - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قد عَلِمتَ أنَّه مالكُ السَّماوات والأرضِ وقادرٌ عليها، وأنَّه مالككُم فله الخَلْقُ والأمر. وهذا تفسيرُ قولِه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ليس لكم سوى الله من ولي يحفظكم، والوليُّ: القيِّم بالأمر، من: ولَّيتُ الشَّيء إليه، ولا نصير يمنع عنكم عذابه إن أتاكم والنَّصيرُ: المعينُ والمانعُ.

(١٠٨) - ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: بل أتريدون أن تسألوا رسولكم؟ وهذا استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ ونزولُ الآية في شأن اليهود لعنَهم اللَّهُ؛ فإنَّهم قالوا: ائتنا بكتابِ اللَّه جملةً واحدةً، كما جاء موسى بالتَّوراة جملةً، ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ التَّبديلُ والاستبدالُ أخذُ الشَّيء بدلًا عن الشَّيء، وأرادَ اختيارَ الكفرِ بمحمَّد ﷺ على الإيمان به. ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ وسطَ الطَّريقِ السَّويِّ الذي هو بين الغُلُوِّ والتَّقصير، وهو الحقُّ.

(١٠٩) - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾؛ أي: أحبَّ كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ؛ اليهودِ، وتمنَّوا أن يصرفوكم بعد الإيمانِ إلى الكفرِ، وهذا بيانُ شِدَّةِ عداوتهم وحَسدِهم للمؤمنين. ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ الحسد: الأسفُ على مَن له خيرٌ بخيرِه، والتمنِّي أنْ يزولَ عنه إليه. ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: من قِبَلِ أنفسِهم مِن غيرِ أنْ يُؤمَروا به. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

﴿لَهُمُ الْحَقُّ﴾؛ أي: بعد ما ظهرَ لهم أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّه، وأنَّ الإسلامَ دينُ اللَّه ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ العفوُ: التَّركُ، والصَّفحُ: الإعراض. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ أي: بعذابِهِ في الآخرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: مِن التَّعذيبِ والانتقامِ وكلِّ شيءٍ.

(١١٠) - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾؛ أي: أدُّوهما شكرًا لنعمةِ سلامةِ النَّفسِ وثروةِ المال؛ ليكونَ الشُّكر سببًا لبقاءِ نعمةِ الإيمان، فلا تقدر اليهودُ على صرفِكم عنه. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: وكلُّ شيءٍ قدَّمتموهُ إلى الآخرة مِن الخيرات؛ من الصَّلواتِ، والزَّكواتِ، وسائرِ الطَّاعات، وجدتُم ثوابَها عند اللَّه. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: يرى ما عمِلتُم مِن خيرٍ أو شرٍّ، وهو وعدٌ على الطَّاعةِ، ووعيدٌ على المعصية، بأبلغ وجهٍ(١).

(١١١) - ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾؛ أي: قال يهودُ المدينة -لعنهم اللَّه-: لن يَدخلَ الجنَّة إلَّا اليهودُ، وقال نصارى بني نَجْران: لن يدخلَها إلَّا النَّصارى، ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ جمعُ أمنية، والتمنِّي: التَّشهِّي؛ أي: يَتَشهَّون ذلكَ بغيرِ حجَّةٍ، وقيل: الأماني: الأكاذيب هاهنا، ﴿قُلْ﴾ أي: قل لهم يا محمد ﷺ ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في دعواكم.

(١١٢) - ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ردّ لما قبله، وإثباتٌ لما بعده؛ أي: ليس كما يقول اليهودُ والنَّصارى، ومَن انقاد للَّه تعالى بالتوحيد بكلِّيته، والوجه: عبارةٌ عن كلِّ البدن، وخُصَّ بالذِّكر؛ لأنَّه أشرفُ الأعضاء، ويقال: أسلم وجهه؛

---

(١) الوسيط (١/ ١٩١)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٩١)، والنكت والعيون (٣/ ٢٩٣).

أي: أخلصَ دينَه لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الواو للحال؛ ومعناه: أن يُحسِّنَ أفعالَه مع صِحَّة اعتقاده وإقراره. ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: فله ثوابُ عملِه في الآخرة عند اللَّه، وهو موحِّدٌ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ومعناهُ: فلهم ثوابُ الإيمان والأعمال الصَّالحة عند ربِّهم، ولا خوفٌ عليهم فيما يَستقبِلُهم مِنَ العذاب، ولا هم يَحزنون على ما خَلَّفوا من الدُّنيا[1].

(١١٣) - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ نزلَت الآيةُ في شأن يهودِ المدينة ونصارى بني نجران، اختصَموا عند النبيِّ ﷺ، فقالت اليهودُ للنَّصارى: ما أنتم على شيءٍ، وجَحدوا حَقِّيَّة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والإنجيل، وقالت النَّصارى لليهود: ما أنتم على شيءٍ، وجَحدوا حقِّيَّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والتَّوراة، فأنزلَ اللَّهُ تعالى هذه الآية، وانتظامُ هذه الآية بما قبلَها: أنَّ في الآيةِ الأولى ذكرَ مقالةِ الفريقين في حقِّ غيرهم، وذكرَ في هذه الآية مقالةَ كلِّ فريق منهما للآخر، وقوله: ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: من الدِّين الحقِّ، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: كلُّ فريقٍ يتلو في كتابِه تصديقَ ما ينكره لو رجع إلى الكتاب، فكفرَ اليهودُ بعيسى، وعندهم التَّوراةُ، وفيه بيانُ حقِّيَّة عيسى والإنجيل، وكفر النَّصارى بموسى، وعندهم الإنجيلُ، وفيه بيان حقِّيَّة موسى والتَّوراة. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي: كذلك قال مشركو العرب، وَصفَهُم بأنهم لا يعلمون؛ لأنَّهم ليسوا أهلَ الكتاب، ولا كان فيهم رسولٌ، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يريهم مَن يَدخلُ الجنة

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٢٤٠)، والكشف والبيان(١/ ١١١٢).

عيانًا، ويَدخلُ النَّار عيانًا، فيظهرُ المُحِقُّ من المُبْطِلِ.

(١١٤) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّ الآيةَ الأولى في ذكر قبح مقالهم، وهذه في ذكرِ قبح فعالهم، و﴿وَمَن﴾ كلمة استفهامٍ، وهي بمعنى النَّفي هاهنا؛ أي: لا أحدَ أظلمُ مِن فاعل هذا الفِعل، والظُّلْمُ: وضعُ الشَّيءِ في غير موضعِه، ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾؛ أي: منعَ المساجدَ مِن أنْ يُذكَر فيها اسمه، وَذِكْرُ اسمِ الله ذكرُ الله، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: ٨] أي: واذكر ربَّك.

﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل والآية نزلت إخبارًا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت، ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي: أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحدٌ آمِنًا. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ قيل: هو القتلُ إنْ كان حربيًّا، وأخذُ الجزيةِ عن صَغارٍ إن كان ذمِّيًّا. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعذاب الآخرة النَّارُ الكبرى، والعذابُ بها أشدُّ من كلِّ عذابٍ؛ لأنَّه لا يَنقطع (١).

(١١٥) - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وانتظامُها بما قبلها أنَّ معناه: لا يَمنعكُم تخريبُ مَن خرَّبَ المساجدَ أن تُصلُّوا له حيث كنتُم، فلله المشارقُ والمغارب، وأينما توَجَّهتُم ففيه رضاءُ الله تعالى، و"أينما" كلمةُ شرطٍ، وهي جازمةٌ، وعلامة الجزم هاهنا سقوطُ النُّون. و﴿تُوَلُّوا﴾ أي: توجِّهوا

---

(١) التفسير الكبير(٤/ ٤)، وتأويل مشكل القرآن(١/ ٤٨٠)، والدر المصون(٢/ ٧٣)، والبرهان في مشكلات القرآن(١/ ١٦٢)، وجامع البيان(١/ ٤٩٤) والكشف والبيان(١/ ١١٢٠)، والبحر المحيط(١/ ٣٥٢).

وجوهَكم، ﴿فَثَمَّ﴾؛ أي: هناك. ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾؛ أي: قبلةُ اللَّه، فإنَّ الوجهَ والوِجهةَ والجِهةَ بمعنًى واحد، والقبلةُ تسمَّى بذلك؛ لورودِ الأمر بالتوجُّه إليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواسعُ: الجَوَادُ الذي يسعُ عطاياهُ السَّائلين، والواسع: الغنيُّ، والسَّعَة: الغَناء؛ أي: هو غنيٌّ عن عبادةِ العباد، ﴿عَلِيمٌ﴾ بعجزِهم وضعفِهم، وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قَصدوا ونووا.

(١١٦) - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾أي: قالت اليهود: عزيرٌ ابن اللَّه، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ اللَّه، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزَّهَ نفسَه -عزَّ وجلَّ- عن ذلك، والتَّسبيحُ: التَّنزيه. ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: فكلُّ ذلك مملوكٌ له مربوب، فكيف يكونُ عزيرٌ أو عيسى، وكلٌّ منهم عبدٌ له مربوبٌ مخلوق؟ ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ أي: عزيرٌ وعيسى والملائكةُ كلُّهم مُطيعونَ له، مُقِرُّون له بالعبوديَّة. والقُنوتُ: الطَّاعة، وقيل: القُنوتُ: الدُّعاء، والقنوتُ أيضًا: القيامُ.

(١١٧) - ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾البديعُ والمبدعُ والمبتدعُ واحدٌ، وهو الذي لم يَسبقهُ أحدٌ في إنشاء مثلِه، ولذلك سُمِّيَ صاحبُ الهوى مبتدعًا؛ لمَّا لم يسبقهُ في مثلِ قولِه أحدٌ، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: قدَّره، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وهذا بيانُ أنَّه إذا شاء كونَه كوَّنَهُ فكان.

(١١٨) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ هم مشركو العربِ، يَذكرُ قُبحَ مقالتِهم بعدما ذكرَ قُبحَ مقالةِ اليهود والنَّصارى، أي: كانوا يعلمونَ حقيقةً، لكن لم يَنتفعوا بعلمِهم، فنَفى العلمَ عنهم. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾؛ أي: بنو إسرائيل قالوا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لن نؤمنَ

لك حتَّى نَرى اللَّه جهرةً، وقال هؤلاء: لولا أُنْزِلَ علينا الملائكةُ أو نَرى ربَّنا، وسألوا آياتٍ اقترحوها ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تماثَلَت قلوبُ الفريقين في التَّكذيب والكفر وإرادةِ سؤالِ التعنُّت ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ لأهلِ الكتاب، والقرآنَ للكلِّ، فلِمَ يسألون إتيان الآيةِ، وقد أتتهُم الآيات؟! ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: يعلمون أنها آيات فيؤمنون.

(١١٩) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: مبشِّرًا لِمَن أيقنَ بالآيات فآمن، ونذيرًا لِمَن تغافلَ عنها فلم يؤمن. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالإسلام، وقيل: لبيان الحقِّ ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ أي: عن الكفَّار الذين هم أصحابُ النَّار.

(١٢٠) - ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أي: لا يَرضى عنك الفريقان بهذا، وإنَّما يرضون عنك باتِّباعك ملَّتهم؛ أي: دينهم، والمِلَّةُ: الطَّريقُ الواضحُ، وقيل: الطَّريقُ المسلوك، وقيل: معناه: حتى تتَّبع قبلتهم؛ أي: تصلِّي إليها، ولا يُمكنُك ذلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ أي: طريق اللَّه؛ وهو الإسلامُ، هو الطريقُ الحقُّ. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: في الدِّين والقِبلة، وإنَّما جمع الأهواء، ولم يقل: هواهم؛ لأنَّ فِرقَ الخلاف لم يكونوا على هوًى واحدٍ، بل لكلِّ فرقةٍ هوى، فأخبرَ أنَّه لا يُرضِي الكُلَّ إلَّا باتِّباع أهواءِ الكلِّ، والصَّحيح أنَّه خطابٌ للنبيِّ ﷺ؛ لأنَّ ما قبلَه وما بعده خطاب له. ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: بيانِ حقِّيَّةِ الإسلام وبطلانِ الكفر، وأنَّ القِبلةَ هي الكعبة. ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أخبرَ بهذه الآية أنَّه لو اتَّبع أهواءَهم، لم يكن

له مِنَ اللَّه وليٌّ؛ أي: حبيبٌ يتولَّى عنه الدفاع، ولا ناصرٌ يمنع عنه العذاب[(١)].

(١٢١) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ مَدَحَ بهذه الآية الذين أسلموا من أهلِ الكتاب بعدما ذمَّ في الآيات المتقدِّمة الذين عاندوا فلم يسلموا ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراةَ، وإنَّما خصَّهم بذكرِ الإيتاء؛ لأنَّهم هم الذين عملوا به، فكأنَّهم خُصُّوا به. ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: يتَّبعونه حقَّ اتِّباعه، وقيل: معناه: يقرؤونه حقَّ قراءتِه، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ هذا مدحٌ لهؤلاء بعد ذمِّ أولئك، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالكتاب. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: الهالكون المَغبونون، وأثبت الخسران لِمَن كفر به، لا لمن يتَّبعه حقَّ اتِّباعه، وهذا لطفٌ من اللَّه عزَّ وجلَّ بعباده.

(١٢٢ - ١٢٤) - ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ قد مرَّ تفسيرُ الآيتين، وبدأ قصَّة بني إسرائيل بهما، وفي الآية الأولى تذكيرُ النِّعمة، وفي الأخرى تخويفُ العقوبةِ، وبهما ختمَ القصَّة، والتكريرُ للتقرير، ووصلَ بها قصَّة إبراهيم صلوات اللَّه وسلامه عليه، وكان بنو إسرائيل يدَّعون أنَّهم على ملَّة إبراهيم، فقال جلَّ جلالُه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وشرحَ حالَه ها هنا، فقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾؛ أي: واذكروا إذ أمرَ إبراهيم

(١) التفسير البسيط (٣/ ٢٧٣)، وجامع البيان (١/ ٥١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢١٥)، وتفسير السمعاني (٢/ ٣٣)، وزاد المسير (١/ ١٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ٨٣).

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قدَّم المفعولَ ثمَّ ذكرَ الفاعل، فقال: ﴿رَبُّهُ﴾ وإنَّما فعل ذلك إيجازًا، والإيجازُ أبلغ، والابتلاءُ في الأصل: هو الاختبار، وأوامرُ اللَّه تعالى ونواهيه ابتلاءٌ، ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: بأوامر مناسكِ الحجِّ ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عملَ بهنَّ وقيل: الكلماتُ: هي الخصال التي بُنِيَ عليها الإسلام، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾؛ أي: رسولًا يَقتدِي بك جميعُ مَن بعدك، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي: قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا رب، واجعل مِن ذرِّيَّتي أيضًا أئمَّةً يُقتَدَى بهم، وهذا شفقةٌ منه على أولاده على الخصوص ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تصيبُ الإمامةُ أهل الظُّلم مِن ولدك، وهم أهل الكفر؛ أخبر أنَّ إمامةَ المسلمين لا تثبتُ لأهل الكفر، وأنَّ مِن أولاده المسلمين والكافرين(١).

(١٢٥) - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ أي: واذكروا أيضًا إذ جعلنا الكعبةَ، و﴿الْبَيْتَ﴾ معرَّفًا بالألف واللام اسمُها، ﴿مَثَابَةً﴾ أي: مرجعًا، مِن: ثابَ يثوب ثوبًا؛ أي: رجعَ. ﴿لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ أي: مأمنًا؛ وهو موضعُ الأمن؛ وهو ضدُّ الخوف ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ أي: جعلناهُ مثابةً للنَّاس، فاتَّخذوا ذلك مصلًّى، المقامُ: موضعُ القيام، والمُقام بالضمِّ: موضعُ الإقامة، وقيل: الحرَمُ كلُّه مقامُ إبراهيم، فمَن كان فيه استقبلَ البيتَ، ومَن كان خارجًا منه استقبلَ الحرمَ، فهو المصلَّى، وقيل: هو المناسك؛ أي: مواضع أفعال الحجِّ؛ كعرفات والمزدلفة ومنى ومكَّة. ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي: أمرناهما، ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي:

---

(١) المحرر الوجيز(١/ ٤٧٢ – ٤٧٣)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ١٢٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة(١/ ٥٤) وجامع البيان(١/ ٥٢٤)، ومعالم التنزيل(١/ ١٤٥).

طهِّرَا بيتي مِنَ الشِّركِ وعبادة الأوثان، وكان عليها المشركون قبل أن تصيرَ في أيديهما، وقيل: كانوا يتقرَّبون إلى اللَّه تعالى بالقرابين، وكانوا يلطِّخون الجُدُر بالدِّماء، فأمرَهما اللَّه تعالى بالتَّطهير. ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ أي: بالكعبة، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ أي: المجاورين في المسجد الحرام، والعُكوف والاعتكاف: الإقامةُ، والاحتباس، ﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جمع الرَّاكع، و﴿السُّجُودِ﴾ جمع السَّاجد؛ وأراد بـ ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: المصلِّين، والصَّلاة تشتملُ على أفعالٍ، أقربُها إلى الخشوعِ هذان.

(١٢٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ﴾ أي: واذكر أيضًا إذ دعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا ربِّ، حَذفَ حرفَ النِّداء، وهو جائزٌ ﴿هَذَا بَلَدًا﴾ أي: هذا الوادي، فقد قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ سأل اللَّهَ تعالى قبل أن يصيرَ الوادي بلدًا أن يجعله بلدًا آمنًا، وفي سورة إبراهيم قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وكان هذا الدُّعاء بعد ما صار بلدًا، سألَهُ أن يجعلَهُ آمنًا ﴿آمِنًا﴾ أي: ذا أمْنٍ؛ كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]؛ أي: ذات رضا ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ هي جمعُ ثمرة؛ وهي جميعُ ما يخرجُ مِن الأراضي والأشجار، فهو سؤالُ الطَّعامِ والفواكه ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: ارزق مَن آمن، خصَّ المؤمنين بسؤالِ توسِعَة الرِّزق؛ لأنَّه أراد أن يجعلَ ذلك آيةً تُرغِّبُ الكفَّارَ في الإسلام. ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: قال اللَّه تعالى: والذي كفرَ لا أمنعُهُ عن هذا، أي: أرزقُهُ الثَّمراتِ أيضًا كما أرزقُ المؤمنَ، أخبرَهُ أنَّ أمْرَ الرِّزق ليس كأمْرِ الإمامة، فأعلمه أنَّ الدنيا ومتاعَها بأسرِها لا خطرَ لها. ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ أي: متاعًا قليلًا في حياته، وقيل: أُمَتِّعه زمانًا قليلًا، والدنيا

كلُّها قليلة، ومدَّتها كذلك ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ أي: أُلجِئُه إلى عذاب النار يوم القيامة. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

(١٢٧) - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: واذكر أيضًا إذ يرفعُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ أي: إذ كان يرفعُ؛ أي: يبني، وقيل: أي: يُظهِر، وكان مختفيًا، فرفعَهُ وأظهرَهُ. ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: وإسماعيلُ كان يشاركُهُ في ذلك، وقيل: كان يُعينُه فيه، ويناولُه الحجرَ، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ أي: يقولان: ربَّنا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ دعواتنا، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: بنيَّاتنا.

(١٢٨) - ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: ثابتين على الإسلام والاستسلام، وهذا تعليمٌ منهما النَّاسَ الدُّعاءَ للتثبيت على الإيمان ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي: واجعل من أولادِنا جماعةً مخلصةً لك بالعبادةِ والطَّاعة، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قيل: هو سؤالُ إراءَةِ العين، وعلى هذا تكونُ المناسكُ مواضعَ أفعالِ الحجِّ مِن عرفات والمزدلفة، والصَّفا والمروة وما بينَهما، ومواضعِ رمي الجمرات، وقيل: معناه: علِّمنا؛ وهي رؤيةُ القلب، وتُستعمَلُ في العِلم، والنُّسُكُ في الأصل: العبادة، والنَّاسِكُ: العابدُ، والتَّنَسُّك: التَّعبُّد ﴿وَأَرِنَا﴾ ينصرفُ إليهما وإلى ذرِّيَّتِهما، لا إليهما على الخصوص ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قيل: معناه: تجاوزْ عنَّا التقصيرَ الواقعَ في مثلِ هذا العمل. وقيل: سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعًا وتعليمًا لذريتهما.

(١٢٩) - ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: مِن جنسِهم مِنَ البشر؛

لأنَّه أقربُ إلى المعرفة والصِّدقِ ممَّن كان مِن غير جنسهم، وقيل: مِن قومِهم، مِن جنسهم وبلسانهم، لا مِن غيرهم، ولا بغير لسانهم. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ أي: يقرأ عليهم كتابَك هذا الرسول، ويبيِّن آياتِ وحدانيَّتك، ويبيِّن ما كان مِنَ الآيات؛ أي: المعجزات لمن مضى مِنَ المرسَلين، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: بيانُ ما في الكتاب مِن الأحكام؛ مِن الحلالِ والحرامِ وشرائعِ الإسلام، وبه يقعُ الاستحكام. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: بِأخْذِ زكاةِ أموالهم، وقيل: يُطَهِّرهم عن الآثام بأخذ زكواتهم، وقيل: يدعوهم إلى ما به زكاةُ أنفسِهم؛ أي: نماؤها وطُهرُها. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿الْعَزِيزُ﴾: القويُّ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ، وقيل: هو القادرُ الذي لا يَمتنعُ عليه ما أرادَهُ، و﴿الْحَكِيمُ﴾: هو الذي يُحكِم الصَّنعةَ بحسنِ التَّدبيرِ(١).

(١٣٥) - ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ استفهامٌ، بمعنى التَّوبيخ على وجهِ النَّفي، ومعناه: ولا يرغب عن دين إبراهيمَ إلَّا السفيه؛ أي: ولا يكرهُها، والمِلَّة: الدِّين والطريقةُ، وقيل: ﴿السَّفهُ: غَلَبةُ الجهلِ وركوب الهوى. ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: اخترناهُ بالإسلام والنبوَّة. ويقال: بالسَّخاوة والخُلَّة، وقيل: بالعهدِ والإمامة، وقيل: بالكلماتِ وبناء الكعبة. ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: أجبنا دعوتَه: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]؛ أي: الأنبياء الماضين، وقيل: معناه: وإنَّه في الآخرة لمن الصَّالحين؛ أي: مع

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٢٩٦)، وزاد المسير(١/ ١٤١)، وجامع البيان (١/)، ومعاني القرآن للفراء(١/ ٧٦)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ٢٠٥ – ٢٠٦).

آبائه المرسلين في الجنَّة(١).

(١٣١) - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. أي: واذكر يا محمَّدُ ﷺ إذ قال له ربُّه أسلم، وقوله تعالى: ﴿أَسْلِمْ﴾ أي: اثبتْ على إسلامك، وقيل: أي: استسلمْ لِمَا يجري عليك. ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ امتثلَ ما أُمِرَ به، واستقامَ على ما قال، فسَلَّم القلبَ والنَّفسَ والولدَ والمالَ لربه -جل جلاله-.

(١٣٢) - ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ الوصيَّة: الدعة إلى الطَّاعة، وقيل: أي: بالمِلَّة، وقيل: بالكلمة، والأوَّل أصح؛ لأنَّها مذكورة، والثانية مدلولٌ عليها. ﴿بَنِيهِ﴾ أي: أولادَهُ الذُّكورَ الأربعةَ ﴿وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ﴾، أي: أوصى يعقوبُ أيضًا بنيه الاثنَي عشر ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ أي: اختارَ لكم الدِّين أي: الإسلام؛ لأنَّ الدِّينَ عند اللهِ الإسلامُ، وهو الدِّينُ المطلقُ المرضيُّ المشروعُ المأمورُ به، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: دوموا على الإسلام، حتَّى إذا أدرككُم الموتُ وجدَكم مسلمين، وقيل: أي: لا تموتوا إلَّا منقادين مفوِّضين الأمرَ إلى اللَّه.

(١٣٣) - ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾. أي: أكنتُم حضورًا؟، وهو استفهامٌ بمعنى الاستنكار، والشهداءُ: جمعُ شهيدٍ؛ وهو الحاضر، وهذا خطابٌ لأهل الكتاب المدَّعين أنَّ دينَهم دينُ إبراهيم ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ أي: حضر الموتُ يعقوبَ؛ أي: قَرُب خروجُه من الدُّنيا. ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ هم الأسباط، وهم الأولادُ

---

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٤٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢١١)، وتأويلات أهل السنة (١/ ٥٧٥)، والكشف والبيان(١/ ٢٧٩).

الاثنا عشر، وقيل: أولادُه وأحفاده، وكانوا يومئذٍ ثمانين نفسًا. ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: من تعبدون بعد موتي؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ أي: أجابَهُ أولاده، قالوا: نعبدُ اللّهَ الذي تعبدُه أنت وتَلتَجِئُ إليه. ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ أي: وهو اللّهُ الذي كان يعبدُه آباؤك الأنبياء، وقوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ هو بدلٌ عن قوله: ﴿آبَائِكَ﴾. و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ كان جدًّا له، والجدُّ أبٌ؛ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عمًّا له، والعمُّ عند العرب يُسمَّى أبًا، وله حُرْمَةُ الأب، ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان والدًا له، وقدَّم إسماعيل على إسحاقَ، مع أنَّ إسماعيلَ عمٌّ وإسحاقَ أبٌ حقيقةً؛ لأنَّ إسماعيلَ كان أكبر سنًّا منه. ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدلٌ عن قوله عزَّ وعلا: ﴿إِلَهَكَ﴾، والأوَّل معرفةٌ والثاني نكرةٌ، وهو جائزٌ؛ ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: منقادونَ بالطَّاعة، ثابتونَ على العبادة، مخلصونَ في القولِ والعملِ والنيَّة.

(١٣٤) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: أولئك المذكورون؟ إبراهيمُ وأولادُه ﴿أُمَّةٌ﴾؛ أي: جماعةٌ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾؛ أي: مَضَتْ وخَلا عنها أمكنتُها، ﴿وَلَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: لها كسبُها. وقولُه: ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: ولكم كسبُكم؛ أي: هم يُحاسبونَ يوم القيامة بأعمالِهم ويجازون عليها، وأنتم تحاسبون يومَ القِيامةِ بأعمالكم وتجازون عليها، ولا تُؤاخَذون أنتم بأعمالِهم، ولا هم يؤاخذون بأعمالِكم. ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو كقوله: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ الآية [سبأ: ٢٥]، وقولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

(١٣٥) - ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ أي: قالت اليهود للمسلمين: تهوَّدوا تُصِيبوا الهدى، وقالت النَّصارى للمسلمين: تنصَّروا تُصِيبوا الهدى ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ردٌّ لذلك، وإثبات لما يُخالِفه، والمعنى: قلْ يا محمَّد ﷺ: لا نكون كما قلتُم، بل نتَّبعُ ملَّة إبراهيم، والحنفُ: الميلُ، وقيل: الحنيفُ: المستقيم، وقيل: الحنيفُ: المقبل على الدِّين الحقِّ. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي هو: لم يكن كذلك، قطعَ دعوى المخالفين؛ فإنَّ كلَّ فريق من أهل الضَّلالِ كانوا يَدَّعون أنَّ دينَه دينُهم، فأكذَبهمُ اللَّهُ تعالى في ذلك (١).

(١٣٦) - ﴿قُولُوا﴾ هو دليلٌ على أنَّ الإقرار شرطٌ. ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ أي: صدَّقنا بألوهيَّة اللَّه تعالى، ووحدانيَّته، وبجميع ما جاءَ مِن عنده، وفيه اشتراطُ التَّصديقِ بالقلب، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي: وما أُنزل على نبيِّنا مِن القرآن، والإنزالُ إليه إنزالٌ إلى أُمَّتِه؛ لأنَّ حكم المنزَل يَلزمُ الكُلَّ. ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: مِنَ الصُّحف، وقوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ وهم أولادُه وأحفاده؛ أي: وبما أُنزِل إلى هؤلاء، والأسباطُ: أولادُ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، والسِّبط كالطَّائفة والفرقة في الأصل، وسُمُّوا أسباطًا وهم اثنا عشر؛ لأنَّه وُلدَ لكلِّ ابنٍ منهم أُمَّةٌ مِنَ النَّاس ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ أي: آمنَّا بما أُعطِي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّوراة والمعجزات، وبما أُعطِي عيسى مِنَ الإنجيل والمعجزات. ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: وبما أُعطِي

---

(١) التيسير في التفسير (٢/ ٤٦٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٨٠، ١٨٠)، وجامع البيان (٢/ ٥٨٣)، والكشف والبيان (١/ ٢٨١).

داودُ من الزَّبور وسائرُ الأنبياء من الدلالات. ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ أي: في الإيمانِ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعض؛ كاليهود والنَّصارى، وقيل: أي: لا نقولُ: إنَّهم متفرِّقون في أصل الدِّين، نقول: أصلُ دين الكُلِّ يوحِّدون؛ أي: التوحيدُ والطَّاعة، وإن اختلفت شرائعُهم، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلِصونَ مطيعونَ منقادون.

(١٣٧) - ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: فإنْ آمنوا بلسانِهم، بمثل ما آمنتُم به بلسانِكم؛ بالكُتُب والرُّسل جميعًا، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ أي: أصابوا الصِّراطَ السَّوِيَّ، وبه يَهديهم ربُّهم إلى الجنَّة، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرَضوا عن الإيمانِ بما آمنتُم به. ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: في خِلافٍ وعداوةٍ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: لا تحزن يا محمَّدُ ﷺ بخلافِهم وعداوتهم، فسوف يكفيكَ اللَّهُ شرَّهُم. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: يَسمعُ مَقالَ الموحِّدينَ فيه، فيثيبُهم، ومقالَ الكفَّار، فيعاقبُهم، والعليمُ باعتقادِ الفريقين، فيجزي الكلَّ على اعتقادِهم.

(١٣٨) - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: قولوا: نتَّبعُ صبغةَ اللَّه، وصبغةُ اللَّه: دين اللَّه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ استفهامٌ في معنى الجَحْدِ؛ أي: لا أحدَ أحسنُ دينًا وتلقينًا مِن اللَّه. ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾؛ أي: باتِّباعِنا ملَّةَ إبراهيمَ وصبغةَ اللَّه، والعابدُ: العاملُ بحقِّ العبوديَّة في مرضات اللَّه عزَّ وجلَّ[١].

(١٣٩) - ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ استفهام، وهو للتَّوبيخ والاستنكار هاهنا، ومعناه:

---

(١) جامع البيان (٢/ ٦٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٤)، وتأويلات أهل السنة (١/ ٥٧٧ - ٥٧٨)التيسير في التفسير (٢/ ٤٧٨).

لم تُجادِلوننا؟، وقيل: لم تخاصموننا؟. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فاستَوَينا نحن وأنتم في عبوديَّته. ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾؛ أي: فلا يُجزَى أحدٌ إلَّا بعملِهِ، ولا فضلَ لمن قَصُر عمله. ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾؛ أي: الاعتقادَ والعملَ، لا أنتم، فكيف تكونون أفضلَ منَّا وأولى منا؟

(١٤٠) - ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ أي: أم تقولون: إنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا على دينكم، فبأيِّ الحجَّتين تتعلقون؛ أبالتوحيد، ونحن الموحِّدون دونكم، أم باتِّباعِ دينِ الأنبياء، ونحن المتبعون دونكم؟ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أي قل: يا محمَّد ﷺ، أتجادلوننا في دين اللَّه، أم تقولون: إن هؤلاء الأنبياء كانوا على ملَّتكم؛ وليس كذلك، وما كانوا إلَّا مسلمين على الدِّين الذي نحنُ عليه، كذا أخبرَنا ربُّنا، أفأنتم أعلمُ بأديانهم، أم اللَّه تعالى؟ أي: فاللَّهُ تعالى أعلمُ بهم منكم، وقد علِمَ منهم خلافَ ما تقولون. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ قيل: ولا أحد أظلم منكم معاشرَ أهل الكتاب؛ استفهامٌ بمعنى الجَحْدِ، وقيل: ومَن أظلمُ ممَّن كتمَ شهادةً جاءتهُ من اللَّه، فحرَّفها وأخفاها، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على هذا يتعلَّق بالشَّهادة؛ أي: الشهادة من اللَّه. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مِن كتمانِ الشَّهادةِ بصدق محمَّدٍ ﷺ، والبشارةِ به.

(١٤١) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مر تفسيرها، والتكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير، وقيل: هذه محاجَّةٌ في غير ذلك الزمان، وغير ذلك المكان، وقيل: الأُولى ترجعُ إلى أسلافِهم؛

أي: تلك الأسلاف قد مضت، وهذه في إبراهيم ومَن معه[١].

(١٤٢) - ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: الجُهَّالُ الضُّعفاءُ العقولِ، وهم اليهود، ﴿مَا﴾ كلمةُ استفهام بمعنى الاستنكار. ﴿وَلَّاهُمْ﴾ أي: صرفَهم، يقال: تولَّى عن كذا؛ أي: انصرفَ عنه، وولَّاهُ غيره؛ أي: صرفَهُ. ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾ أي: جهتهم التي يستقبلونَها في الصَّلاة، وأرادوا بها بيتَ المقدس. ﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾؛ أي: على التَّوجُّه إليها. ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: قل يا محمَّدُ ﷺ، للّه الأمكنةُ والنواحي كلُّها؛ يأمرُ عبادَه أنْ يتوجَّهوا إلى أيِّ جهةٍ شاءَ، شرقًا أو غربًا، فالطَّاعةُ له في الائتمار بأمرِه، لا في عين التوجُّه نحو المشرقِ أو المغرب ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: يُرشِدُ مَن يَشاءُ إلى قبلةِ الحقِّ، وهي الكعبةُ التي أَمَرَ بها، فيتوجَّهون إلى حيث أُمِروا به لا إلى حيث يَهوَون.

(١٤٣) - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أي: وكما هديناكُم إلى صراطٍ مستقيمٍ، صيَّرناكم أمَّةً وَسَطًا، وقيل: كما جعلنا قِبلتكُم خيرَ القِبلتين في الدُّنيا، فكذلك جعلناكُم خيرَ الأممِ في العُقبى. ﴿وَسَطًا﴾ أخذَ مِن التَّوسُّطِ في الدِّين، وهو بين الغلُوِّ والتَّقصير، فإنَّهم لم يغلوا غلوَّ النَّصارى حيث وَصفوا المسيحَ وهو عبدٌ بالألوهيَّة، وبأنَّه ولده، وبأنَّه ثالثُ ثلاثةٍ، ولم يُقصِروا تقصيرَ اليهود، حيث قَتلوا الأنبياءَ، وقيل: سمُّوا وسطًا؛ لأنَّ قبلةَ النَّصارى إلى المشرق، وقبلةَ اليهود إلى المغرب، والكعبةُ في الوسط، وهي سرَّةُ الدُّنيا. ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي:

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٣٦٧)، معاني القرآن للزجاج(١/ ٢١٨)، والوسيط(١/ ٢٢٤)، والبحر المحيط(١/ ٤١٥)، وجامع البيان(٢/ ١)، ومعالم التنزيل(١/ ١٥٨).

للأنبياء، ﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام، وقيل: كلمة ﴿عَلَى﴾ لحقيقتها هاهنا، و﴿والنَّاسِ﴾ هم الكفار هاهنا، وهم أممُ الأنبياء الذين لم يؤمنوا ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: لكم، كما في قوله: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾، ومعناه: مُزكِّيًا مُعدِّلًا، وقيل: معناهُ: ليَشهدَ كلُّ فريقٍ منكم على الذي يَحدُثُ في عصرِهم ومَن بعدَهم بالشَّرائعِ التي تَلزمُهم، ويكونَ الرسولُ شهيدًا عليكم؛ أي: مبلِّغًا إليكم، شاهدًا عليكم عن اللَّه تعالى بما يؤدِّيه إليكم مِن شرائعِ دينِه، وتكونوا أنتم شهداءَ على النَّاس للَّه والرسول بما أدَّاه الرسولُ إليكم عنه. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: بيت المقدس، ومعنى ﴿جَعَلْنَا﴾: صيَّرنا، ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أي: على اعتقاد استقبالِها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليتميَّزَ أهلُ الشَّكِّ من أهل اليقين. ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ أي: في أمرِ القبلة ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾؛ أي: ينصرفُ، يقال: قَلَبَهُ؛ أي: صرَفَهُ، فانقلَبَ؛ أي: انصرفَ، وهو مجازٌ عن الارتداد، وهو الرُّجوعُ عن الدِّين الحقّ. ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: التولية إليها شاقة على الناس. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى﴾ أي: على الذين وفَّقَهُم اللَّهُ لاتِّباعِ أمرِه، والانقيادِ لحكمِه، ومخالفةِ طبعه بموافقة شرعِه. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: بالمؤمنين، والرأفة شدة الرحمة،والرَّحيمُ، هو المبالغُ في الرَّحمة والرَّأفة، ومعناه هاهنا أنَّه برأفتِه ورحمته نقلَهم عن ذلك إلى هذا، وهو أصلحُ لهم، ولم يضيِّع عملَهم، ولم يُوجِب إعادتَهُ عليهم(١).

(١) الكشف والبيان (١/ ١٢٣٥)، ومعالم التنزيل (١/ ١٥٨)، والتفسير الكبير (٤/ ٩٦ – ٩٧).

(١٤٤) - ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾. «قد» كلمةُ تأكيدٍ، والتَّقلُّبُ: التَّصرُّف، ومعناه: نرى إدامةَ نظرِك إلى السَّماء؛ انتظارًا لتحويلِ القِبلة إلى الكعبة، وكان يتمنَّى ذلك لمخالفةِ اليهود ؛ لأنَّهم كانوا يقولون: إنَّه يُخالِفنا في ملَّتِنا، ويَتوجَّهُ إلى قبلتِنا، ولأنَّ الكعبةَ كانت قِبلة إبراهيم، ولأنَّه كان يَرجو أن يكونَ ذلك سببًا لإسلامِ العربِ. ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾أي: لنُوجِّهَنَّكَ، ﴿تَرْضَاهَا﴾؛ أي: تُحِبُّها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ أي: اجعَلْ وجهَكَ نحو الكعبة إذا أردت الصلاة، وشطرُ الشيء نحوه، ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: هو على ظاهرِه، والمسجدُ الحرامُ هو المسجدُ الكبيرُ الذي فيه الكعبة، وقيل: هو الحرمُ كلُّه، والصَّحيحُ أنَّه الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ هذا أمرٌ لجميع المؤمنين بذلك بعد ما أمرَ به محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الخصوص، وفيه إضمار؛ أي: وفي أي موضعٍ كنتم من الأرض وأردتُم الصَّلاة، فولُّوا وجوهَكم نحوَه. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾أي: اليهودَ والنَّصارى. ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾أي: هي قبلةُ الأنبياء، وأنَّهم إليها كانوا يُصلُّون. ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ لعِلْمِهم أنَّك نبيٌّ، وأنَّك لا تأتي إلَّا بالحقِّ. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بياء المغايبة فيكون وعيدًا للكافرين بالعِقاب على العُنود والإباء، وبتاء المخاطبةِ يكون هذا وعدًا للمؤمنين بالثَّواب على القَبول والأداء.

(١٤٥) - ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾أي: ولو جئتَ رؤساءَ اليهود والنَّصارى بكلِّ معجزةٍ طلبوها منك على تصديقِك في دَعوى رسالتِك، ﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾؛أي: ما صلَّوا إليها، ولم يؤمنوا بكَ ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ

﴿قِبْلَتَهُمْ﴾؛ أي: ولست أنت يا محمَّدُ ﷺ بمستقبلٍ بيتَ المقدس في صلاتِك بعدما صرفتُك عنه. ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: لا يصلِّي اليهودُ إلى قبلةِ النَّصارى، ولا النَّصارى إلى قبلة اليهود ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ جمع هوى، وهو الإرادةُ والمحبَّة، والمعنى: ولئن وافقتَهم في القِبلة، مداراةً لهم وحرصًا على إيمانهم. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: بيان القبلة. ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ هو بيانُ الوقت؛ أي: حين تفعل ذلك. ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الضَّارينَ نفسَك، وقيل: أي: واضعين العملَ في غير موضعه(١).

(١٤٦) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي: يعرفونَ أنَّه حقٌّ، وأنَّه مِن عند اللَّه. وقيل: يعرفونَهُ بالرِّسالةِ والنُّبوَّة، كما يعرفون أولادَهم بالنَّسب والبنوَّة، وقيل: هو مدحُ مَن آمن مِن أهل الكتاب، كعبد اللَّه بن سَلَام وأصحابِه. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: صفةَ محمَّدٍ ﷺ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التَّوراةِ والإنجيل. وقيل: يَكتمون أمرَ القبلة.

(١٤٧) - ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا هو الصدق من ربِّك، وقيل: معناه: القبلةُ هي الكعبة، وإنَّ اللَّه بحقٍّ نقلَكُم إليها؛ لعلمه بصلاحكم. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكِّين، والمريةُ: الشَّكُّ، والمماراةُ: المجادلة.

(١٤٨) - ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: ولكلِّ قومٍ قبلةٌ يتوجَّهون إليها، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: جاعلٌ إليها وجهَهُ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ اسم اللَّه تعالى؛

---

(١) البحر المحيط(١/ ٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن(٢/ ١٤٠).

أي: اللَّه موجِّهٌ إليها عبادَه، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: تسارَعوا إليها، وأصلُ السَّبقِ التَّقدم ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ هي كلمةُ شرطٍ، ولذلك جَزَمَتْ، وعلامة الجزم سقوط النون. ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: في أيِّ موضعٍ كنتم أحضرَكم اللَّهُ المحشرَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: قادر.

(١٤٩) - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾؛ أي: ومِن أيِّ موضعٍ خرجتَ، وأينَما كنتَ في أقطارِ الأرض، فاستقبلِ الكعبةَ بصَلاتِك، ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي: تحويلُ القبلةِ إلى الكعبة حقٌّ، وهو مِن اللَّه تعالى. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بتاء المخاطبةِ، فيكون هذا وعدًا للمؤمنين بالثَّواب على القَبول والأداء، وبياء المغايبة يكون وعيدًا للكافرين بالعِقاب على العُنود والإباء[١].

(١٥٠) - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ التكرار يَقتضي التَّأكيدَ والتَّقرير. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾؛ أي: دوموا على استقبالِ هذه القبلة حيثُ كنتُم؛ فإنَّكم إذا فعلتُم ذلك، لم يكن للنَّاس عليكم حجَّةٌ؛ أي: موضعُ احتجاج. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: إلَّا أنْ يَحْتَجَّ عليكم ظالم بما ليس بحجَّةٍ، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾؛ أي: لا تخافوهم في التوجُّه إلى الكعبة، وخافوني في تركِها. وقيل: فلا تَخشَوا النَّاسَ في تظاهرِهم عليكم في المحاربة والمحاجَّة، فإنِّي أظهرُكم عليهم

---

(١) زاد المسير(١/ ١٥٩)، والبحر المحيط(١/ ٤٣٩)، وجامع البيان(٢/ ٣٠)، والكشف والبيان(١/ ١٢٤٩).

بالحجَّة. وقيل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فيما يخاصمونكُم، فإنَّهم لن يضرُّوكم في دِينكم ما أطعتموني، ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ ولا تَعصُوني، فإنَّكم إن خالفتموني استوجَبتم عذابي. ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بنقلِكُم مِن شريعةٍ إلى شريعةٍ غيرِها، على ما فيه صلاحُكم، حتَّى تتمَّ لكم مصالحكم، وقد حقَّق ذلك وتمَّمهُ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: ولتهتدوا إلى شرائعِ ديني.

(١٥١) - ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ مِن أنفُسِكم يُعلِّمكم بعد الجهل، ويُطهِّرُكم، ويُوقِفُكم على معالم الدِّين، وهي نعمٌ توجبُ الشُّكرَ وهذا خطابٌ للعرب، وهذا الرَّسولُ محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يطهركم من الشرك، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾أي: ويعلمكم الكتاب والسنة وأحكام الشريعة ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: مِن أقاصيص الأمم الخالية، وأخبار القرون الماضية.

(١٥٢) - ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ بالصلاة والتسبيح والمعنى: أجازيكم ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي: على عظيم منَّتِي عليكم، والشُّكرُ إظهارُ النِّعمةِ بالاعتراف بها، أو بعملٍ هو كالاعتراف في القيام بحقِّها، والكفر أن يستَرَ نعمةَ المنعم بالجحود، أو بعملٍ هو كالجحودِ في مخالفة المنعم، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أمرٌ بالقول، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أمرٌ بالعمل، وقيل: وجِّهوا شكرَ نعمتي إليَّ، ولا تَشكروا غيري، ويَحتمل: وجِّهوا العبادةَ إليَّ، ولا تَعبدوا غيري.

(١٥٣) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ ختمَ الآيةَ التي قبلها بالأمرِ بالشُّكر، وبدأ هذه الآية بالأمرِ بالصَّبر، وهما جامعا جميعِ خصال

الإيمان. ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أي: استعينوا بهما على الجهادِ في سبيلِ اللَّه مع أعداءِ اللَّه، وقيل: استعينوا بهذا النوعِ من الطَّاعة على غيرِه مِن الطَّاعات. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بمعونتهم ونُصرَتهم، وقيل: أي: يُظهِر دينَهم على سائر الأديان؛ لأنَّ مَن كان اللَّهُ معه فهو الغالبُ، وهو أشرفُ رتبةٍ، وأجلُّ وعدٍ[١].

(١٥٤) - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: هم أموات. ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾؛ أي: بل هم أحياءٌ، والقتلُ نقضُ البِنيَةِ، وسبيلُ اللَّه: هو الجهاد؛ لأنَّه طريقٌ إلى ثواب اللَّه ورحمتِه. ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا تعلمون حقيقةَ حياتِهم بعد زُهوق أرواحهم.

(١٥٥) - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾؛ أي: ولنَمْتَحِنَنَّكم، ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ أي: خوفِ الأعداء. وانتظامُها بما قبلَها أنَّ الصَّبرَ والاستعانةَ به وبالصَّلاة على احتمال هذه المكاره. ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي: وبشيءٍ مِن الجوع، وهو القَحطُ والسَّنةُ. ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ أي: وبشيءٍ من ذلك، بالسَّرقةِ، والإغارة، وأخذ السُّلطان، والهلاك. ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أي: بالقتل والموت. ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي: وذهاب ثمراتِ الأشجار بالبردِ، والسَّمومِ، والرِّيحِ، والجرادِ، وغيرِها من الآفات. ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي: المتحمِّلينَ هذهِ المكاره.

(١٥٦) - ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أي: نالتهُم بليَّةٌ، والمصيبةُ اسمٌ لكلِّ حادثةٍ مكروهةٍ من نقصانٍ وفواتٍ ونحو ذلك. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

---

(١) معاني القرآن للفراء(١/ ٨٩ - ٩٠)، والكشف والبيان (١/ ١٢٥٧)، والتفسير الكبير(٤/ ١٤٠)، والبحر المحيط(١/ ٤٤٢)، وجامع البيان(٢/ ٣٤).

﴿رَاجِعُونَ﴾ وهي كلمةُ تسليمٍ، ومعنى ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: أنفسُنا للَّه، وهو يَتصرَّفُ في ملكه، فلا اعتراضَ عليه؛ إذ لو كانت المصيبةُ بذهاب أنفسِنا، لم يكن لنا أن نجزعَ، فكيف وهي في أموالِنا أو أحبائنا؟ أو نحن عبيد اللَّه، والعبدُ وما في يدِه لمولاه.

(١٥٧) - ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ الصلواتُ جمعُ صلاةٍ، وهي الرَّحمةُ، والتَّكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير، وقيل: الصَّلواتُ: هي الرَّحمةُ في الدُّنيا، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ قيل: معناه: الموفَّقون للاسترجاع، وقيل: أي: اهتدوا إلى الرِّضا والتَّسليم.

(١٥٨) - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الصفا: الحجرُ الصَّلبُ الأملسُ الذي لا يُخالِطُه طينٌ ولا تراب ولا رملٌ، مأخوذٌ من الصَّفوةِ، وهي الخلوصُ، والمروةُ: هي الحجرُ اللَّيِّنُ، وقيل: الحجرُ الأبيضُ الذي يَبرُق، وقيل: سُمِّيَ الصَّفا؛ لأنَّه جلسَ عليه آدمُ صَفِيُّ اللَّه، وسُمِّيت المروة؛ لأنَّها جلسَت عليها امرأتُه حواء. ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ جمع شَعيرة، والشعائر أعلام المتَعبَّدات، من موقفٍ، أو مسعًى، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ أي: قصدَهُ مُحرِمًا بأعمالٍ مخصوصةٍ، ﴿أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أي: زارَ البيتَ مُحرِمًا بأعمالٍ مَخصوصةٍ، وأصلُه مِن عمارةِ بيت اللَّه بالعبادة. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؛ أي: لا إثمَ عليه أنْ يَسعى بينهما، و﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصلُه: يتطوَّف، أُدغِمَت التَّاء في الطَّاء، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: تَبرَّع بعد الحجِّ والعمرة بحجَّةٍ أُخرى أو عمرةٍ غيرِ الأولى، وقيل: أي: تَبرَّعَ بشيءٍ مِن الخيرات والطَّاعات في الدِّين. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ أي: قابلٌ يَسيرَ العملِ مِن المتَطوِّع، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمكافأته. وقيل: عليمٌ بنيَّتِه بهذا الطَّواف أنَّه ليس كطواف أهلِ

الشِّرك.

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾؛ أي: يُغيِّرون التَّوراة والهدى مِن صفةِ محمَّد ﷺ، وآيةِ الرَّجم، وتحويلِ القبلة، والحلالِ والحرام. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ أي: أوضحناهُ للنَّاس؛ أي: لبني إسرائيل، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي: في التَّوراة. ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أهلُ هذه الصِّفة عليهم لعنةُ الله ولعنةُ الخلائق، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ أي: كلُّ مَن على وجهِ الأرضِ غيرُ الثَّقلَين[1].

(١٦٠) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ مِن الكِتمان، ونَدِموا على ذلك. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أي: أصلحوا بالتمسُّك بالحقِّ والعملِ به ما أفسدوه، ويَحتمِلُ: وأصلحوا أحوالَ أنفسِهم بالتَّقرُّب إلى الله بصالح الأعمال. ﴿وَبَيَّنُوا﴾؛ أي: أظهروا ما كَتموهُ مِن الحقِّ للنَّاس. ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أقبلُ توبتَهم. ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ أي: أقبلُ التَّوبةَ، ولا أعاجِلُ بالعقوبة.

(١٦١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: جَحدوا نبوَّة محمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾؛ أي: أصرُّوا عليه حتَّى ماتوا على ذلك، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾؛ أي: طردَهم اللهُ، وبعَّدهُم عن رحمته، وتبرَّأ منهم. ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ودعا عليهم الملائكةُ وكلُّ النَّاسِ باللَّعن وتبرَّؤوا منهم، وقيل: النَّاس هم المؤمنون؛ لأنَّهم هم النَّاسُ في الحقيقة؛ لانتفاعِهم بالإنسانيَّة، فأمَّا الكفَّارُ فهم كالأنعامِ أو أضلُّ سبيلًا.

---

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٢٠)، وتفسير مقاتل (١/ ١٥٢)، والكشف والبيان (٢/ ٢٩).

(١٦٢) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في اللعنةِ؛ لأنَّهم إذا خُلِّدوا في النَّار، خُلِّدوا في الإبعاد عن رحمةِ اللَّه، وقيل: في النَّار؛ لأنَّ اللعنةَ توجبُ تعذيبَهم فيها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ لأنَّه لا يَنقطِع ولا ينقصُ منه شيءٌ، بل قيل فيهم: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]. ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾؛ أي: يُمهَلون للاعتذار، وقيل: أي: لا يجابون.

(١٦٣) - ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: معبودُكم وملجؤكم ربٌّ واحدٌ في ذاتِه، فلا يجوزُ عليه الانقسام والتجزؤ، وواحدٌ في صفاته؛ فلا نظيرَ له ولا شبيهَ، وواحدٌ في أفعاله؛ فلا شريكَ له ولا ظهير، وواحدٌ في استحقاق القِدَم؛ فلا شيءَ قبلَه، ولا شيء معه في الأزل، وواحدٌ في استحقاق الإلهيَّة والعبادة؛ فلا معبودَ إلَّا هو. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: بهذا فاعرفوهُ، ودائمًا فاعبدوهُ، ولا تَرجُوا غيرَهُ، ولا تَخافوا سواهُ، ولا تَتوكَّلوا إلَّا عليه، ولا تَعتمِدوا إلَّا إيَّاه. ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾؛ أي: المنعمُ على خَلْقِه؛ بإدرارِ رزقِه، وإسباغِ فضلِه، فهو مفزعُ كلِّ مضطرٍّ، وغياثُ كلِّ قانعٍ ومعترّ(١).

(١٦٤) - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: وما فيهما من العجائب، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾؛ أي: ذهابِ أحدِهما ومجيء الآخر، وزيادتِهما ونقصانِهما، وسوادِ أحدِهما وبياضِ الآخر. ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي﴾ الفلكُ: السَّفينةُ، والفُلكُ: السُّفنُ أيضًا، ويذكَّرُ ويؤنَّثُ، ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب،

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٤٥١)، والكشف والبيان(١/ ١٣٠٧)، والوسيط(١/ ٢٤٥)، ومعالم التنزيل (١/ ١٧٦)، والسمعاني(٢/ ١١٤)، والجامع لأحكام القرآن(٢/ ١٧٥).

وتُقبِلُ وتُدبِرُ بريحٍ واحدة. ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾؛ أي: بمصالِحِهم في التِّجارات وغيرِها. ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾؛ أي: وفيما أنزل، وقولُه: ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ أي: من مطر. ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: نَضَّر بالماء الأرضَ بعد ذهاب زروعها وتناثرِ أوراقها. ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: فرَّقَ في الأرض مِن كلِّ حيوانٍ يدِبُّ على وجه الأرض. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ أي: في تقليب الرِّياحِ شمالًا وجنوبًا، ودَبورًا وصبًا، ورحمةً وعذابًا، وحارَّةً وباردةً. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ السَّحابُ: الغيم، سُمِّيَ به لانسحابِه في الهواء؛ أي: انجراره. والمسخَّر: المذلل، وتسخيرُ السَّحاب: هو جعلُهُ مُنقادًا جاريًا على ما أجراهُ اللَّهُ تعالى عليه. ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: في هذه الأشياءِ علاماتٌ واضحاتٌ على ربوبيَّة اللَّه تعالى ووحدانيتِه وكمالِ قدرته للعقلاء.

(١٦٥) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ ونظمُهُ بما قبلَه أنَّه قال: ومع وضوحِ هذه الأدلَّة، مِن النَّاس أقوامٌ كفَّارٌ يتَّخذونَ الأصنامَ أشباهًا للَّه؛ أي: يتَّخذونها آلهةً يَعبدونها. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: غير اللَّه، والأنداد: الأمثال، والمراد بالأنداد ها هنا: هو آلهتُهم مِن الأوثان. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: يُحِبُّونَ الأندادَ كحبِّكُم للَّه، وقيل: أي: كحبِّهم للَّه. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؛ أي: أدومُ محبَّةً للَّه مِن الكفرةِ لأصنامِهم، ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ قرئت بياء المغايبة، وتأويلُه: ولو يَعلمُ الآن ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: كفروا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ والقدرةَ ﴿لِلَّهِ﴾ لا للأصنام، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ لِمَن عبدَها؛ إذ يرون العذابَ يوم القيامة؛ لَمَا

اتَّخذوها آلهةً، ولمَا عَبدوها، ولمَا قالوا: هم شفعاؤنا عند اللَّه، وما نعبدُهم إلَّا لِيُقرِّبونا إلى اللَّه زُلفى، فالرُّؤيةُ بمعنى العلم، وقرئت ﴿ولو ترى﴾ بتاء المخاطبة، ومعناه: ولو تَرى أنت يا محمَّدُ ﷺ الذين ظلموا؛ أي: المشركين، ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ يومَ القيامة: لرأيتَ أمرًا عظيمًا، وعلمت ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ أي: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أندادًا(١).

(١٦٦) - ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ هم المتبَوعُون القادةُ، والكبراءُ السَّادة. ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾؛ أي: مِن الأتباعِ ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾؛ أي: النار قبلَ أن يَدخلوها، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾؛ أي: الوُصَل، التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة وقيل: انقطعَت العهودُ والأيمانُ التي كانت بينهم، وقيل: انقطعت الأرحامُ والأنسابُ فيما بينهم، قال تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

(١٦٧) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾؛ أي: الأتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ﴿لَوْ﴾ كلمةُ تمنٍّ، والكَرَّةُ: الرَّجعةُ إلى الدُّنيا؛ أي: ليتنا نرجعُ إلى الدُّنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أَيْ: المُتْبُوعِينَ ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ اليوم، وهو يوم القيامة، وهذا الجواب للتمني.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما رأوا العذابَ، فكذلك يُريهمُ اللَّهُ ذلك، وقيل: كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض، وقيل: أي: كما تقطَّعت بهم الأسبابُ فلم ينتفعوا بها، فكذلك أعمالُهم تصيرُ حسراتٍ عليهم، فلا يَنتفعون بها. ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٤٦٥)، وجامع البيان(٢/ ٦٤)، وتفسير ابن أبي حاتم(١/ ٢٧٥)، والكشف والبيان(١/ ١٣١١)، والمحرر الوجيز(٢/ ٥١)، والبحر المحيط(١/ ٤٦٧).

حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الأعمال: التي عملوها من الحسناتِ بزعمهم، وأرادوا بها غيرَ اللَّه؛ يرونها حسراتٍ عليهم، فيَتحسَّرون حيث أبطلوها بشركهم، وقيل: أراد بها أعمالَهم السيِّئة التي عملوها في الشرك؛ فيرونَها حسراتٍ عليهم؛ حيث كانت مُحصاةً محفوظةً عليهم، فيَتحسَّرون عليها، هلَّا عملوا بدلَها حسنات والحسرةُ: الكمدُ على الفائت والتَّلهُّفُ عليه، وقيل: هو أشدُّ النَّدم، ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أي: هم خالدون فيها، وهذا ردٌّ لِما تمنَّوه.

(١٦٨) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ...﴾ وانتظامُه بما قبلَه أنَّ أعمالَ الكفَّار تصيرُ حسراتٍ؛ لأنَّها سيِّئات، والأعمالُ التي لا تَصيرُ حسرات هي الصَّالحات، وقرينُ العملِ الصَّالح أكلُ الحلال الطيِّب، قال اللَّه تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. والآية: نزلت الآيةُ في شأن بني خُزاعةَ وبني صَعْصَعة وبني مُدْلِجٍ؛ حرَّموا على أنفسِهم السَّمن والأقِط، فنزلَت الآية، وقيل: نزلَتْ في شأنِ عبد اللَّه بن سَلام وأصحابِه، حيث امتنعوا عن أكلِ لحومِ الإبل. ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فالحلالُ: ما أحلَّه اللَّهُ، والطَّيب: ما يُستَطابُ، والجمعُ بين اللَّفظَين لإثبات صفتَين، فالحلالُ: ما لا حَظْرَ فيه، والطَّيِّبُ: ما لا حذرَ فيه. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: آثارَهُ، وهي وساوسُهُ، والمعنى: لا تمشوا في طريقِ إبليسَ الذي يَدعوكُم إليه في تحريم هذه الأشياء، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ أي: مُبغِضٌ ظاهرٌ.

(١٦٩) - ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ أي: يأمرُكُم الشَّيطانُ ويَدعوكم إلى القبائحِ والفَضائح؛ فالسُّوء في الأصل ما يُكرَهُ، والفحشاءُ ما يُستَشنع،

والسُّوءُ خلاف الحسن، وقيل: السُّوءُ: ما خَفيَ مِن الآثام، والفحشاءُ: ما ظهرَ منها، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ويأمرُكم بأنْ تَقُولوا؛ أي: تكذبوا على اللَّهِ ما لا تَعلمون؛ مِن تحريم الحلال، وتحليل الحرام، وقيل: بل معناه أنَّه لا يَرضى منكم بالمعاصي، بل يدعوكم إلى الكفرِ، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن الصَّاحبةِ والولد، وما لا يَليقُ به(١).

(١٧٠) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ نزلَت في اليهود، دعاهم النبيُّ ﷺ إلى الإسلام، ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾؛ أي: وجدنا، وقيل: نَزلَت في مشركي العرب لمَّا قيلَ لهم: لا تتَّبعوا خطواتِ الشَّيطان، واتَّبعوا القرآنَ في التَّحريم والتَّحليل. ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من تحريم البحيرةِ وغيرِها، ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ الواوُ حرفُ عطفٍ، دخلت عليها ألفُ التَّوبيخ، فبَقيت مفتوحةً والمعنى: أو يتبعون آباءَهم وإن كانوا جهَّالًا؟ ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ مِن الدِّين، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ.

(١٧١) - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ فيه مضمَرٌ؛ أي: ومثلُ واعظِ الذين كفروا، يعني: مثلُ محمَّدٍ ﷺ مع الكفَّار، كمثلِ النَّاعق مع الغنمِ المنعوقِ بها، يقال: نعقَ الرَّاعي بالغنمِ ينعِقُ نعقًا، إذا صاحَ بها زجرًا. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ الدُّعاءُ: الذي قد يُسمَعُ وقد لا يُسمَع، والنِّداءُ: ما يُسمَع، وقيل: الدُّعاء: ما كان لطلبِ الفعل، والنِّداءُ: ما كان لطلبِ الجواب. ومعنى الآية: ومثلُ

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٤٧٠)، والكشف والبيان(١/ ١٣١٥)، وتفسير السمعاني في (٢/ ١٢١) ومعالم التنزيل(١/ ١٧٨)، والوسيط(١/ ٢٣٦).

هؤلاء الكفَّار الذين يقولون: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ في دعائك إيَّاهم، كمثلِ النَّاعقِ في دعائهِ البهائمَ التي لا تفهمُ، كالإبل والبقر والغنم، وقيل: معناه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في دعائِهم آلهتَهم، كمثل النَّاعقِ في دعائِه ما لا يَسمع، وذلك أنَّ البهائمَ لا تَفهمُ الكلامَ، وأقصى أحوالِ الأصنام أن تكون كالبهائمِ في أنَّها لا تفهمُ الكلامَ، فإذا كان لا يُشكِلُ عليهم أنَّ مَن دعا البهائمَ كان جاهلًا، فمن دعا الحجارةَ كان بصفة الجهلِ والذَّمِّ أولى. ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾؛ أي: هم لا يسمعون، بكم لا يتكلمون، عمية لا يرون، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: الموعظة، وقيل: لا يَستعملون عقولَهم.

(١٧٢) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ خصَّ المؤمنين بالأمر بأكل الحلال بعد ما عمَّ النَّاسَ به، والطيِّباتُ: الحلالات، وهي اللذيذاتُ. ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾؛ أي: على ما رزقَكم من الطَّيِّبات. ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: تُوَحِّدون؛ يعني: إن كنتم مؤمنين باللَّه، فاشكروا له؛ فإنَّ الإيمانَ يُوجِبُ ذلكَ، وهو مِن شرائِطه، وقيل: إن كنتم عازِمين على الثَّباتِ على الإيمان، فاشكروا له؛ فإنَّ تركَكُم الشُّكرَ يُخرجُكم عنه[1].

(١٧٣) - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾؛ أي: حرَّم عليكم ما ماتَ مِن غير ذكاة، ﴿وَالدَّمَ﴾؛ أي: الدَّمَ المسفوحَ، ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ وكلُّ أجزائه حرامٌ، وإنَّما خصَّ اللَّحمَ بالذِّكرِ؛ لأنَّه هو المعظمُ في قصدِ الأكل، ودخلَ فيه ما دونَه، ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: رُفِعَ فيه الصَّوتُ بذكرِ غيرِ اللَّه، وهو ما ذُبِحَ للأصنام،

---

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٥٥)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٩٩).

والإهلالُ: رفعُ الصَّوت بالتَّسميةِ، وكذلك بالتَّلبيةِ، وكذلك بذكرِ اللَّه عند رؤية الهلالِ، وبه سُمِّيَ الهلال، واستهلالُ الصَّبيِّ: رفعُ صوتِه عند الولادة، فإن قيل: لمَ لم يَذكر في هذه الآية سائرَ المحرَّمات؟، وذلك لأنَّها ليست لحصر المحرَّمات، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾؛ أي: أُلجِئ إلى أكلِ شيءٍ منها؛ بأنْ لا يجدَ غيرها، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ البغيُ في اللُّغة: مجاوزةُ الحدِّ، والعدوانُ: مجاوزةُ الحدِّ أيضًا، فقيل: هما واحدٌ، ومعناه: مجاوزةُ قدرِ الحاجة، والتَّكرارُ للتأكيد، كقوله: ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؛ أي: غيرَ متلذِّذٍ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: غيرَ متزوِّدٍ، وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؛ أي: ظالمٍ بأكلِه مِن غير ضرورةٍ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ يتعدَّى مِن الحلال إلى الحرام؛ أي: يتركُ حلالًا يَجدُهُ، ويختارُ هذا. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: لم يأثمْ بتناولِ هذه الأشياء عند الضَّرورة. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفورٌ لمن تابَ مِن تحريمِ ما أحلَّ اللَّهُ تعالى واستحلال ما حرَّم اللَّه، ﴿رَحِيمٌ﴾ هو بعبادِه فيما يَتعبَّدُهم به.

(١٧٤) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وانتظامُه بما قبلَهُ أنَّ المشركين -لعنَهم اللَّه- لمَّا وُبِّخوا بتحريم ما حرَّموا، واستحلالِ ما استحلُّوا، رَجعوا إلى أحبار اليهود، فسألوهم عن محمَّدٍ وعمَّا يقوله، فقالوا: إنَّه ليس بنبيِّ آخرِ الزَّمان، وليس حكمُ اللَّه ما يقولُه، وكَتَموا صدقَ محمَّدٍ ﷺ في دعوى الرِّسالة، وفيما أتى به من الأحكامِ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى فيهم هذه الآيةَ، وقد ذكرَ اللَّهُ تعالى قبل هذا كتمانَهم ذلك، ولكن لم يُبيِّن هناك غرضَهم في الكتمان، وبيَّن ها هنا، وهو قولُه تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، أي: يُؤثِرون عليه عوضًا قليلًا، وهو ما ينالونه من القادة والسَّفِلة، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي

﴿بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾؛ أي: لا يُلقونَ في بطونِهم إلَّا الحرامَ الذي يورِّثُهم أكلَ النَّار في الآخرة، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: كلامَ إكرامٍ، وقيل: أي: لا يُبَشِّرُهم، وقيل: أي: لا يُحيِّيهم، وقيل: أي: لا يخاطبُهم بما يحبُّون، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: لا يُطَهِّرُهم وإن آمنوا حينئذٍ؛ لأنَّه غيرُ مقبولٍ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: مؤلمٌ موجعٌ.

(١٧٥) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي: آثروا اليهوديَّة على الإيمان، والعقوبةَ على الغفران، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي: أيُّ شيءٍ صبَّرهم على النَّار؟ وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: ماذا حملَهم على الأعمال التي تُدخِلهم النَّار؟.

(١٧٦) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: ذلك العقابُ لهم بسبب أنَّ اللَّه نَزَّلَ التَّوراةَ بالحقِّ؛ أي: لا عبثًا، وأمر ببيان ما فيه، فكتَمُوه وحرَّفوه، وقيل: أي: ﴿ذَلِكَ﴾ الاجتراءُ منهم على العمل الذي يُورِدُهم النَّار ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: هو تحقيقُ ما أنزلَ اللَّه في القرآن فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وهم باقون في النَّار، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ أي: أهلَ الكتاب الذين خالفوا التَّوراةَ، وكَتَموا ما فيه من ذكرِ محمَّدٍ ﷺ، لفي خلافٍ للتَّوراة، ومعاداة له؛ أي: شاقُّوا اللَّهَ، وعادوه في الحقيقةِ، ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: خلافٍ بعيدٍ؛ أي: عن الوفاق الذي لا يُرجى العودُ عنه[١].

---

(١) جامع البيان (٢/ ٩٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٤٦)، والكشف والبيان (١/ ١٢٤٨)، وزاد المسير (١/ ١٧٧)، والبحر المحيط (١/ ٤٩٥).

(١٧٧) - ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ المعنى: ليس كلُّ البرِّ هذا؛ أي: لا يقعُ التَّقرُّبُ إلى اللَّه باستقبالِ الكعبة بالصَّلاة وحدَها، بل بأمورٍ أُخَرَ معها، قد أمرَ اللَّهُ تعالى عبادَه بها، والبِرُّ: اسمٌ جامعٌ للطَّاعات وأعمالِ الخير، وهو ضدُّ الفجورِ، ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي: مقابله، وقد نزل ردًا على اليهود والنصارى حين زعموا ذلك، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: ولكنَّ البرَّ برُّ مَن آمنَ باللَّه، وقيل: الإضمارُ في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾؛ أي: ولكنَّ صاحبَ البِرِّ مَن آمن باللَّه، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾؛ أي: صدَّقَ وأقرَّ بوحدانيَّته وبجميع صفاتِه، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: أقرَّ بالبعث بعد الموت، وبالدَّارِ الآخرة، وبما فيها، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾؛ أي: وآمنَ بأنَّ للَّه تعالى ملائكةً هم عبادُه ومخلوقوه، ليسوا بذكورٍ ولا إناث، ولا بشركاءَ ولا أولادٍ للَّه تعالى، ﴿وَالْكِتَابِ﴾؛ أي: وآمنَ بكتب اللَّه التي أنزَلَها على أنبيائه، ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾؛ أي: ومن آمن بأنبياءِ اللَّه تعالى ورسلِه أنَّهم مبعوثون إلى خلقِه، والقائمون بحقِّه، والصَّادقون عنه؛ في أمرِه ونهيه، ووعدِه ووعيده، وأخباره، وهذه أصولُ الدِّين وقواعدُ العقائد، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾؛ أي: أعطى مالَهُ مع حبِّ المال، وقيل: أي: مع حب اللَّه، ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾؛ أي: وآتى المالَ أقرباءَه، ووصلَ بذلك الرَّحِم، ﴿وَالْيَتَامَى﴾؛ أي: وآتى اليتامى، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾؛ أي: وآتى المساكين، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أي: وآتى عابرَ السَّبيل؛ أي: الغريبَ البعيدَ عن مالِه، وهو المسافر، فسمَّاه: ابنَ السَّبيل للزومِهِ إيَّاه، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾؛ أي: وآتى المحتاجين الذين يسألون. ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾؛ أي: وآتى المكاتَبين والأسرى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أي: المفروضتين، ﴿وَالْمُوفُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ الله أو الناس ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾؛ أي: في الفقرِ والمرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾؛ أي: في حالة القتال، ونزلَت الآية في حرب الأحزاب، وكانوا في غاية القحطِ والشِّدَّة والبرد والجوع، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: هم الموفون حقَّ الصِّدقِ قولًا وفعلًا وعقدًا، وحقَّ التقوى حظرًا وكراهةً وندبًا، والصِّدقُ فيما يُفعَل والتَّقوى فيما يُترَك(١).

(١٧٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ في الآية الأولى بيانُ حقِّ اللَّه تعالى وحقِّ العباد، ومِن أعظم حقوقِ العباد الدِّماءُ، ودلَّت الآيةُ على أنَّ الكبيرةَ لا تُزيلُ الإيمانَ، فقد خاطبَهم بالإيمان عند إيجابِ القصاصِ عليهم بقتل العمد الذي هو مِن الكبائرِ الذي وردَ فيها أشدُّ وعيدٍ وتهديد، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾؛ أي: فُرِضَ، والقصاص المماثلة، وهو إتباعُ الفعلِ فعلًا مثلَه، من قولك: قَصصتُ أثرَه؛ أي: اتَّبعتُه،، ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ أي: يُقتَصُّ؛ الحرُّ القاتلُ بالحرِّ المقتول، فلا يُتعدَّى إلى غير القاتل، ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ أي: العبدُ القاتلُ بالعبدِ المقتول، والأنثى القاتلة بالأنثى المقتولة ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ أي: فمَن أُعطي على سهولةٍ، وأريدَ به وليُّ القتيلِ، يقال: خُذ ما أتاكَ عفوًا؛ أي: سهلًا، ﴿مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: من جهةِ أخيه المقتول، وقوله: ﴿شَيْءٌ﴾ أي: شيءٌ مِن المال بطريق الصُّلح، ونكَّرَهُ لأنَّه مجهولُ القَدْرِ، فإنَّه يَتقدَّرُ بما تَراضيا عليه، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: فله اتِّباع؛ أي: فلوليِّ القتيل اتِّباعُ المُصالح بمعروف؛

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١/ ٢٩٧)، ومعالم التنزيل (١/ ١٩١)، والمحرر الوجيز(٢/ ٩١) التفسير الكبير(١/ ٥٦)، والجامع لأحكام القرآن(٢/ ٢٣٧ – ٢٣٨) والبحر المحيط(٢/ ١٥).

أي: مطالبةٌ ببدلِ الصُّلح على مجاملةٍ وحسن معاملة، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: وعلى المُصالح أداءٌ إلى وليِّ القتيل بإحسانٍ في الأداء، والآيةُ في عفو بعضِ الأولياء، ويدلُّ عليه قوله: ﴿شَيْءٌ﴾ فإنَّه يُرادُ به البعض، وتقديرُه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ﴾ عنه، وهو القاتل، ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ في الدِّين، وهو المقتول، ﴿شَيْءٌ﴾ مِن القصاص، بأن كان للقتيل أولياءُ، فعفا بعضُهم، فقد صار نصيبُ الباقين مالًا، وهو الدِّية على حِصصهم مِن الميراث، ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي: شَرعُ العفوِ، وشَرعُ الصُّلح على مالٍ: تخفيفٌ مِن اللَّه ورحمةٌ؛ فإنَّه على مرادِ العبد ورضاه، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: قتلَ قاتلَ وليِّه بعد العفوِ أو الصلح، وتعدَّى بذلك حدَّ الشرع، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو القصاصُ في الدُّنيا، والعقابُ في العُقبى.

(١٧٩) - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي: في شرعِه واستيفائه، فإنَّ مَن قصدَ قتلَ إنسانٍ، وعلم أنَّه يُقتَلُ به قصاصًا، امتنعَ عن قتلِه، فيبقى المقصودُ بقتله حيًّا، وكذا مَن قتل إنسانًا، وعلِمَ أنَّ أولياءَه يقتلونه تَشفِّيًا، فيقتلُهم لئلَّا يقتلوه، فإذا قُتِلَ قصاصًا بقوا أحياءً، وهي حياةٌ معنويَّة. ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: أصحاب العقول الراجحة، وهم المدركون وجوهَ الحكمة بالتَّفكُّر، فحضَّهم بذلك على التدبُّر، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: لتتَّقوا القصاصَ، فتكفُّوا عن القتل، وقيل: لتتَّقوا القتلَ حذرًا مِن القصاص[١].

(١٨٠) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي:

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٥٤٥)، معاني القرآن للزجاج(١/ ٢٥٠)، وجامع البيان(٢/ ١١٥) والكشف والبيان(٢/ ١٩٤)، والمحرر الوجيز(٢/ ٩٧).

فرض واتِّصالُ هذا بما قبلَه أنَّ الأوَّلَ حكمُ موتٍ مخصوص، وهذا حكمُ كلِّ موت، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾؛ أي: قارب، كما يقال: قد بَلَغْنا البلدَ؛ أي: قاربناه، وقيل: معناه: إذا حضرَ أحدَكم الموتُ؛ سبب الموت، وهو الأمرُ الذي يكون معه الموتُ في الغالبِ، من المرضِ ونحوه، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: علمَ أنَّه يتركُ؛ فإنَّ حقيقةَ التَّركِ تكونُ بعد الموت، أو لأنَّه إذا مرِضَ مرضَ الموت، تعلَّقَ حقُّ الوَرَثة بماله، فكأنَّه تركَهُ لهم، وقولُه: ﴿خَيْرًا﴾ أي: مالًا، قال تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]؛ أي: المال، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: كُتِبَ عليكم الوصيَّةُ للوالدين والأقربين، قيل: الأقربون: هم الأولادُ، وكانت الوصية للوالدين والمولودين قبلَ شرع المواريث، ثمَّ نُسِخَت هذه الوصيَّةُ بآية المواريث، وقيل: الأقربون أولى بالمعروف غيرُ الأولاد، فكانت المواريثُ أوَّلًا للأولاد، والوصيَّةُ للوالدينِ ولسائر الأقارب سوى الأولاد، وقيل: هذه الآيةُ غيرُ منسوخةٍ، وهذه الوصيَّة للوالدين والأقربين الذين لا يَرثون بسببِ الكُفر، وهم أهلُ ذِمَّة فيوصي لهم، وللأقرباء المسلمين المحجوبين بأقربَ منهم. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بما هو جميل في عُرفكم، كافٍ في اجتهادِكم، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: كتبَ ذلك عليكم حقًا، أو يحقُّ ذلك عليكم حقًّا إن كنتم تتَّقون اللهَ؛ أي: مَن كان متَّقيًا للَّه، لم يترك العملَ بهذا.

(١٨١)- ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: بدَّلَ قولَ الموصي، أو الإيصاءَ، أو الوصيَّةَ، ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أي: فمَن غيَّر ما أوصى به الموصي، فلم يَصرِفْهُ مصارفَه، فلا إثمَ على الموصي؛ لأنَّه أدَّى ما وجبَ عليه، وإنَّما

يَأثمُ المُغيِّرُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سمعَ كلامَ الموصي، وعلِمَ تبديلَ الوصِيِّ، وهو يُجازي كلَّ واحدٍ منهما بما يَستحقُّه.

(١٨٢) - ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ﴾؛ أي: فمَن علِمَ، ﴿جَنَفًا﴾؛ أي: ميلًا، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾؛ أي: فعلًا يأثمُ به، فقيل: الجنَفُ: الميلُ مِن غير قصد، والإثمُ ما يقعُ منه على عمدٍ؛ لأنَّه إنَّما يأثمُ بالقصد، فعُلِمَ به أنَّه أرادَ بالجنف ما وقعَ به الميلُ عن الحقِّ مِن غير قصدٍ، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: بين الميت والوَرثةِ والموصَى له، فصرفَ المالَ إلى الموضعِ المشروع، ونفَّذ في القدر المشروع، فلا إثمَ عليه في هذا التَّبديل من حيث الصُّورة، وهذا إذا تيقَّن بالفساد، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: غفورٌ للموصي إذا رجعَ إلى الحقِّ، رحيمٌ بالوَصيِّ إذا أصلحَ الأمرَ(١).

(١٨٣) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ اتِّصالُه بما قبله من وجوه: أحدها: أنَّه ذكرَ كتابةَ القِصاص، ثمَّ كتابةَ الوصيَّة، ثمَّ كتابةَ الصِّيام، والجامعُ بينها الكتابة، والثاني: أنَّ الجامعَ بينها التَّقوى، قال في ذكر أصول الدِّين وفروعِه في آخر الآية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال في القِصاص بعده: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال في الوصيَّة: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقال في الصوم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والثالث: أنَّ الوصيَّةَ قربةٌ بالمال، والصِّيامَ عبادةٌ بالبدن، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؛ أي: فُرِضَ عليكم،

---

(١) زاد المسير (١/ ١٤٢)، التفسير البسيط» (٣/ ٥٥٩)، معاني القرآن للزجاج(١/ ٢٥٢)، والبحر المحيط(٢/ ٣١)، والتيسير في التفسير (٣/ ٨٦)، ومدارك التنزيل (١/ ١٥٩).

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: لم أُخصَّكُم به، فقد فرضتُه على الأوَّلين، وفيه تخفيفٌ على الآخرين، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كلمة "لعلَّ" كلمةُ ترجٍّ؛ أي: أرجو به أنْ تصيروا متَّقِين بالشُّروع في الصَّوم، وفيه تجويعُ النَّفسِ عن الطَّعامِ والشَّراب، وفيه كسرُ الشَّهوات، فتَنالوا به درجاتِ المتَّقين، وتَستحقُّوا به ثَنائي الذي أثنيتُ به عليهِم، وجَعلتُ هذا الكتابَ هدًى لهم، فقلتُ في أوَّلِ هذه السُّورة: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: ٢].

(١٨٤) - ﴿أَيَّامًا﴾ نُصِبَ بِالصِّيَامِ أَوْ يَصُومُوا مُقَدَّرًا، ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان ووصفها بالمعدودات للتَّقليل، وهو للتَّسهيل على المكلفين، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ أي: فرضُ الصَّومِ في هذه الأيَّامِ إنَّما يَلزمُ الأصحَّاءَ المقيمين؛ فأمَّا المريضُ والمسافرُ، فلهما تأخيرُ الصَّوم عن هذه الأيَّام إلى أيَّام أُخَر، ثمَّ فيه مضمَرٌ، وتقديره: فأفطرَ، فعليه صومُ عدَّةٍ من أيَّامٍ أُخَر، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: يَقدِرون على الصَّوم؛ أي: بأن لا يكونوا مرضى أو مسافرين أن يفدوا عن كلِّ يومٍ طعامَ مسكين أي قدر ما يأكله في يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم، فلا يصوموا، وكان هذا في الابتداء، كان المطيقُ مخيَّرًا بين أن يصومَ وبين أن يفديَ ولا يصوم، ثمَّ نُسِخَ بما بعده من الآية، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ قيل: أي: تبرَّعَ فأطعمَ أكثرَ مِن مسكين، فهو أفضل، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾أي: الصومُ أفضلُ مِن الفديةِ والإفطار، وكان هذا في الابتداء، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم تعلمون غاية ثوابِ الصَّوم، وقيل: أي: إن كنتم علماءَ

مميِّزينَ، وتدبرتم؛ أي: علمتُم ما في الصَّومِ مِن معنى التَّقْوى والكرامات في الدُّنيا والآخرة.

(١٨٥) - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: الأيَّامُ المعدوداتُ شهرُ رمضان، وقيل: لمَّا تطاولَ ما بين الأيَّام المعدوداتِ وبينَ الشهر، ارتفعَ الشَّهرُ على إضمار: "تلك"؛ أي: تلك الأيَّامُ شهرُ رمضان، وقيل: معناه: كُتِبَ عليكم شهرُ رمضان أنْ تَصوموه، ﴿الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه، وقيل: معناه: أُنْزِل في بيان فضلِه أو فَرْضِ صومِهِ شيءٌ مِن القرآن، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: هاديًا إلى أصول الإيمان، ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: شرائعَ بيِّنةً ظاهرة، ﴿مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾؛ أي: مِن الدِّينِ الحقِّ، والفرق بين الحقِّ والباطل، فجاءَ يَهدي الحقَّ، ويُفرِّقُ بين الحقِّ والباطل، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾؛ أي: مَن حضرَ منكم، وأدركَ هذا الشَّهرَ، وهو شهر رمضان، والألفُ واللام لتعريف المعهود، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ هو أمر حتمٍ، وانتسخ به التَّخييرُ بين الصَّومِ والفداء والإفطار، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وفي إعادةِ هذا بعد ذِكرِه مرَّةً وجهان: أحدهما: أن الأوَّل كان لتخييرِ الصَّحيح المقيمِ بين الصِّيام وبين الفِداء والإفطار، ولتخيير المريضِ والمسافر بين القضاءِ وبين الفداء؛ إذا صحَّ هذا، وأقام هذا، وهذا حتمٌ للصِّيام في الشَّهر للصَّحيحِ المقيم، وحتمٌ للقضاءِ إذا صحَّ المريضُ وأقامَ المسافر، وثانيهما إنَّ الأوَّلَ اشتمل على حُكمِ الصَّحيحِ المُقيم، وعلى حكم المسافر، والمريض، ثمَّ نُسِخَ حكمُ الصَّحيح المقيم إلى الحتم بعدَ التخيير، فأُعيدَ حكمُ رخصةِ الإفطارِ في المَرَض والأسفار؛ ليُعلم أنَّه باقٍ غيرُ منسوخ، ﴿مَرِيضًا أَوْ

﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مريضًا أو مسافرًا، ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ إطلاقهُ يقتضي التخييرَ بين الجمع والتَّفريق، فوجبَ القولُ بإطلاقِه، ولم يَجُز تَقييده بالتَّتابع بخبر الواحد؛ لأنَّ النصَّ لا يُترَكُ به، وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ أي: في التَّرخيص في الإفطار في الأمراض والأسفار، ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة شهر رمضان، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾؛ أي: لتُعظِّموهُ بطاعتِهِ على ما هداكُم لأحكام شريعته، أي: ولتكبِّروا يومَ العيدِ التَّكبيرات الواردة فيه، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: ولتشكروا اللَّهَ على ما أنعمَ عليكم من النِّعمِ الدِّينيَّةِ والدنيويَّة؛ باللِّسانِ والقلبِ والبدن والمال[(١)].

(١٨٦) - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ سأل جماعة النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ أي: يا محمد ﷺ، ﴿عِبَادِي﴾ شرَّفهم بالإضافة إلى نفسِه، ﴿عَنِّي﴾؛ أي: عن صِفتي ومُعاملتي معهم إذا دعوني،: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: فقل، كما في سائر سؤالاتهم؛ لأنَّه، تولَّى جوابهم حين كان عنه سؤالُهم، وأرادَ به قربَ الإجابة والرَّحمة، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ كان سؤالُهم عن معاملةِ اللَّه تعالى إيَّاهم إذ ندموا على ما فعلوا، ودعَوا اللَّهَ تعالى بقَبولِ التَّوبةِ ومحوِ الحَوْبة، فعمَّ في الجواب أنَّه يجيبُهم فيما دعَوا، ويجيبُ كلَّ داعٍ فيما دعا، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: أنا أجيبُهم فيما دعوني، فعليهم أن يُجيبوني فيما دعوتُهم إليه بالأمر والنَّهي، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أي: يداوموا

---

(١) جامع البيان(٢/ ١٤٤)، والكشف والبيان(٢/ ٢٦٤)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن للأخفش(١/ ٣٥٢)، ومعاني القرآن للفراء(١/ ١١٢).

على الإيمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: ليبقوا على الرُّشد، وهو الاهتداء لمصالحِ دينِهم ودُنياهم[١].

(١٨٧) - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ ثمَّ أزال عنهم ما به كان يَقعُ الزَّللُ منهم، فقال: حُلِّلَ لكم ما كان حرامًا عليكم، ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ أي: في ليلة الصِّيام، وهي الليلةُ التي يُصبحُ الرَّجلُ في غداتِها صائمًا. ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَابِكُمْ﴾ أي: الإفضاءُ إليهنَّ لقضاءِ حاجاتِهم منهنَّ؛ مِن الجماع وغيره، والرَّفثُ هو: قولُ الفُحش، ثمَّ جُعِل ذلك اسمًا لما يُتكلَّمُ به عند النِّساء مِن معاني الإفضاءِ إليهنَّ، ثمَّ جُعِلَ كنايةً عن الجِماع وعن كلِّ ما يَتبعُهُ، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ أي: هنَّ سكنٌ لكم، وأنتم سكنٌ لهنَّ، وقيل: معناه: هنَّ سِترٌ لكم، وأنتم سِترٌ لهن؛ أي: عن الحرامِ في الدُّنيا، والنَّار في الآخرة أو تعففوا بذلك. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: كان اللَّهُ تعالى عَلِم في الأزل أنَّكم تكونون خائنين أنفسَكم في مباشرة النساءِ في ليالي الصَّوم، والخيانةُ ضدُّ الأمانة، وقد ائتمنَ اللَّهُ تعالى العبادَ على ما أمرَهم به ونهاهم عنه، فإذا عصَوهُ في السِّرِّ، فقد خانوه، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قَبِلَ توبتكُم فيما وقعَ لكم مِن ذلك، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ أي: محا أثرَ ذلك عنكم بالتَّجاوز، ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ أي: جامعوهنَّ، ﴿وَابْتَغُوا﴾ أي: واطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أحلَّ لكم من طلب الولد. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ هو إباحةُ الأكل والشُّرب، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ هو

---

(١) التفسير البسيط (٣/ ٥٩٩)، وتأويل مشكل القرآن (١/ ١٤١)، وجامع البيان (٢/ ١٦٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (١/ ٤٩).

بيان الغايةِ، ومعناه: حتَّى يَظهرَ لكم بياضُ النَّهار مِن سوادِ اللَّيل، وسُمِّي خيطًا؛ لأنَّه أوَّل ما يَظهرُ يكون دقيقًا كالخيط، ثمَّ ينتشر، وقيل: الخيطُ الأبيضُ: ابتداءُ ظهورِ النَّهار، والخيطُ الأسودُ: بقيَّةُ سوادِ اللَّيل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ هو للتبعيض، وهو دلالةٌ إلى أنَّه إذا ظهرَ شيءٌ مِنه، دخلَ وقتُ الصَّوم، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾؛ أي: أديموا الإمساكَ عن المباشرةِ والأكلِ والشُّرب في جميع أجزاء النَّهار، ومدَّهُ إلى غايةٍ، وهي دخولُ الليل، وذلك بغروب الشمس، والإتمامُ أداؤه على التَّمام. ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ أي: لا تجامعوا نساءكم في حال اعتكافِكم، وبيَّن أنَّ المباشرةَ تَحِلُّ في ليالي شهر رمضان، لكن لغير المعتكِف، والعاكفُ في اللُّغة هو المقيم، ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ دلَّ على أنَّ الاعتكافَ لا يَصِحُّ إلَّا فيها، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى أوامرَ ونواهٍ سبقَ ذكرُها، والمعنى: تلك تقاديرُ قدَّرها اللَّهُ تعالى، وأعلامٌ بيَّنها اللَّهُ تعالى، فلا تخالفوها. ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ في المنع من قوله: فلا تخالفوها؛ لأنَّه إذا لم يَقربْها، لم يُباشِرها، وسميت حدودًا؛ لأنَّها موانع ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أمرَهُ ونهيَهُ، ووعدَهُ وعيدَه، وأحكامَه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ليتَّقوا، وقيل: أي: الحكمة في البيان هي التَّقوى، وهي الائتمارُ والانزجارُ، دون مجرَّدِ السَّماع.

(١٨٨) - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾؛ أي: ومن تلك الحدودِ والآيات ألَّا يأكلَ بعضُكم مالَ بعضٍ بوجهٍ هو غير الوجوه التي أحلَّ اللَّه تعالى بها ذلك، ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾؛ أي: وتُلقوا، وهو من إدلاءِ الدَّلو في البئر؛ أي: إلقائِها فيها ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾؛ أي: طائفةً وبعضًا

منها. ﴿بِالْإِثْمِ﴾؛ أي: بالبيِّنةِ الكاذبة، أو اليمينِ الفاجرة. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: تَعلمون أنَّكم مُبطِلون وآكلونَ بالباطل، وقيل: وأنتم تعلمون وبالَ ذلك.

(١٨٩) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ انتظامُها بما قبلها أنَّ الأولى في منعِ أموالِ النَّاس عن أربابها، والثَّانية في تأخير أداءِ حقوق النَّاس عن آجالها، فإنَّ الأهلَّة مِن مواقيت آجالِ الدُّيون مِن الأموال، يقول: يسألونك يا محمد ﷺ عن الأهلة، والأهلَّة: جمع هلال، سُمِّيَ به لأنَّ الناس يرفعون أصواتَهم عند رؤيتِه، ومنه استهلالُ الصَّبيِّ، والإهلالُ بالحجِّ، ومنه ما أُهِلَّ به لغير اللَّه تعالى، ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ هي جمع ميقات، وهو الوقت أي: هي آجالُ الناسِ في ديونِهم، وعقودِ سَلَمِهم، وعِددٌ لنسائهم، ومقاديرُ لما قدَّروا لأيمانِهم، وغير ذلك من حقوق الخلق، وكذا حقوقُ اللَّه تعالى؛ من الصِّيام والفطرِ والأضحى، والزَّكاة، والحجِّ وأمورِهِ المتعلِّقةِ بأوقاتٍ مخصوصةٍ، وخصَّ مِن بين العبادات الحجَّ لأنَّه أهمُّ وأشقّ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقبًا تدخلون منه وتخرجون وتتركون الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برًا، وهي نازلة في الانصار، كانوا إذا حجُّوا فجاؤوا لم يَدخلوا مِن أبوابهم، ولكن مِن ظهورها، فجاءَ رجلٌ مِن قِبَل بابِه، فنزلَت هذه الآيةُ. ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ أي: البرَّ برُّ مَن اتَّقى، والتَّقوى: هو الائتمارُ بأمرِه، والانتهاءُ بنهيه. ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ أي: في حالة الإحرام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: تفوزون[١].

---

(١) بحر العلوم (١/ ١٨٨)، والدر المنثور (١/ ٣٦٧) وتفسير مقاتل (١/ ١٦٦)، والتفسير البسيط (٣/ ٦١٦).

(١٩٠) - ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولمَّا خرجَ النبيُّ ﷺ مِن المدينة يريدُ مكَّة، وكان بالحديبيةِ، وصدَّهُ المشركون عن ذلك، ثمَّ وقعَ الصُّلحُ على أن يرجعَ رسولُ اللَّه ﷺ مع أصحابِه، ثمَّ يجيءَ في العام المقبل، فيُخلوا له مكَّةَ ثلاثةَ أيَّامٍ، فيطوفَ بالبيتِ، وينحرَ الهديَ، ويفعلَ ما يَشاءُ، رَجعوا، ثمَّ خرجوا في العام القابلِ للعمرة، وخافوا ألَّا يفيَ لهم قريشٌ بذلك، وأن يَصدُّوهم عن المسجد الحرام، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه، وقيل: سبيلُ اللَّه تعالى هاهنا هو الحرم. ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾؛ أي: قريشًا إن صدُّوكم فقاتلوكم. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾؛ أي: لا تجاوزوا حدَّ الشَّرع؛ أي: لا تَبدؤوهم بالقتال. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: البادئين بالقتالِ في هذا الحال.

(١٩١) - ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: أين وجدتموهم، في الحلِّ والحرم، وفي الأشهُرِ الحُرُم وفي غيرِ الأشهر الحرم؛ أي: هم الذين هتكوا حرمةَ الحرمِ والشَّهر الحرام بالبداية، فجازوهم بمثلِه. ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ أي: من مكَّةَ. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾؛ أي: كفرُهم باللَّه، وتعذيبُهم المسلمين؛ أعظمُ إثمًا مِن قتلِكم إيَّاهم في الحَرَم. والفتنةُ تَقعُ على الكفر، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لا تَبدؤوهم به في الحَرَمِ كلِّه، والمسجدُ الحرامُ يقعُ على كلِّ ذلك. ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ أي: فإنْ بَدؤوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: القتل والإخراج جزاء من كفر بالله -جل جلاله-

(١٩٢) - ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: فإنْ لم يَبدؤوكم،

فكُفُّوا أنتم؛ فإنَّ اللّهَ غفورٌ رحيمٌ لكم بترِكِكم قتالَهم، وإن كانوا كفَّارًا، وقيل: أي: فإن امتنعوا عن القتالِ والكُفرِ وإيذاءِ الرَّسول وأصحابِه، وآمنوا، فإنَّ اللّهَ يَغفرُ لهم ما سلفَ مِن ذنوبهم ويرحمُهم.

(١٩٣) - ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾؛ أي: إذا نقضوا العهدَ، فقاتلوهُم بعد ذلك إلى أن يُسلِموا، ولا يَبقى كفرٌ، ويكونَ الدِّينُ الظَّاهرُ هو الإسلام، ولا تَعقِدوا بعدَه عهدًا لترك القتال بعد نقضِهم هذا العهد. ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: فإن امتنَعوا عن الكفرِ والقتال، لم يَبقَوا ظالمين، فلا تُقاتِلوهم؛ فإنَّه لا عدوانَ إلَّا على الظَّالمين؛ أي: لا جزاءَ على العدوان إلَّا لمن كان مِن أهلِ الظُّلم والعدوان(١).

(١٩٤) - ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾.سبب نزول هذه الآية: أنّ النبيّ ﷺ أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي، فصدهم المشركون، فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلاح، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل أقبل هو وأصحابه فدخلوها، وكان دخولهُم مكَّة للعمرة في ذي القَعدة، وكانوا صدُّوهُ في العام الماضي عن المسجدِ الحرام في ذي القَعدة، فافتخر المشركون عليه إذ ردوه يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردوه فيه فنزل قوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾أي: الشهر الحرام الذي

(١) الكشف والبيان(٢/ ٤١٣)، ومعالم التنزيل(١/ ٢١٤)، والجامع لأحكام القرآن(٢/ ٣٥٤)، وجامع البيان(٢/ ١٩٥، ١٩٦)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ٢٦٥).

دخلتم فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول والمعنى: ذو القَعدة من هذه السَّنة قصاصٌ بذي القَعدة من العام الماضي. ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: اقتصصت لكم منهم في ذي القعدة كما صدوكم في ذي القعدة. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: من قاتلكم في الحرم فقاتلوه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: ائتمِروا بأوامره وانزجِروا بزواجِره. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: ناصر الذين يَقفون عند حدودِ أمره ونَهيه.

(١٩٥) - ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: استَعِدُّوا، وأعِدُّوا لغيركم، وتَعاونوا، وسبيلُ اللَّه تعالى: هو طريقُ الغَزوِ، وكذا كلُّ طريقٍ يُبتغَى فيه رضا اللَّهِ تعالى فهو سبيلُ اللَّه، ووجهُ ذلك أنَّ مَن قصدَ مقصدًا طلبَ إليه سبيلًا، فمعناه: هذا وجهٌ يُلتمَسُ به رضا اللَّه تعالى، والوصولُ إلى ثوابِ اللَّه تعالى، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي: لا تستسلموا للهلاك؛ أي: لا تَمتنِعوا عن القتال لأجل الشَّهر الحرام إذا بَدؤوكم، فتكونوا قد استَسلمتُم للهلاك، والعربُ تقول لمن استسلم للهلاك ولم يَدفَع عن نفسِه: ألقى بيديه، وأعطى بيديه، وقيل: لا تُهلِكوا أنفسَكم بترك الإنفاقِ في سبيل اللَّه تعالى على المحتاجين مِن أصحابِكم، وهو هلاكُ النَّفس بعقوبةِ الآخرة، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾؛ أي: إلى الفقراء بإعطاء المال، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الفاعلين لذلك.

(١٩٦) - ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أدُّوهما تامَّين، ولا تُنقِصوا منهما شيئًا، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي: مُنِعتُم بمرضٍ أو عدوٍّ. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾؛ أي: فعليكم ما تيسَّرَ مِن الهدي، تبعثونَهُ، فيُذبَحُ في محلِّه، فتَتحلَّلون. ﴿وَلَا تَحْلِقُوا

رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ أي: لا تتحلَّلوا بحلقِ الرَّأس إلى أن يَصِلَ هذا الهديُ المبعوثُ إلى مَحِلِّه؛ أي: موضعِه الذي يَحِلُّ ذبحُه فيه، وهو الحرمُ، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ وهو ما يُؤذِيه؛ أي: يُتْعِبُه ويَشُقّ عليه؛ من صُدَاعٍ أو غيره. ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي: فحلَق، فعليه فديةٌ، هذا مضمَرٌ، ﴿مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ نزلت الآيةُ في حق كعبِ بنِ عُجْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مرَّ عليه رسولُ اللَّه ﷺ والقَمْل تتهافتُ في وجهِه، فقال له: "يا كعب، أيؤذيكَ هوامُّ رأسِك؟" قال: نعم، فنزلت الآية، فأمرهُ النَّبيُّ ﷺ أنْ يَصومَ ثلاثةَ أيَّامٍ، أو يَتصدَّقَ بثلاثةِ أصوعٍ مِن حنطةٍ على ستَّة مساكين، على كلِّ مسكينٍ بنصف صاعٍ، أو يذبحَ شاةً، والنسك: ما يُنسَكُ؛ أي: يُذبَح، وأصله: ما يُتقرَّبُ به إلى اللَّه تعالى. ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: مِن المرضِ، أو العدو، وهو الذي وقعَ به الإحصارُ، ثم قيل: هاهنا إضمارٌ؛ أي: فاقضوا ما تحلَّلتُم عنه بسبب الإحصار ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ أي: أتى بالمتعةِ، وهو أنْ يُحرِمَ بالعمرة في أيَّام الحجِّ، فيأتي بأفعالِ العُمرة، ويتحلَّل منها، ثمَّ يُحرِم بالحجَّة مِن عامه ذلك، فيحُج، سمِّيَت بها؛ لأنَّه انتفاعٌ بنُسكَينِ في وقتٍ واحدٍ، في سفرٍ واحدٍ[1]، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ وهو شاةٌ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾؛ أي: الهديَ، ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: فعليه صيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ في أيَّام الحجِّ، وهي في تسع ذي الحجَّة، إن شاءَ تابعَ، وإن شاء فرَّقَ؛ لأنَّه مطلَقٌ. ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: وعليكم صيامُ سبعةِ أيَّامٍ إذا رجعتُم من الحجِّ؛ أي: فرغتُم منه ﴿تِلْكَ

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ٥)، وجامع البيان(٤/ ٩) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٣٣)، وزاد المسير(١/ ٢٠٤).

﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؛ أي: تامَّةٌ في البدلِ عن الهدي لا نقصان فيها. ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: ذلك التمتُّعُ للذي لا يَسكنُ مكَّةَ، وإنَّما ذكرَ الأهلَ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الإنسانَ يَسكنُ حيث يَسكنُ أهلُه، فعبَّرَ بسكونِ الأهلِ عن سكون نفسه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: اتَّقوهُ، فلا تخالفوا ما أمرَكم به وما نهاكم عنه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن لم يتَّقِه؛ أي: فهو أهلٌ أن يُتَّقى فإنَّ عقابَه شديدٌ.

(١٩٧) - ﴿الْحَجُّ﴾ أي: وقتُ أوان الحجِّ؛ لأنَّ الحجَّ فعلٌ، والفعلُ لا يكونُ أشهرًا، فعُلِم ضرورةً أنَّه أريدَ به وقتُه، وهو متعارَفٌ ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ هي شوَّالُ، وذو القَعدة، وعشرٌ من ذي الحجَّة، وإنَّما لم يُسَمِّها بأعيانها في الآية؛ لأنَّها كانت معروفةً عندهم على ما توارثوه. ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾؛ أي: في هذه الأشهرِ، ومعنى ﴿فَرَضَ﴾؛ أي: أحرمَ بذلك، وأوجبَهُ على نفسِه، وأصلُ الفَرضِ: إيجابُ الشَّيءِ مقدَّرًا، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: فلا يَرفث، نفيٌ بمعنى النَّهي، وهو الجماعُ وما دونَهُ مِن شأنِ النساءِ مِمَّا يُفضِي إلى ذلك، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ أي: فلا يفسق، وأصلُه: الخروجُ عن الطَّاعة، وتكلَّموا في المراد به هاهنا، قيل: هو السِّباب، وقيل: هو الذَّبحُ للأصنام، وقيل: إنَّه المعاصي كلُّها. وهو الصحيح. ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾؛ أي: لا يُجادِلُ غيرهُ جِدالًا يُفضِي إلى التَّضاغُنِ وزوالِ التَّآلفِ، فأمَّا الجدالُ على وجهِ النَّظرِ في أمرٍ مِن أمور الدِّين بالدَّليل، فلا بأسَ به. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ أي: ما عملتموهُ مِن أعمال الحجِّ وغيرِه مِن فرضٍ أو نفلٍ، فإنَّ اللَّه عالمٌ به، حافظٌ له، يجزيكم عليه. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ قيل: ادَّخروا

لأنفسِكم الخيرَ بتقوى اللَّه تعالى؛ في الائتمار بأوامره، والانتهاءِ بنواهيه؛ فإنَّ تقوى اللَّهِ خيرُ ما يُتزوَّدُ ويُدَّخر؛ فإنَّه باقٍ، وغيرُه فانٍ، وعامَّةُ المفسِّرين على أنَّه أمرَ بأخذِ الزَّادِ إذا خرجوا للحجِّ وألَّا يتَّكِلوا على مسألةِ النَّاس، وكان أهلُ اليمن يَخرجون بغيرِ زاد، ويقولون: نتوكَّل على اللَّه تعالى. ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: واخشَوني، أيُّها الذين مَنَنتُ عليهم بالعقول التي هي آلاتُ التَّمييزِ ومعاوِن التَّدبير، فيَسهُلُ معها التَّقوى والتَّفكير[١].

(١٩٨) - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: لا إثمَ عليكم في أن تتَّجِروا في طريق الحجِّ، فأخبرَ اللَّهُ تعالى أنَّ ما كان مباحًا مِن أمورِ الدُّنيا، ولا بدَّ منه لإقامةِ المعاش، فلا مَنْعَ عنه. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ أي: رجعتُم منها بعد الوقوفِ بها، وحقيقةُ الإفاضةِ هاهنا هو اجتماعُ الكثيرِ في الذَّهاب والمسير ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أي: صلُّوا للَّه تعالى، وهي المغربُ والعشاءُ جمعًا في وقتِ العشاء، وقولُه: ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أي: المزدلفة، والمشعر: المعْلَم؛ أي: للعبادة، والشَّعائرُ: العلامات، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ فيُحمَلُ هذا على الصَّلاة؛ لزيادةِ الإفادة، والذِّكرُ يَجيءُ بمعنى الصَّلاة، وقيل: اذكروه بألسنتِكم على الوجوه الذي علَّمكم، وإنْ كنتُم لا تَهتدون إليه قبل ذلك، وقيل: واذكروه بالشُّكرِ على ما هداكُم للدِّين الحقِّ، وقد كنتم قبل ذلك من الضَّالِّين عن الهُدى.

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ٤٥)، والنكت والعيون (١/ ٢٦٠)، والبحر المحيط (٣/ ٨٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٢٧٢).

(١٩٩) - ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: ارجعوا يا قريش مِن عرفات كما يرجع سائرُ النَّاس منها، وهو أمرٌ بالوقوفِ بعرفات، والإفاضة هاهنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين على أنها الإفاضة من عرفات، فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾، ثم أفيضوا من عرفات؟! غير أن وجه الكلام على: أن فيه تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: أفيضوا الآن كما أُمِرتُم، واستغفرُوا لِما سلفَ منكم، يَغفر لكم اللَّه ويَرحمكم.

(٢٠٠) - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾؛ أي: فإذا أتممتُم أمورَ حجِّكم، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ أي: احمدوهُ وأثنوا عليه بما أنعمَ عليكم، كما تذكرون آباءَكم بإنعامٍ منهم يكون عليكم. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي: بل أشدَّ ذكرًا، فإنَّ نِعمَ اللَّه تعالى غيرُ محصورةٍ. ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾؛ أي: مِن الذين يَشهدون الحجَّ مَن يَسألُ اللَّهَ حظوظَ الدُّنيا، فيقول: يا ربَّنا أعطِنا في الدُّنيا؛ أي: الجاهَ والغِنى والنُّصرةَ على الأعداء، وما هو مِن الحظوظِ العاجلة. ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي: نصيب، والمراد بهم: قيل: هم الكفَّار؛ لأنَّهم كانوا يُعظِّمون البيتَ، فيَحجُّونَهُ، ويَدعونَ بحوائجِ الدُّنيا دون الآخرة، فإنَّهم كانوا يَجحدون البعثَ بعد الموت، فذكرَ اللَّهُ تعالى أنَّه لا حظَّ لهم في الآخرة ممَّا ينالُه المؤمنون مِن الجنَّة وأنواعِ الكرامة، وقيل: هم المؤمنون الذين يَسألون الدُّنيا دون

الآخرة، وهو ذنبٌ منهم؛ إذ سألوا اللَّهَ تعالى في أشرفِ المشاهدِ حُطَامَ الدُّنيا، وغَفَلوا عن نعيمِ العقبى.

(٢٠١) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾؛ أي: ومِن الذين يَشهدون الحجَّ مَن يَسألُ اللَّهَ تعالى خيرَ الدُّنيا والآخرةِ، والحفظَ مِن نار جهنَّم، والحسنةُ كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ الخيراتِ في الدَّارين ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: احفظْنا مِن عذابِ جهنَّم.

(٢٠٢) - ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾؛ أي: هؤلاء الذين سألوا الحسنتين، لهم حظٌّ صالحٌ بما حجُّوا على الوجهِ، وسألوا على العلم، وقيل: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يرجعُ إلى الفريقين، ومعناه: لكلِّ واحدٍ منهم جزاءٌ على وفقِ عمله، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: سريعُ الجزاء على الأعمال، وفيه إشارةٌ إلى الجزاء على الخير والشرِّ جميعًا، فيوافقُ القولَ الذي مرَّ أنه في الفريقين[١].

(٢٠٣) - ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ هي أيَّامُ التَّشريقِ، وهي أيَّامُ رميِ الجِمار، وهي ثلاثةٌ بعدَ اليوم العاشر من ذي الحجَّة، وهو أمرٌ بالتَّكبير وغيرِه عند رمي الجِمار فيها. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: تعجَّلَ بالرُّجوع، واكتفى برمي الجِمارِ في يومين من هذه الأيَّام الثَّلاثة، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لا يأثمُ بهذا التَّعجيل، وهو مرخَّصٌ له، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾؛ أي: رمى في الثَّلاثة الأيام، ثم رجع، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي: فلا يبقى عليه إثمٌ مِن آثام عمره إذا اتَّقى اللَّهَ تعالى

---

(١) النكت والعيون(١/ ٢٦٣)، والجامع لأحكام القرآن(٣/ ١)، وأحكام القرآن للجصاص(١/ ٣٩٤) والتفسير الكبير(٥/ ٢٠٨)، وجامع البيان(٢/ ٣٠٢ - ٣٠٣).

في هذا الحجِّ، فإنَّه يُتقبَّلُ منه، وقيل في نزوله: إنَّه كان يتعجَّل بعضُهم، ويتأخَّرُ بعضُهم، فيَعيبُ هذا على هذا، وهذا على هذا، فنزلَت الآيةُ أنَّه لا عيب على متعجِّل ولا على متأخِّر، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: في أوامرِه ونواهيه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تُبعثونَ وتُجمَعون وتُجزَون بما كنتم تعملون.

(٢٠٤) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّه ذكرَ فريقين يَشهدون الحجَّ؛ كفَّارٌ يَسألون الدُّنيا، ومؤمنون يَسألون الآخرة، ثمَّ ذكر فريقًا ثالثًا، وهم المنافقون الذين ظاهرُهم مع هؤلاء، وباطنُهم مع هؤلاء. ﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: يَروقُكَ كلامُه وفصاحتُه. ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾؛ أي: يَستشهِدُ باللَّه أنَّ ما يُضمِرُه موافقٌ لِما يُظهِرُه، فيقول: أشهدُ باللَّه إنِّي لمخلص. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾؛ أي: شديدُ المخاصمة، وقيل: الألف في الألد للتَّفضيل، وجعل الخِصامَ جمعَ خصم؛ أي: هو ألجُّ الخصوم؛ أي: أشدُّهم لجاجًا.

(٢٠٥) - ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾؛ أي: إذا رجعَ وأعرضَ عنك هذا المنافقُ، سعى في الأرض بالإفساد، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ أي: مرَّ على زرعِ مسلمٍ فأحرقَه، وعلى أتانٍ له فعقرَها، والحرثُ هو الزَّرعُ، وأصله الشَّقُّ، وقد حرثَ الحرَّاثُ؛ أي: شَقَّ الأرضَ وبذرَ فيها، والنَّسلُ: ما خرجَ مِن كلِّ أُنثى من أجناس الحيوان، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي: لا يَستحْسنُه ولا يَرضاهُ[١].

(١) التفسير البسيط (٤/ ٧٩)، وجامع البيان(٢/ ٣١٩)، والكشف والبيان(٢/ ٦٤٨ - ٦٥١)، الوسيط(١/ ٣١١)، والبحر المحيط(٢/ ١١٧).

(٢٠٦)- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: إذا خُوِّفَ هذا المنافقُ باللَّه تعالى، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾؛ أي: حملتهُ حميَّتُه وعزَّتُه في نفسِه على ردِّ النُّصح، وإظهارِ الغضبِ، والإصرارِ على الفساد، ﴿بِالْإِثْمِ﴾ أي: بسببِ الإثم الذي في قلبِه، وهو النِّفاقُ وحبُّ الفساد، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: كافيهِ دخولُ النَّار والخلودُ فيها؛ جزاءً على عملِه، وهو وعيدٌ شديدٌ، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾؛ أي: ولبئسَ ما مهدَ لنفسِه في الآخرة؛ أي: وطَّأ وهيَّأ.

(٢٠٧) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لمَّا ذكر في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ﴾ واحدًا مَذمومًا من أعدائِه، ذكرَ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ واحدًا محمودًا من أوليائه، ترغيبًا للنَّاس، وترهيبًا، وتعريفًا للنَّاس أنَّه لا يجعلُ المسيءَ كالمحسن. ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: يبيعُها مِن اللَّه تعالى يبتغي بذلك أنْ يكونَ ثمنُها رضا اللَّه تعالى، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ أي: هو في غايةِ الرَّحمةِ بهم، ولهذا عوَّضَهُم النَّعيمَ المقيمَ على عملٍ منقطع.

(٢٠٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ قيل: هو خطابُ المنافقين؛ أي: يا أيُّها الذين آمنوا ظاهرًا، ادخلوا في الإسلام جميعًا باطنًا، وقيل: هو خطابٌ لأهل الكتاب؛ أي: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ببعض الرُّسُل والكتب، ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾؛ أي: آمِنوا بمحمَّدٍ ﷺ وكتابِه، وادخلوا في الاستسلام للَّه تعالى جميعًا على التمام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: وساوسَه في الإقامةِ على النِّفاق، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ أي: يريدُ تخليدَكُم في النَّارِ بعداوته

الظاهرة لكم.

(٢٠٩-٢١٠) - ﴿فَإِنْ زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: مِلتُم عن الإخلاصِ، وثبتُّم على النِّفاق بعد ظهورِ الحجج، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: يَنتقمُ منكم في الدُّنيا والآخرة. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون؟ ﴿هَلْ﴾ استفهامٌ بمعنى الجحد ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: ما يَنتظرون إلَّا أنْ يأتيَهُم اللَّهُ تعالى بظُلَل مِن الغَمام فيها العذاب، فيهلكَهُم بها، كما فعلَ بقومِ يونسَ، وقوم عادٍ، وقوم شعيبٍ، ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ جمع ظُلَّة، وهي السُّترةُ، ومعناها القطعةُ منه، والغَمامُ: السَّحاب، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي: وتأتي الملائكةُ، ويَجوزُ وصفُهم بالإتيان، والمراد به حضورُهم يومَ القيامة للحساب مع الخلق، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فُرِغَ مِن حساب الخلقِ، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل وقيل: أي: انقضَت الدُّنيا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾؛ أي: مرجِعُ الأمور في الخَلْقِ وأعمالِهم إلى الله تعالى، هو القاضي بينهم يومَ القيامة، والمثيبُ، والمعاقِبُ.

(٢١١) - ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾؛ أي: سل يا محمَّدُ ﷺ هؤلاءِ الموجودين؛ من في عصرِك مِن رؤساء بني إسرائيل، وهم اليهودُ، ﴿كَمْ آتَيْنَاهُم﴾ ﴿كَمْ﴾ كلمةُ تكثيرٍ، وقولُه تعالى: ﴿آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ أي: كم جئناهم بآيةٍ واضحةٍ، لا يَخفى على المفكر أنَّها مِن عند اللَّه، وقيل: معناه: كم أعطيناهم في كتابِهم مِن آيةٍ دالَّةٍ على صدق نبوَّتك، فكتَموها، وكفروا هذه النِّعمة؟! وهذه الآياتُ والدَّلائلُ نعمةٌ مِن اللَّه تعالى؛ لأنَّه يُهتَدى بها، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ وتبديلُهم إيَّاها: كفرُهم بها، وتركُهم الشُّكر عليها،

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمن بدَّلَ النِّعمةَ في الدُّنيا والآخرة، وقد عاقَبهم في الدُّنيا بالقتل، وذلك في بني قريظة، وبالإجلاء، وذلك في بني النَّضير، ويوم القيامة يُعذَّبون في السَّعير(١).

(٢١٢) - ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: إنَّما بدَّلوا نعمةَ اللَّه تعالى لَمَّا زُيِّن لهم هذه الحياة الدُّنيا الفانية، قيل: اللَّهُ تعالى زَّينها لهم؛ إذ خلقها شهيَّةً لذيذةً؛ ابتلاءً لعباده، وقيل: المزيِّنُ هو الشيطان لعنه اللَّه، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: يهزؤون، ويقولون: تَركوا لذَّات الدُّنيا، وعذَّبوا أنفسَهم بالعبادات، وفوَّتوا الرَّاحاتِ مِن غير نفعٍ يكون لهم اليوم أو غدًا، فأخبر اللَّهُ أنَّهم قد حصَّلوا بذلك لأنفسِهم نِعمَ الآخرة وكراماتِها، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: يكونُ المؤمنون في علِّيِّين، والكفَّار في سجِّين، وكانوا في الدُّنيا منهم يضحكون، وغدًا المؤمنون منهم يضحكون، على الأرائك ينظرون، وقيل: السَّاخرون هم المنافقون للمُخلِصين، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قيل: في الدُّنيا؛ مَن يشاء مِن مؤمنٍ وكافرٍ بغيرِ تقدير، وقيل: أي: يُعطِيهم في الجنَّة، مِن غيرِ محاسبةٍ لهم على طاعاتِهم؛ ليعطيهم بقدرها، بل تفضُّلًا منه بالكثير.

(٢١٣) - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ذكرَ الكفَّارَ وسُخريتَهم مِن المؤمنين، فصاروا قسمين، ثمَّ أخبرَ أنَّهم كانوا في الأصل قِسمًا واحدًا، والمعنى: كان النَّاس مجتمعين على الدِّين الحقِّ في عهد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: في عهدِ نوحٍ بعد هلاك الكفَّار إلى وقت صالحٍ وهود، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾: فبعث اللَّهُ تعالى الرُّسلَ

(١) جامع البيان(٢/ ٣٣١ - ٣٣٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٢٠١)، والبحر المحيط (٢/ ١٢٥).

بالدِّين الحقِّ، وأصل الأمَّةِ: القومُ المجتمعون على الشيءِ، يَقتدي بعضُهم ببعض، وهو مأخوذٌ من الائتمام، وقد يجتمعون على الحقِّ، وقد يجتمعون على الباطل، وأمَّةُ محمَّدٍ ﷺ هم المقتدونَ به، المجتمعون على الحقِّ. ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾؛ أي: ليبشِّروا مَن أطاع بالجِنان، ولِيُنذروا مَن عصى بالنِّيران، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾؛ أي: الكُتُب، ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: لبيانِ الحق، وقيل: أي: بالعدل. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: ليحكمَ الكتابُ بينهم؛ أي: يكونَ مرجعًا لهم، محفوظًا بينهم، يتلونَهُ وَيقفون على أحكام الشَّرعِ بما فيه، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: وما اختلفَ في الحقِّ المختلفون فيه قبل مجيءِ النَّبيين إلَّا الذين كانوا أوتوا الحقَّ وجاءَتهُمُ البيِّناتُ، إلَّا أنَّهم تَباغوا وتَحاسدوا؛ طلبًا للرئاسةِ وميلًا إلى الدُّنيا، وقيل: للاختلاف معنيان؛ أحدهما: التَّبديل، والثاني: كفرُ بعضِهم بكتاب بعض، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: فهدَى اللَّهُ تعالى المؤمنينَ لما اختلفَ فيه المختلفون؛ أي: لمعرفةِ الحقِّ ممَّا اختلفوا فيه، أو لتَصحيحِ ما اختلفُوا فيه، ﴿بِإِذْنِهِ﴾ قيل: بأمرِه؛ أي: أمرَهم بما هو الحقُّ، فكان ذلك هدايةً وإرشادًا إلى الحقِّ، وقيل: هداهم؛ أي: خلقَ فيهم فعلَ الاهتداء، وذلك بإذنِه؛ أي: بعلمِه، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بيَّنَ أنَّ مشيئتَهُ خاصَّةٌ في الهداية، والمعنى: واللَّهُ يَتفضَّل على مَن يشاءُ بالهداية إلى صراطٍ مستقيم[(١)].

(١) التيسير في التفسير (٣/ ١٦٧)، وجامع البيان (٣/ ٦٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٧٦)، والكشف والبيان (٢/ ١٣٣).

(٢١٤) - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي: أظننتم؟ وهو استفهامٌ بمعنى الإنكار، يعني: يا أصحابَ محمَّدٍ ﷺ، أتظنُّون أنَّكم تَنالون الجنَّة مع أنَّه لم يُصِبكم مثلُ ما أصابَ مَن قبلَكم مِنَ الشَّدائد؟، وقيل: نزلَتْ يومَ الأحزاب حيثُ أصابَهم الجوعُ والبردُ والخوف.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: لم يأتِكم مَثَلُ ما أتى الذين مضَوا من قبلِكم، ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾؛ أي: أصابَتهُمُ الشِّدَّةُ مِن الخوفِ والجوعِ والفاقة، وهي البأساءُ، وأصابتهُمُ الآلامُ والأمراض، وهي الضرَّاء.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾؛ أي: حُرِّكوا أشدَّ التَّحريك، والزَّلزلةُ تضعيفُ الزَّلَّة، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ أي: إلى أن يقولَ الرَّسولُ كذا. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أي: قال الرَّسولُ والمؤمنون جميعًا: أيُّ وقت فرجُنا الموعود؟ وهذا ليس بشكٍّ فيما وُعِدوا مِن النَّصر.

(٢١٥) - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ اتِّصالُه بما قبلَه أنَّ الأوَّل في القتال بالنَّفس، وهذا في التقرُّب بالمال، واللَّهُ تعالى أمرَ بالمجاهدةِ بالنَّفسِ والمال، و﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ "ذا" في معنى الذي؛ أي: ما الذي ينفقون؟ و"ما" مبتدأ، و"ذا" خبرُه، وقيل: إنهما شيءٌ واحد، وتقديره: أيَّ شيءٍ؟ وهو منصوبٌ بـ: ﴿يُنْفِقُونَ﴾، والآيةُ نزلَت في شأن عمرو بن الجموح الأنصاريِّ؛ فإنَّه لمَّا نزل قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ جاء وسألَ النَّبيَّ ﷺ، فقال: كم نُنفِق؟ وعلى من نُنفِق؟ فنزل جواب السُّؤالين في آيتين من هذه السورة، جوابُ قوله: كم ننفق؟ في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، وجواب قوله: على من ننفق؟ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا

﴿أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: قل يا محمَّد ﷺ: أيَّ شيءٍ أنفقتُم من مالٍ، والمالُ يُسمَّى خيرًا، وإنَّما سمَّاه اللَّهُ تعالى هاهنا خيرًا؛ لأنَّه مذكورٌ في موضع الصَّرف إلى الخير، ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ مرَّ تفسيرُ هذه الكلمات، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾؛ أي: ما عملتُم مِن طاعةٍ فاللَّهُ عليمٌ بثوابه.

(٢١٦) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾؛ أي: فُرِضَ عليكم الجهادُ المذكورُ قبل هذا بآيةٍ، ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ الكُره والكَرهُ لغتان، وقيل: بالضَّمِّ: الكراهة، وبالنَّصبِ الإكراه، أي: ذو كُرهٍ لكم؛ أي: أمرتُم به وأُلزِمتمُوه لا باختياركم، وأنتم تَكرهونَه بطبائِعكم، وكراهةُ الطَّبع لا توجِبُ الذَّمَّ، بل تُحقِّقُ معنى العبوديَّة إذا فعل ذلك اتِّباعًا للشَّرع مع نُفرةِ الطَّبع، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: وما يدريكم لعلَّ ما تكرهونَه فهو خير لكم، فإنَّه إعزازٌ للدِّين، وقهرٌ للأعداء، ووصولٌ إلى الغَنيمةِ، وإنْ قَتلوكُم فأنتم شهداءُ أحياءٌ عند اللَّه تعالى، ووصلتُم إلى الدَّرجاتِ العُلا، والنِّعمِ التي تبقى، وليس لها منتهى، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾؛ أي: إنَّكم تحبُّون تركَ القتال، وفيه تحمُّل الذُّلِّ، وغَلبةُ الأعداء، وتخريبُ الدِّيار، وحِرْمانُ الثَّواب، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: اللَّه يعلمُ أنَّ القتالَ خيرٌ لكم، وأنتم لا تَعلمون ذلك(١).

(٢١٧) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾أي: يسألونك عن قتالٍ فيه، وهو كقولك: أردتُ زيدًا مجيئَه؛ أي: أردتُ مجيئه، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾؛ أي:

---

(١) التيسير في التفسير (٣/ ١٧١)، وتفسير مقاتل (١/ ١٨٢).

كبيرُ الإثمِ، أو كبيرُ العقوبة، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: وصدُّ الكفَّارِ المسلمينَ، وهو منعُهم إيَّاهم عن دينِ اللَّه، وهو الإسلام، ﴿وَكُفْرٌ بِهِۦ﴾؛ أي: باللَّه، ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: وكفرُهم بالكعبة، وجحودِهم حقيَّتها، ومنع النَّاس عنها، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾؛ أي: وإخراجُهم أهلَ المسجد من المسجد الحرام، وأهلُ المسجدِ هم المسلمون، وإخراجُهم مِن المسجدِ إخراجُهم مِن مكَّة باضْطِرارِهم إلى الهجرة، ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه الأشياءُ الأربعةُ من الكفَّارِ أكبرُ إثمًا وعقوبةً مِن قتلِ المسلمين، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: كُفْرُ الكفَّارِ أشدُّ خطرًا مِن قتلِ المسلمين ابنَ الحضرميِّ في رجب، والفتنةُ اسمٌ للكفر، وقيل: أي: تعذيبُ الكفَّارِ المسلمين أشدُّ قُبحًا مِن قتلِ هؤلاء المسلمين ذلك الكافرَ، والفتنةُ اسمٌ لذلك ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ أي: هم يدومون على محاربتِكم على قصدِ صرفِكم عن الإسلام ليصرفوكم عنه إن قدَروا عليه، وهو بيانُ أنَّهم لا يَقدرون عليه، وهو تطييبٌ لقلوب المؤمنين. ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ﴾ أي: ومن يرجع منكم عن دينه بعد إيمانه، فيمت ﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي: ومَن يَمُت على كفرِه؛ لم يَتُب، ولم يَعُد إلى الإسلام. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بَطَلَت وتلاشَت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: حسناتهم، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أمَّا في الدُّنيا فقطعُ حياتِه بقتلِه على ردَّته، وفواتِ موالاة المسلمين، ونصرِهم، والثناءِ الحسن، وزوالِ النِّكاح، وحرمانِه مِن مواريثِ المسلمين، ونحوِ ذلك ممَّا يجري على نفسِ المرتدِّ وأهلِه ومالِه، وأمَّا في الآخرة ففوتُ الثواب وحسنِ المآب، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: الباقون فيها ﴿هُمْ فِيهَا

﴿خَالِدُونَ﴾ أي: دائمون، لا يموتون ولا يخرجون.

(٢١٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: ثَبَتوا على إيمانِهم، فلم يرتدُّوا، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾؛ أي: من مكَّة إلى المدينة، وقيل: أي: فارقوا أعمالَ السُّوء وأصحابَ السُّوء. ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: قاتَلوا الكفَّار، وقيل: استفْرَغوا المجهودَ في العملِ للَّه تعالى، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: هؤلاء لا تَحبَطُ أعمالُهم، بل يأتون راجِينَ رحمةَ اللَّه، مؤمِّلينَ ثوابَه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: يَغفرُ ذنوبَهم وتقصيرَهم، ويرحمُهم فلا يعذِّبهم[(١)].

(٢١٩) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّه قدَّمَ ذِكرَ الجِهاد، ولا يقومُ ذلك إلَّا بالمال وتظاهرِ القوم، وفي الخمرِ والميسر ذهابُ المالِ، ووقوعُ التَّنافرِ، وزوالُ التَّظاهرِ، فبيَّنَ حُرمتَها؛ ليمتنعوا عنها، فتَحصُل آلةُ القوَّة على الجهاد. ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: يا محمَّد ﷺ ﴿عَنِ الْخَمْرِ﴾ وهو النِّيءُ من ماء العنب إذا غلا واشتدَّ وقذفَ بالزَّبد، سُمِّيَت بها؛ لأنَّها تُخامِرُ العقل؛ أي: تغطِّيه. ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ أي: القمار. ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾؛ أي: في استعمالِها وبسببها. ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: عظيمٌ، ﴿كَبِيرٌ﴾؛ أي: متعدِّدٌ، وما كَبِرَ كثُر. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ منافع الخمر: تقويةُ الضَّعيف، وهضمُ الطَّعام، والإعانةُ على الباءة، وتسليةُ المحزون، وتشجيعُ الجبان، وتَسخِيةُ البخيل ومنافعُ الميسِر: التَّوسعةُ على ذوي الحاجة، فإنَّ الياسِرين كانوا يفرِّقونها على المحتاجين، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ١٤٦)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ٢٩٠ – ٢٩١)، والكشف والبيان(٢/ ٧٧٠)، ومعالم التنزيل(١/ ٢٤٩)، وزاد المسير(١/ ٢٣٩)، والبحر المحيط(٢/ ١٥٦).

نَفْعِهِمَا﴾ وفي الخمرِ: إيقاعُ العداوةِ والبغضاءِ، والصَّدُّ عن ذكرِ اللَّه وعن الصَّلاة، وهي تُسفِّهُ الحليمَ، وتُصيِّرُ شاربَها بحيث يَلعبُ ببولِه وعذِرَتِه وقيئِه، ومن مضارِّ الميسر: ما يَجري بينهم مِن الجُحود والسِّباب، والمُنازعةِ والسَّفه، وأنَّه أكلُ المالِ بالباطل، وهو مانعٌ عن الصَّلاة، وعن ذِكر اللَّه تعالى، وسببٌ للعداوة أيضًا، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ قد ذكر أنَّ عمرَو بنَ الجموح الأنصاري سألَ رسول اللَّه ﷺ سؤالين: على مَن يُنفِق؟ وكم يُنفِق؟ فنزلَ جوابُ الأوَّل في قوله: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ الآية [البقرة: ٢١٥]، وجوابُ الثاني في هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، والسؤالان بصيغةٍ واحدةٍ، لكن عرف اختلافُهما باختلاف جوابيهما، والعفوُ: ما سَهُل وفَضَل، يُقال: خُذ ما أتاكَ عفوًا؛ أي: سَهلًا، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: هكذا يبيِّن اللَّهُ لكم مواضعَ الصَّدقات، لتتفكروا في الدُّنيا فتعلموا أنَّها دارُ بلاءٍ، ثمَّ هي دارُ فناءٍ، فيزهدوا فيها، ويتفكَّروا في الآخرةِ، فيعلموا أنَّها دارُ بقاءٍ فيرغَبوا فيها، وقيل: أي: لتَتفكَّروا في الدُّنيا، فتَحبِسوا مِن أموالِكم ما تتعيَّشون به، وتتفكَّروا في الآخرة، فتنُفِقوا الباقيَ فيما ينفعُكم فيها.

(٢٢٠) - ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ أي: عن مخالطةِ اليتامى، ودلَّ على هذا الإضمارِ الجوابُ، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: خيرٌ لهم مِن عزلِهم وتركِ مخالطتهم، والمخالطةُ أن تأكلَ من ثمره ولبنه وقصعتِه، وهو يأكلُ من ثمرِك ولبنك وقصعتك. وهذا إذا أصابَ مِن مالِ اليتيم بقدرِ عملِه له أو دونَه، فلا يَزيدُ على أجر مثلِه، وقد تكون المخالطةُ بخلط المالَين،

وتناولِ الكلِّ منه، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدِّين، أي: هم إخوانكم، ومِن حقِّ الأخِ أنْ يُعان ولا يخان، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بيَّن أنَّه تعالى لا يَخفى عليه قصدُ المخالطةِ بما فعلَ، وأنَّه يجزيهِ على وفقِ عمله، وهو أبلغُ وعدٍ ووعيدٍ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ قيل: لشقَّ عليكم، فلم يُرخِّص المخالطةَ، وقيل: لضيَّق عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أي: منيعٌ، لا يَمتنعُ عليه ما يشاء، و﴿حَكِيمٌ﴾ فلا يحكمُ إلَّا بما فيه حكمة[١].

(٢٢١) - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ قيل: كانوا يلونَ يتامى أهل الشِّرك مِن قراباتهم، ويَرغَبون في المناكحة؛ تحقيقًا للمخالطةِ التي رُخِّصَ لهم فيها، فبيَّنَ أنَّ نكاحَ المشركةِ الحربية ليس من ذلك، ثم معناه: لا تتزوَّجوا الكافرات، ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾؛ أي: إلى أن يُسلِمن، ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ اللَّام للتأكيد. والأمةُ: الرَّقيقة، وجمعها الإماء، والمصدرُ الأُموَّة، وقد أميتُها وتَأمَّيتُها؛ أي: استرققتُها، ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾؛ أي: أفضلُ وأحقُّ مِن حرَّةٍ مشركة، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾؛ أي: وإنْ راقتْكُم، وإن بلغَ بكم النهايةَ في الإعجاب؛ أي: وسَّعَ اللَّه تعالى الأمرَ، وكثَّر المنكوحات، فلا حاجةَ إلى المشركات، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾؛ أي: لا تزوِّجوهم بناتكم، ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾؛ أي: مِن حرٍّ مشركٍ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ بمالِه وجمالِه وخِصالِه، ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ وبيَّن علَّة المنعِ، فقال: أولئك يَدعون إلى الكفر

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ١٦٣)، وجامع البيان(٢/ ٣٧٥) وتفسير ابن أبي حاتم(٢/ ٣٩٦)، والكشف والبيان(٢/ ٩٠٥).

والمعاصي التي تُوجِبُ النَّار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: يدعوكُم إلى مخالطةِ المؤمنين؛ لأنَّ ذلك أوصلُ لكم إلى الجنَّة والمغفرة، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أوامرَهُ ونواهيه، ووعدَهُ ووعيدَه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: ليتَّعِظوا، وقد ذكَّرتُه فتذكَّر؛ أي: وعظتُه فاتَّعظَ، والذِّكرى: الموعظة.

(٢٢٢) - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾. انتظامُ الآيتين: أنَّ الأولى فيها نهيٌ عن نكاح المشركةِ التي بها نجاسةُ الشِّرك، والثانيةَ فيها نهيٌ عن قربانِ المسلمةِ التي بها نجاسَةُ الحيض، ﴿عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض، وهو اللَّوثُ الخارجُ من الرَّحمِ في وقتٍ معتاد، والسُّؤالُ مطلقٌ وفيه إبهامٌ فتبيَّن بالجوابِ أنَّ سؤالَهم كان عن مخالطةِ النِّساء في المحيض، ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾؛ أي: قَذَر، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾؛ أي: اجتنبوهُنَّ، وتَنحَّوا عنهن حالةَ حيضِهنَّ، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تَطَؤوهنَّ، وفسَّر ذلك قولُه: ﴿فَاعْتَزِلُوا﴾، ولولاه لتُوهِّم بالاعتزالِ المفارقةُ بكلِّ البدنِ في كلِّ شيءٍ، ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بالتَّشديد أي: يغتسلنَ، و﴿يَطْهُرْنَ﴾ بالتخفيف أي: يَخرجنَ مِن الحيضِ بانقطاعِ الدَّم، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾؛ أي: اغتسلنَ ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: الإتيان من قبل الطهر، لا من قبل الحيض فإذا زالَ الحيضُ أُبيحَ الإتيانُ في ذلك الموضعِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي: عن إتيانِهم النِّساءَ في حالةِ الحَيض وفي الدُّبُر، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ أي: المتنزِّهينَ عنها، فلا يأتونَها قطّ.

(٢٢٣) - ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: مَحْرَثٌ ومَزْرَعٌ للأولاد، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: موضعَ حرثِكُم، وهو الفرجُ؛ لأنَّه موضعُ الولد دونَ الدُّبر، ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾؛ أي: كيف شئتم، ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ قيل: التَّسمية، وقيل: قدِّموا

لأنفُسِكم النِّيَّة الخالصة؛ أي: لا تَقتصِروا على قضاءِ الشَّهوة، ولكن اقصِدوا التَّعفُّفَ والولَدَ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تَعصوهُ في شيءٍ مِن ذلك، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ أي: آتوهُ يومَ القيامةِ للجزاء، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يُقدِّمون هذا.

(٢٢٤) - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: علَّةً مانعةً لكم مِن البِرِّ والتَّقوى والإصلاح، بأن تَحلفوا ألَّا تفعلوا ذلك، ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارّين مصلحين، فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾؛ أي: لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بنيَّاتِكم، وهذا وعيدٌ(١).

(٢٢٥) - ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ المؤاخذةُ مفاعلةٌ مِن الأخذ، وهي المعاقبة هاهنا، ﴿بِاللَّغْوِ﴾؛ أي: السَّاقِطِ الباطل ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هي جمعُ يمين، وهي الحَلِف، والمعنى: لا يُعاقِبُكم بما سقطَ وبَطَلَ اعتبارُه مِن أيمانكم، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: الثَّباتُ على يمينِ ترك البرِّ والتَّقوى والإصلاح، وقيل: هو قَصدُ الكذبِ مع العلمِ به، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾؛ أي: للذُّنوب بالتَّوبة، ﴿حَلِيمٌ﴾؛ أي: بالإمهالِ إلى وقتِ التَّوبة.

(٢٢٦) - ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾؛ أي: للأزواجِ الذين يحلفونَ مِن زوجاتِهم على تَركِ وطئهنَّ، ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾؛ أي: انتظارُ هذه المدَّة ﴿فَإِن فَاءُوا﴾؛ أي: رَجَعوا عن هذا الإضرارِ بتركِ القُربان، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: يَغفرُ ذنبَ الزَّوجِ -وهو إضرارُه بها- بالفيءِ، ويَغفرُ ذَنْبَ الفيءِ الذي هو حِنْثٌ

(١) التفسير الكبير(٦/ ٨٩ - ٩٠)، والكشف والبيان(٢/ ١٠٥٠)، والبحر المحيط(١/

بالتَّكفير، ﴿رَحِيمٌ﴾ حيثُ أجازَ له الحِنْثَ، وقبِلَ منه الكفَّارةَ، ورفعَ عنه الذَّنْبَ.

(٢٢٧) - ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾؛ أي: حقَّقوا الطلاقَ وأكَّدوهُ، وقيل: إنْ ثَبتوا في المدَّةِ على تركِ القُربان حتَّى مضتِ المدَّةُ، وقعَت طلقةً بائنةً. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: سمع كلامَ الزَّوجِ، وعَلِمَ قصدَه.

(٢٢٨) - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾؛ أي: المنكوحاتُ الحرائرُ اللَّاتي طلَّقهنَّ أزواجهنَّ صريحَ الطَّلاقِ بغيرِ مالٍ وقد دَخلوا بهنَّ، ينتظرنَ بأنفسهنَّ؛ أي: يعتددن، ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ والقُروءُ جمع قُرء، وهو الحيضُ وقيل: هو الطُّهر، وأجمعَ أهلُ اللُّغةِ أنَّ اللفظَ صالح لهما، وقد وردَ في الشَّرع في كلِّ واحدٍ منهما، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ﴾؛ أي: يُخفينَ ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ هي جمعُ رَحِم، وقال أهلُ التَّفسير: إنَّه الحيضُ والحَبَلُ، ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: الإيمانُ باللهِ وبالقيامة حامل على الطَّاعةِ فيما وردَ به الأمرُ، فقد حَرُم عليهنَّ الكتمانُ، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾؛ أي: أزواجُهنَّ، والبعلُ: الزَّوجُ، وهو كالفحل والفُحولة، والعَمِّ والعمومة، والبَعلةُ: المرأة، والمباعلةُ: المباشرة، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾؛ أي: أوْلَى بمراجعَتِهنَّ، ﴿فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: في التَّربُّص؛ أي: حالةَ الاعتدادِ، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾؛ أي: إنْ قصدَ الأزواجُ إقامةَ الحدودِ وتداركَ الفسادِ، فلهم الرَّجعة، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: وللنِّساء على الأزواج حقوقٌ كما لهم عليهنَّ حقوق، بما هو مستحسَنٌ شرعًا وعرفًا ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؛ أي: منزلةٌ؛ فإنَّ الطَّلاق بأيديهم، والنَّفقةَ عليهم، والولايةَ عليهن لهم، وقيل: في كمالِ العقل؛ فهم أَولى بأداءِ الحقِّ منهنَّ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي:

منيعُ السُّلطان، لا يُعتَرَضُ عليه فيما شرعَ لعبادِه، حكيمٌ فيما حكمَ[١].

(٢٢٨) - ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾؛ أي: الطَّلاقُ الرَّجعيُّ دُفعتان، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: تمسُّكٌ وتعلُّقٌ وحِفْظٌ؛ أي: فللزَّوج مراجعةٌ على موافقةِ الشَّرع؛ بألَّا يَقصدَ الإضرارَ بها. ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ و﴿أَوْ﴾ للتَّخيير، والتَّسريحُ: التَّخلية، والإحسانُ: أنْ يُمَتِّعَها ويُلاطفَها ولا يجفوها. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ خطاب للأزواج بأنَّه يَحرمُ عليهم أنْ يَستردُّوا ما أعطَوهنَّ مِن المهر، ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾؛ أي: إلَّا أنْ يَعلمَ الزَّوجُ والمرأة، يُسمَّى العلمُ خوفًا؛ لأنَّه إذا علمَ ما يُخافُ خاف. ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾؛ أي: علمَ الزَّوجُ أنَّها لا تُحبُّه، ولا تَقومُ بحقِّه، فيَحملُه ذلك على أنْ يُجازِيها بمثلِه، فقد تركا إقامةَ حدودِ اللَّه، فيَحلُّ في هذه الحالة أن تَختلعَ منه، وهو في حلٍّ أن يأخذَ بدلَ الخُلعِ منها. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أي: أيُّها القضاةُ والمتوسِّطون ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾؛ أي: ألَّا يُقيم الزَّوجُ والزوجة حدودَ اللَّه؛ أي: الحقوقَ التي أثبتَها في النِّكاح. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾أي: لا إثمَ على الزَّوجين. ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾؛ أي: فيما أعطَتهُ المرأةُ مِن بدلِ الخُلع، وإذا لم يكن عليها جُناحٌ في الدَّفع، لم يكن على الزَّوجِ جُناحٌ في الأخذِ. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؛ أي: هذه أحكامُ اللَّهِ وفرائضُه، فلا تَجاوزُوها. ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: ومن يتعدَّ أمرَ اللَّه إلى ما نهاهُ عنه فأولئك هم الضارُّون أنفسَهم، والواضعونَ الشَّيءَ غيرَ موضعه.

(٢٣٠) - ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الطَّلقةَ الثَّالثة. ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى

---

(١) زاد المسير (١/ ١٩٧)، والجامع لأحكام القرآن(٣/ ١٠٧).

﴿تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾؛ أي: حَرُمت على زوجِها المطلِّق ثلاثًا، فلا يحلُّ له نكاحُها إلى غايةٍ، وهي أنْ تَنكِحَ هي زوجًا غيرَه. ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الزَّوجُ الثَّاني بعدَ الدُّخولِ بها. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: لا إثمَ على الزَّوجِ الأوَّلِ والمرأة. ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾؛ أي: يرجعا إلى الحالةِ الأولى بنكاحٍ جديدٍ. ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾؛ أي: عَلِما بغالبِ الظَّنِّ أنَّهما يقيمان حقوقَ النِّكاح، فلا يَرجِعان إلى التَّنافرِ الأوَّل، ولا يَقصِدُ أحدُهما إضرارَه بالآخر، فأمَّا إذا قصدا غيرَ ذلك فهما آثمان. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾؛ أي: أحكامُ اللَّه تعالى، ومعالمُ شرعِه. ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يَنتفِعُ بها مَن يَعلم؛ أي: يَتدبَّرُ لِيَعلمَ أنَّ اللَّهَ تعالى أراد ببيانِه صلاحَهم في الدُّنيا والآخرة(١).

(٢٣١) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾؛ أي: نساءَكم. ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: فقارَبْنَ مضيَّ العِدَّة. والأجلُ: الوقتُ المضروبُ مدَّةً للشَّيء، والبلوغُ: المقاربةُ هاهنا. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: راجعوهنَّ بالجميل، والمعروفُ: ما ألِفتهُ العقولُ، واستحسَنتهُ النُّفوس، والمرادُ به هاهنا حسنُ المعاشرة. ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: خَلُّوهنَّ حتَّى تَنقضيَ عدَّتُهن، والمعروفُ: هو حُسنِ العشرةِ، وإعطاءِ ما بقيَ مِن المهرِ، والبِرِّ بالمتعةِ، وحسنِ القَول. ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾؛ أي: لا تُراجعوهنَّ على قصدِ المضارَّةِ، وهو أنْ يُراجِعَها ليظلمَها ويؤذيَها ويسيءَ

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ٢٣٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٠٩)، والكشف والبيان (٢/ ١١٠٢)، والبحر المحيط (٢/ ٢٠٢)، ومجاز القرآن (١/ ٧٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٧٨)، وتأويل مشكل القرآن (١/ ١٨٧).

معاشرَتها، ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ أي: لتجاوزوا الحدَّ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾؛ أي: مَن أمسكَها ضِرارًا فقد أضرَّ بنفسِه، حيث جعلَها مستحقَّةً للوعيد. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: لا تَستخِفُّوا بآياتِ القرآن التي فيها أمرُه ونهيُه، ووعدُه ووعيدُه، وأحكامُه، ولا تخالِفوها؛ فإنَّ مَن فعلَ ذلك فقد اتَّخذَها هزوًا؛ أي: سخريةً؛ فإنَّها كانت للقَبول والعملِ بها. ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: واذكروا إنعامَ اللَّه عليكم بتعليمِ ما جهِلتُم. ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: واذكُروا ما أنزل على نبيكم، وهو كالمنزَلِ عليكم، فإنَّ نفعَه حاصلٌ لكم. ﴿مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أي: من القرآن والسنة، ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ الوعظُ: التَّخويفُ بسوءِ العاقبةِ، يُقالُ للمكروهِ يَنزِلُ بقومٍ: إنَّه عظةٌ لغيرِهم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: لا تُخالِفوا أمرَهُ ونهيَه. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: مِن الاتِّقاء، والاتِّعاظِ، والذِّكر، وغيرِ ذلك، وهو أبلغُ وعدٍ ووعيدٍ.

(٢٣٢) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: استوفينَ عدَّتهنَّ، والبلوغُ هاهنا عبارةٌ عن حقيقةِ الانتهاء؛ لأنَّ المذكورَ بعدَه النِّكاح، ولا يكونُ ذلك إلَّا بعد انقضاءِ العِدَّة، وفي الآية الأُولى ذِكرُ الرَّجعة، وذاك يكونُ في العِدَّة. ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تَمنعوهنَّ أيُّها الأولياءُ عن التَّزوُّج، ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾؛ أي: يتزوَّجنَ الأزواج الذين كانوا لهن. ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: الأزواجُ والزَّوجات، ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ خطابُ النبيِّ ﷺ، ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: إنَّما يَنتفعُ بالوعظِ مَن صدَّق اللَّهَ، وأقرَّ بالقيامة والجزاءِ فيها على الخير والشَّرِّ. ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ

﴿وَأَطْهَرُ﴾؛ أي: اتِّعاظُكم بهذا الوعظِ، وتركُ الضِّرارِ والعَضل، خيرٌ لكم من الفُرقة، وأطهرُ لكم مِن الرِّيبة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: واللَّهُ يَعلمُ المصالحَ، وأنتُم لا تَعلمونها.

(٢٣٣) - ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ الاسترْضاعُ: سؤالُ الإرضاعِ وطلبُه، والرَّضيعُ: الصَّبيُّ الذي هو في حدِّ الرَّضاع، والمُرضِعُ التي لها ولدٌ رضيع، وأصلُه: مصُّ الثدي، ﴿يُرْضِعْنَ﴾ فعلٌ مستقبِلٌ، أريدَ به الأمرُ؛ أي: ليُرضِعنَ، ﴿أَوْلَادَهُنَّ﴾ جمعُ ولد، وهو المولودُ؛ ذكرًا كان أو أُنثى. ﴿حَوْلَيْنِ﴾ تثنيةُ حَوْل، وهو السَّنة، ﴿كَامِلَيْنِ﴾؛ أي: تامَّين، ومعنى الآية -واللَّه أعلم-: والأمَّهاتُ المطلَّقاتُ يُرضِعنَ أولادهنَّ؛ أي: هنَّ أحقُّ بإرضاعِ الأولاد من أجنبيَّاتٍ يَسْتَرضِعُهنَّ الآباءُ؛ لأنَّهنَّ أرقُّ عليهم، وألطفُ بهم، وهم آلفُ بهنَّ وآنس، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ التي هي المدَّةُ التَّامَّةُ التي ليس للأبِ وحدَه أنْ يُنقِصَ عنها، ويَمنعَ أجرَ الإرضاع إليها، ولا للأم أنْ تزيدَ عليها، فتطلبَ أجرَ الإرضاع على ذلك بغير رضا الأب، ودلَّ هذا على أنَّ النُّقصانَ عن ذلك والزيادةَ عليه بالتَّراضي عند وقوع الكفايةِ بما دونَها ووقوع الحاجة إلى الزيادة: جائزان، حيثُ علَّق ذلك بالإرادةِ، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾؛ أي: على الأب، ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: طعامهنَّ، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: لباسهن، وهذا على طريقِ الأجر؛ لأنَّهنَّ يَحتجنَ إلى ما يُقِمنَ به أبدانهنَّ؛ لأنَّ الولدَ إنَّما يَغتذي باللَّبن، وإنَّما يحصلُ لها ذلك بالاغتذاءِ، وتَحتاجُ هي إلى التَّستُّر، فكان هذا من الحوائجِ الضَّروريَّة، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: مِن غيرِ إسرافٍ ولا تقتير؛ نظرًا للجانبين. ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: لا يَحملُ أحدٌ إلَّا

طاقتَه، فلا يُكلَّفُ الزَّوجُ ما لا يُطيقُ مِن الأجر، ولا المرأةُ ما لا تَستطيعُ مِن العمل، ولا الرَّضاعَ بما لا يَكفيها من الأجر[١]، ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي: لا تضارَّ الأمُّ بسببِ ولدِها، ولا الأبُ بسبب ولده، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي: وعلى وارثِ الصَّغير عند عدمِ الأب مثلُ ما كان على الأب مِن أجرِ إرضاع الولد للمُرضعة، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: فإن شاءَ الوالدُ والوالدةُ فطامَ الولدِ بتراضِيهما، أو نظرِهما في حالة أنَّه وقعَت الكفايةُ ولا ضررَ عليه، فلا إثمَ عليهما، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾؛ أي: وإن شئتُم أيُّها الآباءُ، ويجوزُ أن يكون خطابًا للآباءِ والأمَّهات، والاسترضاع طلبُ الإرضاع، وذاك يكون عند عجزِ الأمِّ، أو إبائِها، وقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]، ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ أي: لأولادِكم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: إذا سلَّمتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أُجور ما أرضعن قبل امتناعهن، والإيتاءُ لا يُحمَل هاهنا على الإعطاءِ الذي هو المناولَة؛ لكن يُحمَلُ على الإيتاءِ الذي هو التَّمليك، ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾؛ أي: التزمتُم، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بالأداءِ الجميل، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: لا تخالفوا أوامرَهُ ونواهيه، واعلموا أنَّ اللَّه يَرى أعمالَكم، فيُوفِّي جزاءكم.

(٢٣٤) - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ التوفِّي: الإماتةُ، وقد توفَّاهُ اللَّهُ تعالى؛ أي: أماتَهُ، ومعنى ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾؛ أي: تُقبَضُ أرواحُهم بالموت، ﴿وَيَذَرُونَ

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ٢٤٣)، والكشف والبيان(٢/ ١١٣٤)، وجامع البيان(٢/ ٤٨٩).

﴿أَزْوَاجًا﴾؛ أي: يَتركون زوجاتٍ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ أي: زوجاتُهم يَنتظِرنَ بأنفسِهنَّ، ومعناه: يَعتَدِدنَ، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أي: عشرَ ليالٍ، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: استوفينَ مدَّتهنَّ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يا معاشرَ أولياءِ الأزواج الذين ماتوا، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: فيما فعلَ النِّساءُ المعتدَّاتُ مِن التَّشوُّفِ، والتزيُّنِ للخُطَّاب، والتَّزوجِ بزوجٍ آخر؛ أي: بعدما زالت عُلقةُ الزوج، فلا بأسَ لوليِّ الزَّوجِ أن يَتركَها تتعرَّضُ لزوجٍ آخر، فقد آنَ أوانُه، وكان قبلَ انقضاءِ العِدَّةِ إذا تَركتِ الإحدادَ، وتَشوَّفَت للخُطَّابِ، فللقُضاة وأولياءِ الأزواج منعهنَّ عن ذلك، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: على موافقةِ الشَّرع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: عليمٌ، ويجوزُ أن يكونَ خِطابًا للرِّجالِ والنِّساء جميعًا، وهو وعدٌ ووعيدٌ على الخيرِ والشَّرِّ (١).

(٢٣٥) - ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ أي: لَوَّحتُمْ والتَّعريضُ: هو إفهامُ المعنى بالشَّيءِ المحتمِلِ له ولغيرِه. ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ أي: المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الإنسان مثلًا إنك لجميلة ومن يجد مثلك ورب راغب فيك. ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: سترتُم وأسررتُم وأضمرتم من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ قيل: أي: ستَخطُبونهنَّ، وقيل: معناه: ستَذكرونهنَّ بقلوبكم، وتتفكَّرون في أنَّكم تَطلبون ذلك بعد انقضاءِ العِدَّة، فأزالَ الجُناحَ عنكم بإضمارِكُم ذلك في القلب؛ إذ ليس فيه وَهْمُ فسادٍ، ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾؛

---

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٢٦٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٠٠)، والكشف والبيان (٢/ ١٨٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٤).

أي: نكاحًا ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض فلكم ذلك، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾؛ أي: لا تحقِّقوا العقدَ في العِدَّة، وقيل: أي: لا تُلزِموهنَّ عقدَ النِّكاحِ في العِدَّة، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾؛ أي: حتَّى ينتهي ما كَتَبَ اللَّهُ عليهنَّ مِن التَّربُّصِ أربعةَ أشهرٍ وعشرًا، ﴿أَجَلَهُ﴾؛ أي: بلغ ذلك غايتَه، وهو انقضاءُ العِدَّةِ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: مِن الطَّاعةِ والتَّعظيمِ والخوفِ وخلاف ذلك، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾؛ أي: اخشَوا أنْ يَطَّلِعَ على خلافٍ منكم، واحذروا أنْ يُعَاقِبَكم عليه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾؛ أي: لا تَغترُّوا بأنَّه غفورٌ يَسترُ الذُّنوب، وحليمٌ لا يَعْجَلُ بالعقوبةِ.

(٢٣٦) - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الجُناحُ: الوِزرُ، وهذه الآيةُ في غيرِ المدخولِ بها، ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: تجامعوهن والمعنى: لا إثمَ عليكم في الطَّلاقِ ومنعِ المهر، إلَّا إذا مَسَستموهنَّ، أو فرضتُم لهنَّ مهرًا، فإنَّه يَجِبُ مهرُ المثلِ في المسِّ وإنْ لم يفرضْ لها شيئًا، ويَجِبُ نصفُ المهرِ المسمَّى إذا طلَّقها وإن لم يمسَّها، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾؛ أي: أعطوهنَّ في حالِ عدمِ التَّسميةِ والطَّلاق قبلَ الدُّخولِ المتعةَ، وأصلُ المتعةِ والمتاع: ما يُنتفَعُ به انتفاعًا قليلًا غيرَ باقٍ، بل ينقضي عن قريبٍ، ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ الموسِعُ: الغنيُّ، وقد أوسعَ؛ أي: صار في السَّعة، وهي الغنى، والمُقترُ: المُقِلُّ، والتَّقتير في الإنفاقِ هو التَّقليل ﴿قَدَرُهُ﴾ أي: المتعةُ على الزَّوج على قدرِ يسارِه وإعسارِه، ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ المعروفُ: ما لا تقتيرَ فيه ولا إسراف، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: واجبًا على الذين يُحسِنون الائتمارَ بأمر اللَّه تعالى.

(٢٣٧) - ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ثمَّ بيَّنَ حُكمَ التي سُمِّيَ لها المهرُ في الطَّلاق قبل المسِّ وقوله: ﴿وَقَدْ﴾ الواو للحال، وقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فعليكم نصفُ ما سمَّيتُم، أو فلهنَّ نصفُ ما سمَّيتُم، ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: إلَّا أنْ يُسقِطنَ هذا النِّصفَ، فلا يأخذْنَ شيئًا، ﴿أَوْ يَعْفُوَ﴾ ومعناه: أو يَتفضَّلَ؛ فإنَّ العفوَ هو الفضلُ، ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾؛ أي: الزَّوجُ يَتفضَّلُ فيُعطِي الكلَّ صلةً لها وإحسانًا إليها؛ أي: الواجبُ شرعًا هو النِّصفُ، إلَّا أنْ تُسقِطَ هي الكلَّ، أو يعطي هو الكلَّ، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ "أن" مع الفعل مصدرٌ، وتقديرُه: والعفوُ منكم أقربُ إلى التَّقوى، ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ خطابٌ للأزواج والزَّوجاتِ جميعًا؛ أي: عفوُ الزَّوجِ بإعطائِه كلَّ المهرِ خيرٌ له، وعفوُ المرأةِ بإسقاطِ كلِّه خيرٌ لها، والمعنى: أن يتفضل بعضكم على بعض، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: لا يَخفى عليه ما عمِلتُم مِن الفضلِ والجودِ والانتصاف.

(٢٣٨)- ﴿حَافِظُوا﴾؛ أي: داوِموا ولازِموا، ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ هي المكتوباتُ الخمسُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾؛ أي: وحافظوا على الصَّلاة الوُسطى منها، ثمَّ اختُلِفَ في الوسطى: فقيل: هي صلاةُ الفجر، وقيل: هي صلاةُ الظُّهر، وقيل: هي صلاةُ العصرِ، وهو الصحيح، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي: مُطيعين، وقيل: خاشعين، وقيل: مُخلِصين (١).

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٢٧٣)، وجامع البيان (٤/ ٣٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٩).

(٢٣٩) - ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾؛ أي: وحافظوا عليها في حالِ خوف العدوِّ أيضًا، فلا تؤخِّروها، وصلُّوا رجالًا، وهو جمعُ راجل، وهو القائمُ على الرِّجلِ، ويجوزُ لهم أداؤها بالجماعة، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ هو جمعُ راكب، ولهم أن يصلُّوا وُحدانًا، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾؛ أي: فإذا أمنتُم العدوَّ، فصلُّوا لله، والذِّكْرُ اسمٌ للصلاة، ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أي: قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها.

(٢٤٠) - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ أي: والذين ماتوا منكم وتركوا زوجات، ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: فعليهم وصيَّةٌ لزوجاتهم، أو فيه تقديمٌ وتأخير، وتقديره: فلزوجاتِهم وصيَّةٌ، وهي بالنَّفقةِ والسُّكنى، ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: غير مخرجات من مسكنهن إلا لضرورة ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: غيرَ مخرجين لهنَّ، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾؛ أي: بعد السَّنةِ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾؛ أي: لا إثمَ عليكم يا أولياءَ الزَّوجِ فيما فعلنَ في أنفسِهنَّ مِن التَّزيُّنِ لطلبِ الزَّوجِ على وفق الشرع، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾؛ أي: منتقمٌ ممَّن عصاه، ﴿حَكِيمٌ﴾؛ أي: مصيبٌ فيما حكمَ.

(٢٤١) - ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: وللمطلَّقاتِ اللَّاتي سُمِّيَ لهنَّ المهرُ متعةٌ أيضًا بطريق الاستحباب، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: يحق هذا حقًّا على مَن كان متَّقيًا، فليس بواجبٍ هذا، لكن مِن شرطِ التَّقوى التَّبرُّع بهذا تَطييبًا لقلبها.

(٢٤٢) - ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: كما يُبيِّنُ هذه الأحكامَ يُبيِّنُ بعد هذا لكم كلَّ ما تحتاجون إليه؛ لتعقلوا؛ أي: لتَستعمِلوا

عقولَكم في قَبولها، والتَفكُّر فيها والعملِ لها.

(٢٤٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي: ينته علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ﴾؛ أي: منازلهم، جمع دار، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قيل: هو جمعُ آلِف، كما يُقال: قاعِدٌ وقُعود، وساجِدٌ وسُجود؛ أي: متألِّفون، وقيل: هذا جمع أَلْف، وهو العددُ المعروف، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: لخوف الموتِ، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ قيل: يجوزُ أن يكونَ اللَّهُ تعالى أسمعَهم كلامَ بعضِ ملائكته: موتوا، فماتوا، ويجوز أن يكون معناه: فأماتهم اللَّه، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾؛ أي: أماتهم موتَ عقوبةٍ أو تنبيه، لا موتَ انقضاءِ آجال، ثمَّ أعادَهم أحياءً؛ ليَستوفوا بقيَّة أعمارِهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾؛ أي: تَفضَّل على أولئك فأحياهُم بعد أن أماتَهم، فأمهلَهُم في الدُّنيا حتَّى تابوا وقبِلَ توبتَهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يُؤدُّونَ حقَّ نعمِه بالشُّكرِ.

(٢٤٤) - ﴿وَقَاتِلُوا﴾ هذا كان خطابًا للذين ماتوا ثمَّ أحياهُمُ اللَّه تعالى، وقيل: هو خطاب لأهل عصرِ النَّبيِّ ﷺ ومَن بعدهم، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: قاتلوا لإعلاء كلمةِ اللَّه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لا تَقولوا كما قال هؤلاء الملأ: نَخرجُ مِن ديارنا لنَسلمَ مِن الموت، ولا تُضمِروا ما أضْمَروه مِن اعتقادِ الخَلاص بالفِرار؛ فإنَّ اللَّهَ تعالى سميعٌ عليم؛ يَسمعُ ما يُقال، ويَعلمُ ما يُضمَر[1].

(٢٤٥) - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ أي: بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: جميلًا، والمرادُ مِن القَرضِ في هذه الآية هو أنْ يَقطعَ بعضَ

---

(١) جامع البيان (٤/ ٤١٥)، وبحر العلوم (١/ ٢١٥)، والكشف والبيان (٢/ ٢٠٣).

ماله، فيُعطيَهُ الفقيرَ؛ طلبًا لرضا اللَّه تعالى، وأملًا لثوابِ اللَّه، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، من عشر إلى أكثر من سبعمائة ضعف، الضعف في الأصل زيادةٌ غيرُ محصورةٍ ﴿كَثِيرَةً﴾ هذا قطع الأوهامِ عن مبلغِ الحساب، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانًا، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: رجوعُكم إلى جزائِه في الآخرة، فيَجزيكم على جودِكمُ الجنّةَ، وعلى بُخلِكُم النَّار، وهو وعدٌ ووعيد.

(٢٤٦) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ أي: ألم تُخبَر خبرًا يَصيرُ لك كرؤيةِ العين في وقوعِ العلم، والملأ: الجماعةُ الأشراف، اسمُ فردٍ وُضِعَ للجماعة، ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هم أولادُ يعقوب، وقولُه: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾؛ أي: من بعدِ موت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أي: أَقِمْ لنا وانصب سلطانًا، ﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تقديرُهُ: إنْ يَبعث لنا مَلِكًا نقاتلْ نحن معَهُ عدوَّنا، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ "عسى" كلمةُ شكٍّ، وظنٍّ، ومعناه: لعلَّكم، والمعنى: لعلَّكم أنْ تَمتنعوا عن القتالِ إذا فُرِض عليكم، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ استفهامًا بمعنى الاستنكار، ومعناه: لأيِّ شيءٍ لا نقاتلُ في سبيل اللَّه، وقيل معناه: ليس لنا ألَّا نقاتل، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أي: فُرِّقنا من الدِّيار والأولاد جميعًا. ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الثلاث مئة والثلاثة عشر الذين لم يَشربوا من النَّهر كرعًا، وخواصُّ اللَّهِ تعالى فيهم قلَّة، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾؛ أي: بالذين خالفوا نبيَّهم، عليم بفعلهم، ويَقدِرُ على جزائِهم، وهو أبلغُ وعيد.

(٢٤٧) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ طالوت: اسمٌ أعجميٌّ لا يَنصرف، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: كيف، وقيل: من أين، ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾؛ أي: أولى بالرئاسةِ عليه منه بالرئاسةِ علينا؛ إذ نحنُ من أهل بيتِ المُلك، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾؛ أي: لم يُعطَ ثروةً وكثرةً مِن المال، فيَشرُفَ بالمال إذا فاتَه الحسب، ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قال لهم نبيُّهم: إنَّ اللَّهَ اختارَهُ عليكم، وأصلُ الاصطفاءِ: أخذُ صفوةِ الشَّيء، وإلغاءُ ما سواه؛ أي: إن لم يكنْ نسَبٌ فله فضيلةٌ تَفوقُ كلَّ فضيلةٍ، وهي اختيارُ اللَّهِ تعالى إيَّاه عليكم، وله فضيلةٌ أخرى، وهي قولُه تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ أي: سعةً وفضلًا في علم الحروب، وأخرى وهي قولُه تعالى: ﴿وَالْجِسْمِ﴾ وهي طولُ القامةِ، وعظمُ التَّركيبِ، وكمالُ القوَّةِ، وروعةُ المنظرِ، وجمالُ الوجهِ. ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: المُلْكُ للَّه، فهو يَضعُه حيث يَشاء مِن غير عِلَّةٍ؛ أي: المُلكُ للَّه، وقد شاءَ وضعَهُ في طالوت، فلا اعتراضَ عليه ولا إعراضَ عنه، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: واسعُ الأفضالِ، كاملُ الاقتدارِ، عالمٌ بمواضعِ الاختيار[1].

(٢٤٨) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ﴾؛ أي: علامةُ سلطَتِه، ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق كان فيه صور الأنبياء أنزله على آدم واستمر إليهم فغلبهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: ما تَسكنُ به

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٣٠٥)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٠٧).

قلوبُكم، ويَقْوى رجاؤكم بالنُّصرةِ والغَلَبة، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾؛ أي: أشياء تركَها موسى وهارون، وآلُ الإنسان: نفسُه، وهذه البقيَّةُ هي عصا موسى، وعِمامةُ هارون، وقَفيزٌ مِن المَنِّ في طَسْت مِن ذهبٍ، وخاتَم سليمان، وقيل: هو علم التَّوراة، ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: تنقُلُه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾؛ أي: في إتيانِ التَّابوتِ علامةٌ واضِحةٌ على صِدقِ قول نبيِّكم في أنَّ اللَّهَ تعالى جعلَ طالوتَ ملكًا؛ فإنَّه أمرٌ ناقِضٌ للعادة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: مُصَدِّقين باللَّه، فصَدِّقوا.

(٢٤٩) - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بالجنود﴾ أي: خرج بالجيش وانفصل عن بيت المقدس وجاوزه وكانوا ثمانين أخذ بهم في أرض قفرة فأصابهم حرٌّ وعطشٌ شديد[(١)]، ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ أي: ممتحِنُكم ومختبِرُكم، والنَّهَرُ بفتح الهاء وتسكينِها: مجرى الماءِ الواسع، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾؛ أي: فليس على ديني، أو على مذهبي، أو ليس لي بوليٍّ، أو لا يَصحَبْني ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾؛ أي: مَن لم يَشربهُ على هذا الوجهِ، والطَّعمُ: الذَّوق، ويقع على الأكل والشُّرب ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ والغرفُ: أخذُ الماءِ بآلةٍ، استثنى من الشُّربِ الممنوعِ هذا النَّوعَ، وهو الأخذُ بالكفِّ والتَّناولُ مِنه، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾؛ أي: مرَّ بهم في مَفازَةٍ مُعطِشةٍ، فلمَّا انتهَوا إلى النَّهر، وقد غلبَ عليهم العَطَش، وقَعوا في النَّهرِ، فشربوا كَرْعًا إلَّا قليلًا منهم، وهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا، على عدد أهل بدر، فإنَّهم اغترَفوا فشَربوا بالأكفِّ وروَوا، والذين خالفوا

(١) صفوة التفاسير (١/ ١٤٢).

ازدَادوا عطشًا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾؛ أي: فلمَّا مَضى طالوتُ وقطعَ النَّهرَ، ومضى المؤمنونَ معه، ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ جالوت سُمِّيَ به لجولانه؛ أي: قال ضعفاءُ اليقينِ: لا قوَّة لنا ولا قدرةَ على مقابلتِهم ومقاتَلتِهم، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾؛ أي: قال الذين يَعلمون ويَستيقنونَ أنَّهم راجعونَ إلى اللَّه في القيامة، ومجزيُّون بأعمالِهم يومئذٍ، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ ﴿كَمْ﴾ كلمةُ تكثيرٍ، و﴿مِنْ﴾ كلمةُ تأكيدٍ، والفئةُ: الطَّائفة، وأصلُها من: فَأَوْتُ رأسَه فأوًا؛ أي: قطعتُه، والطَّائفةُ من الناسِ قطعةٌ منهم، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بتغليبِ اللَّه تعالى، وقيل: معناه هاهنا: بنصرة اللَّه، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: فاصبروا؛ فإنَّ اللَّهَ معين الصَّابرين وحافظُهم.

(٢٥٠) - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾؛ أي: ظهروا للقتالِ، والبَرَازُ: الأرضُ الفضاء، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾؛ أي: صُبَّ علينا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾؛ أي: في مواضعِ القتال، كي لا تزلَّ ولا تزول، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: أعِنَّا عليهم، وامنعْهم منَّا.

(٢٥١) - ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ أي: استجابَ اللَّهُ تعالى هذا الدُّعاءَ ونصرَهُم، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بعونِه ومشيئتِه، وتسبيبِهِ أسبابَها، وتيسيرِه على ما أراد، ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ رَمى داودُ بالأحجارِ، وأَلقَتِ الرِّيحُ البيضةَ مِن رأسِه، فوقعَت في دماغِه، حتَّى خرجت مِن أسفله وانهزم الكفَّار، ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ أي: الملكَ الذي كان لطالوتَ على بني إسرائيل، والحكمة: النبوَّة، وبها وَضْعُ الأمورِ مواضعَها ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أنْ يُعلِّمَ أنبياءَهُ، وقيل: هو العلمُ في الدِّين،

وقيل: هو عِلمُ صَنعةِ الدُّروع، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: بالرُّسلِ عن عبادِه، وما أجرى على ألسنتِهم مِن بيان الشَّرائعِ التي بها يتكافُّون عن التظالم والتَّعادي، ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾؛ أي: لهلك مَن في الأرض، وقيل: لخرِبَت، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: يتفضَّلُ عليهم بإبقائِهم وإزالة الفسادِ عنهم[(١)].

(٢٥٢) - ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: في هذه القَصص التي فيها نقضُ العادات مِن الدِّلالات الواضحات، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: يقرؤها عليك جبريلُ بأمرِنا بالصِّدقِ، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ودلالةُ رسالتِك أنَّك تُخبِرُهم بهذه القَصص، ولا تُعلَم إلَّا بإعلامنا إيَّاك، فليُصَدِّقوكَ بأنَّك رسولُ اللَّه، والرَّسولُ صادقٌ.

(٢٥٣) - ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾: أي: هؤلاء الرسلُ المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أو الرسلُ المذكورون في هذه السورة من آدمَ إلى داود، أو الرسلُ المذكورون في جميع القرآن، ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ أي: في مقاماتهم ودرجاتهم بعد الرسالة، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: أي: من الرسلِ مَن كلَّم اللَّهُ وهو موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾: أي: مراتبَ، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وبيِّنات عيسى: إحياءُ الموتى، وشفاءُ المرضى، وإبراءُ الأكمه والأبرص، وخلقُ الطير من الطين، وقيل: الإنجيل والمعجزات، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أي: قوَّيناه بجبريل، وقيل: بالإنجيل، وقيل: باسم اللَّه تعالى الأعظم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: بعدِ هؤلاء الأنبياء

---

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٣١٠)، ولطائف الإشارات (١/ ١٩٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٢١٠)، والكشف والبيان (٢/ ٢٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٠).

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ أي: المعجزاتُ الظاهرات ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾: أي: بمشيئتي، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: أي: بمشيئتي، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾: التكريرُ للتقرير، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أَثبت الفعل والإرادة لنفسه فثبَت أن أفعال العباد كلَّها حَسَنَها وسيِّئَها بإرادته وإيجاده.

(٢٥٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أي: في الجهاد في سبيل اللَّه تعالى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾: أي: قبل أن يجيء يومُ القيامة فينزعَ منكم الأملاك، فلا يكون لأحدٍ مالٌ ولا تجارةٌ ولا كسبٌ لينفِقَ ذلك فيما يؤجَر عليه؛ لأنَّه يومُ جزاء لا يومُ عمل، ولا ينفع خليلٌ خليلًا يومئذ إذا كانت الخلةُ -أي: الصداقةُ- على خلافِ الحق، ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾؛ أي: لا بيعٌ فيه ولا شراءٌ، ومعناه: لا فداءَ فيه ولا افتداءَ، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: هم الضارُّون أنفسَهم حيث أَوردوها هذا المورد، فلا تنفعُهم خلةُ خليلٍ ولا شفاعةُ شفيعٍ[1].

(٢٥٥) - ﴿اللَّهُ﴾ إثباتٌ لذاته و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفيُ الألوهيَّة عن غيره، ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: هذا إثباتُ صفات الحقِّ له، فهو الحيُّ الذي لا يموت، وله حياة أزلية، و﴿الْقَيُّومُ﴾: ومعناه: الدائم الباقي، وقيل: هو القائم بذاته لا بغيره، وقيل: هو القائم بتدبير كلِّ خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ الأخذ: الإصابة، والسِّنَة:

(١) التفسير البسيط (٤/ ٣٤٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣٠)، والكشف والبيان (٢/ ١٤٣٥).

النُّعاس، أي: لا يعتريهِ ما يعتري المخلوقينَ من السَّهو والغَفْلَةِ والملالِ والفترة في حفظ ما هو قائمٌ بحفظه، ولا يَعْرِضُ له عوارِضُ التعبِ المحوِجةُ إلى الاستراحة فيستريحَ بالنومِ والسِّنَة، ﴿لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾ أي: كلُّ مَن فيهما وما فيهما ملكُه، ليس لأحدٍ معه فيه شركة ولا لأحدٍ عليه سلطان، ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليس لأحد أن يَشفع عنده لأحدٍ إلا بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي: يعلمُ اللَّه تعالى ما بين أيدي هؤلاء الذين يرجو الكفارُ شفاعتَهم يوم القيامة، وهم الملائكةُ أو غيرُهم، ويعلم ما خلْفَهم، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: أي: وهؤلاء الذين يزعمون أنهم شفعاؤهم لا يعلمون شيئًا من معلوماته التي كانت قبل خلقه إياهم وبعد موتهم والتي تكون فيما بين ذلك إلا بما شاء، وهو القَدْر الذي علَّمهم منه بأنْ نصَب الدلائل عليه لهم، وخلَق لهم مواضع المعرفة فيهم من العقل والحواسِّ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: العرشُ والكرسي واحد، وقيل: الكرسيُّ هاهنا هو العلم؛ أي: وسع علمُه كلَّ ما أحاطَتْ به السماوات والأرض، ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾: أي: لا يُثقله حفظُهما ولا يُجهده، ﴿حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: حفظُ السماوات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ﴾: أي: هو المتعالي عن شَبَه المخلوقين وعن افتراءِ المفترِين، والعليُّ في ملكه وسلطانه وقهره الأشياءَ وجريانِ حُكمه عليها، وهو العظيمُ في جلاله وعزِّه وعلوِّه ومجده.

(٢٥٦) - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾: أي: لا إجبارَ على الدِّين الحقِّ وهو الإسلام، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: أي: ظهر الهدى من الضلال، ﴿فَمَنْ

﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: أي: يَجحدْه ويَتبرأْ، والطاغوت: كلُّ ما عُبد من دون اللَّه مما هو مذمومٌ في نفسه، ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ ذكَرَ التبرُّؤَ عن غير اللَّه أولًا، ثم التصديقَ باللَّه تعالى، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: الاستمساك: التمسُّك، وهو الاعتصام باللَّه تعالى، والعُروة: العُلقة، والوُثقى: تأنيثُ الأَوْثَقِ، ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾: أي: لا انقطاع لها؛ أي: للعروة، والفَصْم بالفاء: القطع بلا إبَانةٍ، والقصم بالقاف: القطع مع الإبانة، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: يسمع الأقوالَ ويعلم العقائد غَيَّها ورُشْدَها، وباطلَها وحقَّها، ويجزي كلًّا على وَفق عمله وقوله وعقده، وهو أبلغ وعدٍ ووعيدٍ[١].

(٢٥٧) - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: حبيبُهم، وقيل: ناصرُهم، وقيل: هو الذي يتولَّى أمورهم، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: أي: يَقِيهِم من الضَّلالات، ويُبقيهم في الهدى، سمَّى الضلالة ظُلمةً لأن الظُّلمةَ لا يُبصر فيها، وكذا الضلالةُ لا يُرى فيها الرشدُ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الطاغوت هاهنا: الشياطينُ والكهنةُ وقادةُ الشرِّ، وإنْ حُمل على الأصنام، التي هي جماداتٌ، فمعنى قوله: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ﴾ لا يكون للمُوالاة الحقيقة؛ لكن يكون على معنى أن الكفار يتولونهم، على معنى أنهم يعتقدونهم ويتوجَّهون إليهم. ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يخرجون منها أبدًا.

(١) التفسير البسيط (٤/ ٣٥٩)، والوسيط(١/ ٣٦٩)، وجامع البيان(٣/ ١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم(٢/ ٤٩٣).

(٢٥٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي﴾؛ أي: ألَمْ تَنتهِ رؤيتُك إلى الذي؛ أي: علمُك الذي يُضاهي العِيان في الإيقان، وحقيقتُه: اعْلَمْ بإخبارنا فإنه مفيدٌ لليقين، ﴿حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: جادَلَ وقابَل بالحجَّة، ﴿فِي رَبِّهِ﴾؛ أي: في معارضة ربوبيةِ ربِّه، والذي حاجَّ: هو نمروذ بن كنعان ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: أي: لأنْ أعطاه الله الملكَ، أو: بأنْ أعطاه الله، أي: أعطاه كثرةَ المال، واتساعَ الحال، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أي: يحيي الأموات ويميت الأحياء، ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: أي: قال نمروذ: وأنا أفعل أيضًا كذلك، ودعا برجلين قد حبَسهما فقتل أحدهما وأطلق الآخر، وقال: قد أحييتُ هذا وأَمَتُّ هذا، فأراد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يفضحَه فضيحةً ظاهرةً لا تخفَى على أحد، فجاء بها لا يمكِّنُه المعارضةَ بالتلبيس، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فانقطع حتى لا يمكِنُه أن يقول شيئًا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، يقال: بَهتَه؛ أي: حيَّره، والبُهتان على إنسان: هو الكذب الذي يحيِّره؛ أي: انقطع في هذا الإلزام الظاهر، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: لا يُرشد إلى الحجةِ المبطِلين في الدعاوَى[(١)].

(٢٥٩) - ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾أي: أرأيت الذي ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي إيلياء التي فيها بيت المقدس، وكان راكبًا على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير على الصحيح، وكان من علماء بني إسرائيل، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أي ساقطة على سقوفها لمَّا خَرَّبَهَا بُخْتُنَصَّر، ومعنى سقوطِها على سقوفها: أن السقف وقع أولًا

(١) معاني القرآن للأخفش(١/ ١٨٢)، وجامع البيان(٣/ ٢٨)، والبحر المحيط(٢/ ٢٩٠).

ثم انهدمت الحيطان عليه. ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: كيف يُحيي؟لم يشكَّ في البعث ولكنه أحبَّ أن يَرى كيف يحيي اللَّه الموتى ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾أي: توفَّاه وأبقاه كذلك مئة سنة ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ثم أحياه للَّه بعد مئة عام، وأمات حماره آخِرَ النهار والفاكهةُ والعصيرُ عنده، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ قيل: قال ذلك نبيٌّ كان حينئذ، وقيل: كان ملكًا، وقيل: حدَّثته نفسُه بذلك، ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾؛ لأنه نام ضحًى وأُحْيِيَ وقد أمسى، ثم تفكَّر أنه لم يُتِمَّ النهار فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ودلَّ ذلك على أن القول بغلبةِ الظنِّ عند فَوْتِ اليقين جائزٌ، ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾﴿بَلْ﴾ ردٌّ لِمَا قبله، وهو قوله تعالى: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ﴾ وإثباتٌ لِمَا بعده وهو ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾، ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ الطعامُ هو التين، وقيل: التين والعنب، وقيل: الفاكهةُ التي حملها أيَّ شيءٍ كان. والشرابُ هو العصير، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغير بمضيِّ السنين، ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾؛ أي: ميتًا، فإنَّا نُحْيِيه لترى كيف نُحيي الموتى، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: لترى كيف نحيي الموتى ولنجعلك علامةً للناس ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ وهي عظامُ نفسِه، أو عظام حماره ﴿كَيْفَ ننشرها﴾ بالراء من النَّشْر بعد الطَّيِّ، وهو بمعنى الإحياء ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾: أي: نُلبِس العظامَ لحمًا، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: أي: فلما ظهر له إحياء الميت عيانًا ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قال هو: أعلمُ أن اللَّه على كلِّ شيء قديرٌ من إحياء الموتى وغيرِه.

(٢٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ﴾ واذكُرْ يا محمدُ ﷺ حين قال إبراهيم الخليل: ربِّ؛ أي: ياربِّ، ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ سؤالٌ على صيغة الأمر من

الإراءة وهي التبصُّر، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾؛ أي: قال اللَّه له: أوَلمْ تصدِّقْ بإحياءِ الموتى؟، ﴿قَالَ بَلَى﴾؛ أي: صدقت به ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾؛ أي: ليَسكُن، والطُّمأنينةُ: السُّكون، وقيل: كان أُعطي آياتٍ عقليةً، فأحبَّ أن يعطَى آيةً حسِّيَّةً، وحكمةُ خطاب اللَّه تعالى إياه بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ وجوابِه: ﴿بَلَى﴾ قطعُ أوهام الجهَّال لئلا يظنُّوا بإبراهيم شكًا فيه، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ الطير: اسمُ جنسٍ يجوز أن يكون اسمًا للواحد والجمع، أي: فأخذ طاووسًا ونسرًا وغرابًا وديكًا وافعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده، ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها، ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: أَمِلْهنَّ واجْمَعْهنَّ إليك، وقيل: قطِّعهن، ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي: على كلِّ جبلٍ قدرْتَ عليه، أو على كل جبل بقُربك، أو على كل جبل من جبال أرضك، ﴿جُزْءًا﴾ أي: بعضًا ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾: أي: قل: تعالين، أو قل: يا طاووس ويا كذا ويا كذا، ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: أي: يَجِئْنَكَ على وجه السرعة، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيز: لا يمتنِع عليه شيء، حكيمٌ: مُصيب فيما يفعل[(١)].

(٢٦١) - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾؛ أي: مَثَلُ نَفَقةِ الذين، ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طريق رضا اللَّه تعالى، ويقع على الجهاد وغيره، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾: أي: يتضاعَفُ ثوابُ الإنفاق في سبيلِ اللَّه كمَثَلِ حبَّةٍ تُبذَرُ في الأرضِ، فتُنْبِتُ تلك الحبَّةُ الواحدةُ من السَّنابل سبعًا،

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ٣٩٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٩)، وزاد المسير (١/ ٣١٣).

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يزيد على سبعِ مئةٍ لمن يشاء، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: غني واسع الفضل والجود، عليمٌ بنيَّات المنفِقين.

(٢٦٢) - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ قيل: الأولى في إنفاق المجاهد على نفسه، وهذه في إنفاقه على غيره، وفي هذه الآية بيانُ ما يجب أن يُتحرَّز عنه في الإنفاق، وهو المنُّ والأذى؛ أي: لا يَمنُّ على أصحابه بحضوره بنفسه وقيل: المنُّ تعدادُ النعم على المنعَم عليه، وأصل المن: القطعُ، أي: لا يمنُّون بفعلهم، بل يَشهدون المنة للَّه تعالى بتوفيق ذلك عليهم، والأذى: هو استسخارُ المتصدِّقِ عليه؛ أي: استعمالُه في أعماله، وقيل: أي: لا يُتْبعون ما أَنفقوا منًّا على اللَّه ولا أذًى للفقير، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ثوابُ إنفاقهم إلى سبعِ مئةٍ وأكثر، ومَن أيقَن أنه إذا بذَر حبةً أخرجت له سبع مئةٍ لم يُقصِّر، فكذا ينبغي لمن يطلب الأجر في الآخرة عند اللَّه تعالى، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوتِ الثواب.

(٢٦٣) - ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: أي: كلامٌ جميلٌ لَمن التمسَ منك صدقةً فردَدْتَه بالجميل، أو وعدته، أو دعوتَ له، فقلتَ: يَسَّر اللَّهُ تعالى، أو: أغنانا اللَّهُ وإيَّاك، أو: يفتحُ اللَّه، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: أي: تجاوَز عنه إذا أساءَ السؤالَ، أو: سَتَرَ عليه حالَه؛ فلا يُعيِّره بفقره، ولا يَهتك ستره عند الناس ولا يَعيبه، ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾: أي: هذا خيرٌ لك مِن أنْ تتصدَّق عليه ثم تَمُنَّ عليه أو تُؤذيه، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾: أي: مستغنٍ عن صدقاتِكم؛ ما أَمَركم بها لحاجته بل لمنافعكم، حليم لم يُعاجِلكم بالعقوبة على التصدُّق ثم الإتباعِ بالمنِّ والأذى.

(٢٦٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ هذه الآية هي بيانُ أنَّ الصدقةَ إذا كان معها مَنّ أو أذًى لم تكن صدقةً حقيقةً وإنْ تراءت صدقةً، فإنَّ الصدقةَ ما يُبتغَى بها وجهُ اللَّه تعالى، ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: بيَّن أنَّ مَن تصدَّق ثم مَنَّ أو آذى، فهو في عدم الانتفاع بذلك كالذي هو كافرٌ لا يُؤمن باللَّه ولا يُصدِّق بالبعث والجزاء، وإنَّما يتصدَّق مراءاةً للناس، فلا نفعَ له بذلك. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: هو الحجرُ الصافي الأملسُ، ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾: أي: مَثَلُ نفقةِ الكافر المرائي كمَثَل حجرٍ أملسَ جُعل عليه ترابٌ، ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: أي: مطرٌ شديدُ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: هو: الحجرُ الأملسُ الصلبُ، ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾: أي: لا يجدون ثوابًا، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: لا يُوفِّقهم ولا يُرشدهم إلى الصدقة المَرْضيَّة في الدنيا، ولا يَهديهم إلى الجنَّة في العُقبى.

(٢٦٥) - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: أي: لطلبِ رضاه، ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: يتثبَّتون أين يضعون صدقاتهم، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ شبَّه هؤلاء بجنَّة؛ وهي البستانُ الذي يَكثر أشجارُه؛ فتمتدُّ ظلالُها، وتنتشرُ أغصانها، وتكثُر ثمارها، وتختلفُ ألوانها، وتَطيبُ طُعومها؛ فمَن أَخلص للَّه تعالى عملَه كان كمَن اتَّخذ بستانًا في رَبوة؛ أي: مكانٍ مرتفعٍ مِن الأرض مستوٍ، قد رَبَا عليها؛ أي: علا ونما، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: أي: وصل إليها وابل كثيرُ القَطْر شديدُ الوقع، ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: أي: أَعطت بركتها -أي: غلَّتها- ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: أي: فإنْ لم يصلْ إلى هذه الجنَّة المطرُ العظيمُ القَطْرِ، أصابه

المطرُ الصغيرُ القَطْر، وقيل: الطَّلُّ: النَّدى، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي: يرى أعمالَكم على إقلالٍ وإكثارٍ، ويعلم نيَّاتكم فيها مِن رياء وإخلاص، فأَخلِصوا يَجْزِكم جزاءَ المخلِصين، وأَكثِروا يُعطكم ثوابِ المكثِرين(١).

(٢٦٦) - ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾: أي: أيحبُّ أحدُكم؟، أيريد أحدُكم؟، استفهامٌ بمعنى النفي، ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: أي: بستانٌ كثيرُ الأشجار والنبات، وقوله: ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؛ أي: فيها مِن أشجارِ التمر وعراجين الأعناب، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تسيلُ مِن تحت أشجارها المياهُ في الأنهار، وبالماء نماؤها وبهاؤها، ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: أي: لصاحبها فيها سوى النخيل والأعناب الفواكهُ مِن كلِّ بابٍ، فهو نهايةٌ في الحُسن والإعجاب، ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: أي: أتاهُ الشيبُ وفاتَهُ الشبابُ، ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾؛ أي: أولادٌ أطفالٌ صغارٌ ضعافٌ عجَزةٌ عن الاكتساب، وكانت هذه معاشًا له ولأولاده، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: أي: أصابَ الجنَّةَ ريحٌ شديدةُ الهبوب، ملتفَّةٌ في الهواء، حاملةٌ للتراب ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ أي: صاعقة عظيمةُ الالتهاب ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾: أي: الجنَّة بالنَّار، فصارت نعمُها إلى الذهاب، وأصلُها إلى الخراب، فكما يبقى هو وذرِّيَّته في الحسرات لتقطُّع الأسباب، فكذا الكافرُ والمنافق والمرائي والمنَّان والمؤذي يتحسَّرون على صدقاتهم يوم يقومُ الحساب، حين فاتَهم الثوابُ وحقَّ عليهم العذاب، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾:

(١) زاد المسير(١/ ٣١٩)، وجامع البيان(٢/ ٦٩)، والنكت والعيون(١/ ٣٣٩) / والكشف والبيان(٢/ ١٥٨٥)، والوسيط(١/ ٣٧٩).

أي: هكذا يُنزل اللَّهُ الآياتِ ويضرب الأمثالَ؛ لتتفكَّروا فيها يا أُولي الألباب.

(٢٦٧) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: أي: ممَّا يُستطاب مِن كسبكم ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ والخبيث هو الرديء المُستخبَث- ثم هو أمرٌ بأداء زكاةِ أموالِ التجارة، ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: مِن الغلَّات، وهذا أمرٌ بأداء عُشْر الخارج مِن الأراضي العشريَّة، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: أي: لا تقصدوا الرديءَ، ثم الخبيثُ نقيضُ الطَّيِّب، وقيل: الطَّيِّب الحلال والخبيث الحرام، والطَّيِّبُ الطاهرُ والخبيثُ النَّجس، والطَّيِّب ما يَستطيبه الطبعُ والخبيثُ ما يَستخبثُه، ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾: أي: مِن الخبيث تتصدَّقون، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾: أي: وأنتم لا تأخذونَ مثلَه ممَّن كان لكم عليه جنسُه ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله؟ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: أي: مستغنٍ عن صدقاتكم لا يتكثَّر بها إنْ أَعطيتُم، ولا يَنقص مِن ملكه شيء إنْ مَنَعتم، ﴿حَمِيدٌ﴾: مُستحِقٌّ للحمد على أمركم بذلك مع استغنائه عنه؛ لينفعكم بذلك في الدَّارين.

(٢٦٨) - ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي: يخوِّفكم، ومعناه: أنَّ الشيطانَ هو الذي يمنعكم عن الإنفاق، أو يأمركم بإعطاء الخبيث؛ لِمَا يخوِّفكم به مِن الفقر بسبب الإنفاقِ وإخراجِ الطيِّب، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾: أي: بالفِعلةِ القبيحة وهي البُخل، والفاحشُ اسمُ البخيلِ لغةً؛ لِفُحْشِ فِعلِه، وقيل: كلُّ فحشاءَ في القرآن فهي زنًى، إلَّا هذه فإنَّها منعُ الزكاة، ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾: أي: يبشِّركم بمغفرةِ الذنوب على الصَّدقات والنفقات، ويبشِّركم بالتفضُّل عليكم؛

بإعطاء الخَلَف في الدنيا والثوابِ في العقبى، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: أي: غنيٌّ كثيرُ الفضل قادرٌ على إعطاء الخَلَف والثواب ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم ونيَّاتكم (١).

(٢٦٩) - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يُعطي اللَّهُ صوابَ القول والعمل مَن يشاء مِن عباده، فلا يَقبَلُ ما يَعدهُ الشيطان، ويعتمد على ما وعده اللَّهُ تعالى، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: أي: أُعطي ذلك، والحكمة هي: عِلْمُ القرآن، وقيل: هي علم الدِّين، وقيل: هي النبوَّة، وقيل: هي الإصابة، وقيل: هي الفهم، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: وما يتَّعظ بمواعظ اللَّهِ إلَّا أولو الألباب؛ أي: أصحاب العقولِ السليمةِ.

(٢٧٠) - ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: أي: أيَّ شيءٍ أنفقتم، على أيِّ وجهٍ كان منكم، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾: أي: الْتزَمْتم للَّه تعالى مِن فعل خيرٍ، أو ترك شرٍّ، ووفَّيتم به، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم به وهذا أبلغُ وعدٍ ووعيدٍ، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه.

(٢٧١) - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: إنْ تُظهِروا الصدقاتِ فَنِعْمَ الفعلةُ هذه، وهي كلمةُ مدحٍ، ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ أي: وإنْ تُسرُّوا الصدقاتِ، ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: وتُعطوها الفقراءَ، فالإعطاءُ على الخفيَةِ خيرٌ مِن الإبداء؛ لِمَا يُخاف في الإبداء مِن الرياء، وليس ذلك في الإخفاء، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: واللَّهُ يُكفِّر بذلك مِن سيئاتكم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٢٢)، وبحر العلوم (١/ ٢٣١).

أَبدَيْتُم أم أَخْفَيْتُم، أَخْلَصْتم أم راءَيْتُم، مَنعْتُم أم أَعطَيْتُم، فيَجزيكم على وَفقِ ما آتيتم.

(٢٧٢) - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: ليس عليكَ يا محمَّد ﷺ أنْ تُرشد الكفار، ولكنَّ اللَّه يرشدُ مَن يشاء، والخطابُ خاصٌّ، والمراد عامٌّ يتناول كلَّ أهل الإسلام، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: من مالٍ ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ جزاؤه؛ أي: كلُّ شيءٍ أَنفقتم مِن مالٍ فثوابُه لكم ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: ولستم تُنفقون على الكفار مِن أقربائكم إلَّا بأمرِ اللَّهِ؛ لابتغاء مرضاتِ اللَّه، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: وما تتصدَّقوا مِن مالٍ ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: جزاؤه؛ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: أي: لا تُنقصون منه شيئًا.

(٢٧٣) - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: هذه النفقاتُ المذكورةُ في هذه الآيات للفقراء، وقيل: للفقراء الذين لهم حقٌّ في مالكم، ﴿أُحْصِرُوا﴾؛ أي: مُنعوا، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: في طريق رضا اللَّه، وهم أصحابُ الصُّفَّة؛ وكانوا أربعَ مئةِ إنسانٍ، ومعنى إحصارِهم في سبيل اللَّه هاهنا: أنَّ اشتغالهم بطاعة اللَّه تعالى وطلبِ مرضاته ومحبة رسوله ﷺ قد أَحصرهم في مدينة الرسول وفي مسجده، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: سيرًا في البلاد، ومعنى عدمِ الاستطاعة: أنَّهم يَكرهون المسيرَ لئلا تفوتهم صحبةُ رسول اللَّه ﷺ، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: أي: يظنُّهم الجاهلُ بحالهم مِن تعفُّفهم -أي: بسببِ قناعتهم وامتناعهم عن مباسطة الناس وعن كشفِ حالِهم لهم- أغنياءَ، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ قيل: الخطابُ للنبيِّ ﷺ، وقيل: لكلِّ راغبٍ في معرفة حالهم، وقيل: معنى قوله: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: ليس تعرفُهم بفقرهم، بل نقول: تعرف آثارَ خشوعهم وكثرةَ صلاتهم

بالليل بما ظهر في وجوههم مِن صُفرة السَّهر ونور قيام الليل، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: أي: إلحاحًا، وهو لزومُ السؤال أي: لا يسألون الناس إلحافًا ولا غيرَ إلحاف، وقيل: لا يَسألون الناسَ أصلًا، فيكونَ إلحافًا، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: مجازٍ عليه[١].

(٢٧٤) - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: هذه الآية فيها إشارة إلى عموم الأحوال والأزمنة في الصدقة فبين الله –عز وجل- أن الذين يتصدقون بأموالهم ليلًا أو نهارًا، سرًّا أو علانية هؤلاء لهم الأجر الكامل عند ربهم الذي ربّاهم وتعهدهم في بطون الأرحام، ولا خوف عليهم أصلًا في الدنيا ولا في الآخرة ولا هم يحزنون أبدًا، وهكذا كل من سار بسيرة القرآن واهتدى بهديه أولئك هم المفلحون.

(٢٧٥) - ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ انتظامُ هذا بما قبله: أنَّ اللَّهَ تعالى أَمَرَ المؤمن بإعطاءِ مالِه للفقير، ووعد عليه الثواب، ثم حرَّم عليه أخذَ مالِ غيره بغيرِ حقٍّ، وأَوعَد عليه العقاب، ﴿يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: يأخذون؛ فإنَّ الوعيدَ يَلحقُ الآخِذَ كما يَلحقُ الآكِلَ، و(الرِّبَا): هو الفَضْلُ الحرامُ، وأصلُه للفضلِ المطلق، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: أي: في القيامة ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: الخَبْطُ: الضَّرْبُ باليد كيف يقع، والمسُّ: الجنونُ، والجنون قد يكون بضرب الشياطين والجِنِّ، ولذلك سُمِّي مجنونًا، والمعنى: لا يقوم آخذُ الربا في القيامة إلَّا

---

(١) تفسير مقاتل(١/ ١٤٤) وبحر العلوم(١/ ٢٣٣)، والكشف والبيان(٢/ ١٦٦١)، والدر المنثور(١/ ٦٣٣).

كالذي ضربه الشيطانُ فخَبَله فصار كالمصروع، فهو يقوم ويَسقط ليس كسائر الناس، فإنَّهم يقومون مِن الأجداث سِراعًا، وهذه عقوبةٌ لهم يُعرَفون بها يومئذٍ، وقد ثَقَّل بطونهم أكلُ الرِّبا، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: أي: هذا العقابُ لهم في الآخرة باستحلالهم الربا وتمثيلِهم إيَّاه بالبيع قياسًا فاسدًا على معارضةِ ورودِ الشرع بخلافه، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾: أي: كيف يتماثلان والبيعُ محلَّلٌ بتحليل اللَّه تعالى، والرِّبا محرَّمٌ بتحريم اللَّه تعالى؟، ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: مَن بلَغه هذا الوعظُ والتحريمُ، ﴿فَانْتَهَى﴾: أي: امتنع عن الاستحلالِ والأخذِ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: أي: فله ما أخذَ فيما مضى قبل التحريم، وليس عليه ردُّه، وأيضًا غُفر له ما مضى في كفره، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: أي: مغفرتُه وتعذيبُه إلى اللَّه تعالى، فإنَّ توبته لا يَعلم حقيقتَها إلَّا اللَّه، فهو يغفر له إنْ حقَّق، ويعذِّبه إنْ لم يحقِّق، ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: ومَن عاد إلى الاستحلال، بدليلِ ما قبله وما بعده[١].

(٢٧٦) - ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: المحقُ: نقصانُ الشيء حالًا بعد حال حتى يذهبَ كلُّه، وهو حالُ آخذِ الربا؛ فإنَّه يذهب مالُه كلُّه ولا يَنتفع به ولدُه مِن بعده، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾: أي: ينمِّيها ويَزيدها، فيُبارك في مالِه ويَنتفع به أولادُه مِن بعده، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: أي: يبغض كلَّ كفارٍ باستحلاله أثيمٍ بأكله.

(٢٧٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٥٨)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٤٢)، والبحر المحيط (٢/ ٣٣١).

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وانتظامُها بما قبلها: أنَّه ليس حالُه كحالِ مَن محقَ اللَّهُ تعالى طاعته بكفره، والمعنى: إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالحًا يقيهم من عذاب النار، خصوصًا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن الأعمال الصالحة مطهرة للنفس ومرضاة للرب ومجلبة لمحبة العبد في الدنيا، هؤلاء لهم أجرهم الكامل عند من رباهم وتعهدهم وأنشأهم من العدم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أبدًا.

(٢٧٨) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي: واتركوا ما بقيَ لكم غيرَ مقبوضٍ مِن مال الرِّبا على مَن عامَلْتُموه به إن كنتم محقِّين في الإيمان؛ فإنَّ الإيمانَ يوجب عليكم طاعته فيما أَمركم به، والآية نزلت في العبَّاس بنِ عبد المطلب وخالد بنِ الوليد وغيرِهما، كانت لهم ربًا على ثَقيف فأُمروا برفضها.

(٢٧٩) - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: إنْ لم تتركوا ما بقي مِن الربا أيُّها المؤمنون، ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: فاعلموا أنتم أو فأَعْلِموا غيرَكم على قراءة المد والقصر، والمعنى: فاعلموا أنَّكم تحاربون اللَّه ورسوله، ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: أي: مِن أخذِ الرِّبا ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ قَدْرَ ما أعطيتُموهم ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ أنتم غرماءكم بأخذِ الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾؛ أي: هم لا يَظلمونكم بالنقصان عن رؤوس أموالكم.

(٢٨٠) - ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي: وإن كان الغريمُ ذا عسرة، ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: إنظارٌ وإمهالٌ، ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: أي: إلى يسارٍ وغنًى، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: وتصدُّقُكم بكلِّ المالِ عليه إذا عجز عن إدائه خيرٌ لكم؛ فإنَّه في الدنيا فانٍ وثوابُه في الآخرة باقٍ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: تعملون بعلمكم.

(٢٨١) - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾: أي: عذابَ يومٍ وهو يوم القيامة، ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: أي: تُردُّون فيه إلى حساب اللَّهِ وجزائه، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ التوفيةُ والإيفاءُ: الإكمالُ، ﴿مَا كَسَبَتْ﴾: أي: ما عملت مِن خيرٍ أو شرٍّ. وقيل: ما أحرزت مِن ثواب أو عقاب، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: لا يُنقَصون، وقيل: أي: لا يُجري عليهم ظلمٌ بمنعِ ثوابٍ موعود، أو تعذيبٌ لا على فعلٍ مذموم[١].

(٢٨٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ ذكَر في الآيات المتقدِّمة الكسبَ، والإنفاقَ منه، ونهَى عن الربا، وأَذِن في البيع والشراء، وبيَّن في هذه الآية كيفيَّة العقود، وعلَّم كيفيَّة ما يُكتب فيها مِن العهود، فقال: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ أي: تعاقَدْتُم عقودًا يكون البدَل فيها دَينًا، ثم قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ أي: أيِّ دينٍ كان قليلًا أو كثيرًا، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الأجلُ المضروبُ لأداء بدَل الدين، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾؛ أي: أَثْبتوا ذِكْره في كتابٍ يشتمِل على وصفِ المعاملةِ ومقدارِ الحقِّ والأجلِ، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: أي: فليس كلُّ صاحبِ حادثةٍ يَعلم الكتابةَ بنفسه، فلْيعيِّن لها مَن يَعلم ذلك، وليكتبه الكاتبُ العالِمُ العادلُ الذي يُراعي الطرفين، ولا يزيد فيه ولا ينقص منه ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ أي: لا يمتنعْ كاتِبٌ عن أنْ يكتبَ هذه الوثيقة، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: أي: كما ورد به الأمرُ في الشرع مِن اللَّه تعالى. ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ والإملالُ والإملاءُ: الإلقاءُ على الكاتب للكتابة، و﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ هو الذي عليه الدَّيْن، فلمَّا كان الإملاءُ إليه، دلَّ أنَّ القولَ في الدعاوى قولُ مَن عليه الحقُّ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: أي: وليتَّقِ الذي عليه الدَّينُ ربَّه، فلا يمتنعْ

---

(١) الكشف والبيان (٢/ ١٧٨٢)، ومعالم التنزيل (١/ ٣٤٧)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٢٨) وزاد المسير (١/ ٣٣٥)، والوسيط (١/ ٤٠٠).

عن الإملاء جحودًا لكلِّ حقِّه ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾؛ أي: ولا ينقص مِن الدَّيْن الذي عليه شيئًا في الإملاء فيكون جحودًا لبعض حقِّه، ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾: قيل: السفيهُ: العاقلُ البالغُ الذي بَلغ غيرَ رشيدٍ؛ فهو مبذِّرٌ لماله مُضيِّع له بسفَهه، والضعيفُ: الصبيُّ، والذي لا يستطيع أنْ يُمِلَّ: المجنون، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾؛ أي: فليَقُم مقامَه عند عجزه في الإملال وليُّه، ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾: أي: أَشهِدوا على الكتاب اثنينِ مِن ذكوركم، والاستشهاد: طلبُ الشهادة وسؤالُها، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أي: فإن لم يوجد رجلان للشهادة، ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي: فلْيَشهد رجلٌ وامرأتان، ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾: أي: أَشهِدوا الرجلين أو الرجل والمرأتين مِن العدول المرْضيين مِن الشهود، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ أي: إنْ نسيت إحداهما ذكرتها الأُخرى، ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أي: لا يَمتنعِ المدعوُّون لتحمُّل الشهادة عن الحضور ليتحمَّلوا الشهادة، ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾: أي: لا تَملُّوا، ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾: أي: مِن أنْ تكتبوا ذلك الدَّين قلَّ أو كَثُر، فإنَّ جحودَ القليل فيه إثمٌ أيضًا، ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: أعدل، والقِسط: العدل، والمُقْسِط: العادل، والقاسط: الجائر، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أي: أشدُّ تقويمًا له، ﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: أي: أقربُ إلى أنْ لا تشكُّوا، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: أَمَر بالكتابة في المداينات، وأباح تركَها في النقد مِن التجارات؛ لزوال الداعي إليها، والمعنى: إلَّا أنْ تكون المعاملةُ تجارةً حاضرةً، أو: تكونَ التجارةُ تجارةً حاضرة، والتجارةُ الحاضرةُ هي النقدُ بالنقد. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ أي: لا إثم عليكم في عدم كتابتها، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أي: في العاجل والآجل جميعًا، ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا

شَهِيدٌ﴾ أي: ولا يضارِرْ، وهو نهيٌ للكاتب والشاهد عن الإضرار بالمتعاملَينِ أو أحدِهما، بالامتناع عن الكتابة وتحمُّل الشهادة ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: أي: الضرارُ فسقٌ وخروجٌ عن الأمر، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: واتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، والله يعلمكم ما به تحفظون أنفسكم وأموالكم وتقوون رابطتكم، فشرعه شرع الحكيم الخبير العليم البصير(١).

(٢٨٣) - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾: أي: فالوثيقةُ رهانٌ، وهي جمع رهنٍ، وهي العين المقبوضة بالدَّين توثيقًا له أي: للدائن يستوثق بها حتى يصل إليه حقه، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾: أي: فإن ائْتَمَنَ الطالبُ المطلوبَ فلم يَتوثَّقْ بالكتابة والشهود والرهن فليؤدِّ المطلوبُ ما اؤتُمن عليه، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: أي: فلا يجحد حقه ولا يمنعه، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾: هذا خطاب للشهود بعدم كتمان الشهادة، فإن كتمان الشهادة وشهادة الزور من الكبائر ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ وخص القلب بالذكر لأنه أمير الجسد متى صلح صلح الجسد كله، والمعنى: أي: فاجر قلبُه، وقيل: أي: مؤاخَذٌ به قلبُه، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وكل ما تقدم من أعمال إيجابية كتأدية الأمانة والوفاء بالعهد، أو سلبية ككتم الشهادة، فالله به عليم وبصير يجازى عليه، وهذا وعدٌ ووعيدٌ.

(٢٨٤) - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يخفَى عليه من أسرار خلقه وأفعالهم شيءٌ، فمَن ائتَمر بأوامره وانتهَى بنواهيهِ عَلِمَ ذلك، ومَن خالف ذلك

(١) الكشف والبيان(٢/ ١٧٨٩)، ومعالم التنزيل(١/ ٣٤٩)، و(وجامع البيان(٣/ ١٢٠)، والنكت والعيون(١/ ٣٥٥)، والجامع لأحكام القرآن(٣/ ٣٨٤).

علِم ذلك، ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: أي: ما في قلوبكم من كتمان الشهادة وغيرِ ذلك، وقيل: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من المعاني والدعاوى ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من المقاصد والمطالب، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ المعنى: لا يعاقِبُ اللَّه تعالى عبدًا يوم القيامة أسرَّ عملًا أو أعلنَه من حركة في جوارحه، أو همَّ في قلبه، دون أن يعرِّفه إياه يوم القيامة حتى يقرِّره، ثم يغفر ما يشاءُ لَمَن يشاء، ويعذِّب مَن يشاءُ بما يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: من المغفرة والتعذيب وغير ذلك.

(٢٨٥) - ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ أي: اعتقد وأقرَّ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾؛ أي: بوحي القرآن إليه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: والمؤمنون آمنوا بذلك أيضًا ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾؛ أي: محمدٌ ﷺ وأمتُه كلٌّ منهم آمَن باللَّه وملائكته ورسله، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ أي: يقولون: لا نفرق بين أحدٍ من رسله وسائرِهم، كتفريق اليهود والنصارى بالإيمان ببعض الرسل والكتبِ دون بعض، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾: أي: بآذاننا، وقيل: عقَلنا وفهِمنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: بأبداننا، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾: أي: يقولون: نسألك غفرانك فاغفر لنا، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: المرجعُ في التوفيق في الدنيا والثوابِ في الآخرة[١].

(٢٨٦) - ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: هم قالوا: إن اللَّه لا يكلِّف نفسًا إلا وسعها؛ أي: إلا طاقتها، ولكلِّ نفسٍ ثوابُ ما أطاعت، وعلى كلِّ نفسٍ عقابُ ما عصت، والكسبُ والاكتسابُ كلُّ واحدٍ منهما يَصلح إطلاقُه في عمل الخيرِ والشر، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

---

(١) التفسير البسيط (٤/ ٥٢٨)، والبحر المحيط(٢/ ٣٦٥)، والدر المصون(٢/ ٦٩٤).

﴿أَخْطَأْنَا﴾: أي: يقولون، ودل هذا على جواز المؤاخَذة في النسيان والخطأ، وخفَّف الله تعالى عن هذه الأمة فرفع عنها المؤاخَذَة، فدل أنهم مخصوصون بها، والأمم السالفةُ كانوا مؤاخَذين بذلك، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: أي: ثِقْلًا، وجمعُه: الآصار، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا﴾ وهو العباداتُ الشاقَّةُ، والعقوباتُ العظيمة، والأحكامُ الشديدة، وما كان يظهر على جباههم وأبوابِ دُورهم من ذنوبهم التي أَخفَوها، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: أي: لا تكلِّفنا ما يَشُقُّ علينا الدوامُ عليه ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: أي: تجاوَزْ عنا فلا تعاقِبنا بذنوبنا، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: أي: استُرْ ذنوبنا لنا، ﴿وَارْحَمْنَا﴾: أي: أكرِمْنا بكلِّ شيءٍ سمَّيته رحمةً، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: أي: وليُّنا وناصرُنا، وقيل: أي: حبيبُنا، وقيل: أي: متولِّينا، وقيل: أي: وليُّنا ومالكُنا، ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: أعنَّا عليهم وادفَعْ عنا شرَّهم، والنصرة على الكفار تكون بالظفر، وتكون بالحجة، وتكون بالدفع(١).

(انتهى تفسير سورة البقرة).

---

(١) معاني القرآن للفراء(١/ ١٨٨)، والكشف والبيان(٢/ ١٨٦٩)، وتفسير السمعاني(٢/ ٤٨١) الكشاف(١/ ٣٣٢)، ومعالم التنزيل(١/ ٣٥٧)، والبسيط (٤/ ٥٣٤)، ومعاني القرآن للزجاج(١/ ٣٦٩)، والوسيط(١/ ٤١٠)، والتيسير في التفسير (٣/ ٤٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٩٧)، والبحر المحيط (٥/ ١٤٠).

(٣) سورة آل عمران مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورةُ آل عمران مدنيةٌ في قول عامة أهل التفسير، وسميت بسورة آل عمران، لورود قصة آل عمران بها بصورة فيها شيء من التفصيل الذي لا يوجد في غيرها. والمراد بآل عمران عيسى ويحيى ومريم وأمها، والمراد بعمران والد مريم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، نزلت بعد سورة الأنفال، وقد عدت هذه السورة الثامنة والأربعين في عداد نزول سور القرآن، وهي مئتا آيةٍ لا اختلاف فيها، وثلاثة آلافٍ وأربعُ مئةٍ وثمانون كلمةً، وأربعةَ عشَرَ ألفًا وخمس مئة وعشرون حرفًا(١).

وهذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار. فمن ذلك ما جاء عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَؤُوا القُرآنَ؛ فإنَّه يأتي شافِعًا لأصحابِه، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَينِ: البَقَرَةَ وآلَ عِمرانَ؛ فإنَّهما يأتيانِ يَومَ القيامةِ كأنَّهما غَمامَتانِ أو غَيايَتانِ أو فِرقانِ من طَيرٍ صَوافَّ تُحاجَّانِ عن صاحِبِهما، اقْرَؤُوا البَقَرَةَ؛ فإنَّ أخذَها بَرَكةٌ، وتَرْكَها حَسرَةٌ، ولا تَستطيعُها البَطَلَةُ»(٢)، **وصدر هذه السورة نزل بسبب وفد نجران**، وكانوا قد وفدوا على رسول الله ﷺ إثر صلاة العصر، عليهم ثياب الحبرات، وهي ثياب يمنية، فقال بعض الصحابة: ما

---

(١) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي (٢/٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٠٤).

رأينا وفدًا مثلهم جمالًا وجلالة[(١)].

من أغراضها:

الابتداء بالتنويه بالقرآن، ومحمد ﷺ، وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقيها، والتنويه بفضيلة الإسلام وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يقبل دين عند الله، بعد ظهور الإسلام، غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنهما أنزلا قبل القرآن، تمهيدًا لهذا الدين فلا يحق للناس أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلاهية الله تعالى، وانفراده، وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله: مَن جعلوا له شركاء، أو اتخذوا له أبناء، وتهديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال، وألا يغرهم ما هم فيه من البذخ، وأن ما أعد للمؤمنين خير من ذلك، وتهديدهم بزوال سلطانهم، ثم الثناء على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآل بيته، وذكر معجزة ظهوره، وأنه مخلوق لله، وذكر الذين آمنوا به حقًّا. وإبطال إلاهية عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن ثم أفضى إلى قضية وفد نجران ولجاجتهم، ثم محاجة أهل الكتابين في حقيقة الحنيفية وأنهم بعداء عنها، وما أخذ الله من العهد على الرسل كلهم: أن يؤمنوا بالرسول الخاتم، وأن الله جعل الكعبة أول بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجه على المؤمنين، وأظهر ضلالات اليهود، وسوء مقالتهم، وافترائهم في دينهم وكتمانهم ما أنزل إليهم. وذكَّر المسلمين بنعمته عليهم بدين الإسلام، وأمرهم بالاتحاد والوفاق، وذكرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية، وهون عليهم تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين، وذكرهم بالحذر من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٣).

كيدهم وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر فكانوا مثلًا لتمييز الخبيث من الطيب، وأمرهم بالاعتزاز بأنفسهم، والصبر على تلقي الشدائد، والبلاء، وأذى العدو، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد وإلقاء الرعب منهم في نفوس عدوهم، ثم ذكرهم بيوم أحد، ويوم بدر، وضرب لهم الأمثال بما حصل فيهما، ونوه بشأن الشهداء من المسلمين، وأمر المسلمين بفضائل الأعمال: من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان، وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذمة الربا وختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله[(١)]. وانتظامُ هذه السورة بالسورة التي قبلها: أن الأولى افتُتحت بذكر الكتاب ومدحِ المؤمنين به وذمِّ الكافرين به، ثم بوعدِ المؤمنين ووعيدِ الكافرين، وفي آخر هذه السورة مدَح اللّه تعالى نفسَه، ثم مدَح رسوله، ثم مدَح المؤمنين، ثم ذكر دعواتهم، وهذه السورة افتُتحت بذكر الكتاب أيضًا، ثم بذكر المؤمنين، ثم بذكر الكافرين به، وآخرها بمدح اللّه جل جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ثم بذكر المؤمنين، ثم بذكر دعواتهم، وانتظام افتتاح هذه السورة بآخر تلك السورةِ: أن خَتْمها بقوله عز وعلا: ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وذكر في أول هذه السورة وحدانية اللّه تعالى، ثم ذكر المؤمنين والكافرين ونَصْرَ اللّه المؤمنين على الكافرين بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٣][(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٤٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥)، والبيان في عد آي القرآن" للداني (ص: ١٤٣).

(١-٢) - ﴿الم﴾، الحروف المقطعة من الغيب الذي استأثر الله بمعناه، فهو أعلم بمراده. ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، مر تفسيره في آية الكرسيِّ، وقال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وحَّد اللَّه نفسَه حيث لم توحِّدْه النصارى واليهود والمشركون، قال: وهو الحيُّ بنفسه لا بإحياء غيره، والقيومُ به قيامُ كل شيءٍ، وعيسى صلوات اللَّه عليه كان حيًّا بإحياء اللَّه تعالى، وقائمًا بإقامته، فكيف يكون إلهًا؟[١]!

(٣-٤) - ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: أي: فصَّل إنزال القرآن عليك يا محمدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا بعد شيءٍ في ثلاثٍ وعشرين سنةً، وهو إنزالُ جبريل بوحي القرآن. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق فيما اختلف فيه، وقيل: لبيان الحق، وقيل: أي: بالصَّواب والصِّحة والحكمة البالغة. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: موافقًا لِمَا قبله من الكتب المنزَلة في التوحيد وأصلِ الطاعة، واختلافُ الشرائع لا يوجب التناقُض. ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبلِ إنزال القرآن عليك. ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: أي: بيَّنَّا لهم أمرَ دينهم. ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ قيل: هو بيان القرآن. وقيل: هو القرآن بعينه، وإنما أعاده بعدما قال في أوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ لأنه سمَّاه باسمين، وكلُّ اسمٍ يدل على معنًى؛ فالأول يدل على أنه مجموعٌ؛ لأن الكتابة هي الجمع، والفرقانُ يدل على أنه فارِق بين الحق والباطل، فكان كذِكْرِ صفتين فلم يكن تكرارًا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: أي: بالقرآن؛ قال اللَّهُ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٦٥)، البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٦٣)، التيسير في التفسير (٣/ ٤٥٦).

﴿الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]؛ أي: اليهود والنصارى الذين جحَدوا القرآنَ مع أنَّه يوافقُ كتابَهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة لا يُطاق بها فعلوا ما لا عذرَ لهم فيه.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: أي: ممتنعٌ، مِن قولهم: أرضٌ عَزازٌ؛ أي: ممتنعةُ السلوك لصعوبتها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾؛ أي: ممتنع بسلطانه أنْ يُعارضه أحدٌ في عذابٍ أراده بمَن شاءَ. وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: غالبٌ لا يَمنعه أحدٌ عمَّا يُريده؛ من قولهم: مَن عزَّ بزَّ؛ أي: مَن غلَبَ سَلَبَ، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾: أي: ذو عذابٍ، وقيل ذو بطشٍ شديدٍ، وقيل: هو عامٌّ في حقِّ جميع الكفار(١).

(٥) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: أي: فكيف يخفى عليه قولُ هؤلاء النصارى؟ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يَخفى عليه أمرُ السماء، وكذا أمرُ الأرض؛ فقد خفيَ عليه تدبيرُ الكفار في قتله فكيف يكون إلهًا؟ والله هو الذي لا يَخفى عليه شيءٌ.

(٦) - ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: أي: يجعلكم على هيئاتٍ مخصوصةٍ في أرحامِ أمَّهاتكم، مِن ذكرٍ وأنثى، وأسودَ وأبيضَ، وتامٍّ وناقصٍ، وطويلٍ وقصيرٍ، وحسنٍ وقبيحٍ، فهو الإلهُ وحده، المصوِّر والقادر على ما يشاء.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: نزَّه نفسَه أن يكون عيسى ابنًا له. ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أي: المنيع في ملكه وحُكمه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قولِه وفعلِه.

(٧) - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أي: القرآن مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ، المُحكمات: المُتقَنات، و﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: أصلُه وما

(١) الكشف والبيان (٣/ ٩)، الوسيط (١/ ٤١٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦).

يُرجَع إليه في تعرُّف المُشكلات، و﴿وَأُخَرُ﴾: جمع أُخرى، ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ المتشابهات مِثلُ المشتَبِهات، وقال ابنُ عباسٍ رضي اللَّه تعالى عنهما: المحكماتُ: ناسخُه، وحلالُه وحرامُه، وحدودُه وفرائضُه، وما يؤمَن به ويُعمَل به، والمتشابهات: منسوخُه، ومقدَّمُه ومؤخَّره، وأقسامُه وأمثاله، وما يؤمَن به ولا يُعمل به(١). ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: أي: مَيْلٌ عن الصواب وتَعرُّفِ الحقِّ. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾: أي: يتعلَّقون بالمتشابه منه، ولم يُرِدْ به اتِّباعَ الموافَقة، بل هو طلبُ شُبَه المجادَلة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: قيل: لابتغاء الكفر، كما قال تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[النور: ٦٣]، وقيل: هو التماسُ إيقاعِ الضَّعفة في الفتنة، وهي الصَّدُّ عن الحقِّ في حقِّ الكفار الذين يطلبون الهدى، والإخراجُ عن الدِّين الحقِّ إذا كانوا على الهدى. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: أي: ولِيبتغوا مِن الضَّعفة أنْ يُخبروهم بتأويل هذا المتشابه، وليس ذلك على معنَى طلبِهم تأويلَه على سبيل التعرُّف والتعلُّم، لكن على سبيل الاستزلال، وإنَّما جعله مبتغَى التأويل؛ لأنَّ الطاعنَ يُخرِجُ كلامه مخرجَ السؤال ويَقصدُ به ضعيفًا لا بَصَر له فيه يوقع في قلبه شبهةً، وهي عادةُ الملاحِدةِ والمبْطِلة مِن أهل الأهواء. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: تفسيره، فمنهم مَن وقف على هذا، وقال: لا يَعلم المتشابهَ إلَّا اللَّهُ، وفي مصحف عبد اللَّه بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وما يَعلم تأويلَه إلَّا اللَّهُ ويقول الراسخون في العلم آمنَّا به).

وعن عمر بنِ عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

(١) جامع البيان (٥/ ١٩٣) الكشف والبيان (٣/ ١٠).

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ قال: انتهى علمُهم إلى أنْ قالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وأكثر أهل العلم على أنَّ الراسخين في العلم يَعلمون المتشابهَ، ويوصَلُ قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ بالأوَّل، وقال مجاهد: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمونه و﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، قالوا: ولو لم يكن للراسخين في العلم حَظٌّ في عِلم المتشابه إلَّا أنْ يقولوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ لم يكن لهم فضلٌ على الجهَّال؛ لأنَّهم جميعًا يقولون ذلك[(١)]، على قولِ هؤلاء على الوصل معناه: وما يعلم تأويله إلا اللَّهُ ومَن فضَّله اللَّهُ مِن الراسخين في العلم؛ أي: الثابتين المستقيمين الذين لا يتهيَّأ استزلالُهم ولا تشكيكُهم، وقد رسخَ الشيءُ في القلب؛ أي: استَحْكَم، يقول: ينبغي للمبتغين ذلك المتشابهَ أنْ يقصدوا بسؤالهم هؤلاء الراسخين ليكشفوا لهم ذلك إنْ كانوا مسترشِدِين، وفيه أنَّ اللَّهَ تعالى لم يُسوِّ بين خَلْقه في العلم بالمتشابهات كما لم يسوِّ بينهم في سائر العلوم، ثم مدح هؤلاء بحُسْن الإقرار بقوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وبحُسْن الاعتقاد بقوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وبحُسْن الفهم والاعتبار بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي: لا يتَّعظ ولا يَعتبر إلَّا أولو العقول الخالصة[(٢)].

(٨) - ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي: لا تُمِلْ قلوبنا عن الحقِّ، وهو خلقُ الميلِ في القلب، ودلَّ ذلك على أنَّ اللَّه تعالى خالقُ أفعالِ العباد، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾:

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١٥)، وجامع البيان (٥/ ٢١٨)، التيسير في التفسير (٣/ ٤٦٨)، تفسير مجاهد (١/ ٢٤٩).

(٢) بحر العلوم (٢/ ٩٢)، والكشف والبيان (٣/ ١٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٦٦).

يعني: بعد هدايتك إيَّانا؛ وهو خَلْقُ فعلِ الاهتداء أيضًا، ودلَّ على ما دلَّ عليه الأوَّل. ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: أي: مِن عندك، والرحمةُ تحتمل أنْ يكون أُريد بها الثباتُ على الإسلام، وتحتمِلُ أنْ يكون المرادُ بها الجنَّةَ، وتحتمِل أنْ يُريد بها كلَّ نعمةٍ. وقيل: معناه: هَبْ لنا ما نستوجبُ به الرحمةَ بوعدك. ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾: هو كثيرُ الهبة ودائمُ الهبة؛ وهي التبرُّع بما ليس على الفاعل فِعْله.

(٩) - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: باعثُ الخلقِ يومَ القيامة وجامعُهم للحساب والجزاء، وهو يومٌ لا شكَّ في كونه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: أي: للدَّاعين بالإجابة، وللمطيعين بالإثابة، يَحتمِلُ أنَّه تمامُ كلام الراسخين، ويحتمل أنَّه ابتداءُ كلامٍ، وهو إخبارٌ مِن اللَّه تعالى، ثم يحتمِل أنَّ المرادَ به هاهنا أنَّه لا يُخلِف ميعاده في إقامة القيامة على الخصوص، ويحتمل أنَّ المرادَ به في كلِّ شيءٍ.

(١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هذا ذمٌّ للكافرين بعد مدحِ الراسخين في العلم مِن المؤمنين، وكان كفرُهم لاغترارهم بأموالهم وأولادهم؛ فإنَّهم كانوا يَرَون عزَّهم بهما، قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، فأخبر أنَّ ذلك لا يُغني عنهم، وهو قوله تعالى: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم﴾: أي: لا تنفعهم، والغَناء بالفتح والمدِّ: النفع، والغِنَى بالكسر والقَصْر: الغُنية، وقد أَغناهُ؛ أي: جعله غنيًّا، وأغنى عنه؛ أي: نَفَعه ودفعَ الضررَ عنه. ﴿مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: مِن عذاب اللَّه، ومعناه: لا يَصرف عنهم عذابَه، وكانوا يقولون: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] وقال اللَّهُ تعالى في ردِّهم: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ

﴿مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]. وقال تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] وهو الولد. وقال عزَّ وعلا ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨].
وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾: أي: حطبُ النار، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]؛ أي: تشتعل بهم وتُحرقهم.

(١١) - ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: لن تغنيَ عنهم أموالهم ولا أولادهم، كما لم تُغْنِ عن آلِ فرعون والذين مِن قبلهم أموالُهم ولا أولادُهم، والدَّأْبُ: العادةُ، وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أي: صنعُ هؤلاء كصنيع آلِ فرعون في الشِّرك. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: والكفارِ الذين كانوا قبلَهم. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: بكتبنا وبرسلنا، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: عاقبهم بها. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: أي: للكفار[(١)].

(١٢) - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾. أي: قل لليهود الذين كان لهم عهدٌ ثم نقضوه -وهم بنو النضير- واعتمَدوا أموالهم وأولادهم: ستُغلبون وتقهرون، فلا تنفعكم أموالُكم ولا أولادُكم، وهذا في الدنيا، وقوله تعالى: ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ أي: تُجمَعون وتُبعَثون إلى جهنَّم، وذلك في العُقبى. ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي: وبئسَ الفِراش[(٢)].

---

(١) جامع البيان (٥/ ٢٣٥ - ٢٣٧)، وبحر العلوم (١/ ٢٤٨)، والكشف والبيان (٣/ ١٨ - ١٩).
(٢) جامع البيان (٥/ ٢٣٩ و٢٤٠)، والتيسير في التفسير (٣/ ٤٧٨).

(١٣) - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لم يقل: كانت؛ لتقدُّم الفعل، ولأنَّ الآيةَ في معنى البيان والبرهان، ولأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ، ومعناها: كان لكم أيُّها الكفار المغترُّون بالعَدَد والعُدَد علامةٌ على صِدْق دعوى محمَّدٍ الرسالةَ، وإخبارِه أنَّكم ستُغلَبون وتُحشَرون في طائفتين وفرقتين اجتمعتا للقتال ببدرٍ؛ إحداهما فئةٌ تُجاهِد في سبيل اللَّه، وهم لا كثرةَ فيهم ولا شوكةَ، وهم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾؛ أي: والطائفةُ الأُخرى كافرةٌ باللَّه ورسوله، وهم كفَّار قريشٍ أبو جهلٍ وأصحابُه، وكانوا تسعَ مئةٍ وخمسينَ رجلًا، وقادوا مئةَ فرسٍ، وساقُوا سبعَ مئةِ بعيرٍ، وفيهم مئةُ فارسٍ درَّاعٍ، وفي الرَّجَّالة راعون، والمسلمون ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ؛ بين كلِّ أربعةٍ منهم بعيرٌ، ومعهم ستُّ أدرعٍ وفَرَسانِ، ففي ذلك عبرةٌ لِمَن اعتبر حيث غلَب القليلُ الكثيرَ.

﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾: بياء المغايبة؛ أي: المسلمون يَرون المشركين مِثْلَي أنفسِهم، وهو أنَّ اللَّهَ جلَّ جلاله أَرى المشركين في أعين المسلمين ضعفَهم بلا زيادةٍ؛ تشجيعًا لهم على قتالهم، إذ لو وقع عندهم أنَّهم بأضعافهم فربَّما هابوا، وكانوا لا يمتنعون عن قتال ضِعْفهم، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، وقيل: إنَّ كلَّ واحدةٍ مِن الفئتين رَأَت أنَّها في العدد مثل الفئة الأخرى؛ ليُقدِم بعضُهم على بعض، ولو رأى المسلمون المشركين على عددِهم لم يُؤمَن فشلُهم، ولو علم المشركون بعدد المسلمين لم يُؤمَن نكولُهم، فقلَّل كلَّ فئةٍ عمَّا كانت عليه في عيون الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾؛ أي: في رؤيةِ العين، فـ﴿رَأْيَ﴾ نصبٌ على الحال، وتقديره: رائين بأعينهم، والعينُ في معنى العيون؛ لأنَّه جنسٌ، فصلح للجمع. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يقوِّي، والأَيْد والأَدُّ: القوَّة، والتأييدُ: التقويةُ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي: لآيةً، وسُمِّيت بها لأنَّه يُعْبَر بها عن موضع الجهل إلى العلم، مِن العُبور وهو قَطْع النهر والنفوذُ، والاعتبارُ: الاستدلالُ بالشاهد على الغائب، والأبصار: جمع بَصَر، وهو رؤيةُ القلب، وكذلك البصيرة، قيل: إنَّ في نصر المؤمنين وهم قليلٌ، وهزيمةِ المشركين وهم كثيرٌ، لعبرةً لأُولي البصائر في أمرِ اللَّه تعالى.

(١٤) - ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: انتظامُ هذه الآية بما قبلها: أنَّه ذكر في الآية الأولى عدمَ نفع الأولاد والأرحام في الحاصل، وذَكر حالَ الآخرة في مقابلتها. ﴿زُيِّنَ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعله، وفاعلُه هو اللَّهُ تعالى في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، وروي عنه أنَّه رفع يديه وقال: اللَّهمَ زيَّنتَ لنا الدنيا وما فيها، وما بعدها خيرٌ منها، فاجعل حظَّنا مِن الذي هو خيرٌ وأبقى، ودليلُه في كتاب اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ [الكهف: ٧] ومعناه: تخليقُ الميل والشهوة في القلوب وتصوُّر حُسنها وزينتها، مِن غير أنْ يتعرَّض لِذِكْر فاعلها، كما يقال: أين يُذهَبُ بك؟؛ أي: أين تَذهب؟ مِن غير إرادةِ مَن يُذْهِبُه. ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾؛ أي: المشتهيات، ولذلك جُمع، ودليلُ ذلك أنَّه فسَّره بالمشتهيات، وهو قوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ الآية، والشهوة: تَوَقانُ النفسِ إلى الشيء، وقد شهِيَ شهوةً، مِن

---

(١) رواه ابن المنذر في "تفسيره" (٢٨٩)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢/ ٦١٢).

باب عَلِمَ، واشتَهى يَشتهي، وتشهَّى يتشهَّى، وشهَّاه غيرُ تشهيةً، ورجل شهوانُ، وامرأةٌ شهوى. والنساء والنِّسوة: جمع امرأة على غيرِ لفظها، والبنين: جمع ابنٍ، وقد يقعُ في غيرِ هذا على الأولاد كلِّهم ذكورِهم وإناثِهم، وهاهنا أُريد به الذكورُ؛ فهم المشتهَون في الطِّباع والمعَدُّون للدفاع. ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾: جمع القنطار، والقنطار؛ قيل: هو أربعون أوقيَّةً مِن ذهبٍ أو فضةٍ، وقيل: ألفٌ ومئتا دينارٍ، وهو تشبيهٌ بالقَنْطَرَة -وهو الجسرُ العظيمُ- بمعنى العظَم. وقيل: بمعنى العقد، وقيل: بمعنى التحصين، وقيل: بمعنى الإحكام، وقيل: بمعنى الجمع(١)، ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ أي: المضاعَفة، فالقناطيرُ ثلاثةٌ، والمقنطرةُ تسعةٌ، وقيل: هي المضروبةُ المنقوشةُ. ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾: أي: القناطيرِ مِن هذين الجنسين. ﴿وَالْخَيْلِ﴾: الخيل: الأفراس، لا واحدَ لها مِن لفظها، واشتقاقها مِن الخُيَلاء؛ لاختيالها في مشيها، ومِن التخيُّل؛ فإنَّها تتخَيَّل في عينِ صاحبها أعظم منها؛ لتمكُّنها في قلبه، ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾: المرعيَّةُ، وقد سامَت السائمةُ؛ أي: رَعَت، وأَسامها وسوَّمها صاحبُها؛ أي: رعاها، وقيل: المُعَلَّمَة، قال تعالى: ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وقيل: أي: المعدَّة للقتال(٢)، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: هي جمع نَعَمٍ، وهي اسمٌ للإبل

---

(١) جامع البيان (٥/ ٢٥٨)، وتفسير ابن المنذر (٦١٧)، وبحر العلوم (١/ ٣١٦)، والكشف والبيان(٣/ ٢٤)، والنكت والعيون (١/ ٣٧٦).

(٢) البسيط (٥/ ٩٦)، وتفسير العز بن عبد السلام (١/ ٢٥٥)، وجامع البيان (٥/ ٢٥٤ - ٢٦٠)، وبحر العلوم (١/ ٣١٦)، والكشف والبيان (٣/ ٢٣ - ٢٤)، والنكت والعيون (١/ ٣٧٦).

والبقر والغنم، ولا يقال: النَّعَم، لجنسٍ منها على الإفراد إلَّا للإبل خاصَّة، والنَّعَمُ اسمُ جنسٍ لا واحدَ له مِن لفظه، كالخيل والإبل والنِّساء والرَّهْط. ﴿وَالْحَرْثِ﴾: أي: والزرع، ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: إشارةٌ إلى حبِّ الشهوات، ولذلك ذُكِّر ووحِّد، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾: أي: المرجعِ، وهو الجنَّة، يقول: إنَّما جُعل ذلك ليُتناول منه بقَدْر المُتْعة في الدنيا وأَخذِ البُلْغة منه، لا ليستكثرَ منه الاستكثارَ الذي يُورِّط صاحبَه في المحظور ويُوْرثه المحذور، وهذا تزهيدٌ في الدنيا، وترغيبٌ في الآخرة، وبيانٌ أنَّه لم يَخلق ذلك كلَّه ليستعملوها في خلافه والصَّدِّ عن سبيله، بل ليتبلَّغوا بها، ثم المآبُ إلى اللَّه تعالى فلْيستعينوا بها على ذلك(١).

(١٥) - ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾: أي: قل يا محمَّد ﷺ، أَأُخبركم بما هو خيرٌ مِن جميع ما عدَّدْتُ عليكم مِن المشتهَيات الدنيويَّة؟، وهذه ألفُ الاستفهام بمعنى استعظامِ ما يخبرهم به. ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: الكفرَ والمعاصيَ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: مرَّ تفسيرُه في سورة البقرة، وهذا كلُّه تفسيرُ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾: ولهم أيضًا رضًا مِن اللَّه، كما قال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[المائدة: ١١٩] وقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢]، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي: واللَّهُ بصيرٌ بمصالح عباده في دنياهم وأُخراهم، فلا ينبغي لمَن اختار له في الدنيا التوحيدَ والعملَ الصالح أنْ يتَّهمه في منعِ هذه المشتهَيات الدنيويَّة عنه.

---

(١) التيسير في التفسير (٣/ ٤٨٨).

(١٦) - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: هذا وصفُ المؤمنين الذين لهم جنَّاتٌ، أي: هم الذين يقولون. ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾: مَدَحهم بحُسْن الاعتقاد وصِدْق التضرُّع. ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: فإنا لا نتحمله.

(١٧) - ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾: هذا كلُّه نعتٌ للمتقين، وقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أي: على ما أمر اللَّه، والصَّبْر: حبسُ النَّفْسِ عن شهواتها المحظورةِ في الشرع، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ أي: فيما عاهدوا اللَّه عليه، وهو على ثلاثةِ أنواعٍ: صدق القول، وصدق الفعل، وصدق النِّيَّة. ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ القانتُ: المطيعُ، وقيل: الدائمُ على الطاعة، وقيل: هو الدَّاعي، وقيل: هو القائمُ بالليل، وقيل: هو الخاشعُ، وقيل: هو الخاضعُ، وقيل: هو الدائمُ على الطاعة الذي لا يَدخلُه فيها فَترةٌ، ولا يقطعه عنها غفلةٌ، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾؛ أي: أموالَهم في وجوه الخير، وغيرَ الأموال أيضًا على ما مرَّ في قوله جلَّ جلاله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣]. ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾؛ أي: الذين يسألون اللَّهَ تعالى مغفرةَ ذنوبهم. وقيل: هم المُصلُّون في آخِرِ الليل[(١)].

(١٨) - ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: أولو العلم هؤلاء الذين سبق ذِكْرهم ومَدْحهم، ومن تمام مدحِهم أنَّهم يَشهدون بهذه الشهادة، وذِكْرُ اللَّهِ تعالى والملائكةِ قَبْلهم تأسيسٌ لمدحهم، وأنَّهم يشهدون بما شهد اللَّهُ به وملائكتُه. ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الشهادةُ: الإخبارُ عمَّا شُوهد؛ أي:

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٣٠)، والنكت والعيون (١/ ٣٧٨)، وجامع البيان (٥/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

شهودَ نظرٍ أو علمٍ. وقيل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾؛ أي: قالَ اللَّهُ، وقيل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾؛ أي: أقام شهادةَ الآياتِ اللائحة والدِّلالات الواضحة، وقيل: هي شهادةُ ذاته؛ أي: هو بذاته متعالٍ عن جميع معاني المُحدَثين المربوبين، فهو الإلهُ الخالق المعبود، وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: شهد لنفسه واستَشْهَد مِن خَلْقه، وحمِد نفسَه، واستَحمَد مِن خلقه، ونزَّه نفسه واستنزَه مِن خلقه؛ أي: قال: سبحان اللَّه، وأَمر به، فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب: ٤٢][1]، ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ هو اسمُ جميع المؤمنين؛ لعلمهم باللَّه، والجاهلُ اسمٌ للكافر؛ لجهله باللَّه، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: شهد اللَّهُ القائمُ بالقِسْط، وهو في معنى قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، وفي معنى قوله: ﴿الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] وهو الذي خلق الخلق، وهو يربِّيهم ويُصلِح شأنهم، والقسطُ: العدل؛ أي: هو القاضي بينهم بالعدل. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَعاد هذه الكلمات بعد ذكرها في أوَّل الآية؛ لأنَّ الأُولى إخبارٌ مِن اللَّه تعالى به، والثانية أمرٌ للعباد أنْ يقولوا ذلك. ﴿الْعَزِيزُ﴾ هو الغالبُ الذي لا يُغلَب، ﴿الْحَكِيمُ﴾ هو المصيبُ في القول والعمل[2].

(١٩) - ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾؛ أي: الدِّينَ الحقَّ والدِّينَ المرضيَّ هو الإسلام، قال اللَّه تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٧)، والكشف والبيان (٣/ ٣٣)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٨٩)، ومعاني القرآن" للزجاج (١/ ٣٨٥)، وتأويلات أهل السنة (٢/ ٣٣٠ - ٣٣١).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٠)، والدر المصون (٣/ ٧٧).

تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية [آل عمران: ٨٥]، وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نزلت: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ حين افتخر المشركون بأديانهم، وقال كلُّ فريقٍ منهم: لا دينَ إلَّا ديننا، وهو دينُ اللَّه تعالى منذ بَعث اللَّهُ تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكذَّبهم اللَّهُ تعالى وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الذي جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو الدِّين الحقُّ منذ بعث اللَّهُ تعالى آدمَ، وما سواه مِن الأديان فكلُّها باطلٌ[1]، والإسلامُ: هو الاستسلامُ، وهو الإخلاصُ أيضًا، قال اللَّه تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، وهو في الحقيقة: جعلُ كليَّة الأشياء للَّه تعالى لا شريكَ له فيها في ملكٍ ولا إنشاءٍ ولا تقديرٍ، وهو دينُ كلِّ نبيٍّ كان، قال اللَّه تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: أي: وما اختلف في دينِ اللَّهِ الإسلامِ اليهودُ والنصارى الذين أُعطوا علمَ التوراة والإنجيل إلَّا مِن بعد ما جاءهم البيِّنات؛ أي: اختلافُهم ليس لقصورٍ في البيان، ولا لغموضٍ في الحجج، بل حججُ التوحيد ظاهرة، ودلائلُه واضحة قاهرة. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ البغيُ: هو طلبُ الاستعلاء بالظُّلم؛ أي: عاندوا الحقَّ وأعرضوا عن التدبُّر؛ حسدًا للرُّسل والمؤمنين، وطلبًا للرئاسة، وإرادةً للتعزُّز والتعظُّم على الآخرين. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: الكتبِ والرُّسل، وقيل: بمحمَّد ﷺ والقرآن. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: أي: فإنَّه سيصير إلى اللَّه سريعًا؛ فيحاسبُه ويجازيه على كفره،

---

(١) البسيط (٥/ ١١٧).

وقيل: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ في معنى: شديد العقاب؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "مَن نُوقِش الحساب عُذِّبَ"(١).

(٢٠) - ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: أي: خاصَموك، ولم يقل في ماذا؟ وتبيَّن بالجواب أنَّه كان في الدِّين، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: أخلصتُ قصدي وتوجُّهي للَّه لا أتوَّجه إلَّا إليه. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: عطفٌ على التاء من ﴿أَسْلَمْتُ﴾؛ أي: أسلمتُ أنا وجهي ومَن اتبعني فعل كذلك، وفيه وجهان: أسلمت أنا ومَن اتبعني، و: أسلمتُ ومَن اتبعني، والأكثر مع ذكرِ: (أنا)، قال اللَّهُ تعالى: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فجُمع في القرآن بين الوجهين، وقيل: إنَّما حذف (أنا) هاهنا؛ لطول الفصل في الكلام، فصار عِوضًا عن ذِكْر الضمير. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: يهودِ المدينة ونصارى أهل نجران ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾: مشركي العرب، ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى الأمْر، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وهو كقولك: أَتنزلُ وتأكلُ معنا؟. ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾: أي: أَسلموا وجوهَهم كما أسلمتُم أنتم فقد رشدوا. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: أَعرضوا عن ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: تبليغُ الرِّسالة، وليس بيدك أنْ تمنعهم عن التولِّي، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي: هو يَراهم ولا يَغفُل، وهذا وعيدٌ، وقيل: أي: بصير بجزاء أعمالهم، وقيل: أي: بصيرٌ بما أسرُّوا وأَعلنو(٢).

(٢١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: اليهود كفروا بمحمَّدٍ

(١) رواه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٣٦)، ومعالم التنزيل (١/ ٢٨٧).

ﷺ والقرآنِ وعيسى والإنجيلِ، وخالفوا التوراةَ أيضًا. ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾: أي: زكريا ويحيى وغيرَهما. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: معناه: يقتلون بغير حقٍّ مِن تلك الحقوق. ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾: أي: وقتلوا أيضًا المؤمنين بالأنبياء وأَتباعِهم الذين أمروهم بالمعروف، وهذا ذمٌّ لهم بالقتل، وبعصيانهم مَن ينهاهم عن القتل، وبقتل الذين أَمروهم بالمعروف. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: اجعل لهم بدلَ البشارةِ -وهي الخبرُ السَّارُّ- الإخبارَ بالنَّارِ، وهذا غرضه التهكم بهم.

(٢٢) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: أي: بَطَلت، أي: أولئك الذين فعلوا ذلك بَطل بكفرهم وقتلِهم الأنبياءَ ما كان لهم مِن عملٍ هو طاعة وعليها ثوابٌ لو سلم مِن الكفر. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾؛ أي: لا ينالون بها نفعًا؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل ينالهم الخزيُ بالسَّبي والقتل والجزية في الدنيا، والعذابِ المقيم في الآخرة. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: أي: ليس لهم ناصرٌ يَدفع عنهم الخزيَ والعذابَ في الدنيا والآخرة.

(٢٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾: وهذا في صفاتِ اليهود أيضًا و﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هو تعجيبٌ مِن جميعهم، وتنبيهٌ على سُوء صنيعهم. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي: التوراة، وقيل: القرآن؛ لأنَّه مُصدِّقٌ للتوراة. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: ليقضي، وفي الكتاب بيانُ الحكم، فأُضيف الحكم إليه، كما في صفة القرآن: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] لأنَّ فيه بيانَ التبشير والإنذار. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: أي: يُعرِض عن الداعي طائفةٌ منهم، ولم يَصِفْ به

الكُلَّ؛ لأنَّه قال في هذه السورة: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَايِمَةٌ﴾[آل عمران: ١١٣]وقال تعالى: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٥٩]. ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي: عما دُعوا إليه، فلم يكن تكرارًا، وقيل: يُدعَون جميعًا ويتولَّى فريقٌ منهم، وهم رؤساؤهم، وقوله: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي: الأتباع تقليدًا(١).

(٢٤) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾: أي: ذلك التولِّي منهم وقتلُ الأنبياء لاعتقادهم وقولِهم: لن تمسَّنا النارُ، ولا يعذِّبنا اللَّهُ بمعاصينا إلَّا أيامًا قلائلَ ثم يُخرِجنا منها، وقيل: هذه الأيامُ أربعون يومًا عندهم، وهي مدة الأيام التي عَبَدُوا فيها العجلَ. ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: الغرورُ: الخداعُ، وقيل: الإطماعُ فيما لا يصحُّ، وهذا عطفٌ على قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾. وقوله: ﴿فِي دِينِهِمْ﴾ أي: وغرَّهم في دينهم الباطل. وقيل: غرَّهم في دينهم الحقّ. ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: غرَّهم افتراؤهم على اللَّه بقولهم: نحن أبناءُ اللَّه وأحباؤه، فلا يعذِّبنا بذنوبنا إلَّا مدَّةً يسيرةً. وقيل: غرَّهم تأخيرُ العذاب عنهم. وقيل: غرَّهم عفوُ اللَّهِ عنهم في الدنيا(٢).

(٢٥) - ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: فيه مُضمَر؛ أي: فكيف حالُهم؟، أو: كيف احتيالُهم يوم القيامة؟، وقوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ ولم يقل: في يوم؛ لأنَّ معناه: لجزاءِ يومٍ. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شكَّ فيه؛ أي: في كونه، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: مرَّ تفسيرُ ذلك في سورة البقرة.

---

(١) جامع البيان (٥/ ٢٩٣)، والتيسير في التفسير (٣/ ٥١٠).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٩)، وجامع البيان (٢/ ١٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٦).

(٢٦) - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: انتظامُها بما قبلها: أنَّ اليهودَ -لعنهم اللَّهُ- كانوا يكذِّبون النبيَّ ﷺ ويُخالفونه بحَمْل رؤسائهم إيَّاهم على ذلك، وكان النبيُّ ﷺ يتوقَّع زوالَ رئاستهم لنزول هذه الآية، فأمره اللَّهُ تعالى أنْ يَدعوَ اللَّهَ تعالى بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾؛ ليجيبَ دعوته ويحقِّقَ أُمنيته، وسبب نزول هذه الآية روي عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ المنافقين واليهودَ لـمَّا سمعوا النبيَّ ﷺ يقول: "وَعَدني اللَّهُ ملك فارسَ والرومِ"، كَبُرَ ذلك عليهم وقالوا: هم أعزُّ حمًى وأمنعُ جانبًا مِن أنْ تنالهم أيدي رعاةِ البُهْم، فنزلت هذه الآية[١]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو اسمُ اللَّهِ الذي إذا دُعِيَ به أجاب. وقيل: معناهُ: يا اللَّهُ، والميم في آخره عوضٌ عن الياء التي في أوَّله، ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾؛ أي: يا مالكَ المُلك، والنداء قد يكون مع حذفِ حرف النِّداء، كما في قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] وفي المفرد: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]؛ أي: يا يوسف، ومعنى إضافة المالك إلى الملك لشمول المدح، فإنَّه مالك الملوك والملك جميعًا. ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ معناه: مالكَ العباد وما ملَكوا، وقيل: معناه: مالك أمرِ الدنيا والآخرة[٢]. ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾؛ أي: تعطي ملكَ الدُّنيا مَن تشاء أنْ

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٤٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ١٠٠)، وجامع البيان (١٩/ ٤٠).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٤١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٩٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٣).

تعطيَه، وقوله تعالى: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾؛ أي: تأخذ وتسلب وتصرف ممَّن تشاء أنْ تنزعَه منه. ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾؛ أي: بما تعطيه مِن الأموال والخَدَم والأنصار وسائرِ أسباب العزِّ والكرامة. ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ إذلالَه بأضدادها. ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أي: أنتَ مالكُ الخير والقادرُ عليه في الدنيا والآخرة، وإنَّما خصَّ الخير بالذِّكر دون الشَّرِّ -وإن كان هو مالكَهما- لأنَّه موضعُ المدح والثناء والرغبة والدُّعاء، فكانت إضافةُ الخير إليه أقربَ إلى مراعاة الأدب، وقيل: هو مِن باب الاكتفاء، ومعناه: بيدك الخيرُ والشَّرُّ،

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يقدر على شيءٍ أحدٌ غيرُك إلَّا بإقدارك.

(٢٧) - ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: الولوجُ: الدخولُ، والإيلاجُ: الإدخالُ، ووليجةُ الرجلِ: بطانته؛ لأنَّه يُطلِعه على داخل أمرِه، ومعنى الآية: أي: تُنقِص مِن ساعات الليل وتَزيدها في النهار، ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: أي: تَنقص مِن ساعات النهار وتَزيدها في الليل، وهو تقريرٌ للأوَّل ووصفٌ بكمال القدرة، إذ ليس ذلك في قدرةِ غيرِ الله تعالى. ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: أي: المؤمنَ مِن الكافر ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾؛ أي: الكافرَ مِن المؤمن، وروى الزهريُّ أنَّ النبيَّ ﷺ؛ رأى خالدةَ بنتَ الأسود بنِ عبد يغوث، وكانت صالحةً، وأبوها كافرٌ، فقال: "سبحان الذي يُخرج الحيَّ مِن الميتِ[(١)]"، وقيل: معناه: يجعل الكافرَ مؤمنًا والمؤمنَ كافرًا، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ أي: كافرًا

---

(١) رواه عبد الرزاق في التفسير (١/ ١١٧ - ١١٨)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٤٨)، والطبري في جامع البيان (٥/ ٣١١).

فهديناهُ. ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: لا نهايةَ لمقدورِك فما تعطيه العبدَ لا يَنقص ذلك مِن مقدورك شيئًا[١].

(٢٨) - ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: الأولياءُ: جمعُ وليٍّ، وهو الذي يَلي أمرَ مَن يرضاه بالعون والنُّصرة، وهو يُطلَق على المُعين وعلى المُعان أيضًا، واللَّه وليُّ المؤمنين؛ أي: مُعِينهم، والمؤمنُ وليُّ اللَّهِ؛ أي: معانُه، ومعنى الآية: لا يَجعلنَّ أحدٌ مِن المؤمنين أحدًا مِن الكافرين وليًّا في أمرٍ مِن الأمور التي يتوالَى بها المتواصلون والمتوادُّون وأهلُ القرابات؛ مِن تعظيمٍ ومحبَّةٍ وصحبةٍ واستشارةٍ في مهمٍّ، بل ينبغي له أنْ يَصرف ذلك إلى المؤمنين. ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مفارقًا للمؤمنين مباعدًا لهم؛ لأنَّ مَن كان دون إنسانٍ في المكان، فهو مفارقٌ له مباعدٌ. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: أي: ومَن يتولَّهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: هي كلمةُ تبرُّؤٍ ومفارقةٍ. وقيل: ليس مِن ولايةِ اللَّهِ في شيءٍ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى قد برِئَ منه. وقيل: ليس مِن دينِ اللَّهِ في شيءٍ. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: أي: إلَّا أنْ يكون في موضعٍ تخافون الكفَّارَ على أنفسكم أو أهاليكم أو أولادكم أو أموالكم بإظهارِ العداوة، فرخِّص لكم إظهارُ الموالاة والموافَقة مع إضمار الحقِّ[٢]، قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: التقيةُ: الكلمةُ باللِّسان، والقلبُ مطمئنٌّ بالإيمان[٣]. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يخوفكم عقابه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزاءِ اللَّهِ تعالى مرجعُ الخلقِ؛

---

(١) النكت والعيون (١/ ٣٨٥)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٧٠).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٤٧)، التيسير في التفسير (٣/ ٥٢٧).

(٣) جامع البيان (٥/ ٣١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٣٨٢).

فيَجزي كلًّا بعمله.

(٢٩) - ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾: هذا تأكيدٌ للأول؛ لأنَّه نَهى عن موالاةِ أعدائه سرًّا وعلانيةً، وحذَّر مخالفته فيما نَهى، وأخبر أنَّه يَعلم ما أَخفَوه وما أَبدوه، وهذا أبلغُ وعيدٍ. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: وإذا عَلم ما في السماوات وما في الأرض كيف يَخفَى عليه ما يُسرُّه القلبُ. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: على إنزالِ ما حذَّركم به بكم، وقيل: مِن المغفرة والعقاب.

(٣٠) - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: تنال، ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾؛ أي: في كتابِ الحساب؛ قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقيل: ﴿تَجِدُ﴾ أي: ثوابَ ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾؛ أي: يُعجَّل لها ولا يُؤخَّر عنها. ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾: قيل: هو عطفٌ على الأول؛ أي: وتجد عملَ السُّوء أيضًا مُحضَرًا ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾؛ أي: بينَ النَّفس ﴿وَبَيْنَهُ﴾؛ أي: بين ما عملت مِن سوء ﴿أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً ﴿بَعِيدًا﴾ أي: تتمنَّى أنْ تكون مِن هذا العمل في الدنيا ببُعدٍ لا يزولُ أبدًا فلا تقع فيه قطُّ؛ لِمَا ترى مِن عقوبته، فيكون هذا زيادةَ صفةٍ على وجود العمل السَّيِّئ مُحضرًا، وهو تمنِّي أنْ لم يكن منها ذلك. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: أعاد التحذير؛ للتأكيد والتقرير. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي رحيم بخلقه، يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم، وأن يتبعوا رسوله الكريم.

(٣١) - ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾: الحبُّ

والمحبَّةُ كالودِّ والمودَّة، وقد حبَّه وأحبَّه؛ أي: ودَّه. والمعنى: قل يا محمَّد ﷺ: إنْ كنتم تحبُّون اللَّهَ كما تزعمون، فإنَّ ذلك لا يتحقَّق لكم حتى تتَّبعوني وتتركوا موالاةَ الكفار، فإنِّي أدعو إلى الإيمان بما بعثني اللَّهُ به، وإلى طاعة اللَّه تعالى فيما أمر ونهى، فمَن لم يتَّبعني لم يكن مُحِبًّا للَّه، إذ محبةُ العبدِ اللَّهَ إيثارُ طاعته على غير ذلك، فإذا فعلتم ذلك أحبَّكم اللَّهُ، ومحبةُ اللَّهِ العبدَ: إرادتُه ثوابَه، ورضاه عنه، واستحسانُه عملَه.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: عطفٌ على قوله تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفرُ لكم ذنوبَكم ويرحمُكم فلا يعذِّبكم. ودلَّت الآيةُ على شرف النبيِّ ﷺ؛ فإنَّه جعل محبَّته متابعةَ حبيبِ نفسِه، وفيه فضيلةٌ على الخليل؛ فإنَّ الخليلَ قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال اللَّهُ تعالى في حقِّ الحبيب: وقل لهم يا محمد ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1].

(٣٢) - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: لمَّا نزلت الآيةُ الأُولى، قال عبد اللَّه بنُ أُبَيٍّ ابنُ سلولَ المنافقُ -لعنه اللَّهُ- لأصحابه: إنَّ محمَّدًا يَأمرنا أنْ نحبَّه كما أَحبَّت النصارى عيسى ابنَ مريم، ويَأمرنا أنْ نطيعَه كطاعة اللَّه -تعالى-، فنزل قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[2]؛ أي: أطيعوا اللَّهَ فيما أمرَ، والرسولَ فيما بيَّن. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: فإنْ أَعرضوا عن القَبول فقد كفروا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: وهو أبلغُ مِن أنْ يُقال: يُبغض الكافرين؛ لأنَّه نفيٌ مِن كلِّ وجهٍ، والإثبات يدلُّ على وجهٍ.

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٢٣٥ - ٢٣٦)، التيسير في التفسير (٤/ ٩).

(٢) معالم التنزيل (١/ ٢٩٣).

(٣٣) - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ أي: اختاره بالرِّسالة إلى الملائكة والجنِّ والإنس وهم أولاد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَنُوحًا﴾: أي: اختاره بالرِّسالة وبإعلائه على مَن كفر. ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: قيل: هو إبراهيمُ نفسُه، وقيل: آلُ إبراهيم: أولادُه إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ والأسباطُ وسائرُ الأنبياءِ ذُرِّيَّته، ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾: فهو نفسُ عمران، وهو عمران بن أشهم، مِن ولدِ سليمان بنِ داود، وقيل: عمران بن ماثان، وهو والد مريم، ولم يكن اختيارُ هذا بالنبوَّة، بل بالدِّين المَرضيِّ والصلاحِ، وجَعْلِه والدَ مريم وجدَّ عيسى ابنِ مريم أبا أمِّه، وقيل: آلُ عمرانَ: أهلُ عمرانَ والدةُ مريم؛ يعني حَنَّةَ بنتَ فاقوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقيل: آلُ عمران: عيسى بنُ مريمَ بنتِ عمران، فإنَّه مصطفًى بالرِّسالة كآدم ونوحٍ وإبراهيم. والأوَّل أشبهُ بنظم الآية بما قَبلها وما بعدَها، وموسى وهارون دخلا في ذلك بذكر آل إبراهيم؛ لأنَّهما مِن ذُرِّيَّته ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي: عالَمي زمانِهم[(١)].

(٣٤) - ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. الذُّرِّيَّة: الوَلَد عند بعضهم، ومعنى الآية على هذا: أنَّ نوحًا صلوات اللَّه عليه مِن ذرِّيَّة آدمَ، وإبراهيمَ مِن ذرِّيَّة نوحٍ وآدم، وموسى وعمران مِن ذُرِّيَّة إبراهيم ونوح وآدم، ولا يكون آدمُ مِن ذُرِّيَّة أحدٍ، فيكونُ مخصوصًا منها، وقيل: أي: الأوَّل مِن الآخِر، والآخِر من الأوَّل؛ أي: الجنس واحد. وقيل: آدم مِن ترابٍ، فرجع الكُلُّ إلى ذلك، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالةِ اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:

(١) الكشف والبيان (٣/ ٥٢).

١٨] ﴿عَلِيمٌ﴾ بعقوبتهم على ذلك(١).

(٣٥) - ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ أي: واذكُر يا محمَّد ﷺ إذ قالت حنَّةُ بنتُ فاقوذ(٢)، وقيل: أي: واصطفى آلَ عمران إذ قالت. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: أي: يا ربِّ إنِّي التزمتُ التقرُّبَ إليك بتحريرِ ما في بطني مِن الولد، والتحرير: الإعتاق، وهو إثبات الحرية. قيل: كان بنو إسرائيل لم يكن لهم غنائمُ أعدائهم، فلم يكن لهم مماليكُ يُعتقونهم، فكانوا يحرِّرون أولادَهم تقرُّبًا إلى اللَّه جلَّ جلالُه، ويَقطعون منافعَهم عن أنفسِهم ويُفرِّغونهم لخدمة بيتِ اللَّه تعالى. وقيل: ﴿مُحَرَّرًا﴾؛ أي: خالصًا للَّهِ تعالى لا يُخالط أمورَ الدنيا. ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾: أي: اقبَل هذا الولدَ المحرَّر منِّي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾؛ أي: لمقالتي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيَّتي(٣).

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: أي: وَلدت البنتَ. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾: قيل: كانوا يحرِّرون الغلمانَ، وكانت ترجو أن تكون غلامًا، فلمَّا كانت جاريةً خافت أنْ لا تُقبَل منها ولا تَصلُح للمسجد، إمَّا لأنَّ حالهنَّ على التَّستُّر في البيوت، أو لأنَّ المرأةَ تحيضُ فتحتاج إلى الخروج مِن المسجد. وقيل: كانوا يُحرِّرون الغلمانَ والجواريَ، لكن الأنثى أضعفُ حالًا وأعجزُ، فقالت ذلك اعترافًا بالتقصير. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ هو إخبارٌ مِن اللَّه تعالى أنَّه أعلم منها بما

(١) الكشف والبيان (٣/ ٥٣)، والبسيط (١٠/ ٥٤٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٠١).

(٣) جامع البيان (٥/ ٣٣٢)، والكشف والبيان (٣/ ٥٤ - ٥٥).

وَضَعت؛ لأنَّها علمت بها بعد الولادة، واللَّهُ تعالى كان عالمًا بها في الأزل. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾: أي: قالت حنَّة: ليست البنتُ في خدمة المسجد كالابن، وهو اعترافٌ أيضًا بالتقصير. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: هي عبرانيَّةٌ، ومعناها: الخادم، وصارت عربيَّةً باستعمال العرب ذلك في لسانها، وكان ذلك استخارةً منها، ويقول الدَّاعي في الاستخارة: اللَّهمَّ إنِّي أُريد أمرَ كذا، وهو طلبُ الخِيَرة مِن اللَّه تعالى في ذلك. ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: هو الاستعصام والاستغاثة والاستعانة، وسألتْ ذلك في حقِّها وحقِّ ولدها، فأجابها اللَّهُ تعالى إلى ذلك. وقيل: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ إذا بلغت، وولدَها إنْ كان لها ولدٌ ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، فاستجاب اللَّهُ لها ذلك.

(٣٥) - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: أي: قَبِلها اللَّهُ تعالى منها ورَضيها، ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أي: أنشأها تنشئةً حسنةً، وغذَّاها تغذيةً صالحةً، وربَّاها تربيةً طاهرةً، وهو مشبَّه بإنبات النباتِ وتقويتِه وتربيته. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: الكَفْلُ: الضَّمُّ، والكَفالةُ بالمال: ضَمُّ ذمَّةٍ إلى ذمَّةٍ في حقِّ المطالبة بالدَّيْن، والكفالةُ بالنَّفس: ضَمُّ مطالبةٍ إلى مطالبةٍ، وكفالةُ اليتيم: ضَمُّه إلى نفسِه ويَضمن مؤنته، والكَفْلُ: مواصلةُ الصيام؛ وهو ضمُّ الأيَّام إلى الأيَّام في الصوم على الدَّوام. ومعنى (كَفَلها) بالتخفيف: ضمَّها إلى نفسه، و﴿زَكَرِيَّا﴾ رفعٌ؛ لأنَّه فاعلٌ، ومعنى التشديد: جعل اللَّهُ زكريَّا كافلَها وضامَّها إلى نفسه، و﴿زَكَرِيَّا﴾ نصبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ به[١]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ روي أن زكريا بنى لها محرابًا في مسجد بيت

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٢٣٧ - ٢٣٨)، والسبعة (١/ ٢٠٤)، والتيسير (١/ ٨٧).

المقدس، وجعل بابه في وسطه، وكان يُغلِق عليها الباب لا يَدخل عليها غيرُه، ولا يُرقى إليها إلّا بسُلَّم، والمحراب: المحرابُ أشرفُ المجالس ومُقدَّمُها، وقيل: المساجد عندهم تسمَّى المحاريب، وقيل: المحرابُ: الغرفةُ(٤)، قال: ألَا تراه قال تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] والتَّسوُّر لا يكون إلا مِن علوٍ. وقيل: المحرابُ: اسمٌ للقَصْر[١]، ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: جاء في التفسير: فاكهةُ الصيف في الشتاء: العنبُ الطَّريّ والتينُ الطريّ، وفاكهةُ الشتاء في الصيف، وفيه دلالةُ إثباتِ الكرامة للأولياء. ﴿قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾: أي: مِن أين لك هذا ولا يَدخُلُ عليك أحدٌ غيري، ولا يوجد هذا في الدنيا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: جبريلُ يَأتيني به مِن اللَّه تعالى، خلقَهُ لي. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: قيل: هو تمامُ قولِ مريم، وقيل: هو ابتداءُ كلامٍ مِن اللَّه جلَّ جلاله، ومعناه: بغير الاستحقاق على العمل. وقيل: أي: مِن غير أنْ يحاسبَه أحدٌ[٢].

(٣٨) - ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: (هنالك) و(هناك) بمعنى (ثَمَّ)، وهو إشارةٌ إلى المكان، ومعناه حينئذٍ؛ أي: لمَّا رأى عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء، على خلافِ مجرى العادة، طمع في الولد على كِبَرِ سِنِّه وعُقر امرأته، وإن كان على خلاف مجرى العادة. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: أي: تفضَّل عليَّ بإعطاء ولدٍ طاهرٍ مِن عندك، إذ لا أحدَ غيرُك يَقدر على ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. والذُّرِّيَّة: الولد،

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٧٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٠٣)، والتيسير في التفسير (٤/ ٢٢).

(٢) جامع البيان (٥/ ٣٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٨).

يقع على الذَّكر والأنثى، والواحد والجماعة، وتأنيثُ الطَّيِّبة؛ للَفظ الذُّرِّيَّة، والطَّيِّب: هو الذي يُستطاب أفعاله وأخلاقه، فلا يكون فيه أمرٌ يُستخبث ويُعاب. ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: أي: مجيبُ الدُّعاء، أي: إنَّك تَسمعُ الدُّعاءَ ولا يَخفى عليك ما أقولُه وما أُريده.

(٣٩) - ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: النداء كان مِن جبريل وحده، وإنَّما ذكَره جميعًا؛ لأنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نزل لأمرٍ كان معه جماعةٌ مِن الملائكة صلوات اللَّه عليهم، فإذا أَخبر بخبرٍ يجوز أنْ يقال: أَخبر الملائكة، على معنى أنَّه أخبر وهو معهم وهم جاؤوا لهذا، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ الواو للحال، دَلَّ أنَّ المرادات تُطلَب بالصلوات، وفيها إجابةُ الدَّعوات وقضاءُ الحاجات. ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: يقرأ بالتشديد مِن التبشير، وبالتخفيف مِن البشارة[١]، وهو الإخبار بالأمر السار، ﴿بِيَحْيَى﴾: قيل: يحيى، اشتُقَّ مِن اسمِ اللَّهِ تعالى الحيِّ، سمَّاه اللَّهُ تعالى به إكرامًا له، وقيل: سُمِّي به لمَّا حَيِيَ به الدِّينُ والمروءة، أو أو حَيِي به الأخلاقُ الفاضلة والأفعال المرضيَّة. وقال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سُمِّيَ به لأنَّه حيي به عُقر أمِّه[٢]، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: قيل -وهو قول عامَّة أهل التفسير-: هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّه كان بكلمة اللَّهِ مِن غيرِ أبٍ. وقيل: سُمِّيَ كلمةَ اللَّه: لأنَّ الناسَ يهتدون به في الدِّين كما يهتدون بكلام اللَّهِ تعالى، وهذا كما سَمَّى اللَّهُ تعالى القرآنَ رُوحًا، وعيسى رُوحًا؛ لأنَّه يُحيي بهما مِن الضلالة كما يُحيي الإنسان بالرُّوح،

---

(١) التيسير (١/ ٨٧).

(٢) تأويلات أهل السنة (٢/ ٣٦٢)، الكشف والبيان (٣/ ٦٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٤).

﴿وَسَيِّدًا﴾: هو نعتٌ له أيضًا، وهو الذي يفوقُ قومَه في خصال الخير حتى يستحقَّ الرئاسةَ عليهم بسُؤدُده. وقيل: السَّيِّد: الكريم على اللَّه تعالى.

﴿وَحَصُورًا﴾: أي: ممتنعًا مِن النساء مع القدرة عليهنَّ، والحَصَرُ: الحبسُ والمنعُ، وقيل: هو الممتنع عن كلِّ المعاصي. وقيل: هو المتبتِّل الذي حصر نفسَه عن كلِّ لذَّةٍ في الدنيا. ﴿وَنَبِيًّا﴾: أي: يُوحى إليه إذا بلغ مبلغَه، وهي مِن النَّبْوة؛ وهي: الرِّفعة، ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: مِن الآباء الصالحين، وقيل: الصالح: المؤدِّي حقوقَ اللَّه تعالى وحقوقَ الخلق(١).

(٤٠) - ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾:

(أنى) لمعنيين: كيف، ومِن أين، ولم يكن هذا نفيَ القدرة، بل سؤال الجهة أنَّه يكون عن تَبنٍّ أو توالُدٍ، ومن امرأتي هذه أو مِن غيرها، وعلى بقاء شيبهما أو ردِّهما إلى الشباب. ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: أي: على هذه الحال ومِن هذه المرأة، فإنَّ وحشةَ الانفراد كانت لكما جميعًا، فكذلك الاستئناسُ بالولد يكون لكما جميعًا. وقيل المعنى: بأيِّ استحقاقٍ منِّي تكون هذه الإجابة لولا فضلُك، والغلامُ: الولدُ الذَّكر، والجارية الأنثى، والكِبَرُ: العلوُّ في السِّنِّ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: هي التي لا تلدُ، ورجلٌ عاقرٌ أيضًا: وهو الذي لا يولد له ولدٌ، وعُقْرُ كلِّ شيءٍ أصلُه، وسُمِّيت العاقرُ به؛ لانقطاع النَّسل، ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾؛ أي: هو كما قلْتَ إنَّك قد كَبِرتَ وامرأتَك عاقرٌ. وقيل: أي: على هذه الحالِ يُولَد لك؛ لأنَّ اللَّه تعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ. ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: يعني: على وفاق العادة وعلى خلاف العادة؛ لكمالِ

(١) جامع البيان (٥/ ٣٧٤ - ٣٧٦)، والكشف والبيان (٨/ ٢٩٨).

قدرتِه، ونفاذ مشيئتِه(١).

(٤١) - ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾؛ أي: علامةً أعرف بها علوقَه متى كان، وكان ذلك ليتعجَّلَ السُّرورَ والغِبطة، وليشتغل بزيادة الشُّكر على هذه الموهبة، وليزيد في وظائف العبادة عند ظهور الزِّيادة في النِّعمة.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾؛ أي: علامةُ حدوثِ الولدِ أنَّك لا تستطيع أن تكلِّم الناس ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليها، من غير خَرَسٍ ولا آفةٍ أخرى، فإنه بقي قادرًا على التكلُّمِ بالذِّكر والتَّسبيح، بدليل أنه أُمِرَ بذلك في هذه الآية، ولأنه قال في سورة مريم: ﴿سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]؛ أي: سليمَ الأعضاء، يقول: لا تُمْنَعْ عن خطابي لأنِّي لا أمنع أوليائي عن مناجاتي(٢)، ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ والرَّمز هو الإشارة بالشَّفتَين، وقيل: بالحاجبَين، وقيل: بالعينَيْن، وقيل: باليدَيْن، وقيل: بالرَّأس.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾؛ أي: اذكره بلسانك ذكرًا كثيرًا ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾؛ أي: صلِّ بكرةً وعشيًّا. وقيل: العَشِيُّ من زوال الشَّمس إلى أن تغيبَ وقيل: العشيُّ آخرُ النَّهار. والإبكارُ: من وقت طلوع الفجر إلى وقت الضحى(٣).

(٤٢) - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ الملائكة هنا: أريد بها جبريل وحده كما مرَّ في قصة زكريا، وكلامُ جبريل معها لم يكن وحيًا إليها؛ فإن اللَّه تعالى

---

(١) بحر العلوم (١/ ٢٣٦)، والكشف والبيان (٣/ ٦٥)، والبسيط (٥/ ٢٣٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥).

(٢) تأويلات أهل السنة (٢/ ٣٦٥).

(٣) لطائف الإشارات (١/ ٢٤١)، وجامع البيان (٥/ ٢٨٦).

يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[الأنبياء: ٧]، ولا نبوَّة في النِّساء في قول أهل الحقِّ، وما وقع لمريم مِن الخوارق كان كرامةً لها، وكرامات الأولياء حقٌّ، أو كان معجزةً لزكريَّا، فإنَّها كانت في زمانه، أو كانت معجزةً لعيسى قبل خروجِه، كالمعجزات التي كانت لنبيِّنا المصطفى ﷺ قبل مبعثه، كتظليل الغمام، وقصةِ الفيل. ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾؛ أي: اختارَكِ بالدِّين الحق، وقيل: بحسن القَبول وحسن الإنبات. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾؛ أي: من الحيض والنِّفاس. ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾؛أي: اختارك بولدٍ من غير أبٍ ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: معناه: على نساء عالَمي زمانها، فعائشةُ وفاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في فضل الدِّين فوقها.

(٤٣) - ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾أي: أخلصي، وقيل: أي: أطيعي ربك. ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: قَبل القنوت القيامُ، والركوعُ والسُّجود بعدهما، فهذا أمرٌ بالصلاة، والواو للجمع لا للتَّرتيب، فجاز ذكر السجود قبل الركوع، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[الفرقان: ٦٤]. وقيل: السجود: الصلاة، والركوع: الشكر، قال تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [ص: ٢٤]؛ أي: شاكرًا. وقيل: الركوع: التذلُّل والتواضع. وقيل: ﴿وَاسْجُدِي﴾ أمرٌ بأصل الصلاة، ﴿وَارْكَعِي﴾ أمرٌ بإقامة الجماعة في الصلاة[١].

(٤٤) - ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾؛ أي: هذا الذي ذكرنا من قصة مريم وعيسى وزكريا ويحيى من أخبار الغيب، لا يُوقَف عليها إلَّا بمشاهدةٍ، أو قراءةِ كتابٍ، أو تعلُّمٍ من عالمٍ، أو بوحيٍ من عند الله، وانعدمَت الثلاثة الأُوَل، فتعيَّنت

(١) جامع البيان (٥/ ٣٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٨)، والتيسير في التفسير ٤/ ٤٢).

الرابعة، وهو الوحي. ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؛ أي: ننزِّله عليك دلالةً على صحَّة نبوَّتك، وإلزامًا على نصارى نجران وغيرهم فيما يحاجُّونك. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: وما كنت، يا محمد ﷺ، عندهم فتعلم ما نعلِّمه لك من أخبارهم التي لم تشهدها، ولكنك إنما تعلم ذلك فتدركُ معرفته، بتعريفنا لك. ﴿لَدَيْهِمْ﴾ أي: عندهم. ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: حينَ يلقون أقلامهم أي: سهامهم التي استهم بها المتسهمون من بني إسرائيل على كفالة مريم. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ خطابٌ لمحمدٍ ﷺ أي: وما كنتَ، يا محمد ﷺ، عند قوم مريم، إذ يختصمون فيها أيُّهم أحقّ بها وأولى. ثم للآية وجهان: أحدهما ظاهرٌ وعليه الأكثر: أنهم تشاحُّوا فيها، فكلٌّ يرغبُ في كفالتها، والآخر غامضٌ، وقد ذكر في بعض التفاسير أنَّ كلَّ واحدٍ منهم كان يروم بالقُرعة دفعَ ذلك عن نفسِه؛ فإنَّه كان في زمان عزَّة الطعام. فعلى الأول: هذا تعجيبٌ من الله تعالى مِن حرصِهم على كفالتها لفضلها. وعلى الثاني: تعجيب مِن تدافُعهم لكفالتها مع فضلِها، حتى وَفَّقَ لها ورزقها أفضل الكفلاء.

(٤٥) - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾؛ أي: واذكر يا محمد ﷺ إذ قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾: قال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن مريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت في مَشرقةٍ لها قد ضَربت دونها سترًا، إذا هي برجلٍ عليه ثيابٌ بيضٌ -وهو جبريل- تمثَّل لها بشرًا سويًّا، فلمَّا رأته قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، ثم نفخ في جيب درعها، حتى وصلَت النَّفخة إلى

الرَّحم فاشتملَتْ(١)، ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾؛ أي: بولدٍ يخلقُه من غير أبٍ، يقول له: كن فيكون. وقيل: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾؛ أي: يهدي به إلى الحقِّ كما يهدي بكلامه. ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: قيل: المسيح لقب، والاسم عيسى، وبدئ باللَّقب وفي معنى (المسيح) أقاويل: قيل: هو الذَّاهب في الأرض، وقيل: هو الذي كان يمسح المرضى فيَبْرؤون. ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: صار ذا جاهٍ ومنزلةٍ وقَدْرٍ. والجاهُ أصله: الوجاه، حذفت الواو منه تخفيفًا لكثرة الاستعمال. وجاهُهُ في الدُّنيا: ما قال في صغرِه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ [مريم: ٣٠] وفي الآخرة بأن يُشفِّعه في جملةِ مَن يُشفِّعه من الأنبياء، ويدخلَه الجنة مع المرسلين. وقال الحسن: وجيهًا في الدنيا بالنبوَّة، وفي الآخرة بالمنزلة. ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: أي: بالمنزلة العُليا من الثَّواب والكرامة في الآخرة.

(٤٦) - ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾: تقديرُه: ومكلِّمًا، أي: حال كونه في المهد طفلًا وحال صيرورته كهلًا، والمهدُ: مَضجَعُ الصبيِّ في الرَّضاعة، وهو من التَّمهيد له، معناه: أنه يتكلَّم في طفوليَّته في حِجرِ أمِّه شاهدًا على طهارتها وبراءتها؛ كرامةً لها، أو معجزةً لعيسى، فإنه ناقضٌ للعادة، إذ ليس حالُه النُّطق عادةً، ﴿وَكَهْلًا﴾؛ أي: حال كهوليَّةٍ، وهي ما بين الشباب والشَّيب، من قولهم: اكتهلَ النَّبْتُ: إذا طالَ وقويَ. فإن قالوا: أيُّ أعجوبةٍ في تكلُّمه كهلًا؟ وإنما ذكر تكلُّمَه في الطفولية أعجوبةً. معناه: يكلِّمُهم في المهد تبرئةً للأمِّ بطريق الكرامَة، ويكلِّمُهم بعد الكهولة داعيًا إلى

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي (٦/ ١٤٨)، والبسيط (١٤/ ٢١٢ - ٢١٤). التيسير في التفسير (٤/ ٤٦).

اللَّه بالوحي والرِّسالة. ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: من أفاضل الأنبياء. وقيل: من الأتقياء، وقد قال في سورة مريم: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣][1].

(٤٧) - ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؛ أي: من أيِّ وجهٍ يكون مع أنَّ بشرًا لم يمسَّني، والمعتاد ذلك؟. ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ﴾؛ أي: قال جبريل بأمرِ اللَّه: كذلكَ المعتاد، لكنَّ اللَّه تعالى يخلق على خلاف المعتاد ما أرادَ، وهو قادرٌ على ذلك. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وقد خلقَ آدمَ وحوَّاء من غير أبٍ ولا أمٍّ، وخلق كلَّ شيءٍ من غير شيء. ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ أي: إذا قدَّر تخليقَ ولدٍ من غير أبٍ كوَّنه من غير تأخيرٍ.

(٤٨-٤٩) - ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أي: كتب الأنبياء المتقدِّمة، و﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفقهُ. وقيل: ﴿الكتاب﴾ هو الكتابة بالقلم، وكانَ أحسنَ النَّاسِ خطًّا في زمانِه، و﴿الحكمة﴾: بيانُ الحلال والحرام. ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: معطوفان على ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. قوله تعالى: ﴿ورسولًا إلى بنى إسرائيل﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾. وقيل: نصبُه بإضمارِ فعل، وهو قوله: ويجعله رسولًا. وتقديره: ويكلِّم الناس في المهد وكهلًا ورسولًا. ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: علامةٍ بيِّنة، وهي ما ذكرَ بعدَه من خلقِ الطَّيرِ من الطِّينِ. وقيل: ينصرفُ إلى كلِّ ما ذكرَ بعدَه من المعجزات، وأراد بالآيةِ: الآيات، على هذا التَّأويل ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾؛ أي: أقدِّر لأَجْلكم ولا يجوز حمله على التخليق من جهةِ

---

(١) التفسير الكبير (٨/ ٢٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨)، والنكت والعيون (٤/ ٤٢٧)، والبسيط (١٨/ ٣٠٠).

عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الذي هو الإيجاد والاختراع؛ فإنه لا يجوز هذا إلَّا من اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿مِنَ الطِّينِ﴾: هو مجموعُ الماءِ والتُّرابِ. ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾؛ أي: كصورةِ الطَّائر، ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ أي: في الطِّين. ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: يصير طيرًا بإذن اللَّه؛ أي: يقلِبُ اللَّهُ جسمَه الذي كان طينًا فيجعلُه لحمًا ودمًا، ويخلق فيه الحياة. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بتكوينِ اللَّهِ إيَّاه ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾؛ أي: أُصِحُّ. وقد بَرَأَ العليل يَبْرَأُ بُرْءًا -أي: صحَّ من علَّته. والأكمَهُ: الذي وُلِدَ أعمى. ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾: أي: الذي به بَرَصٌ، وهو بياضٌ الجلدِ، ولا يزول بالعلاج. ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: أدعو اللَّه فيُحيي الموتى بدعائي، وهو من صنعِ اللَّهِ تعالى، وذكر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيما لا يدخل في قدرة العباد؛ إثباتًا ذلك صفةً للَّه تعالى ونفيًا عن نفسه[(١)]. ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾؛ أي: وأُخبركم بما تغدَّيتم به وما تعشَّيتم، وما خبَّأتم لغدٍ من طعامٍ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنَّ فيما أتيْتُ به مِن المعجزات لَعلامةً لكم على صدق نبوَّتي إن كنتم مصدِّقين؛ أي: إن كنتم مؤمنين باللَّه علمتُم أنَّ له أنْ يرسلَ الرُّسل ويقيمَ الحُجج، فصدِّقوني إذ أتيْتُ بها.

(٥٠) - ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾؛ أي: موافقًا لِما كان قبلي ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وجئتكم لأحِلَّ لكم قال قتادة: كان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حرَّم عليهم لحومَ الإبل، فورد عيسى بتحليل ذلك. وقال

---

(١) جامع البيان (٥/ ٤٢٠)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٢٠٧)، وزاد المسير" (١/ ٢٨٤)، التيسير في التفسير (٤/ ٥٧).

مقاتل: أي: بعضَ الذي حُرِّمَ عليكم من اللُّحوم والشُّحوم والسَّمك والطَّير وكلِّ ذي ظُفُرٍ، وقيل: إنَّ أحبار اليهود حرَّموا على بني إسرائيل أشياءَ لم يكن اللَّهُ تعالى حرَّمها عليهم، فأمرَ اللَّهُ تعالى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببيانِ حلِّها. والمرادُ بالآيةِ: استمالةُ بني إسرائيل في الدَّعوة، بأنَّه إنَّما جاء مصدِّقًا للتَّوراة لا مغيِّرًا لها، ومحلِّلًا أشياء حُرِّمَتْ عليهم تخفيفًا عليهم. ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: أتيتُكم بِعلامةٍ على صدقِ نبوَّتي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: اتقوا اللَّهَ في تكذيبي و﴿وَأَطِيعُونِ﴾؛ أي: في تصديقي[1].

(٥١) - ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: أي: فوحِّدوه وأطيعوه. ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: الإيمانُ باللَّه ورسله والطَّاعةُ طريقٌ سويٌّ يؤدِّي بصاحبه إلى الجنَّة.

(٥٢) - ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾: أي: علم، والحسُّ: العلمُ الحاصل بالحاسَّةِ، ﴿مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾؛ أي: فلمَّا علمَ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِن بني إسرائيلَ الكُفْرَ باللَّهِ، وأنَّهم لا يزدادون على رؤية الآياتِ إلَّا إصرارًا على الجُحود. ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: الأنصارُ: جمع النَّصير، والنَّاصرُ: المعينُ والمانعُ. أي: مَن أعواني على هؤلاء الكفَّار مع معونة اللَّه تعالى إيايَ؟. و﴿إِلَى﴾ بمعنى (مع)، وقيل معناه: مَن أنصاري في سلوك السَّبيل إلى اللَّه تعالى؟، وذلك لأنَّه دعاهم إلى سبيل اللَّه تعالى، فيقول: مَن أعواني على إقامة الدِّين المؤدِّي إلى رضا اللَّهِ تعالى وإلى ثوابه؟. ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾: هم خواصُّ أصحابِه، سُمُّوا به لبياض ثيابهم، وسُمِّيَ

---

(١) جامع البيان (٥/ ٤٣١)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٧٧).

أنصارُ كلِّ نبيٍّ: حواريين؛ تشبيهًا بأولئك. ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: أي: أنصار دينِه، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: أي: صدَّقنا أنَّه أرسلَك ﴿وَاشْهَدْ﴾ أنت علينا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: منقادون[١].

(٥٣) - ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾: أي: بالكُتبِ التي أنزلتها على الرُّسل جميعًا، فإنْ أرادوا: بما أنزلْتَ على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالإيمانُ بواحدٍ من الرُّسل إيمانٌ بجميع الرُّسل وبالكتب كلِّها. ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾: أي: رسولَك عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ أي: أثبِتْ أسامينا في جملة مَن شهد بمثل شهادتنا لك بالتوحيد، ولأنبيائك بالتصديق؛ لنفوزَ بما فازوا.

(٥٤) - ﴿وَمَكَرُوا﴾ المكرُ: هو السَّعي بالإفساد في حقِّ الغير على خفاءٍ، من قولهم: مَكَر اللَّيلُ وأَمْكَر؛ أي: أَظْلَم، ومعناه: قصَد الذين لم يؤمنوا به من اليهود في قتلِه. ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾؛ أي: جازاهم على مكرِهم، ولا يجوز إضافة المكر إلى اللَّهِ ابتداءً، ويجوز على معنى الجزاء، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أي: إنَّ الماكرين فعلوا ما ليس لهم وهو ظلمٌ منهم وإفسادٌ، واللَّه تعالى فعل ما هو حقٌّ وعدلٌ وجزاءٌ على الوِفاق[٢].

(٥٥) - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾: أي: ومكرَ اللَّهُ إذْ قالَ، أو: واذكرْ يا محمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: إني قابضُكَ برفعِك من

(١) جامع البيان (٥/ ٤٣٧)، والكشف والبيان (٣/ ٧٥)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٦)، وزاد المسير (١/ ٢٨٥).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٧٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٤).

الأرض إلى السَّماءِ، وقيل: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: بالنَّوم للرَّفع إلى السماء؛ قال اللَّه تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، والصَّحيحُ أنَّ اللَّهَ تعالى رفَعَهُ إلى السَّماء من غيرِ وفاةٍ ولا نوم[(١)]. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؛ أي: إلى السَّماء، والإضافةُ إلى نفسِه إضافةُ كرامةٍ. ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: مخلِّصُك ومانعُك من الذين كفروا وهمُّوا بقتلِكَ، ولو فعلوا كان ذلك رجسَ كفرٍ ورجسَ قتلٍ، فطهَّرتُك من ذلك. وقيل: ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾؛ أي: مُبعدُك عنهم، فلا تسمع منهم كفرًا ولا تراه، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي: أهل التَّوحيد والإيمان باللَّه، دونَ مَن كذَّبه أو كذَبَ عليه، وقد جعل اللَّه المؤمنين فوق الكافرين بغلَبَة الحُجَّةِ، وقيل: بالقَهْر والسُّلطان، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: مصيركم في الآخرة. ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: أي: بتحقيق وعد المؤمنين ووعيد الكافرين. وقيل: بإظهار المحقِّين والمبطِلين.

(٥٦) - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾؛ أي: بالمسخ والقتل والقهر والسبي والجزية. وقيل: بالأمراض والرَّزايا في الأنفس والأموال، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: هو عذابُ النَّارِ والخلودُ فيها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: أي: معِينين ومانعين، وللعذابِ دافعين.

(٥٧) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: أي: فيوفِّيهم اللَّهُ ثوابَ أعمالِهم في الدُّنيا بالإعزاز والإعلاء والتَّمكين من الأعداء، وفي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥٣)، وجامع البيان (٥/ ٤٥٢)، والبسيط (٥/ ٣٠٤).

الآخرة بالجنة واللِّقاء. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي: الكافرين، وقيل: العاصين.

(٥٨) - ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى القصص المتقدِّمة، ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾؛ أي: بقراءة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليك بأمرنا. وقيل: معناه: نحن نوحيهِ إليك بعضَه على إثر بعضٍ. ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾: أي: من دلالات وحدانيَّتنا وقدرتنا، ونفاذِ مشيئتنا، ودلالات رسالتك أيضًا. ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: قيل: ﴿الذِّكْرِ﴾: القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، و﴿الْحَكِيمِ﴾: المحكَم، كالشيء البديع بمعنى المبدَع، وهذا من صفات القرآن؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١]؛ أي: لا يدخلها انتقاصٌ[(١)].

(٥٩) - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: صفته، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: صفتها. وقيل: المثَلُ: الشَّبَهُ، وأراد به التَّشبيهَ في كونه بغيرِ أبٍ، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾؛ أي: في كونه بغير أبٍ ولا أمٍّ. ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾: أي: قدَّره وصوَّره من ترابٍ. ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: قيل: ﴿لَهُ﴾ يرجع إلى آدمَ؛ أي: قال له: كنْ بشرًا سويًّا لحمًا ودمًا وعظامًا وكذا وذا روحٍ فكان، ومعناه: كوَّنَهُ كذلك فكان.

(٦٠) - ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: ذلك الثَّناء هو الحقُّ من ربِّك، وقيل: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي: إيجاد الخلق من ربِّك، فهو الخالقُ لا عيسى، والخطاب على هذا التَّأويل لِمَنْ شكَّ في أمر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من النَّصارى.. وقيل: الخطابُ

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٦١١)، وبحر العلوم (٢/ ١٠٢)، والكشف والبيان (٥/ ١١٧).

لمحمَّدٍ ﷺ، والمرَاد غيرُه. ﴿فَلَا تَكُن مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: فدُمْ على يقينِكَ، ولا تشكَّ في هذا.

(٦١) - ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: أي: خاصمَكَ في عيسى، وقيل: في اللَّه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أي: البيانِ في القرآن من اللَّه تعالى، حتى علمْتَ ذلك. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: أي: هلمُّوا، ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾: أي: نحضِرْ. ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ أي: نحضر ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: أي: ونَحضُرْ بأنفسنا. وقيل: بني أعمامنا ونحوَهم من الإخوة والقرابة القريبة. وقيل: وأهلَ ديننا وأهلَ دينكم، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: أي: نجتهدْ في الدُّعاء. وقيل: نتداعى باللَّعن، وقيل: نلتَعِن. والابتهالُ والمباهلةُ في اللُّغة: هي اجتماعُ المتخاصِمَيْنِ في مكانٍ يتَّفقان عليه، والدُّعاءُ باللَّعنة على الكاذبِ من الفريقَيْن. ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: هو تفسيرُ الابتهالِ؛ أي: فنقُلْ: لعنةُ اللَّهِ على الكاذب منَّا. والجَعْلُ بمعنى القول هاهنا. وقيل: تحقيقُه: أنَّا إذا قلْنا ذلك ونحن مجتهدون مخلصون في الدُّعاء، استجاب اللَّهُ تعالى لنا، ولعنَ الكاذبَ منَّا، فنكون قد جعلنا عليه اللَّعنة(١).

(٦٢) - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: أي: وما اقتَصَصْنا عليك من أمر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فأتْبَعنا بعضَه بعضًا هو الصِّدقُ الذي لا كذبَ فيه، والحقُّ الذي لا باطلَ فيه. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾: ﴿مِنْ﴾ لتأكيدِ النَّفي، والمبالغةِ فيه. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: المنتقِمُ من أعدائه، الحكيمُ في تعليم الحُجَجِ لأوليائه.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٨١)، والكشف والبيان (٣/ ٨٤). غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٠٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٢٣).

(٦٣) - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: فإنْ أعرضوا عن المباهلة، وقيل: عن الإيمانِ بك وتصديقِهم في هذا، فهم مفسدون النَّاسَ، ومفسدون في الأرضِ، واللَّهُ جلَّ جلالُه عالمٌ بعقوبتهم.

(٦٤) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾. نداءٌ لليهود والنصارى. ﴿تَعَالَوْا﴾: أي: هلمُّوا، ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: عدلٍ، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: نحن جميعًا مقرُّون أنَّا مخلوقون، وأنَّا عبيدُ اللَّهِ، فالعدلُ أن نعبدَه وحدَه، لا كفعلِ اليهود في عبادة عُزير، ولا كفعلِ النَّصارى في عبادة المسيحِ. ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ أي: في عبادتنا له، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: كذلك؛ أي: لا تتَّخذوني إلهًا كما اتَّخذَ اليهودُ عُزيرًا، وكما اتَّخذَ النصارى المسيحَ. وقيل: أي: لا يتَّخذَ الأتباعُ الرؤساءَ أربابًا من دونِ اللَّهِ، فيطيعوهم كطاعةِ اللَّه تعالى. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: أعرَضوا عن هذا ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: مخلِصون للَّه بالتَّوحيد والعبادة، وعلى دين إبراهيم، فإنَّه كان حنيفًا مسلمًا(١).

(٦٥) - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: أي: لمَ تخاصمون فيه، فتسمُّونَهُ يهوديًّا أو نصرانيًّا؟.

﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: مِن بعدِ موتِه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أي: ليس لكم عقلٌ تتفكَّرون به أنَّ هذا الكلامَ فاسدٌ.

(٦٦) - ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: "ها" كلمة تنبيهٍ، ﴿وَأَنْتُمْ﴾ خطابٌ لأهل الكتاب،

---

(١) جامع البيان (٥/ ٤٧٩)، والتيسير في التفسير (٤/ ٩٥).

﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ تأكيدٌ لـ ﴿أَنْتُمْ﴾. أي: أنتم حاجَجْتُم محمَّدًا ﷺ في أن دينكم دينُ موسى وعيسى؛ لأنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ أُنْزِلا عليهما، وادَّعيتم أنَّ ما دعا إليه محمَّد يخالفُهما؛ لأنَّكم علمْتُم شرائعَ التَّوراة والإنجيل، وسمعْتُم مِن محمَّدٍ ما يخالفُه ظاهرًا، فإنْ جادلْتُم في هذا لهذا العلمِ، فَلِمَ تجادلون في إبراهيمَ في أنَّه يهوديٌّ أو نصرانيٌّ، وليس في التَّوراة والإنجيل بيان ذلك؟! فهذه مجادلةٌ بغير علمٍ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أنَّ إبراهيمَ لم يكن كذلك ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أنَّه كان كما تقولون.

(٦٧) - ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾: هذا تصريحٌ بردِّ كلامِ الفريقَيْن. ﴿وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾: أي: كان إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مسلمًا مستقيمًا، مائلًا عن كل خطأ، حاجًّا، مختتنًا، وأنتم يا أهل الكتاب لستُمْ كذلك، فلستُمْ مِن متابعيه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وأنتم تشركون باللَّه، حيث تقولون: عُزيرٌ ابنُ اللَّه، والمسيحُ ابنُ اللَّه[1].

(٦٨) - ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾: أي: إنَّ أحقَّ النَّاسِ بدعواه أنَّه على دين إبراهيم. ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: الذين تابعوه مِن وقتِه إلى هذا الزَّمان. ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾: أي: محمَّد المصطفى ﷺ؛ لأنَّه اتَّبعَه. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: أمَّته؛ فإنَّهم اتَّبعوه. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: محبُّهم، رفعَ درجة متَّبعيه، فجعلَ لهم الولاية كما جعل له الخُلَّة، وكلتاهما اسمٌ للمحبَّة. وقيل: ناصرُهم. وقيل: متولِّيهم ومصلحُ أمورهم.

---

(١) بحر العلوم (١/ ٢٢١)، والكشف والبيان (٣/ ٨٧)، والبسيط (٥/ ٣٣٨)، وجامع البيان (٥/ ٤٨٤).

(٦٩) - ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾: أي: أحبَّتْ وتمنَّتْ، و﴿لَوْ﴾ كلمةُ تمنٍّ. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: لو تمَّ ذلك لكانوا في الحقيقة مضلِّين أنفسَهم؛ لأنَّ ضررَ ذلك عائدٌ عليهم بما يكتسبونه من الإثم بإضلالِكم؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يعلمونَ أنَّ اللَّه يخبرُ نبيَّه عن ذلك. قيل: وما يعلمون أنَّ ضررَ قصدِهم يعودُ عليهم.

(٧٠) - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بملَّة إبراهيم، وملَّة الإسلام، وبمحمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وقيل: بالقرآن، وقيل: بالتَّوراةِ؛ ففيها ذكرُ النبيِّ ﷺ، وفي جحودِ نبوَّة محمَّد كفرٌ بالتَّوراة. ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: أي: أنَّ التَّوراةَ حقٌّ وأنَّها من اللَّهِ تعالى وفيها ذِكْرُه. وقيل: أي: وأنتم شهداءُ اللَّهِ على نبوَّة رسولِه بما ذكرَ في كتابِكم وتكتمون الشَّهادة. وقيل: الآياتُ: تحتملُ القرآنَ، وتحتملُ الرَّسول، وتحتملُ المعجزات التي جاء بها، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾؛ أي: تعاينون ذلك(١).

(٧١) - ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: قال الكلبي: أي: تقرُّون ببعض صفة النبيِّ ﷺ وتكتمون بعضًا. واللَّبسُ: الخلطُ. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أن ما يدعوكم إليه محمّدٌ ﷺ حقٌّ، وأنَّه نبيٌّ مرسَلٌ. وقيل: أي: لِمَ تخلطون التَّوراة بما تكتبونه بأيديكم، وتكتمون الحقَّ فيها تحرِّفونَه، وأنتم تعلمون أنَّ ذلك ليس من التَّوراة؟

---

(١) تأويلات أهل السنة (٢/ ٤٠١).

(٧٢) - ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾: أي: جماعة، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اتَّفقَ المفسِّرون أنَّهم اليهودُ هاهنا.

﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: عن دينِهم، ومعناه: آمِنوا بالقرآن الَّذي أُنزل على محمَّدٍ ﷺ، وهو كالمُنزَل على المؤمنين أيضًا؛ لأنَّ نفعَه لهم جميعًا. ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾: أوَّله؛ لأنَّه أوَّلُ ما يواجَه منه، كوجه الثَّوب، ولأنَّ وجهَ الشيء: أعلاه وأشرفه. ومعناه عند الأكثر: صدِّقوهم في أوَّل النَّهار، وكذِّبوهم في آخرِه؛ فإن ذلك يحملُهم على الرُّجوع عن دينهم[1].

(٧٣) - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ هي مَقالةُ اليهود، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ أي: الدِّينُ الحقُّ دينُ اللَّه، ولن يُعطى أحدٌ من الهدى والبيان مثل ما أُعطيتم يا أمَّة محمَّدٍ ﷺ، ولم يعطَ اليهودُ والنَّصارى مِن الهدى ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فيخاصموكم به عند ربِّكم، بل لكم الحجَّةُ البالغة على مَن خالفكم، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ﴾؛ أي: النُّبوَّةَ والإسلامَ ﴿بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾، يعطيه مَن يشاء، وليس أحدٌ ينالُه إلَّا باللَّهِ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع الفضل عليم بأحوال عباده.

(٧٤) - ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: بالنبوَّة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقيل: أي: بالإسلام، وقيل: أي: بالقرآن، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: ذو الإفضال والإنعام.

---

(١) روح المعاني (٤/ ٢٧٥)، والتيسير في التفسير (٤/ ١٠٤).

(٧٥) - ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾: وصفَ سبحانَه بعضَ أهلِ الكتاب بحسن المعاملة كما في هذه الآية، وهو أداءُ الأمانةِ.

و﴿تَأْمَنْهُ﴾ بمعنى: تأتمِنْه، يُقال: أَمِنه وائتمَنه، وهذا الخطابُ لكلِّ سامعٍ. والمعنى: ومن أهل الكتاب مَن إنْ تبايِعْه بالنَّسيئة بثمن قنطارٍ من الذَّهب والفضَّة يؤدِّه إليك ولا يمطلُك، وهم مؤمنو أهل الكتاب؛ عبدُ الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي: ملحًّا متقاضيًا. والمعنى: ومنهم مَن إن تبايعه بالنَّسيئة بدينارٍ لا يؤدِّه إليك إلَّا ما دمْتَ على رأسه قائمًا؛ أي: مُلحًّا مُتقاضيًا، وظاهرُه وإن كان يتناولُ أهلَ الكتابِ، لكنَّ عامَّة أهلِ التَّفسير على أنَّ الوصف بالأمانة لمن أسلمَ منهم؛ لأنَّ المرادَ مِن الآية -واللَّهُ أعلم-: أنَّ اليهود ادَّعوا أنهم المخصوصون بالفضل دون غيرهم، فردَّ اللَّهُ جلَّ جلالُه عليهم قولهم؛ لأنَّ أداءَ الأمانةِ واجبٌ في الأديان كلِّها، والخيانةُ حرامٌ، ولو ائتُمِنَ أحدُهم على أمانةٍ قليلةٍ لم يؤدِّها إلَّا بعد طول التَّقاضي والإشفاقِ من سوء القالة، فلا يجوز لكم أن تدَّعوا الفضلَ لأنفسِكم وهذا وصفُكم، وإذا كان هذا لذمِّهم كيف يجوز مدحُ الواحد منهم بأداء الأمانة الجليلة[١]؟ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾؛ أي: ذلك الاستحلالُ ومنعُ الأمانةِ وتركُ قضاءِ الدَّين بسبب أنهم يعتقدون ويقولون: ليس علينا في أخذِ أموال العرب مأثمٌ، ويقولون: في كتابنا كذلك[٢]. وقيل: إنَّ المسلمين بايعوا اليهود في الجاهليَّة، فلمَّا تقاضاهم المسلمون في

---

(١) التيسير في التفسير (٤/ ١١٣).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٨٥)، وجامع البيان(٥/ ٥١٢)، والنكت والعيون (٢/ ٤١٠).

الإسلام قالوا: لا حرجَ علينا في حبسِ أموالهم؛ لأنَّهم ليسوا على ديننا، وزعموا أنَّ ذلك حِلٌّ لهم في التَّوراة. وقيل: أرادوا بـ (الأميين) جميع المسلمين؛ قال النبيُّ ﷺ: "نحنُ أمَّةٌ أُميَّةٌ، لا نحسُبُ ولا نكتُبُ"[1]. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: ردَّ اللَّه تعالى عليهم قولَهم أنَّ هذا في التَّوراة، قالَ: يكذبون على اللَّه في هذا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يكذبون على اللَّه، وأنَّ الذي يدعو إليه محمَّدٌ ﷺ حقٌّ.

(٧٦) - ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: ﴿أَوْفَى﴾ بمعنى: وفَّى؛ إلَّا أنَّ لغة أهل الحجاز: أوفى، ولغة أهل نجد: وفَّى. و﴿بَلَى﴾ ردٌّ لِما قبلَه؛ أي: ليس كما قالت اليهودُ. ﴿بِعَهْدِهِ﴾؛ أي: بعهد اللَّه، وقيل: أي: مَن أوفى بعهدِ نفسِه؛ أي: ليس كما قالوا: ليس علينا في الأمِّيين سبيل، بلى مَن أوفى بعهده، فأدَّى الأمانةَ واتَّقى اللَّهَ فلم يخفِها، فإن اللَّه يحبُّه؛ لأنَّه يحبُّ المتَّقين. وقيل: بلى مَن أوفى بعهده وَاتَّقى، وأدَّى الأمانةَ، فإنَّ اللَّه يحبُّه.

(٧٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ذكرَ وعيدَ ناقض العهدِ بعدَما ذكرَ وعدَ الموفي بالعهد. ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: ليس لهم فيها نصيبُ خير ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: لا يخاطبهم اللَّه خطابَ لطفٍ ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: نظرَ رحمةٍ. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: قيل: أي: لا يُنمِّي أعمالهم بالثَّواب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، وقيل: أي: ولا يُثْني عليهم بالخير، وقيل: أي: ولا يطهِّرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

(١) الحديث رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، عن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلمٌ.

(٧٨) - ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾: اللَّيُّ في الشَّيء: أن يجعلَ ظاهرَه باطنَه، وباطنَه ظاهرَه، ولَيُّ العُنق واليد والحبل: هو الفَتْل، وأصله: عطفُ الشيء عن الاستقامة إلى الاعوجاج، والالتواء: الانحراف والانعطاف.

ومعناه: وإنَّ فريقًا من أهل الكتاب ليلوون، ومعنى ﴿يَلْوُونَ﴾: يحرِّفون الكلامَ ويعدِلون به عن القصد؛ أي: إنَّ جماعةً من اليهود خاصَّةً يحرِّفون ألسنتهم بالتَّوراة. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي: لتظنُّوه أنتم مِن التَّوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ أي: وليس هو من التوراة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؛ أي: يقولون لكم: إنه منزل من عند الله ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وليس هو بمنزَّلٍ مِن عند الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾؛ أي: ما لم يقله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يعلمون أنهم كذلك.

(٧٩) - ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾؛ أي: ليس لآدميٍّ ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾؛ أي: يعطيَه اللَّهُ كتابَه وحيًا إليه، ﴿وَالْحُكْمَ﴾؛ أي: بيانَ الكتاب والقضاءَ بين الخلق، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: فيبعثه اللَّه رسولًا إلى خلقه. ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: اعبدوني واتَّخذوني إلهًا. ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾؛ أي: ولكن يقولُ هذا النبيُّ للنَّاس: كونوا ربَّانيِّين، أي: عابدين للَّه، وقيل: أي: علماءَ بما في التَّوراة. وقيل: ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾: منسوبين إلى الرَّبِّ؛ أي: للَّهِ على الخلوص. ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: كونوا للَّه في تعليم النَّاس وفي الدِّراسة[١].

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١٠٢)، وزاد المسير (١/ ٢٩٩).

(٨٠) - ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾: أي: هو لا يأمُركم بذلك، أو: اللَّهُ لا يأمُركم بذلك، واتِّخاذُ الملائكة أربابًا هو كقول بعضِ العرب: الملائكةُ بناتُ اللَّه، واتِّخاذُ النبيِّين أربابًا هو قول اليهود والنَّصارى في عُزير وعيسى ما قالوا. ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ والنَّفي؛ أي: لا يأمركم. ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: بعد إذ دعاكم إلى الإسلام وإجابةِ بعضكم. وقيل: أيأمركم اللَّهُ بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون بشهادة الخِلْقة؟.

(٨١) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ من كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ ما ها هنا للشرط والمعنى: لئن آتيتكم شيئًا من كتاب وحكمة، ومهما آتيتكم ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به﴾ يريد بميثاق النَّبيِّن عهدهم ليشهدوا لمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه رسول الله ﷺ وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يريد محمدًا ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾؛ أي: موافقٌ للكتاب الذي معكم. ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾: أي: لتصدقُنَّ برسالته أَيْ: إن أدركتموه ولم يبعث الله نبينا إلاَّ أخذ عليه العهد في محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمره بأنْ يأخذ العهد على قومه لَيُؤمننَّ به ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾؛ أي: ولتُعِيننَّه بالإيمانِ به، وبيانِ نعتِه، وأمْرِ الأمَّة بالإيمان به، والمعنى: ولئنْ بُعث وهم أحياءٌ لينصرنَّه وهذا احتجاجٌ على اليهود ﴿قَالَ أَأقررتم﴾ أَيْ: قال الله للنَّبيِّن: أقرر بالإيمان به والنُّصرة له ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أَيْ: قبلتم عهدي؟ ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ أَي: على أنفسكم وعلى أتباعكم ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشاهدين﴾ أي: عليكم وعليهم، وقيل: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ

﴿الشَّاهِدِينَ﴾: من المبيِّنين صحتَه بإجراء حجج النبوَّة على أيديكم.(١).

(٨٢) - ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أي: أعرض عن هذا العهدِ ونقضَه بعد قَبوله. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعتي فأولئك هم المستوجِبون لمقتي ولعنتي.

(٨٣) - ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، أي: أبعدَ تلك الآيات تبغون غيرَ دين اللَّه؟. ﴿تبغون﴾ أي: تطلبون، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: أي: انقادَ له كلُّ مَن فيهما؛ إمَّا طوعًا، وهم الموحِّدون، وإمَّا كرهًا، وهم الجاحدون بما فيهم مِن آثار الصُّنع ودلائلِ الحدوث، وتصريفِهم كيف يشاء إلى صحةٍ ومرضٍ، وغنًى وفقرٍ، وسرورٍ وحزنٍ، وسائر الأحوال. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: أي: إلى جزائه في الآخرة على الخير والشرِّ، وهو ترغيبٌ وترهيبٌ(٢).

(٨٤) - ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: مرَّ تفسير هذه الآية في سورة البقرة.

(٨٥) - ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾أي: يطلب ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: أي: لأنه عمل عملًا لا ينتفع به عند حاجته إليه في الآخرة، ولأنه فاته ما كان يمكنه نيلُه من النعيم المقيم والخلود في الجنان لو أسلم.

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١٠٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٢)، زاد المسير (١/ ٣٠٠).

(٢) بحر العلوم (١/ ٢٥٢ - ٢٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣)، وجامع البيان (٥/ ٥٥٢).

(٨٦) - ﴿كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: ﴿كَيْفَ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا يهديهم، والتَّقديرُ هاهنا: بعد إيمانهم وشهادتهم أنَّ الرَّسولَ حقٌّ، ومجيءِ البيِّنات إيَّاهم، أو بعد أن آمنوا وشهدوا وجاءهم، ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ أي: القرآن، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: هؤلاء ظالمون حين وضعوا الجحود غيرَ موضعه وهم مختارون لذلك، واللَّه لا يهدي من اختار الضلال. وقيل: لا يهديهم طريقَ الجنَّة إذا ماتوا كفَّارًا.

(٨٧) - ﴿أُولَئِكَ﴾؛ أي: أهل هذه الصِّفة ﴿جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: طَرْدَه وإبعاده، ومن الملائكة: دعاؤهم باللَّعنة، ومن الناس أجمعين كذلك. أمَّا المؤمنون فإنهم يلعنون الظَّالمين، والظَّالمون يقولون: لعنَ اللَّهُ الظَّالمين، لاتِّفاق الكلِّ على قبح الظُّلم، واستحقاقِ الظَّالم اللَّعنةَ، وهو لا يعتقد نفسه ظالمًا، فترجعُ اللَّعنة منه على نفسه بقوله. وقيل: هو في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

(٨٨) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في اللَّعنة، والخلودُ في اللَّعنة خلودٌ في جهنَّم، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي: لا يُفتَّر ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾؛ أي: لا يُمهَلون، والفرقُ بينَ الكلمتَيْن: أنَّ الإنظارَ: تأخيرُ العبد ليُنظر في أمره، والإمهالَ: تأخيرُه ليَسهُلَ عليه الفعل الَّذي كُلِّفَه.

(٨٩) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي: من كفرهم، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أي: ما أفسدوه من غرور أتباعِهم وإغوائهم. والإغواءُ إفسادٌ، والرَّدُّ إلى الهدى

إصلاحٌ. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: هذا ظاهرٌ.

(٩٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾: أي: ارتدُّوا ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾: أي: أصَرُّوا عليه وجحدوا ما نزل على المصطفى محمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذلك شيئًا فشيئًا. وقيل: معناه: قولهم: نقيم بمكَّة على الكفر ما بدا لنا. ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ أي: إيمانهم الَّذي كان بمحمَّدٍ قبلَ بعثِه. وقيل: لن يُقبل إيمانهم عند البأس؛ قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]. وقيل: أي: لن تقبل توبتهم التي أظهروها لأنَّهم غير مخلِصين فيها، دليلُه ما قال بعده: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾: الباقون على ضلالهم، وقيل: الهالكون، وقيل: الضَّالُّون عن الثَّواب الذي رجَوه بهذه التَّوبة(١).

(٩١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ معناه: لو افتدى به في دار الدُّنيا مع الإقامة على الكفر لم يُقبل منه. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: مؤلمٌ. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: أي: مُعِينين، وللعذاب دافعين، وعن المؤاخذة مانعين.

(٩٢) - ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: انتظامُها بما قبلها: أنَّه ذكرَ أنَّه لا يُقبَل مِن الكافر الافتداءُ بملء الأرض ذهبًا، ولن ينجوَ من النَّار، ولن يدخل الجنَّة، وحثَّ في هذه الآية المؤمنَ على الإنفاق بما أمكنه قلَّ أو كثرَ؛ فإنَّه ينفعُه وينجِّيه من النَّار ويدخلُه الجنَّةَ. ﴿لَنْ تَنَالُوا﴾؛ أي: لن تُصيبوا. ﴿الْبِرَّ﴾ أي:

---

(١) بحر العلوم (١/ ٢٣٠)، والكشف والبيان (٣/ ١٠٩). وجامع البيان (٥/ ٥٦٤)، البسيط (٥/ ٤١٩) النكت والعيون (١/ ٤٠٨)، والتيسير في التفسير (٤/ ١٤٣).

الطَّاعةُ، وقيل: البرُّ: الخيرُ، وقيل: البرُّ: التَّقوى، وقيل: هو جماعُ الطَّاعات. ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾، قيل: هو الزَّكاة، وقيل: هو الصَّدقة النَّفلُ، وقيل: هو الإنفاق على العيال. ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: من أموالٍ، وقيل: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: ممَّا يعجبُكم ويَعزُّ عليكم مِن أموالكم. وقيل: مِن خيارِه وجيادِه دونَ رذاله، وقال النبيُّ ﷺ: "أفضلُ الصدقةِ ما تصدَّقْتَ به وأنت صحيحٌ شحيحٌ تأمُل الغنى وتخشى الفقر"(١)، ودلَّتِ الآية على أنَّه لا بأس بمحبَّة شيءٍ من الدُّنيا إذا لم يقدِّمْه على محبَّة الدِّين(٢)، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: أي: ما فعلتم فهو محفوظٌ عليكم وأنتم مَجزيُّون به؛ لأن الله عليم بكم يعرف أحوالكم.

(٩٣) - ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾؛ أي: كلُّ الأطعمة التي تنازعتُم فيها، وليس بعموم الاستيعاب، فإن منها ما هو حرامٌ قبل ذلك من الميتة والدم ولحم الخنزير، فإنه كان محرَّمًا أبدًا. ﴿كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ وهو لحوم الإبل وألبانُها، وكان ذلك بتحريمه على نفسه باليمين، وحرِّم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، واليهود كانوا يقولون: هذا كلُّه كان حرامًا من زمن نوحٍ، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فاستحضرَهم رسولُ الله ﷺ، فلم

---

(١) رواه البخاري (٢٧٤٨)، ومسلم من (١٠٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٢٥٨)، والتيسير في التفسير (٤/ ١٤٨).

يُحضروها لعلمهم أنهم كاذبون، وفي ذلك أوضح دلالةٍ على صدق نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(٩٤) - ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: أي: ادَّعى تحريمَ ذلك في التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد هذا البيان ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: والافتراء قبل هذا البيانِ كان ظلمًا أيضًا، لكن هذا أفحشُ وأشدُّ.

(٩٥) - ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: أي: في قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية، لا أنتم فيما قلتُم. ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كاليهود والنَّصارى، فاتَّبِعُوه في استحلال ذلك كلِّه. وقيل: صدق اللَّه أن إبراهيمَ كان حنيفًا مسلمًا، فاتَّبِعوا ملَّته.

(٩٦) - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾: انتظامُها بما قبلها: أن في الآية الأولى ذكرَ ملَّة إبراهيم، وفي هذه الآية ذكرَ قِبلةَ إبراهيم، ولأنَّ الحجَّ ممَّا يختصُّ بالملَّة الحنيفيَّة فذكر الكعبةَ وشأنها، ثم الحجَّ إليها. ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أوَّلُ بيتٍ وُضع للعبادة، وقد كان قبله بيوتٌ وقيل: أوَّل بيتٍ مبارَكٍ وُضع للنَّاس، وقال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أي: أوَّل بيتٍ وضع لحجِّ النَّاس[(١)].

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ اللَّام للتَّأكيد في خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكَّة، والباء والميم يتناوبان لأنها من مخرجٍ واحدٍ، وسُمِّيت بكَّة لأنَّها تبكُّ أعناق الجبابرة -أي: تدقُّها- إذا قصدوها بسوءٍ. وقيل: سمِّيت بكَّة من قولهم: بكَّهُ يبكُّهُ: إذا زحمه، وتباكَّ النَّاسُ؛ أي: تزاحموا، سميت بذلك لازدحام النَّاس بها في الحجِّ. وقيل:

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١١٥).

سُمِّيت بها لأنَّ النَّاس يتباكُّون حولها وفيها؛ أي: يتدافعون، وقيل: مكَّة اسمٌ لكل البلدة، وبكَّة قَدْرُ موضع الكعبة من الأرض. ﴿مُبَارَكًا﴾: أصل البركة: ثباتُ الخير ودوامُه ونموُّه، أي: كثُرَ خيرُه ودامَ، ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾: نصبٌ؛ عطفًا على ﴿مُبَارَكًا﴾. وقيل: معناه: وقبلةً للعالمين يهتدون به إلى جهة صلواتهم. وقيل: أي: يهتدون بإجابتهم إلى ما تَعبَّدوا به عنده.

(٩٧) - ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ الآيات البيِّنات: الشَّعائرُ، فإنَّ الشَّعائر هي العلامات، والآيات كذلك، وقرأ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فيه آيةٌ بينةٌ) على الواحد(١)؛ لأنه فسَّره بشيءٍ واحدٍ، وهو قوله تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، فالأليق به أن يكون الأوَّل واحدًا، وأمَّا قراءة الجمع قال الأخفش: تقديرُ الآية على هذا: فيه آيات بيِّنات منها مقامُ إبراهيم(٢)، فاكتفى بذكر واحدةٍ وترك سائرَها، وهي معلومةٌ محسوسةٌ لهم، فكان ذكرُها ذكرَ سائرها(٣)، وقيل: المقام مع أنه واحدٌ هو آياتٌ بيِّناتٌ؛ لأن المقام دلَّ على وحدانية اللَّه تعالى وكمال قدرته وعلمه وسائر صفاته وأسمائه، وعلى نبوَّة إبراهيم وصدق دعوته وصدق شرائعه، فكانَ المقامُ الواحد آياتٍ بيِّناتٍ على هذا الوجه، وعلى هذا الوجه تقديرُه: فيه آياتٌ بيناتٌ هي مقام

---

(١) جامع البيان (٥/ ٥٩٨)، ورواه ابن المنذر في "تفسيره" (١/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٣/ ٧١١). وتنسب القراءة أيضًا لمجاهد وأبي، انظر: "المختصر في شواذ القراءات" (ص: ٢٢).

(٢) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٢).

(٣) التيسير في التفسير (٤/ ١٦٤).

إبراهيم. ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾: عند بعضهم ذلك الحجر. وقيل: هو الموضع الذي يُصلَّى فيه من المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقيل: هو مواضع أداء أمور الحج، وقيل: هو الحرم كلُّه. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أي: كان آمنًا من النَّار، وتحقيقُه: مَن دخلَه معظِّمًا له متعبِّدًا لله تعالى أمِنَ من النَّار بوعد الله تعالى. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾: الحَجُّ بالفتح والكسر لغتان، كالسَّلْم والسِّلْم، وتفسيره: زيارةُ البيت، في اللُّغة، ومعناه: هو أفعالٌ مخصوصةٌ من المناسك في الشَّريعة، و﴿عَلَى﴾ كلمةُ إيجاب، فدلَّ به على الفَرْضيَّة. ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: أي: على مَن استطاع؛ أي: قدرَ وأطاق إلى البيت ﴿سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقًا؛ أي: قدرَ على الذَّهاب إليه، وأراد به قُدرةَ سلامة الآلات والأسباب. ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: أي: مَن لم يرَ الحج فرضًا فقد كفر، وقيل: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾؛ أي: ومَن لم يكن مؤمنًا فلا حجَّ عليه، إنَّما الحجُّ على المؤمنين، وقيل: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ هو مِن كفران النِّعمة؛ أي: ومَن لم يحجَّ فقد كفر نعمةَ الإسلام ونعمة تشريف الله إيَّاه بإقامة هذه الأعلام. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: أي: مستغنٍ عنهم وعن طاعاتهم، وإنما أمَرهم به لينفعهم لا لنفعه.

(٩٨) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وقال قبل هذا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾؛ فالأوَّل على جهة التلطُّف في استدعائهم إلى الحقِّ بتوجيه الخطاب إليهم، وهذا على جهة الإهانة بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى غيرهم بصدِّهم عن الحقِّ. وقيل: هو خطابٌ لمحمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنَّصارى. ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: الإسلام والحجِّ، وقيل: الحجُّ والقرآن. ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ

﴿عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: عالمٌ بكفركم وتغييركم نعتَ محمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخذِكم الرِّشا.

(٩٩) - ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾: أي: تمنعون وتَصْرِفون، وسبيلُ اللَّه الإسلام؛ لأنَّه الطَّريق المؤدي إلى رضى اللَّه تعالى وثوابه. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أي: تطلبون للسبيل زيغًا وميلًا، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾: أي: شهداء على أن هذه السبيل هي الحق، وإن كنتم تكتمون شهادتكم. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: من الصدِّ عن سبيله وكتمانِ الشَّهادة لنبيِّه.

(١٠٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾: وبَّخَ أولًا أهلَ الكتاب بصدِّ المؤمنين، ثم نهى المؤمنين عن اتِّباع هؤلاء الصَّادِّين. يقول: إن تطيعوا هؤلاء في سلوك السبيل التي يَدْعونكم إليها ردُّوكم إلى الكفر، وإنما خصَّ فريقًا وطائفةً لأنَّ منهم مَن آمَنَ(١).

(١٠١) - ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: كيف كلمة تعجيبٍ؛ أي: من العجب هذا. ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾: أي: كيف تكفرون مع وضوح الدلائل؟. وقيل: أي: كيف يطمع هؤلاء في كفركم مع علمهم أن كتاب اللَّه يُتلى عليكم، ورسول اللَّه معكم يبيِّن لكم معانيَه، ويقيم المعجزات الدَّالةَ على صدقه؟. ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: يمتنعْ باللَّه من أعدائه، والعصمةُ: المنع، أي: ومَن يتعلَّق بدين اللَّه. وقيل: أي: ومن يتمسَّك بكتاب اللَّه. ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ

(١) جامع البيان (٥/ ٦٣٦ - ٦٣٩) لطائف الإشارات (١/ ٢٦٥)، وتأويلات أهل السنة (٢/ ٤٤٢)، والتيسير في التفسير (٤/ ١٨٣)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٨).

﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي: أُرشد إلى الدِّين الحقِّ.

(١٠٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: هو تفسير الاعتصام. ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: كونوا في حالٍ إذا أدرككم الموتُ أدرككم وأنتم مسلمون.

(١٠٣) - ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾: أي: تمسَّكوا بالقرآنِ، وقيل: أي: اعتصموا بدين اللَّه والقرآن. ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أي: ولا تتفرقوا، سقطَتْ إحدى التَّاءَيْن تخفيفًا، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: يقول: لا تتفرقوا؛ أي: لا تختلفوا في الدِّين كما اختلف أهل الكتاب. ونعمةُ اللَّه: إنعامُه بالإسلام؛ أي: واذكروا إنعامَه عليكم إذْ كنتم أعداءً في الجاهليَّة يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، فألَّف بينَ قلوبِكم بالإسلام، فصرتم بإنعامِه عليكم أخلَّاءَ في الدِّين، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾: أي: حرفٍ وطرفٍ، أي: كنتم كفَّارًا لو متُّم عليه دخلتم النَّار. ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾: أي: أنجاكم، يقال: أنقذه واستنقذه؛ أي: نجَّاه؛ أي: هداكم للإسلام فنجَّاكم به من العذاب. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: القرآنَ الَّذي فيه أمرُه ونهيُه، ووعدُه ووعيدُه؛ لتهتدوا به إلى الصَّواب، وما به يُنالُ الثَّواب[1].

(١٠٤) - ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾أي: طائفةٌ. ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾أي:

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٧) "تفسير مقاتل (١/ ٢٩٤).

الائتلاف ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: وهو ما استحسَنه الشَّرعُ والعقل، وهو الموافقة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: وهو ما استقبحه الشَّرع والعقل، وهو المخالفة. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أي: النَّاجون ممَّا خافوا، والواصلون إلى ما رَجُوا،

(١٠٥) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾: أي: بالعداوة، ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ أي: في الدِّيانة، فلم يكن تكرارًا، وهم اليهود والنَّصارى؛ اختلفوا فقالت اليهود: الدِّينُ الحقُّ هو اليهوديَّة، وقالت النَّصارى: بل هو النَّصرانيَّة، واختلفوا في الأنبياء أيضًا؛ فكذَّبَ اليهودُ عيسى ومحمَّدًا، وكذَّبَ النَّصارى موسى محمَّدًا، وقالت اليهودُ: عزير ابن اللَّه، وقالت النَّصارى: المسيح ابن اللَّه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: أي: الحجج على حقيَّة الإسلامِ ومحمَّدٍ والقرآنِ، وعلى بطلان قولهم، وذلك في القرآن، وفي التَّوراة والإنجيل أيضًا. ﴿وَأُولَئِكَ﴾: أي: هؤلاء المتفرِّقون المختلفون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، فإنَّه يدومُ ولا ينقطعُ.

(١٠٦) - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: أي: ولهم عذابٌ عظيمٌ في يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه. وأكثر أهل التَّفسير على أنه تبيضُّ وجوهُ قومٍ، وتسودُّ وجوهُ آخرين حقيقةً، ليتميَّزَ أهلُ الجنَّة مِن أهل النَّار، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[الرحمن: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾[الزمر: ٦٠]. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، واختلفوا في الكفر بعد الإيمان: قيل: هم الَّذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنِّفاق، وقيل: هم الَّذين ارتدُّوا، وقيل: هم جميع الكفَّار أعرضوا عن إيمانهم يوم الميثاق. وقيل: هم اليهود

والنَّصارى كفروا بمحمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما آمنوا به قبلَ مبعثِه. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: قال الزَّجَّاج: يقال هذا لليائس؛ أي: ليس لكم من هذا خلاصٌ(١).

(١٠٧-١٠٨) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: أي: في الجنَّة؛ لأنَّها تُنال برحمة اللَّه تعالى. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي: دائمون لا يموتون ولا يخرجون. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: أي: هذه حججُ اللَّه. وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي القرآن. ﴿نَتْلُوهَا﴾: أي: نوحيها إليك بعضَها على إثرِ بعض. وقيل: أي: جبريل يتلوها عليك بأمرنا. ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بالصِّدق، وقيل: لبيان الحق. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: لا يشاء أن يظلمَ هو عبادَه فيعاقبَهم بلا جُرمٍ منهم(٢).

(١٠٩) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ملكًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾؛ أي: حكمًا، ولو قال: (وإليه) استقام، ولكن هذا أبلغُ؛ ليكون كلامًا مستقلًّا بنفسه.

(١١٠) - ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: انتظام هذه الآية بما قبلَها: أنَّه أمرَ بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أوَّلًا، ثم مدحَ في هذه الآية هذه الأمَّة بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر. ﴿كُنْتُمْ﴾ أي: في اللَّوح المحفوظ، وقيل: كنتم

(١) جامع البيان (٥/ ٦٦٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٠)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٥٥).

(٢) طائف الإشارات (١/ ٢٦٩)، والوسيط (١/ ٤٧٦)، والتيسير في التفسير (٤/ ١٩٧).

في سابق علمي وحكمي. وقيل: أي: في كتب الأنبياء. ﴿خَيْرَ﴾ هو كلمة تفضيلٍ، والمراد به: أنَّهم أفضل الأمم، وأكثرُهم طاعاتٍ، وأوفرُهم خيراتٍ. ﴿أُمَّةٍ﴾: فالأمَّةُ: كلُّ قومٍ اجتمعوا على اتِّباع نبيٍّ، أو جمعتهم دعوة نبيٍّ، ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قيل: أي: ذُكِرَتْ لمن سلفَ مِن النَّاس. وقيل: معناه: أُظهِرَتْ للأنبياء يوم القيامة للشَّهادة على الأمم، وقيل: معناه: أُخرجَتْ للكفَّار ليقاتلوهم ويدعوهم إلى الإسلام ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: أي: بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ، وهو أعظم معروفٍ، وتنهَون عن التَّكذيب وهو أنكرُ منكرٍ. وقيل: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: باتِّباع محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن عبادة الجبت والطَّاغوت. ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؛ أي: تداومون على الإيمان به. ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: أي: اليهود بمحمَّدٍ ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الإقامة على الكفر. ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: عبد اللَّه بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن الأمر بالإيمان(١).

(١١١) - ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: أي: لن يقدرَ اليهود أن يُلحقوا بكم ضررًا إلَّا أذًى باللِّسان مِن شتمٍ لكُم، وافتراءٍ على اللَّه بقولهم ما لا يليق به، وقيل: الأذى: هو إسماعُهم المكروه في عيسى ومحمَّدٍ -عليهما السلام-، والطَّعنُ في شرائعِهما. ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾؛ أي: يوجِّهوا إليكم ظهورَهم ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: في الدُّنيا عند الهزيمة، ولا في الآخرة عند العقوبة. وفي الآية أبلغُ بشارةٍ

---

(١) جامع البيان (٥/ ٦٧٦)، وبحر العلوم (١/ ٢٦٠)، والبسيط (١١/ ٧١)، وتفسير مقاتل (١/ ٢٩٥)، والكشف والبيان (٣/ ١٢٦).

لهم بما يَؤُول إليه حالهم وحالُ عدوِّهم. وفيه دلالةُ صحَّة نبوَّة نبيِّنا محمَّدٍ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ حيثُ أَخبرَ عمَّا لم يكن، فكان كما أَخبرَ، فما قاتلَهم إلَّا ظَفِر بأيسر مُؤْنةٍ، وهو ظاهرٌ في حديث فتح خيبر، وإجلاء بني النَّضير، وقتلِ بني قريظةَ وسَبْيِهم.

(١١٢) - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أي: أُلزموا الذُّلَّ، كالشَّيء يُضرَب على الشَّيء فيَلْصَق به. ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: أي: في أيِّ مكانٍ وأيِّ زمانٍ وُجدوا في دار الإسلام. ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: بعهدِ اللَّهِ؛ لأنَّه يُتعلَّق به للسَّلامة كما يُتعلَّق بالحبل المفتول. ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ هو محمَّدٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: ﴿النَّاسِ﴾: هم المؤمنون، والحبل: هو عقد الذِّمَّة منهم، وعهدُهم وعهدُ محمَّدٍ هو عهد اللَّهِ لأنَّه بأمرِه. وقيل: المراد هو عهدهم، وإضافتُه إلى اللَّه تعالى أوَّلًا لتشريفهم، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾: قيل: رجعوا، وقيل: احتمَلوا، وقيل: استَحقُّوا، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾؛ أي: الفقر بسبي المسلمين ذراريَهم واستغنامِهم أموالَهم. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: هذا الذُّلُّ والغضب والمسكنة لهم بكفرهم بأنبياء اللَّه تعالى وكتبه. ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: زكريا ويحيى وغيرَهما، وهم مِن أسلاف هؤلاء، وهؤلاء يتولَّونهم فوُبِّخوا به. ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؛ أي: كان زوال إيمانهم بعصيانهم وعدوانهم.

(١١٣) - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾؛ أي: أهل الكتاب ليسوا بمتساوين. ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَايِمَةٌ﴾ أي: طائفةٌ ذوو طريقةٍ مستقيمةٍ، و(ذوو) مُضمَر، والأمَّةُ: الطَّريقةُ، وقيل: ﴿أُمَّةٌ قَايِمَةٌ﴾؛ أي: على حدود اللَّه، وفرائضه، وطاعته، وكتابه لم يحرِّفوه. وقيل: ﴿قَايِمَةٌ﴾؛ أي: مهتديةٌ. ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: يقرؤون القرآن

﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾؛ أي: ساعاته، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾؛ قيل: أي: يصلُّون، والواو للحال؛ أي: يقرؤون حالة الصَّلاة. وقيل: أي: يتلون قيامًا ثم يخرُّون سجودًا. وقيل: السُّجود هو التَّذلُّل للَّه والخشوع له بالصَّلاة وغيرها(١).

(١١٤) - ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: هو بيان اعتقادهم وإقرارهم. ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: هو بيان جهادهم المشركين ومعاملتهم مع عصاة المسلمين حقًّا للَّهِ ربِّ العالمين. ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: هو بيان عملهم بما يقولون. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بتوحيد اللَّه، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: الشركِ باللَّه، ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: في كلِّ ما للَّه رضًا فيه، من صلة الأرحام، وخلعِ الأنداد، ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، هو تسميةٌ لهم على استجماعهم خصالَ الدِّين. وحقيقة الصَّلاح هو انتفاءُ الفساد عنه بالكليَّة، وهو نهاية كمال الوصف بالمحاسن، وهو ممَّا مدحَ اللَّهُ جلَّ جلالُه به الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

(١١٥) - ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: أي: وكلُّ ما عملتم من خيرٍ هو عندَ اللَّه مشكورٌ غيرُ مكفورٍ، فإنَّ اللَّه تعالى شكورٌ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: سمَّاهم متَّقين كما سمَّاهم صالحين، وإنَّما خصَّهم بالذِّكْرِ مع أنَّه عليم بالكلِّ؛ لأنَّه ذكرَ جزاءَ المتَّقين.

(١١٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بمحمَّدٍ ﷺ والقرآن، وهم اليهود

---

(١) التيسير في التفسير (٤/ ٢١٩).

الذين سبقَ ذكرُهم. ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: لن تمنع ولن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب اللَّه شيئًا، وإنَّما ذكرَ الأموالَ والأولادَ لأنَّها عمدة الإنسان التي يدفع بها عن نفسه، وقد أغنى عنه؛ أي: نَفَعه. ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: مرَّ تفسيره.

(١١٧) - ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: أي: مَثَلُ ما ينفقون كمثلِ مُهلَكِ ريحٍ، والصِّرُّ: البردُ الشَّديدُ، وقيل: هو صوت لهيب النَّار الَّتي في الرِّيح، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بمنع حقوق اللَّه تعالى في مالهم. ﴿فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالكفر والمعاصي ومنعِ حقوق اللَّه تعالى، بيَّن أنَّ إهلاك الزَّرع عقوبةٌ على المنع وسوء الصُّنع. وقيل: ظلموا أنفسهم بأنْ زرعوا في غير موضع الزَّرع أو في غير وقته؛ لأنَّ الظُّلم: وضعُ الشَّيء في غير موضعِه[(١)]. ووجهُ المثَل: أنَّ أهل الحرث عملوا وتعبوا وهلك حرثُهم وضاع سعيُهم فلم يحصلوا على شيءٍ، فكذا هؤلاء في إنفاقهم، لا نفع لهم، وليس لهم إلَّا التَّعبُ والخَيبة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ الآية [النور: ٣٩][(٢)].

(١١٨) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾: البطانةُ: خاصَّة الرَّجل الذين يُظهر لهم ما في الباطن، ويكشفُ السرَّ لهم، وفلانٌ بطانةٌ

---

(١) جامع البيان(٥/ ٧٠٥ - ٧٠٧)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٦١).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٩٦ - ٢٩٧)، والكشف والبيان (٣/ ١٣٣)، والبسيط (٥/ ٥٢٣).التيسير في التفسير (٤/ ٢٢٢).

لفلانٍ؛ أي: مداخلٌ له، تشبيهًا ببطانة الثَّوب الذي يلي بدن الإنسان في القرب. قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نهى اللَّهُ المؤمنين أن يتَّخذوا اليهود بطانةً من دون المؤمنين فيُفشون إليهم أسرارهم (١). ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾؛ أي: لا يقصِّرون، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾[النور: ٢٢]؛ أي: لا يقصِّرْ. والخَبالُ: الفسادُ، والخَبَلُ: الفساد في العقل وهو الجنون، ورجل مخبَّلُ الرَّأي؛ أي: فاسد الرأي، والمعنى: لا يقصِّرون في إفساد أموركم، ويُلقون إلى الكفار أسراركم. ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: أحبُّوا وتمنَّوا عَنَتَكم، وقيل: أي: مشقَّتكم وشدَّتكم في الدِّين. ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: ظهرت العداوة على ألستهم؛ أي: بالتَّكذيب الظَّاهر والإيذاءِ لكم بالقول. ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: أي: ما تضمِر قلوبُهم مِن قتلِ رسول اللَّه ﷺ ومن الكفر باللَّه أعظمُ ممَّا أظهروه من التَّكذيب. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: أخبرناكم بالقرآن ما أرادوا وما أَخْفَوا (٢).

(١١٩) - ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ﴾: ﴿هَا﴾ تنبيهٌ، ﴿أَنْتُمْ﴾ للخطاب، و﴿أُولَاءِ﴾ بمعنى: يا هؤلاء. وقيل: بمعنى الذين. ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾: أي: يا معشر المؤمنين تحبُّون اليهود بسبب القرابة والرَّضاعة، وهم الذين لا يحبُّونكم لأجل الدِّين. وقيل: أي: تعاملونهم في أمور دنياكم معاملة المحبِّ، فتخالطونهم وتفشون إليهم أسراركم، وهم لا يفعلون ذلك، بل يُخفون أحوالهم عليكم. ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

(١) جامع البيان (٥/ ٧٠٩).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٩)، والدر المصون (٣/ ٣٦٤).

﴿كُلِّهِ﴾: أي: بالكتب كلِّها: التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبور والفرقان وغير ذلك. وهاهنا مضمرٌ؛ أي: وهم لا يؤمنون بكتابكم، لكنْ حُذف لدلالة الكلام عليه، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: فإنَّهم كانوا يقولون: نحن نؤمن باللَّه وكتبه ورسله، ويُلبِّسون ذلك، وكانوا يقولون: نحن على ذلك، لكنْ محمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وما يتلو ليس بكتابٍ منزَلٍ. ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي: إذا صاروا إلى أهل دينهم عَضُّوا أناملَهم - أي: رؤوسَ أصابعهم، غيظًا مِن اجتماع كلمتِكم وائتلافكم على دينكم، كما يفعله المتناهي في غيظه -وهو الغضبُ الكامن في القلب- العاجز عن إنفاذه. ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: هذا توبيخٌ، يُقال ذلك لمن لا فرَجَ له يُرجى، ومعناه: أنَّ الموت دون ما يرجون. وقيل: أي: دُوموا على هذا إلى أن تموتوا. وقيل: أي: أماتكم اللَّه بغيظكم، لفظُ أمرٍ بمعنى الدعاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؛ أي: بعداوة الصُّدور. وقيل: أي: بضمائرها، وهو وعيد؛ أي: يَعلمُ فيُجازي.

(١٢٠) - ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾: أي: إن تصبكم، ﴿حَسَنَةٌ﴾: أي: نعمةٌ وأُلفةٌ وغَلَبَةٌ وغنيمةٌ، ونحوُ ذلك من حالة مستحسنةٍ. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: أي: تحزنهم، ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي: حالةٌ سيِّئةٌ: محنةٌ، أو فُرقةٌ، أو غلبةُ عدوٍّ وهزيمةٌ، أو جُدوبةٌ. ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾: أي: يُسرُّوا بها، وهي في صفة المنافقين أو اليهود. ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾؛ أي: على ما أمرتم ﴿وَتَتَّقُوا﴾؛ أي: عمَّا نهيتم. وقيل: أي: وإن تصبروا على أذاهم، وتتَّقوا موالاتهم. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾: هو الاحتيالُ للإيقاع في الهلاك. يقولُ: إنْ صبرتم على الطَّاعة واتَّقيتم المعصية، لم يَنَلْكم ما يريدون بكم من الهلاك. ﴿شَيْئًا﴾؛ أي: شيئًا من الضرر. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؛ أي: عالمٌ

بكلِّية ما يعملونه، قادرٌ على جزائهم به، وهو أبلغ وعيدٍ(١).

(١٢١) - ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؛ أي: واذكر يا محمَّدُ إذ خرجت غدوةً من وطنك منزلِ عائشة إلى أُحدٍ، ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: تهيِّئ لهم، وتبوَّأ: اتَّخذ مسكنًا لنفسِه، ﴿مَقَاعِدَ﴾: جمع مقعدٍ، وهو موضع القعود، وجاء في التَّفسير: أمكنةُ القتال، ومصافُّ القتال، وكان ينزل كلَّ طائفةٍ موضعًا مخصوصًا، وسمِّيَتْ مقاعد لأنهم يتمكَّنون فيها قاعدين إلى أن يقعَ القتال. ﴿لِلْقِتَالِ﴾: أي: لأجل مقاتلة الكفار. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقول المنافقون يومئذٍ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضمرون، وهو وعيدٌ لهم(٢).

(١٢٢) - ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أي: واذكر يا محمد ﷺ ﴿إِذْ هَمَّتْ﴾؛ أي: قصدت، ﴿طَائِفَتَانِ﴾؛ أي: جماعتان، وهما هنا بنو سَلِمةَ بن جُشَمَ، وهم من الخزرج، وبنو حارثة بن النَّبيت، وهم من الأوس، وهما جميعًا من الأنصار. ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾؛ أي: تجْبُنا، والفشلُ يقعُ من غير فعلِه فلا يُلام عليه، لكن معناه: أن تفعلا فعلَ مَن يَفشل، وهو الانصراف وترك القتال. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أي: محبُّهما وناصرهما ومتوليِّهما، ومعناه: ما كان ينبغي لهما أن يفشلا والله يتولَّى نصرَهما ومعونتَهما. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: فليَعتمِد على ما وعد، وليجتهد في الوفاء بما عهد، وليفوِّض كلَّ أمره إلى اللَّه إذ علم أنَّه بكلِّيته للَّه،

---

(١) بحر العلوم (١/ ٢٦٧)، والنكت والعيون (٢/ ٣٧٠)، والتيسير في التفسير (٤/ ٢٣٠).

(٢) جامع البيان (٦/ ٦ - ٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٨)، والكشف والبان (٣/ ١٧٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٦).

وإليه مرجعه، وبهذه الجملة وعدَ أن ينصر دينَه.

(١٢٣) - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: وانتظامُها بنا قبلها أنَّه قال: توكَّلوا واذكروا نصري إيَّاكم يوم بدرٍ مع قلَّة عَددكم وعُددكم. وبدرٌ: بئرٌ بين مكَّة والمدينة، وحافرُها كان رجلًا اسمه بدر، فسُمِّيت به، وسميت تلك النَّاحية به أيضًا. ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: جمع ذليلٍ؛ أي: في قلَّةِ عَددٍ وعُددٍ؛ لأنَّهم كانوا يومئذٍ ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشر رجلًا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: اعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، لتقوموا بشكر نعمته.

(١٢٤) - ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾: أي: واذكر يا محمَّدُ ﷺ ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ لأصحابك -رضوان الله عليهم- يومَ أُحُد، وعاد إلى قصة أُحُد عند أكثر أهل التَّفسير-: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾، الكفاية: البلوغ إلى قَدْر الحاجة، والغنى: الزِّيادة على قدر الحاجة. ﴿أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ﴾: الإمدادُ: إعطاءُ المدد، وهو الزِّيادة على عددهم تقويةً لهم. ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾: أي: من السَّماء آتين بالنَّصر.

(١٢٥) - ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾: أي: تصبروا على القتال وتتقوا الفِرار. ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ﴾: أي: من وَجْههم هذا؛ أي: من طريق مكَّة،، ولم يرجعوا وتمُّوا على قصدهم، وقيل: أي: من غضبهم. ﴿هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: بكسر الواو، وبفتحها، والتَّسويمُ: الإعلام، والسُّومةُ: العلامةُ الَّتي يعلِّم بها الفارس نفسَه، ومعنى قراءة الكسر: أنَّهم أعلموا خيلهم في أذنابها ونواصيها وأنفسَهم بنوع لباسٍ، ومعنى قراءة الفتح: أنَّهم فُعل بهم

ذلك؛ وله وجهان: أعلموا أنفسهم بذلك، فهم مفعولون بفعل أنفسهم، أو اللَّه تعالى فعل بهم ذلك(١).

(١٢٦) - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾: أي: ما فعل ذلك إلَّا ليبشركم بالنَّصر. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾: أي: ولتسكن قلوبُكم به، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: ليس ذلك من الملائكة، بل من اللَّه ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾؛ أي: العزيز في ملكه، الحكيم في حكمه. وقيل: ﴿الْعَزِيزِ﴾: المنيع الَّذي لا يلحقه عجزٌ، فلا يُتوقَّع النَّصرُ إلَّا مِن عنده، ﴿الْحَكِيمِ﴾: الفاعل ما توجبُه الحكمةُ، فلا ينصرُ إلَّا أهله.

(١٢٧) - ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي: قطعةً، وقيل: صناديدهم وأشرافهم. ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أي: يذلَّهم، وقيل: أي: يغيظهم، والكَبْتُ: هو صرع الشَّيء على وجهِه. ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: أي: فيرجعوا آيسين(٢).

(١٢٨) - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. أي: ليس لك يا محمَّد في إهلاك هؤلاء أو إبقائهم أمرٌ ولا حكمٌ، إنَّما الأمر في ذلك للَّه يتوب عليهم أو يعذِّبهم، فلا تَدْعُ عليهم، فإنَّهم بين رجلَيْن: مَن سيؤمِنُ بك فيصيرُ كأصحابك، ومَن يموت على كفره فيصير إلى النَّار، ولَعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى، فإنهم ظالمون مستحقُّون للتَّعذيب

---

(١) جامع البيان (٦/ ٢٩ - ٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٣)، السبعة (١/ ٢١٦)، والتيسير (١/ ٩٠).

(٢) العين (٥/ ٢٤٢)، والتيسير في التفسير (٤/ ٢٤٥)

(١٢٩) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: الأمر له لا لك؛ لأنَّ ما في السماوات وما في الأرض له لا لك. ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: هو الذي يهدي مَن يشاء فيوفِّقُه فيغفر له، ويخذل من يشاء فيعذِّبه على كفره ومعاصيه. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: فيغفر لمن تاب، ويرحم جميعَ خلقه، ومن رحمته جعل للكفَّار عن الكفر بالإيمان مخرجًا ومتابًا(١).

(١٣٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾: أي: لا تأخذوا؛ لأنَّه يُقصد بالأخذ: الأكلُ غالبًا ﴿أَضْعَافًا﴾: جمع ضعفٍ، وهو المثل إلى ما زاد. ﴿مُضَاعَفَةً﴾ أي: تضاعِفون به أموالكم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: اتَّقوا اللَّه في الرِّبا لتفوزوا وتنجُوا من عذاب آكل الرِّبا.

(١٣١-١٣٢) - ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: احذروا النار التي أعدت وهيئت للكافرين بالله ورسله، وتحذير المؤمنين عن النَّار الَّتي أُعدَّت للكافرين ردٌّ على المرجئة في قولهم: إن المؤمن لا يُعذَّب بالنَّار أصلًا، ولا يَضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، وقيل: معنى الآية هاهنا: واتَّقوا استحلالَ الرِّبا، فتكفروا، فتُعذَّبوا بالنَّار الَّتي أُعدَّت للكافرين. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾: أي: في تحريم الرِّبا ﴿وَالرَّسُولَ﴾؛ أي: فيما بيَّن مِن وجوهه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: لِترُحَموا.

(١٣٣) - ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: اتِّصالها بما قبلها: أنَّه يقول: وبادروا إلى سببِ مغفرةٍ من ربِّكم، وهو التَّوبة إن أخذتم الرِّبا، واستوجبتُم به النَّار، فتوبوا وسارعوا إلى نيل المغفرة بها. وقيل: لا تصرُّوا على الذُّنوب، وأسرعوا إلى

---

(١) التيسير في التفسير (٤/ ٢٥٠).

التَّوبة. وقيل: هو المبادرة إليها قبل أن تموتوا[١]، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، هو الجهاد في دينِه. وقيل: هو الإخلاص في العمل. وقيل: إلى الطَّاعة. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي: وسارعوا إلى جنَّةٍ -أي: إلى عملٍ يوصلكم إلى جنةٍ- عرضُها كعرض السَّماوات والأرض، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ السَّماوات والأرض إذا ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ، فعرضُ الجنَّة مثلُها، وأمَّا الطُّول فأكبر من ذلك؛ لأنَّ طول كلِّ شيءٍ يزيد على عرضِه. وقيل: أراد بالعرض: المعارَضةَ والمقابَلة؛ أي: لو قُوبلَت الجنَّةُ بالسَّماوات والأرض كانت كذلك. وقيل: العرض هو السَّعة[٢]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين اتَّقوا الشِّرك، كما قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

(١٣٤) - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ذكر بعض صفات هؤلاء المتَّقين أي: الَّذين ينفقون أموالهم في طاعة اللَّه في الرَّخاء واليسر، وفي الشِّدَّة والعسر، وقيل: أي: في الغنى والفقر[٣]. ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: أي: المتجرِّعين، وكَظْمُ الغيظِ: تجرُّعه على القدرة على إمضائه. والغيظُ: توقُّد حرارة القلب من الغضب، وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]؛ أي: من شدَّة الحرِّ، وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢]؛ أي: غليانًا. ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: أي: المتجاوِزين عن الجانين. وقيل: المسقِطين عن الغرماء المعسرين.

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١٤٨)، والتيسير في التفسير (٤/ ٢٥٤).

(٢) جامع البيان (٦/ ٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦١)

(٣) بحر العلوم (١/ ٢٤٧).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هؤلاء محسنون، واللَّه يحبُّ المحسنين.

(١٣٥) - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ هو معطوف على المذكورِين في الآية الأولى؛ أي: أُعدَّتِ الجنَّة لأولئك ولهؤلاء، إذا تابوا واستغفروا، والفاحشةُ: ما بلغَ الغاية في القبح من المعاصي، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: الزِّنا، ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: ما دون الزِّنا من قُبلةٍ أو لمسةٍ أو نظرةٍ فيما لا يحلُّ. وقيل: الفاحشة: الكبيرة، والظُّلم: ما دون ذلك. وقيل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: هي بالأفعال، وقوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: هو بالأقوال. وقيل: الفاحشةُ: الأقوال والأفعال، وظلم النَّفس: العقد والإضمار. وقيل: الفاحشة: الفعلة الواحدة القبيحة، وقوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ هو الإكثار من الذُّنوب. ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا أمرَ اللَّه بالتَّقوى. وقيل: ذكروا أمر اللَّه بالتَّوبة والاستغفار. ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: سألوا اللَّه أن يغفر ذنوبهم. ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي، وهو تعجيبٌ من ترك المؤمنين الاستغفار مع علمهم أنَّه لا يغفر الذُّنوب إلَّا اللَّه، ولا يؤمَن العقاب عليها إلَّا بمغفرة اللَّه. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾: والإصرارُ: الثَّبات والدَّوام. ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾؛ أي: من الفاحشة والظُّلم. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: وهم يعلمون أنَّه لا يغفرُ ذنوبَهم إلَّا اللَّه[١].

(١٣٦) - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةٌ إلى الذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم استغفروا اللَّه تعالى على صدق التَّوبة، فقد سوَّى بين المذنبين التَّائبين وبين المتَّقين

---

(١) جامع البيان (٦/ ٦٠)، والكشف والبيان (٣/ ١٦٩)، والتيسير في التفسير (٤/ ٢٦٢).

المحسِنين في هذه الآيات، فقد قال في حقِّ أولئك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، وقال في حقِّ هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ﴾، وهذا فضلٌ من اللَّه؛ حيث جعل للعبد المتخلِّف أنْ يتداركَ حالَه ويُلحِقَ بالسَّابقين نفسَه. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: أي: ما أثابهم اللَّه تعالى به من نعيم الجنان هو في غاية الفضل والشرف والحُسن؛ فإنَّه لا يَتنغَّص ولا يَنتقِضُ ولا يحول ولا يزول. وقيل: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أي: عملوا قليلًا ونعِّموا طويلًا.

(١٣٧) - ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: أي: مضَت وخلَتْ من قبلكم أهلُ سُننٍ؛ أي: طرائقَ في الشَّرِّ فانظروا كيف كان عاقبتهم، والسُّنّة: الطَّريقة. ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: في بلاد ثمودَ ولوطٍ وشعيبٍ وغيرهم. ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلي وأوليائي. كان مِن الكفَّار إيذاؤهم والإضرارُ بهم، ثم هلكوا ونجا الأولياءُ.

(١٣٨) - ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هذا الَّذي ذكرتُ لكم من سُنَني في الماضين بيانٌ لكم وللكفَّار لِمَا يؤول إليه عاقبة أموركم، وهدًى لكم إلى الثَّبات على الحقِّ، وهدًى للكفار إلى قَبول الحقِّ، وموعظةٌ لكم في إزالة الضَّعف عن قلوبكم بما نالكم من المشركين. وخصَّ المتَّقين بهما لاختصاصهم بالانتفاع بهما، فالبيان للعامة، والاهتداء والاتِّعاظ للمتَّقين خاصَّةً(١).

(١٣٩) - ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: الوهنُ: الضَّعفُ، والإيهانُ والتَّوهينُ: الإضعافُ،

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٧٠)، وجامع البيان (٦/ ٧١).

أي: لا تضعفوا، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي: لا تهتمُّوا لِمَا أصابكم من الجراح، والنَّقصِ في المال، والمصيبةِ في الإخوان، فذلك كلُّه تمحيصٌ ودرجاتٌ. ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي: الأرفعون درجةً بالإسلام، فلا ينبغي للأعلى أن يضعف في مقابلة الأدنى. وقيل: أي: أنتم الأعلون بالحجَّة، والمحقُّون في هذه المقاتَلة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن دمْتُم على إيمانكم فلكمُ العلوُّ عليهم بالظَّفر وغير ذلك.

(١٤٠) - ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: القَرح بالفتح: الجُرح، وبالضم: ألمُ الجُرح. وقيل: بالفتح: ما كان بسلاح، وبالضم: ما كان بغير سلاحٍ. والمعنى: إن يُصبكم قرحٌ وألمٌ وقتلٌ في آخر حربِ أحدٍ فقد أصاب الكفار مثل ذلك في أولِ هذا الحرب، فقُتل وجرح منهم خلقٌ كثيرٌ. وقيل: معناه: فقد أصاب القومَ مثلُه في حرب بدرٍ، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: أي: نصرِّفها، والمداولة: نقلُ الشيء من واحدٍ إلى آخرَ، وقالوا: تداوَلَتْه الأيدي؛ أي: تناقلتْه، ومنه قولُه تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]؛ أي: يتناقلونها بينهم لا يجعلون للفقراء فيها نصيبًا. والحكمة في ذلك: أنه لو أظفر المؤمنين أبدًا ولم ينلهم كربٌ ولا نكبةٌ في حربٍ، وكان الكفار مقموعين أبدًا، لسَقَط الاختيار ولآمنوا بالاضطرار، فبطل الثواب والعقاب وزال التكليف والخطاب، وليس معنى المداوَلة: التسويةَ بين الفريقين في النُّصرة فينصرَ هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً كما توهَّم بعضهم، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، ولو كان معنى المداولة ما توهَّموه لكان يمحِّص هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً، ويمحقُ هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً، وهو

خلافُ ما أَخبر اللَّه تعالى به. ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليظهر إخلاص المؤمنين في إيمانهم بصبرهم على ما ينالهم من المشركين وثباتِهم على دينهم، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾: أي: نداولها ليَعلم وليَجعل بعضَكم شهداء في سبيله فيرفعَ درجاتهم في الآخرة بالشهادة. قيل: أي: يجعلَهم شهداءَ في الآخرة للأنبياء على الأمم. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي: الكفار والمنافقين.

(١٤١) - ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: وليخلِّص المؤمنين بالشهادة، وقد مَحَصْتُ الشيءَ مَحْصًا؛ أي: خلَّصته من العيب، ومحَّصْتُه تمحيصًا للتكثير أو للتكرير، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: المحق: إفناء الشيء حالًا بعد حالٍ، أي: يستأصلَهم ولا يأجرَهم، فيهلكهم ومعهم ذنوبُهم.

(١٤٢) - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: (أم) يقتضي إضمارَ استفهام قبله ثم عطفًا بـ (أم) عليه، تقديره: أظننتم أن يكون كذا أم ظننتم أن تدخلوا الجنة مع أنكم لم تجاهدوا في سبيله ولم تصبروا على بلائه؟. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: أي: لم يعلم، قيل: (ما) زيدت على (لم)، وقيل: هما بمعنًى واحد، يقول: كيف تنالون الجنة ولم يكن منكم جهادٌ في سبيله؟، وعَلِم أنه لا يكون منكم جهادٌ في سبيله، ولو كان منكم جهادٌ لعَلِمه لأنه عالمٌ بكلِّ شيءٍ، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: أي: وهو يعلمُ الصابرين(١).

(١٤٣) - ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: أي: لقاءَ العدو، لأنه من أسباب الموت فأُطلق عليه اسمه؛ كما في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا

---

(١) المحرر الوجيز (١/ ٥١٥)، والتيسير في التفسير (٤/ ٢٩٤).

حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١١٨٠]، ويقال: رأيتُ الموت في أطراف الأسنَّة. ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾: أي: رأيتم لقاءَ العدوِّ ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: وأنتم تتأمَّلون الحالَ في ذلك كيف هي؟ لأن النظر تقليبُ البصر نحو المبصَر؛ أي: كانت رؤيةَ تثبُّتٍ وتأملٍ، لا رؤيةَ تلمُّح وتخيُّلٍ.

(١٤٤) - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾: لمَّا انهزم المسلمون يوم أحدٍ عُوتبوا فسمعوا صارخًا يصرخ: ألَا إن محمدًا ﷺ قد قتل، فنزلت الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: أي: مضت، ولم يكونوا لا يموتون ولا يقتلون، بل قتل كثيرٌ منهم ومات الباقون، وذلك لا يوجب ارتفاعَ الدِّين ولا تركَ أتباعهم جهادَ الكافرين. ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: الألفُ ألفُ استفهامٍ بمعنى التوبيخ، وتقدير: أفتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل، والانقلاب على العَقِبَين مجازٌ عن الردَّة، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾: أي: ومَن يرتدَّ عن الإسلام. ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: أي: جَلَّ اللَّه أن يَلحقه ضررٌ أو يدخلَ مُلكه نقصٌ وإنما ضرَّ نفسَه مَن فعَل ذلك وأَلحق النقصَ بنفسه، وهذا وعيدٌ للمرتدِّين والمنهزِمين بالعقاب. ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: وهذا وعدٌ للثابتين والمجاهدين بالثواب.

(١٤٥) - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾: أي: بإماتة اللَّه للوقت الذي كتبه أجلًا لها. وقيل: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بعِلم اللَّه؛ أي: بالوقت الذي عَلم بموته فيه. ﴿كِتَابًا﴾ مصدرٌ لفعلٍ محذوفٍ، وتقديره: كتب اللَّه كتابًا. أي: مكتوب في اللوح المحفوظ، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: أي: مَن

يُرِدْ بقتاله الغنيمةَ أو الذِّكر نُعطِه ذلك. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: أي: ومَن يُرِدْ به إعلاء كلمة الله والأجرَ والدرجةَ في الآخرة نُعطه ذلك. ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾: التكرير للتقرير، والآيةُ وإنْ وردت في القتال فهي عامَّةٌ في كل الأفعال.

(١٤٦) - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: وكم من نبيٍّ قاتل الكفار ومعه ربيون كثير أي: جماعاتٌ، واحدهم: رِبِّيٌّ، منسوبٌ إلى الرِّبَّة وهي الفرقة الكثيرة من الناس(١). ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾: الوهن: انكسار الحدِّ بالخوف، والضعف: نقصان القوة وقيل: فما وهنوا في دينهم وما ضعفوا في أنفسهم. ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: أي: وما استسلموا لعدوِّهم وما خضعوا لهم. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾: أي: الثابتين على الدِّين وجهادِ الكافرين.

(١٤٧) - ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾. هو مجاوزة الحد، يقول: هؤلاء الذين هم أتباعُ الأنبياء الماضين كان قولَهم عند قتل الأنبياء هذا الدعاءُ، وهو مدحٌ لهم أنهم مع حُسن العمل استغفروا من الزَّلَل والخلَل. وهذا مبالغةٌ في الاعتراف بالذنب، فإن الإسراف والذنب واحدٌ، وذكرُهما غايةُ سوء الظن بأنفسهم. وقيل: الذنوب الصغائر، والإسراف بالكبائر. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: قيل: على الإيمان، وقيل: على جهاد العدو. ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: بالقوة والغلبة، وقيل: بالبرهان والحجة.

(١٤٨) - ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: أي: أعطاهم جزاءهم في الدنيا الظفَرَ والنصرَ والغنيمة، والمدحَ والتعظيم والحرمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾؛ أي:

---

(١) جامع البيان (٦/ ١١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٠)، والكشف والبيان (٣/ ١٨١).

الجنة والنعمة والقربة والرؤية، وذكرُ الحُسْنِ في ثواب الآخرة دونَ الدنيا؛ لِصِغَر أمر الدنيا وحقارتها، وانقطاعِ ما فيها. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هم محسِنون والله يحبهم ويُحسن ثوابَهم(١).

(١٤٩-١٥٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: إنْ تطيعوا أهل الكتاب فيما يأمرونكم. ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: يرجعونكم إلى الكفر وهذا أبلغ في الزجر ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي فترجعوا خاسرين لخير الدنيا وسعادة الآخرة وذلك أعظم الخسران. ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾. ﴿بَلِ﴾ ردٌّ لِمَا قبله وهو طاعة الكفار، أي: هو ناصرُكم وحافظُكم وحبيبكم ومتولِّي أموركم، فهو أَولى أن يُطاع، وكذلك هو خير مَن ينصركم فهو أحقُّ أن يؤتمر بأمره.

(١٥١) - ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: بيانُ قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، والرعب: الخوف الذي يملأ القلب، يقول وإن نالكم للحال بعضُ الشدة بعصيانكم فسنلقي في قلوبهم الخوف فتكونُ العاقبةُ لكم بإيمانكم. ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: والسلطان: البرهان، وأصله: القوة، فسلطان الملك: قوته، وسلطان المدَّعِي: حُجتُه، وبها يَقْوَى على دفع المُبْطِل، وقيل: هو من السَّليط، وهو دُهن الزيت، وبه ضوءُ السراج، فالسلطان هو الحجةُ النيِّرة، يقول: ألقى الله في قلوبهم الخوف عقوبةً لهم على شركهم ولا حجةَ لهم فيه. وهذا ذمٌّ لهم على تقليدهم آباءهم في الضلال، وكانوا مقرِّين بالله، وأنه هو خالقُهم، فكان يلزمُهم بحكم

(١) تأويلات أهل السنة (٢/ ٥٠٤)، ولطائف الاشارات (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤).

إقرارهم ألَّا يعبدوا معه غيرَه، إلا أن يأمرَهم به فيكون ذلك إنزالَ السلطان. ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: أي: مصيرُهم جهنم في الآخرة ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: وساء مقامُ الكافرين الذين ظلموا أنفسَهم ووضعوا الشيء في غير موضعه[(١)].

(١٥٢) - ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: أي: حقَّق ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: تقتلونهم وتستأصلونهم بتخليته. ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: أي: جبُنْتُم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾؛ أي: اختلفتُم ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾؛ أي: خالفتُم أمر النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بلزوم المراكز. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: من قهر الكفار. ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: أي: الغنيمةَ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: أي: الثواب والشهادة، قال ابن مسعودٍ: ما علمتُ أن أحدًا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[(٢)]. ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: أي: بهزيمتكم والتولِّي عنهم، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾؛ أي: ليشدِّدَ عليكم بعصيانكم، وهو ابتداءُ عقوبةٍ، وقيل: هو ابتلاءٌ ببليةٍ أَمر اللَّه تعالى بالصبر عليها ووعَد الثواب عليه. وقيل: معناه: ليبتليكم بسيوف الكفار عقوبةً على ترك الائتمار. وقيل: ليَمِيز المؤمنَ من المنافق والمطيعَ من العاصي، وحقيقتُه: ليختبركم، ومعناه: ليُعاملكم معاملة المختبِرين؛ لأنَّه يجازِي على ما يَعمله العبد، لا على ما يَعلمه منه. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾: يعني: أيها المنهزمون، فلم يُهلِكْكُم ولم يسلِّط عليكم عدوَّكم. وقيل: ترَكَكم أحياءً بعدما قُتل سبعون منكم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بالعفو عنهم، وقبولِ توبتهم، وتركِ

---

(١) التيسير في التفسير (٤/ ٣١١).

(٢) جامع البيان (٦/ ١٤٠).

استئصالهم، وبكلِّ حالٍ.

(١٥٣) - ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: أي: عفا عنكم إذ تُصعدون، والإصعاد: هو النفوذ في مستوى الأرض، والصعود: الارتفاع. وقيل: الإصعاد في الوادي، والصعود في الجبل. والرواية المشهورة ذهابُهم في الوادي، ويحتمل أنهم ذهبوا في الوادي ثم صَعِدَ بعضهم إلى الجبل ملتجئًا به. ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾: أي: لا تعرِّجون، وقيل: لا تَعطِفون، وقيل: لا تَقِفون، وقيل: لا تلتفتون، وقيل: لا تلبثون. ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: أي: على أحدٍ من الآحاد، وهو إخبارٌ عن غايةِ انهزامهم وخوفِ عدوِّهم. وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾؛ أي: على الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾: أي: يناديكم في آخركم، والتأنيثُ لمعنى الطائفة والفرقة[١]، ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾: أي: جازاكم غمَّ ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾؛ أي: مع سلامة نبيِّكم. وقيل: بسبب غمِّكم النبيَّ ﷺ بمخالفته. والثواب: الجزاء كيفما كان، والإثابة والتثويب: إعطاء الجزاء؛ وقيل: بل الثواب إذا أُطلق يراد به الجزاءُ في الخير، وهاهنا أريدَ به أنه قائم مقام الثواب لعصيانهم، وقيل: معناه: فجزاكم اللَّه تعالى على عصيانكم غمًّا على غمٍّ، فالباء بمعنى (على)، وقيل: الغمُّ الأول: القتل والجراح، والغمُّ الثاني: سماعُهم أن النبيَّ ﷺ قُتل، ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: أي: لكيلا تحزنوا بعد هذا على فوتِ الغنيمة، فيحملَكم على الاشتغال عن القتال، فينالَكم ما نالكم في هذه الغزوة من الهزيمة والجراح، ولكيلا تحزنوا على ما أصابكم من الجراح فيدعوَكم إلى الفشل،

---

(١) الكشاف (١/ ٤٧١)، والمحرر الوجيز (١/ ٥٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦٥).

فيصيبَكم ما خفتُموه وأنتم عاصون، ولولاه لأصابكم وأنتم مطيعون مأجورون، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وهذا ترغيبٌ في الطاعة وترهيبٌ عن المعصية(١).

(١٥٤) - ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾: هذه الآية من الجوامع، وفيها كلُّ الحروف المعجَمة، والأمَنة: الأمن، وهي مصدرٌ على الفَعَلة كالعَظَمة والغَلَبة. ﴿نُعَاسًا﴾ بدلٌ من الأمنة وترجمةٌ عنها. ﴿يَغْشَى﴾ بياء التذكير ردًّا إلى النعاس وبتاء التأنيث ردًّا إلى الأمنة، والغشيان هو التغطية والإتيان، يقول: مَنَّ على المؤمنين منكم المخلصين فأمَّنَهُم وأنامَهم وأزال اغتمامهم، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: هذا ابتداء، وهم المنافقون وكان حضورهم للغنيمة، فلما فاتهم وخافوا على أنفسهم الاستئصالَ ولم يكونوا من أهل الكرامة، لم يؤمِّنهم ولم يُنِمْهم فبقُوا في الغموم. ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: حملتهم على الهمِّ؛ ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: أنْ لا ينصرُ محمدًا ﷺ. ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: قيل: أي: ظنَّ أهلِ الجاهلية، وهي حالةُ الكفر، والإضمارُ سائغ. وقيل: أي: كظنِّهم في الجاهلية، يعني: كانوا يقولون في أنفسهم: لو كان المسلمون على حقٍّ لم تَنَلْهم هذه النكبةُ، ولم يعلموا أن اللَّه يبتلي عبادَه بما شاء ليتميَّز المخلِص من غيره. ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: من النصر والعلوِّ، وهو استفهام بمعنى الجَحْد؛ أي: لسنا محقِّين فلسنا بمنصورين. ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: أي: الحقُّ للَّه تعالى ولمن دعا إلى دينه، وهو ينصر أولياءه على كل حالٍ بالغلبة أو بالحجة، وله أن يبتلي عباده بما شاء. ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا

---

(١) جامع البيان (٦/ ١٥٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩١).

﴿يُبْدُونَ لَكَ﴾: أي: من الشك والنفاق. وقيل: هو ما لا يستطيعون إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين، ومن ظهور حالهم للمؤمنين(١). ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾: هو قول ابن أُبيٍّ: لو كانوا عملوا بأمري ولم يخرجوا من المدينة لم يُقتلوا. ﴿مَا قُتِلْنَا﴾؛ أي: ما قُتل منَّا أحد، وقيل: معناه: لو كان الأمر إلى اختيارنا واستصوابنا لم نَخرج فلم يُقتل من قراباتنا أحد، وكان أكثرُ القتلى يومئذ من الأنصار، ولم يقتل من المهاجرين إلا يسيرٌ. ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: أي: لو تخلَّفتُم فمكَثْتُم في منازلكم بالمدينة لخرج الذين كتب عليهم القتل في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم بأُحد، يقول: ما حكَم الله فهو كائن لا محالة لا دافع له ولا رافع. ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: أي: ليُظهر ما في قلوبكم من النفاق، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ التمحيص: التخليص، ومعناه: أن المسلمين كانوا يرتابون في أمر المنافقين، فأراد أن يزيل عنهم الشك في أمرهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بما فيها من الخير والشر، وهو وعدٌ ووعيدٌ، يقول: لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فإنه عالمٌ بها، لكن يعاملكم معاملةَ المختبِر ليجزيكم على عملكم لا على علمه، أو: ليبتليكم المؤمنون ليعلموكم، فأضاف ابتلاءَهم إلى نفسه تشريفًا لهم.

(١٥٥) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾: أي: انهزموا من المسلمين دون المنافقين ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾؛ أي: اجتمع الجندان: جندُ المسلمين وجند الكافرين ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾؛ أي: حملهم على هذه الزلة. ﴿بِبَعْضِ مَا

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٧٩)، والبسيط" للواحدي (٦/ ٩٢)، والتيسير في التفسير (٣٢٦).

﴿كَسَبُوا﴾؛ أي: ببعض ذنوبهم؛ من حبِّ الحياة، أو الرغبة في المال، أو عصيان الرماة بترك المركز، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: أي: تجاوز اللَّهُ عنهم هذه الزَّلة. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ يغفر الذنب ولا يَعْجَل بالعقوبة.

(١٥٦) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وهم المنافقون الذين ظنُّوا من جهلهم أن من لم يتعرض للموت والقتل بالخروج إلى الغزو لم يمت. ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي: لأشباههم من المنافقين. وقيل: أي: لإخوانهم في النسب -لا في الدين- من المؤمنين الذين تولوا. ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ساروا فيها لتجارة أو نحوها. ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾: أي: غزاةً، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾: أي: هؤلاء القتلى ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾؛ أي: لو لم يخاطروا لعاشوا. ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: أي: يقولون ذلك لأقاربِ القتلى ليكون ذلك حسرةً لهم، وهي أشدُّ الندامة التي تَقطع القوةَ ونحوَها، والحسرةُ على هذا للسامعين؛ أي: من أهل الإسلام. وقيل: قالوا ذلك ليَجبن هؤلاء عن القتال من بعدُ، فلم يقبلوا قولهم فصار حسرةً للمنافقين. وقيل: هذه الحسرة لهم في القيامة. ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أي: واللَّه يحيي قلوب أوليائه وأهلِ طاعته، ويميت قلوب أعدائه من المنافقين والكافرين، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به، وهو وعد ووعيد.

(١٥٧-١٥٨) - ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: يا معشر المؤمنين، إنَّ ما تنالونه بالجهاد والشهادةِ خيرٌ، وأفضل وأنفعُ في الآخرة من مالٍ يُجمع في الدنيا الفانية. ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَا

﴿إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾. أي: إنكم إنْ متُّم في بيوتكم بعد طولِ العمر، أو قُتلتم في سفرٍ أو حضرٍ، فالمحشرُ إلى اللّه، وهو المُجازي بالأعمال، فلْيَخَفِ الخائفُ العقابَ لا الموتَ والقتلَ الذي لا بد منه[(١)].

(١٥٩) - ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: فبرحمةٍ من اللّه، ﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾؛ أي: لطَفْتَ في القول، وهو ثناءٌ عليه بحُسن الخلق. ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ رجل فظٌّ: ذو فظاظةٍ - وهو الذي في مَنْطِقة غظٌ وتجهُّم[(٢)]. ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: أي: قاسيَ القلب غيرَ رقيق. ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي: لتفرَّقوا عنك، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي: لا تؤاخذهم بما كان منهم ولا تعيِّرهم به ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مني تطييبًا لأنفسهم. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي: ردَّهم إلى مراتبهم في مشاوَرتهم واستشارتهم في الأمور، والمشاورةُ بين الاثنين والجمع، والاستشارة: طلبُ المشورة وسؤالُها، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: فإذا عزمتَ على إمضاءِ ما أشاروا عليك به فلا تعتمِدْ عليهم بل اعتمد على اللّه، وهو يوضح: أن استشارته إياهم لم تكن لحاجته إليها بل لتألُّفهم وتلطُّفهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: أي: يُثْني عليهم ويَرْضَى عملَهم ويُحسِن إليهم ثوابهم[(٣)].

(١٦٠) - ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: النصر نوعان: معونةٌ ومنعٌ. ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: الخذلان: التخلية

---

(١) البسيط (٦/ ١٠٢)، ولطائف الإشارات (١/ ٢٨٩)، والتيسير في التفسير (٤/ ٣٣٤).

(٢) العين (٨/ ١٥٣).

(٣) جامع البيان (٦/ ١٩٠)، معاني القرآن للنحاس (١/ ٥٠٢).

بينه وبين المعاصي، فمَن نصَره قبَض على يديه عند الهمِّ بتعاطي المكروه، ومَن خذله ألقى حبلَه على غاربه ووكَله إلى سوء اختياره، فيهيم على وجهه في فيافي البُعد، فتارةً يشرِّق غيرَ محتشِم، وتارةً يغرِّب غيرَ محترم، ومَن نسيه الحق فلا آخِذَ بيده ولا جابِرَ لكسره[١]. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: تقريرٌ للأمر بالتوكُّل، وبيانٌ للمعنى الموجِبِ للتوكُّل الداعي إليه.

(١٦١) - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾: أي: ومعناه: يخون في المغنم، والإغلال: الخيانة في كلِّ شيء؛ وسببُ نزول الآية -وبه يَظهر تفسيرُه-: أن الذين كانوا مع عبد اللَّه بن جبيرٍ يوم أحد من الرماة كان السببُ في إخلاهم بمراكزهم أنهم لمَّا رأوا انكشاف المشركين تبادروا إلى الغنيمة خوفًا من أن يستوليَ عليها غيرهم من المسلمين، فأنزل اللَّه هذه الآية، ومعناه واللَّه أعلم: وما ينبغي لنبيٍّ ولا يَحِلُّ له أن يخون في الغنيمة، أو يرضى من أصحابه بالخيانة، وأن يأخذوا أكثرَ مما جعله اللَّه لهم، فما ينبغي لكم معاشرَ الرماة أن تخلُّوا بمصافِّكم خِيفةَ فَوَات حِصَصِكم من الغنيمة، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: يأتِ به حاملًا له فيَفْتضِح بحمله على رؤوس الأشهاد، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: أي: من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يُنقصون من جزاء أعمالهم[٢].

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٢٩٢).

(٢) جامع البيان (٦/ ١٩٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ١٢٦)، الكشاف (١/ ٤٣٤)، وأنوار التنزيل (٢/ ٤٦)، وروح المعاني (٥/ ١٠٠)، والمحرر الوجيز (١/ ٥٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨٧)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٤).

(١٦٢) - ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ أي: بتركِ الخيانة ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: احتَمَل ما فيه سخطُ اللّه تعالى بالغلول، وهذا استفهامٌ في معنى النفي؛ أي: لا يستويان. ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: ترجع الكنايةُ إلى مَن باء بسخطٍ من اللّه، وقيل: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ هم المهاجرون والأنصار ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ هم المنافقون والكفار.

(١٦٣) - ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هم طبقات، وقيل: فيه إضمار؛ أي: هم ذوو درجات؛ أي: مراتب. ويجوز أن يكون للفريقين جميعًا، وقيل: أهل الجنة بعضُهم أرفعُ من بعضٍ وكلٌّ في كرامةٍ، وأهلُ النار بعضهم أشدُّ عذابًا من بعضٍ وكلٌّ في هوان. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: وعدٌ للمتابعين ووعيدٌ للمخالفين.

(١٦٤) - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: (قد) كلمةُ التحقيق واللام لزيادة التأكيد. ﴿مَنَّ اللَّهُ﴾؛ أي: تفضَّل اللّه على أهل الإيمان بنبيِّه الذي وصفه باللِّين والخلُق العظيم وتركِ الفَظاظة والغِلْظة. ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: من نسَبهم، وجميعُ العرب من قراباتِ أبيه أو أمِّه. وقيل: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: من جنسهم لا من الملائكة وغيرِهم، وهو إجابة دعاء الخليل صلوات اللّه عليه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: أي القرآن، و: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: ويطهِّرهم بالإيمان، ويُثْني عليهم، ويشهد لهم بأنهم أزكياءُ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنَّة، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: كانوا قبل مبعثه في ضلال بيِّنٍ وواضح.

(١٦٥) - ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: الألف ألفُ الاستفهام بمعنى الاستنكارِ لِمَا أنكروه مما أصابهم يومَ أحد من الجَرح والقتل ونحوِ ذلك، ﴿مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: بليَّة أصابتكم، ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾؛ أي: نلتُم من الكفار ضعفَ ذلك، وقال أكثر المفسرين: قَتل الكفَّارُ يومَ أحد من المسلمين سبعين، وكان المسلمون قتلوا من الكفار يوم بدرٍ سبعين وأَسروا سبعين وذلك مِثْلاه، وقيل: أي: أصبتُم منهم يومَ بدرٍ ويومَ أحدٍ في أولِ الأمر، فذاك مرتان وهم أصابوا مرةً[١]. ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾: أي: قال بعضُكم: كيف هذا؟ ومن أين هذا؟ لِمَ غلبونا وهم مبطِلون ونحن محقُّون؟! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: قل يا محمدُ هو بعصيانكم، ولولاه لنُصرتم عليهم ثالثةً كما نُصرتم أُولَى وثانيةً. ثم هذا العصيان هو تركُ الرماة المركزَ، وقيل: هو خروجهم من المدينة مع إشارة النبي عَلَيهِالسَّلَامُ بالتحصُّن فيها، ورغبتُهم في الجهاد والشهادة[٢]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: هذا ظاهر.

(١٦٦-١٦٧) - ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: أي: اجتمع الجيشان يومَ أحد. ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: فبعِلْم اللَّه ذلك وقضائه. ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ابتلاهم بذلك ليعلم إيمانهم موجودًا حال وجوده كما عَلِم قبلَ وجوده أنه يوجد، وكذلك: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. ومعنى الآية: كان اللَّه تعالى عالمًا بما يصيبكم قبل أن أصابكم، وإنما خلَّى بينهم وبينكم ليتميَّز المؤمنون من المنافقين،

(١) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٨٨).

(٢) البسيط للواحدي (٦/ ١٥٣)، وجامع البيان (٦/ ٢١٥)، والتيسير في التفسير (٤/ ٣٥٠).

فيَظهرَ صبرُ الصابرين فيؤجَروا به، فيعلموا أن ذلك أصابهم بعصيانهم فيتوبوا، ويظهرَ من المنافقين ما عَلم اللّه منهم من الشماتة وسوءِ القول، فتنكشفَ أسرارهم ويعرفَهم المسلمون فيقطعوا موالاتهم، ويستوجبَ الفريقان الجزاءَ بعملهم لا بعلم اللّه تعالى فيهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾: أي: قيل للمنافقين: هلموا ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: جاهدوا ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾؛ أي: إن لم تقاتلوا فاحضروا الوقعة وكثِّروا السوادَ؛ ليصير ذلك دفعًا لهم عنا بغيرِ قتال. وقيل: أي: ادفعوا العدوَّ عن أنفسكم. وقيل: أي: عن أموالكم وذراريكم. ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾: قد ذكرنا أن هذا قولُ عبد اللّه بن أبيٍّ حين انصرف قبل القتال في ثلاثِ مئة رجل، فدعاه بعض المخلِصين إلى الرجوع فقال ذلك. ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: هم بهذا الإظهارِ إلى الكفر أقربُ منهم للإيمان؛ إذ كانوا قبلَ ذلك في ظاهر أحوالهم إلى الإيمان أقربَ، حتى هتكوا أستارهم عند مَن كان يخفَى عليه حالُهم من المؤمنين الذين يُحسنون بهم الظنَّ، فأما في الحقيقة فهم كفارٌ قطعًا. ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: يقولون: لا تقع الحرب، وفي قلوبهم أنها تقع. وقيل: أي: يُظهرون الإيمان بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم. وقيل: أي: يقولون بالألسنة: نحن أنصارٌ، وهم أعداء. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: أي: يُخفون من النفاق.

(١٦٨) - ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي: قال هؤلاء المنافقون لعشائرهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ أي: وتخلَّفوا عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: المستشهَدون فلم يخرجوا ولم يشهدوا القتال ﴿مَا قُتِلُوا﴾؛ أي: لم يُستشهَدوا وكانوا أحياءً. ﴿قُلْ

﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: قل يا محمد ﷺ: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذ لم تحضروا القتال إنْ صدَقتم أنَّ مَن لم يشهد القتال حيٌّ فلم يَتلَفْ، وهذا ردٌّ عليهم ما قالوه من الكلام.

(١٦٩) - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾: هذا نهيٌ مؤكَّد بالنون المشدَّدة، وهو خطاب للنبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. أي: لا تظنَّنَّ المستشهَدين في سبيل الله طلبَ رضَا الله أمواتًا. ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾: أي: بل هم أحياء. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: قيل: أي: في حكم الله، وقيل: أي: في الجنة، وأرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ﴿يُرْزَقُونَ﴾ أي: يأكلون من ثمار الجنة[1].

(١٧٠) - ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: مسرورين. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: يُسرُّون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾؛ أي: بمن بقي خلفهم. ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة والمعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم.

(١٧١) - ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: أي: يُسرُّون بما أنعم الله عليهم من الثواب، وبما تفضَّل عليهم من زيادة الكرامة، وجمع بينهما لأنها ليست بنعمةٍ مضيَّقة على مقدار الكفاية من غيرِ مضاعفة السرور واللذة. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: علِموا بأن الله لا يُضيع ثوابَ عملهم، وقد كانوا علِموا قبل ذلك علمَ استدلالٍ والآن علِموا علمَ عِيانٍ[2].

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٩٠).

(٢) البسيط (٦/ ١٧١)، وجامع البيان (٦/ ٢٣٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨١٤).

(١٧٢) - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. أي: أجابوا رسولَ اللَّه في اتِّباع العدو، فإن دعوته بهم دعوة اللَّه، فكانت إجابته إجابة اللَّه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: أي: الجَرح في غزوة أحد، وبهم أثر ذلك، فاحتملوه ونَشِطوا في ذلك طلبًا لرضاء اللَّه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي قد أَحسنوا فيما فعلوا واتَّقوا فلهم على ذلك أجرٌ عظيمٌ لا يَعرف مقدارَه إلا اللَّه.

(١٧٣) - ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ هو اسمٌ للواحد وهو نُعيم بن مسعود الثقفيّ وهو جمعٌ أريد به الواحد، وطريقه طريقُ مَن انتظر قومًا فجاء واحد، فقال: جاء الناس، إما تفخيمًا للشأن، وإما ذكرًا لابتداء الإتيان، أو لأن الواحد يكون له أتباعٌ فقولُه قولُهم. وقيل: هو على حقيقةِ الجمع، وهم ركبٌ من خُزاعة فيهم معبدُ بنُ أبي معبدٍ الخزاعي[1]. ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾؛ أي: أبا سفيان وأصحابَه جمعوا لكم الجموعَ؛ أي: الجيوش. ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾: أي: فاحذروهم فإنكم لا تقاومونهم. ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾: والإيمان هو اليقين هاهنا، ومعنى زيادةِ اليقين بقولهم: ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ونحوِ ذلك: أنهم وجدوا الأمرَ على ما قال لهم رسول اللَّه ﷺ، لا على ما قال أولئك. وقيل: زادهم جرأةً وقوةً ولم يخافوا بتخويفهم. وقيل: لمَّا لم يضعفوا ولم يجبُنوا بقولهم، أنزل اللَّه السكينة في قلوبهم فازدادوا يقينًا وتصديقًا. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: أي: كافينا اللَّه، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: أي: نعم

(١) بحر العلوم (١/ ٢٩٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٣٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٧)، وجامع البيان(٦/ ٢٥٠ - ٢٥١)، وروح المعاني (٥/ ١٣٨).

الوليُّ والحفيظُ(١).

(١٧٤) - ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: أي: انصرفوا من بدرٍ بما أَنعم اللَّه عليهم من العافية والسلامة، وبما أصابوا من الأرباح بالتجارة. وقيل: النعمة: الأجر، والفضل: زيادةُ قوةٍ في الدِّين. وقيل: النعمة: الجنة، والفضل: فضل الكرامات. ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: أي: لم يَنَلْهم أذًى من قبل الأعداء ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾؛ أي: اتَّبعوا ما يُرضي اللَّه. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ أي: على أهل طاعته.

(١٧٥) - ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي: يخوفكم أولياءه وهم الكفار. ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: لأن الإيمان يقتضي خوف العبد من اللَّه تعالى دون غيره(٢).

(١٧٦) - ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي: لا تحزن بما يفعله الكفار من التجمُّع عليك، وبما يفعله المنافقون من مظاهرتهم على ذلك، وذلك مسارعتُهم في الكفر، وهو جُهدهم فيه، وسعيُهم في إطفاء نور اللَّه، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: قيل: معناه: لن يضرُّوك، فإنَّ اللَّه تعالى جلَّ أن يلحقَه المضارُّ والمنافع، ولكن هذا وعدٌ له بالنصرة وأمانٌ له من شرورهم وضرِّهم، وإضافةُ ذلك إلى نفسه تشريفٌ لرسول اللَّه ﷺ. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: وإرادتُه أن لا يكون لهم ثوابٌ في الآخرة هي إرادةُ كفرهم ومعاصيهم، فدل أن ذلك كلَّه بمشيئة اللَّه

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٤ و٢٤٩)، وتأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة (ص: ١٤٤).
(٢) البسيط للواحدي (٦/ ١٨٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٩)، والمحرر الوجيز (١/ ٥٤٤).

تعالى وإرادته، وهو في قومٍ مخصوصين عَلِم اللّه منهم أنهم لا يختارون الإيمان فلا يؤمنون. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي: في جهنم.

(١٧٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: أي: استبدلوه به واختاروه عليه، ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: بكفرهم، وهذا التكرير للتأكيد والتقرير، فإنْ حُملت على المرتدِّين وعلى اليهود الذين كانوا مُقرِّين بالنبي ﷺ قبل خروجه ثم كفروا به بعد خروجه فمعنى الاشتراءِ والاستبدالِ ظاهرٌ، وإن حُمل على الكفار الأصليين فمعناه: تركُ الإيمان يومَ الميثاق، وإيثارُهم الكفرَ مع قيام الدلائل والتمكُّنِ من الإيمان، وإن حُملت على المنافقين فهي في إظهار كفرهم لأصحابهم بعد إظهار الإيمان للمؤمنين.

(١٧٨) - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لا يظنَّنَّ الكفار أن إملاءَنا لهم خير، والإملاء: إطالةُ المدة، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ أي: نمهلهم ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بكثرة الذنوب والمعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: ذو إهانة في الآخرة

(١٧٩) - ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: أي: ليس من صفة اللّه تعالى أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من النفاق والكفر في دارٍ واحدة، ولكن يجعل لكم دارًا أخرى يَميز فيها الخبيثَ من الطيب، فيجعلُ الخبيث في النار والطيِّب في الجنة، وقيل: حتى يَمِيزَ المنافقَ من المخلص، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾: أي: وليس من وصفِ اللّه تعالى أنْ يُوْقِفكم على غيب القلوب فيجعلَ هذا التمييزَ بإعلامكم ما في

قلوبهم لتعلَموا المخلِصَ من المنافق بذلك. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يختارُ، فيخصُّهم بإعلام المؤمن من الكافر، ثم يأمرهم بكتمان ذلك وبالعمل على ظاهر الآية ليصحَّ الامتحان. ويحتمِل: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيمتحنُ خلقَه بشرائعهم، فيتميزُ الفريقان بالامتحان. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: هو أمرٌ بابتداء الإيمان في حقِّ الكفار، وأمرٌ بالدوام عليه في حق المؤمنين، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي: وإنْ توحِّدوا أيها الكفار وتتَّقوا المعاصيَ، وإنْ تَدوموا على الإيمان والتقوى أيها المؤمنون، فلكم ثوابٌ عظيم في الآخرة(١).

(١٨٠) - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ البخل: منعُ الحقوق الواجبة في المال؛ من الزكاة والإنفاقِ في الجهاد والحجِّ ونوائب الحق. وكلمة ﴿هُوَ﴾ ترجع إلى البخل المذكور في قوله تعالى: ﴿يَبْخَلُونَ﴾، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾: لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبالُ البخل. ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: سيُجعل مالُهم الذي مَنعوه عن الحق طوقًا في أعناقهم، وقيل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يكلَّفون أن يأتوا بالمالِ الذي بخلوا به عن الحقوق ولا يقدرون، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: تحريضٌ على الإنفاق؛ لأن الكلَّ يموتون فتزولُ أملاكهم، والله تعالى يرثهم بملكه القائم الذي لا يزول، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١٨١) - ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

(١) الكشف والبيان (٣/ ٢١٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٤٠)، والتيسير في التفسير (٤/ ٣٧٥).

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: أي: سنأمر الحفظةَ بكتابةِ ما قالوا؛ ليقرؤوا ذلك في كتبهم يومَ القيامة، ويحاسَبون بها ويجزون عليها. وقيل: أي: سنحكُم عليهم بجزاءِ ما قالوا، وقيل: أي: سنحفظُ عليهم ذلك، فإن الكتاب من الخَلق يكون لحفظ ما فيه فسمِّي به مجازًا. ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾أي: يقول لهم ذلك خزنةُ جهنم في الآخرة، ذوقوا عذاب النار، وذلك إذا ألقوا فيها، وأضافه اللَّه تعالى إلى نفسه لأنه بأمره؛ والقتل كان من أسلافهم، لكنْ رضيَ هؤلاء بذلك فذُمُّوا به، وتقديره: سنكتب عليهم ما قالوه بأنفسهم، وما رضُوه من قتل آبائهم الأنبياءَ.

(١٨٢) - ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي: ذلك العذابُ لكم بما قدمتُم من الكفر والمعاصي، والإضافة إلى اليد لِمَا أن عامة ما يكتسبه الإنسان يكون بيده، ولأنه يُذكر للتحقيق على معنى: أنه فَعَل بنفسه لا غيرُه بأمره، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: أي: أن اللَّه لا يظلم عباده، فلا يعاقبُهم من غير جُرمٍ.

(١٨٣) - ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: نزلت الآية في كعب بن الأشرف وغيرِه من رؤساء اليهود، أتوا رسولَ اللَّه ﷺ فقالوا: إن اللَّه قدعهد إلينا -أي: أمَرنا وأخذ الميثاق علينا- في التوراة أن لا نصدِّق أحدًا حتى يأتيَنا بقربانٍ تأكله النار؛ أي: يقرِّبَ قربانًا فتنزلَ من السماء نارٌ فتأكلَه، فإن جئتنا بهذا صدَّقناك، فنزلت الآية[1]. ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٢٢٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ١٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٤٤).التيسير في التفسير (٤/ ٣٨٤).

﴿مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: بالتوراة والإنجيل والمعجزات و﴿جَاءَكُمْ﴾؛ أي: جاء أسلافكم الذين أنتم على ملَّتهم وراضُون بفعلهم، ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: إن كان امتناعُكم عن الإيمان لأجْل هذا فلمَ لمْ تؤمنوا بالذي أتَوا به وقتلتُموهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: إنكم إنما تؤخِّرون الإيمان لهذا.

(١٨٤) - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: فإن كذبك هؤلاء اليهود بما لم تأتهم بالقربان فلا يهولنَّك، وليَهونَنَّ عليك، فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك. ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: المعجزات الظاهرةِ ﴿وَالزُّبُرِ﴾؛ أي: الكتب، جمعُ زَبور، مِن زَبَر يَزْبُرُ: إذا كتب. وقيل: الزُّبرُ: أحكام الكتاب، والزَّبور: الكتاب المحكم. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: أي: المضيءِ البيِّن بالأمر والنهي.

(١٨٥) - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: أي: كلُّ ذي روحٍ متجرِّعٌ غصصَ الموت، وأنَّث قوله: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ لتأنيث النفس سماعًا. ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: تُعطون على الكمال ثوابَ أعمالكم في الآخرة، فإن الدنيا ليست بدار الجزاء. ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾: أي: بُعِّد، ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: أي: ظَفِر، وقيل: سُعِد، وقيل: أي: نال كلَّ ما يُرجَى، وأمِن كلَّ ما يُخاف. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: القُربَى، وهي التي في هذه الدار. ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: أن هذه الحياة الدنيا متعةٌ يقع الاغترارُ بها باعتماد الإنسان عليها، ثم لا تبقَى له فكأنها غرَّته.

(١٨٦) - ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: أي: لتُختبَرُنَّ وتُمتحنُنَّ، ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالإنفاق في سبيل الله ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ بالقتل والجراح.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ أي: ما يؤذيكم سماعُه، فإنهم يقولون في الله ما هو منزَّه عنه. ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على الأذى ﴿وَتَتَّقُوا﴾ هو الله فلا تخالفوه فيما أمر ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾؛ أي: مِن عَمَل أهلِ الحزم والعزم.

(١٨٧) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: هاهنا هم اليهود، وقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كلُّ مَن عنده علم من الكتب، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أي: يبينون الكتاب ولا يكتمون منه شيئًا. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: أي: تركوه وتغافَلوا عنه، فكأنهم ألقَوه وراء ظهورهم لا يرونه ولا يذكرونه. ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي: واستبدلوا به ما ينالونه من سَفِلتهم كرهوا أن يؤمنوا فيقطع ذلك عنهم فكتموا ما علموا من ذلك وأمروهم أن يكذبوه. ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أي ساء ما يستبدلون.

(١٨٨) - ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾: أي: لا تظنَّنَّ يا محمدُ اليهودَ الذين يُسَرُّون بما فعلوا من كتمانِ صفة محمد والتكذيبِ به، وظنُّوا أن ذلك مقبول منهم، وأن الله تعالى لا يخبرك بفعلهم ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾؛ أي: يُحمدوا على الكتمان حمدَ مَن أَخبر بحقٍّ، وأن يُمدحوا بما ليس فيهم، فيقالَ: إنهم أهل علم ونُسك، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ أي: فلا تظننهم، وأعاد هذه الكلمة لطول الكلام إعلامًا أن آخره متَّصل بأوله ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾؛ أي: بمنجاةٍ منه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: مؤلم في الآخرة[١].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٣٠١/ ٣٠٣).

(١٨٩-١٩٠) - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: فهو الغنيُّ في الحقيقة وليس بفقير كما قالت اليهود، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول[(١)].

(١٩١) - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، وهو نعتٌ لـ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ و﴿قِيَامًا﴾: جمعُ قائم، و﴿وَقُعُودًا﴾: جمع قاعد، وهما نصبٌ على الحال، ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ يتضمن قولَه: ومضطجِعين، وهو كقوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢]؛ أي: دعانا مضطجعًا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا، وقيل: الذين يصلُّون قيامًا، وقعودًا حالَ عجزهم عن القيام، وعلى جنوبهم بالإيماء حالَ عجزهم عن القعود، وقيل: يصلُّون لله تعالى قيامًا حالةَ القدرة، وقعودًا عند العجز، وعلى جنوبهم إذا ضعفوا عن القيام والقعود[(٢)].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: للاستدلال بهما على قدرة صانعهما، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ أي: عبثًا بل دليلًا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾: أي: تنزهت عن أن تخلق شيئًا عبثًا، وقيل: تقدَّستَ عن كل عيب. ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: جنبنا عذابها فإنا لا نتحمله.

(١٩٢) - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾: أي: مَن تدخلْه النارَ ﴿فَقَدْ

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٩٤).

(٢) جامع البيان (٦/ ٣٠٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٩٩)، والكشف والبيان (٣/

﴿أَخْزَيْتَهُ﴾؛ أي: فضحته، وقيل: أذلَلْتَه، وقيل: جعلتَه خزيانَ؛ أي: مستحييًا خَجِلًا بأعماله. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: أي: مَن ظلَم نفسه بالكفر أو بالمعصية، أو وضَعَ الشيءَ في غير موضعه، فلا معين له ولا مانع.

(١٩٣) - ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: أي: داعيًا، يعني: محمدًا ﷺ وقيل: هو القرآن، ليس كلُّ الناس رأى النبيَّ ﷺ. ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾؛ أي: إلى الإيمان، ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: بأنْ آمنوا بربكم. ﴿فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: المغفرة: ستر الذنوب، والتكفير كذلك، وإنما جمع بينهما لأن المغفرة قد تكون تفضُّلًا من اللّه تعالى ابتداءً والتكفيرَ يكون بالحسنات والنوائب والنكبات، فكأنهم سألوا مغفرةَ ما مضى من ذنوبهم فضلًا، وتكفيرَ ما يكون منهم في المستقبل بما يوفِّقهم له من الخيرات، والصبرِ على ما ينوبهم من الآفات، فكأنهم سألوا التوفيق لذلك. ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: اقبض أرواحنا في جملة الأنبياء والصالحين.

(١٩٤) - ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾: أي: على ألسنةِ رسلك، أي: قد وَعدْتَ على ألستهم أنَّ مَن مات بَرًّا أَعزَزْتَه بالثواب ولم تُخْزِه بالعقاب، فأعطنا ذلك. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: فقد وعدْتَ ذلك بقولك: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التحريم: ٨]. ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أي: الوعد بالبعث والجزاء.

(١٩٥) - ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: دعاءهم، ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾: أي: فاستجاب بأني، والإضاعة: الإهمال والإبطال. ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

﴿أُنثَىٰ﴾ أي: أُجازي كلَّ عاملٍ ولا أَترك مجازاته ذكرًا كان أو أنثى. ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: أي: كلُّكم مجتمعون على دينٍ واحد ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: أي: رحلوا إلى رسول اللَّه ﷺ بالمدينة. ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾: أي: اضطُروا بإيذاء الكفار إلى خروجهم من أوطانهم وتركِها. ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾: أي: في الجهاد بأنواع الأذى ﴿وَقَاتَلُوا﴾؛ أي: حاربوا الكفار ﴿وَقُتِلُوا﴾؛ أي: واستُشهدوا في الحرب. ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: لأجزينهم بمحو السيئات وإعطاءِ الجنة والدرجات. ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: أي: يثابون بذلك ثوابًا. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: فإنه لا يَفنَى ولا يتكدَّر، وهو كثيرٌ على عملٍ قليلٍ مقدَّر.

(١٩٦) - ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: قيل: الخطاب لكلِّ مكلَّف؛ أي: أيُّها السامع. وقيل: هو للنبيِّ ﷺ. ومعنى الآية: لا تغترُّوا بتصرُّف هؤلاء الكفار واليهود الذين مرَّ ذكرهم في بلاد اللَّه كيف شاؤوا، لا يؤاخذون بكفرهم وباضطرابهم فيها لاكتساب الأموال والاستكثار منها، ولا تقولوا في أنفسكم: ما لهم آمنين أغنياء متمكِّنين وهم كفارٌ مبطِلون ونحن خائفون مُقِلُّون مع أنَّا مؤمنون مُحِقُّون.

(١٩٧) - ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: أي: هو متاعٌ؛ أي: منفعةٌ يسيرة ثم تنقطع، ووصَفَه بالقلة وإن طالت مدتهم؛ لأنَّه بالإضافة إلى النعيم الذي في الجنة الذي لا انقطاع له قليل. ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: أي: مصيرُهم النارُ وبئس الفراش، وسمَّى ذلك (مهادًا) وليس في النار تمهيد؛ لأنَّها بدلُ مهادِ أهل الجنة، وهو

كالبشارة بالعذاب جُعلت بدلًا عن البشارة بالثواب(١).

(١٩٨) - ﴿لَـٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: (لكن) كلمةُ استدراكٍ بإثباتٍ بعد نفيٍ، أو نفيٍ بعد إثبات، ﴿اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾؛ أي: خافوه فلم يخالفوا أمره ولا نهيه. ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا﴾: والكفار كانت مأواهم النارُ وبئس القرار. ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: رزقًا أُعدَّ لهم إذا نزلوا أولًا، والنزل يعدُّ للأضياف إذا نزلوا، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾: أي: من زهرة الدنيا.

(١٩٩) - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: لمَّا ذمَّ أهل الكتاب الذين كفروا وكتموا الحق ونبذوه وراء ظهورهم وأساؤوا القول في الله وفي رسوله وفي المؤمنين، مدح منهم المؤمنين الذين آمنوا واتبعوا الحق بهذه الآية. ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾: أي: خائفين خاضعين، متواضعين ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفًا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود الذين نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ثوابهم في الآخرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: أي: لا يؤخِّر جزاء أعمالهم يومَ القيامة بطول الحساب، فإنه سريع الحساب(٢).

---

(١) التيسير في التفسير (٤/٤٠٥)، وتفسير الجلالين (١/٩٦).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٢٣٨)، والوسيط للواحدي (١/ ٥٣٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٦). وجامع البيان (٦/ ٣٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦).

(٢٠٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾. أي: على دين اللَّه، وقيل: على أمر اللَّه، وقيل: على الطاعة، وقيل: أي: عن المعصية، وقيل: أي: على المكاره. ﴿وَصَابِرُوا﴾: أي: أعداءَ اللَّه في القتال، فاثْبُتوا ولا تتولَّوا، والمصابرةُ بين الاثنين والجمع. ﴿وَرَابِطُوا﴾: أي: كونوا في الثغور رابطين خيولَكم مستعدِّين للقتال، والمرابطة بين الاثنين والجمع؛ أي: يربطُ هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم على المقابلة استعدادًا للمقاتَلة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: في جميع أوامره ونواهيه، فليس عليكم الجهادُ فحسب. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتُفلحوا، ولرجاءِ أن تُفلحوا، والفلاح: الأمن من كلِّ ما يُخاف، والوصول إلى كلِّ ما يُرام[1].

(انتهى تفسير سورة آل عمران).

---

(١) جامع البيان (٦/ ٣٣٣)، والتيسير في التفسير (٤/ ٤٠٩)، والكشف والبيان (٨/ ٩ - ١٠)، والوسيط للواحدي (١/ ٤١١).

(٤) سورة النساء مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة النساء مدنيةٌ، وسميت هذه السورة في كلام السلف سورة النساء، فعن عائشة قالت: «ما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلَّا وأنَا عِنْدَهُ[١]» تَعني: بالمَدينةِ؛ لأنَّ دُخولَ النَّبيِّ ﷺ علَيها إنَّما كانَ بعْدَ الهِجرةِ، وأَرادَت بذلِك تَأَخُّرَ نُزولِ الأحكامِ، وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السنة وكتب التفسير، ولا يعرف لها اسم آخر، ووجه تسميتها بإضافة إلى النساء أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم، ثم بأحكام تخص النساء، وأن فيها أحكامًا كثيرة من أحكام النساء: الأزواج، والبنات، وختمت بأحكام تخص النساء، والجمهور قالوا: نزلت بعد آل عمران، ومعلوم أن آل عمران نزلت في خلال سنة ثلاث أي بعد وقعة أحد، فيتعين أن تكون سورة النساء نزلت بعدها، وقد عدت الثالثة والتسعين من السور، وهي مئةٌ وسبعٌ وسبعون آيةً، وعند بعضهم: ستٌّ وسبعون، وهي ثلاثةُ آلافٍ وسبعُ مئة وستٌّ وخمسون كلمةً، وخمسَة عشر ألفًا وتسعُ مئة وثمانيةٌ وسبعون حرفًا.

أغراض السورة:

وقد اشتملت على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم، فكانت فاتحتها مناسبة لذلك بالتذكير بنعمة خلق الله، وأنهم محقوقون بأن يشكروا ربهم على ذلك، وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه، بأن يصلوا

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٩٩٣).

أرحامهم القريبة والبعيدة، وبالرفق بضعفاء النوع من اليتامى، ويراعوا حقوق صنف النساء من نوعهم بإقامة العدل في معاملاتهن، والإشارة إلى عقود النكاح والصداق، وشرع قوانين المعاملة مع النساء في حالتي الاستقامة والانحراف من كلا الزوجين، ومعاشرتهن والمصالحة معهن، وبيان ما يحل للتزوج منهن، والمحرمات بالقرابة أو الصهر، وأحكام الجواري بملك اليمين. وكذلك حقوق مصير المال إلى القرابة، وتقسيم ذلك، وحقوق حفظ اليتامى في أموالهم وحفظها لهم والوصاية عليهم، ثم أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء وأحكام القتل عمدًا وخطأً، وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدفاع عن المعتدى عليه، والأمر بإقامة العدل بدون مصانعة، والتحذير من اتباع الهوى، والأمر بالبر، والمواساة، وأداء الأمانات، والتمهيد لتحريم شرب الخمر وطائفة من أحكام الصلاة، والطهارة، وصلاة الخوف. ثم أحوال اليهود، لكثرتهم بالمدينة، وأحوال المنافقين وفضائحهم، وأحكام الجهاد لدفع شوكة المشركين. وأحكام معاملة المشركين ومساويهم، ووجوب هجرة المؤمنين من مكة، وإبطال مآثر الجاهلية. وقد تخلل ذلك مواعظ، وترغيب، ونهي عن الحسد، وعن تمني ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع، أو بحكم الفطرة. والترغيب في التوسط في الخير والإصلاح. وبث المحبة بين المسلمين (١).

ثم وجهت في أواخرها نداءً عامًا إلى الناس تأمرهم فيه بالإيمان بما جاءهم به النبي ﷺ. كما وجهت نداء آخر إلى أهل الكتاب تنهاهم فيه عن السير في طريق

---

(١) التحرير والتنوير(٤/ ٢١١).

الضلالة، وعن الأقوال الباطلة التي قالوها في شأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن عيسى كغيره من البشر من عباد الله- تعالى-، ولن يستنكف أن يكون عبدًا لله- تعالى- وكما تحدثت السورة الكريمة في أوائلها عن بعض أحكام الأسرة، فقد اختتمت بالحديث عن ذلك، لكي تبين للناس أن الأسرة هي عماد المجتمع، وهي أساسه الذي لا صلاح له إلا بصلاحها[١]، وانتظام أول هذه السورة بآخر سورة آل عمران: أنه ختم تلك السورةَ بالأمر بالتقوى، ووعد عليه، وكان ذلك أمرًا للمؤمنين على الخصوص، وأمر الناس بالتقوى في أول هذه السورة على العموم، وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع يسمى في الشعر: تشابه الأطراف[٢].

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ هذا نداء، وهو لأهل مكة، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: وحِّدوا ربَّكم. وقيل: أي: أطيعوا خالقكم. ﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أي: قدَّر خَلْقَكم حالًا بعد حالٍ على اختلافِ صوركم وألوانكم. ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: وهو آدم صلوات اللَّه عليه، وأنث الواحدة؛ لأن النفْس مؤنَّثةٌ سماعًا، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؛ أي: امرأتَه حواءَ، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: أي: نشر من جهة التناسُل والتوالُد من النفسين أولادًا كثيرًا ذكورًا وإناثًا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي

(١) التفسير الوسيط للشيخ طنطاوي (٣/١٦).
(٢) روح المعاني (٤/١٧٨).

تتساءلون[١] ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حين يقول بعضكم لبعض أسألك بالله وأنشدك ﴿وَ﴾ اتقوا ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها وفي قراءة[٢] بالجر عطفا على الضمير في ﴿بِهِ﴾ وكانوا يتناشدون بالرحم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: أي: حفيظًا لأعمالكم فيجازيكم بها أي لم يزل متصفًا بذلك، وفعيل بمعنى الفاعل، وقد رَقَب يَرْقُب من حدِّ دخَل، رَقْبًا ورُقوبًا ورِقبةً، يقول: هو حافظٌ لأعمالكم وأقوالكم وأحوالكم يسألكم عمَّا أمركم به من طاعته وصلة الرحم[٣].

(٢) - ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾. وهو من التقوى الذي أمر به في أول السورة مرتين، ومعنى الآية: أنه يقول للأولياء أو الأوصياء: أعطوا اليتامى -أي: الذين كانوا يتامى- أموالهم التي عندكم إذا بلغوا النكاح ورأيتُم منهم رشدًا؛ أي: صلاحًا في دينهم وحفظًا لأموالهم، وهو أمر بحفظ أموالهم للحال، وتسليمِها إليهم بعد البلوغ، وتسميتُهم يتامى باعتبارِ ما كان. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: التبدُّل والاستبدال: أخذُ الشيء بدلًا عن الشيء، أي: لا تذَروا أموالكم التي هي حلالٌ لكم وتأكلوا الحرامَ من أموال اليتامى[٤]، وقيل: لا تأخذوا الجيد والرفيع من مال اليتيم وتضعوا مكانه الرديء، لا تأخذوا الشاة السمينة وتجعلوا مكانها المهزولة وتقولوا: شاةٌ بشاةٍ، وتأخذوا الدرهم الجيد وتجعلوا مكانه الزيفَ وتقولوا: درهمٌ

---

(١) السبعة (١/ ٢٢٦)، والتيسير (١/ ٩٥).

(٢) السبعة (١/ ٢٢٦)، والتيسير (١/ ٩٥).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٧)، والتيسير في التفسير (٤/ ٤٢٤).

(٤) تأويلات أهل السنة (٣/ ٥)، والنكت والعيون (١/ ٢٨٠)، وجامع البيان (٦/ ٣٥١).

بدرهم. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾: أي: مع أموالكم، وقيل: أي: مضمومةً إلى أموالكم، نَهَى أولًا عن أكل أموالهم وحدَها، ثم نَهَى عن أكلها مع مال نفسه خلطًا على وجهٍ لا يريد به الإصلاحَ، ﴿إِنَّهُ﴾: أي: إن الأكل، ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾؛ أي: إثمًا عظيمًا.

(٣) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾؛ أي: ألَّا تعدلوا أي: في يتامى النِّساء اللَّاتي أنتم أولياؤهن إذا نكحتموهن، وذلك بأن لا تبلُغوا بصَداقهنَّ مبلغ مهور أمثالهنَّ، فاعدلوا عنهنَّ إلى نكاح غيرهنَّ مِن النِّساء، وانكحوا ما طاب لكم منهنَّ والقسطُ: العدلُ، وقد أقسط إقساطًا: إذا عدل، ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾: أي: مَن طاب لكم، وقيل: (ما) مع الفعل مصدر، معناه: فانكحوا الطَّيِّبَ؛ أي: النِّكاحَ الطَّيِّبَ؛ أي: الحلال[1]. ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ومعناه: اثنين اثنين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، والدَّليل على أنَّ المراد هذا لا غيره: أنَّه لو قيل هذا في الأمر بشيء آخر لم يكن إلَّا على هذا الوجه، فإنَّه إذا قيل لقوم: ادخلوا الدَّار مثنى وثلاث ورباع، لم يكن أمرًا بدخول تسعة منهم جملةً في حالة، بل هو أمر لهم أن يدخلوا اثنين اثنين، ولهم أن يدخلوها بدل ذلك ثلاثة ثلاثة، ولهم أن يدخلوا بدل ذلك أربعة أربعة، وكذا في كلِّ موضع، هذا هو قضيَّة اللُّغة، ولا معنى لهذيان الرَّافضة. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾: فيه إضمار؛ أي: فانكحوا واحدةً، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: اقتصروا على ما ملكت أيمانكم من الإماء إذ ليس

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٨)، وإعراب القرآن لأبي القاسم الأصفهاني (ص: ٨٧)، والبحر المحيط (٦/ ٤١١)، وجامع البيان (١٤/ ٣٧).

لهن من الحقوق ما للزوجات، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾: أي: ذلك أقربُ إلى أنْ لا تجوروا، وأصلُ العَوْل: الخروجُ عن الحدِّ[١].

(٤) - ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾: أي: مهورَهنَّ، والإيتاءُ: الإعطاءُ، والمراد به ها هنا: الالتزامُ والتَّسليم، أي: سلِّموا ذلك لهنَّ إذا الْتَزمتم. ﴿نِحْلَةً﴾: أي: عطيَّةً، وقيل: معناه ﴿نِحْلَةً﴾؛ أي: عطيَّة من اللَّه لهنَّ. وقيل: ﴿نِحْلَةً﴾؛ أي: دِينًا، أي؛ تَدينوا بذلك، فقد شرعَه اللَّه لكم كذلك. ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾: أي: مِن المهر والصَّداق أو المال، والمعنى: أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم و﴿مِنْهُ﴾ هو ليس للتَّبعيض، بل للتَّجنيس، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾: أي: طيِّبًا سائغًا، ومعناه: فإن وهبَت المرأةُ للزَّوج مهرَها أو شيئًا منه عن طيبِ نفسٍ، بلا إكراهٍ ولا رهبةٍ ولا افتداءٍ مِن سوء عِشرةٍ فليأكلْهُ الزَّوجُ هنيئًا مأمونَ التَّبِعة في الآخرة.

(٥) - ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ أي: أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ﴾ أي: المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ أي أموالكم التي في أيديكم بيَّن بهذه الآية أنَّه إنَّما يجب الإيتاء إذا كانوا مِن أهل ولاية أخذ المال، فأمَّا إذا كانوا سفهاءَ غيرَ بالغين مصلِحين فلا يُدفع إليهم، ويُمسَك إلى أن يزولَ السَّفه، ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾؛ أي: جعَل المال، وفيه تنبيهٌ على عظم خطر المال وعظم نفعه؛ أي: جعله اللَّه تعالى قوامًا لمعاشكم في دنياكم الَّتي جعلها اللَّه تعالى دارَ أعمالكم التي بها

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٢١)، والخصائص لابن (٢/ ٤٣١)، التيسير في التفسير (٤/ ٤٣٣)

تتوصَّلون إلى نعيم الآخرة[١]. ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾: أي: أَجْروا على السُّفهاء من أموالهم ما يقيمهم من حوائجهم، واكسوهم قَدْرَ ما يحتاجون إليه، وأمسكوا الباقي. ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: أي: حسنًا في العقول؛ أي: عرِّفوهم أنَّكم إنَّما تَلُونَ أموالهم حفظًا عليهم وصيانةً عن الضَّياع، إلى أن يزول السَّفه عنهم، ويصيروا أحقَّ بأموالهم، فتدفعونها إليهم.

(٦) - ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾: أي: اختبروا اليتامى وامتحنوهم بدفع بعض أموالهم ليتصرَّفوا فيها، فيظهرَ رشدُهم ومعرفتُهم، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: أي: الوطءَ؛ أي: قدروا على ذلك، وهو حالة الإنزال، وهو كنايةٌ عن البلوغ، ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾؛ أي: أبصرتم، و﴿رُشْدًا﴾؛ أي: هداية في التَّصرُّفات، وصلاحًا في المعاملات. ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾: أي: سلِّموا وردُّوا. ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾: أي: مجاوزةً عن الحدِّ، وليس فيه إباحةُ القليل وتحريمُ الإسراف، بل هو بيان أنَّه إسرافٌ، وقيل: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إباحةٌ للأكل من مال اليتيم لوصيِّه عند الحاجة، وهذا نهيٌ عن مجاوزة قَدْر الحاجة. ﴿وَبِدَارًا﴾: أي: مبادرةً، وهي المسارعة. ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾: أي: أن يبلغوا؛ أي: لا تأكلوا وأنتم تبادرون بلوغهم، ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: أي: مَن كان مِن الأوصياء غيرَ محتاجٍ فليتحرَّز عن أكل مال اليتيم. ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي: فليأكل منه قرضًا على نفسه يؤدِّيه إليه إذا بلغ. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ

---

(١) بحر العلوم (١/ ٣٦٠)، والكشف والبيان (٣/ ٢٤٩)، تأويلات أهل السنة (٣/ ١٦)، وجامع البيان (٦/ ٣٩٥).

﴿إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾: أي: إذا رددْتُم أموالَ اليتامى إليهم فأشهدوا على ذلك النَّاسَ؛ تحرُّزًا عن الظُّنون الكاذبة والقالةِ السَّيئة، وعن توجُّه اليمين عليكم عند التَّناكُر. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي: محاسبًا يوم القيامة، وهذا وعيدٌ شديدٌ[١].

(٧) - ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: سبب نزولها: أنَّ رجلًا توفِّي يُقال له: أوس بن ثابت، وتركَ امرأته أمَّ كُجَّة وثلاث بناتٍ لها، فمنع ميراثهنَّ عرفجةُ وسويدٌ، وهما ابنا عمِّ الميت، وكان أهل الجاهلية لا يورِّثون النِّساء ولا الولدان الصِّغار، ويورِّثون ذوي الأسنان منهم، ويحبسون اليتيمة ولا يتزوَّجونها لدمامتها، فانطلقت أم كُجَّة إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ اللَّهِ، إنَّ بناتي أبوهنَّ توفِّي وترك مالًا، وإنَّ عرفجةَ وسويدًا منعاهنَّ ميراثهنَّ، فأنزل اللَّه تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾[٢] ﴿لِلرِّجَالِ﴾أي: الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيب﴾أي: حظ من التركة ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾أي: المتوفوْن ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيب مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾أي: من المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾أي: مَقْطُوعًا بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ[٣].

(٨) - ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ

---

(١) جامع البيان (٦/ ٤١٢ - ٤١٦) التيسير في التفسير (٤/ ٤٤٣).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٣٥٩)، والكشف والبيان (٣/ ٢٦٠ - ٢٦١)، وجامع البيان (٦/ ٤٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٥).

(٣) تفسير الجلالين(١/ ٩٩).

﴿مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: بيَّنَ حكم الذين يرثون في الآية الأولى، وقال في هذه الآية: وإذا حضر قسمة الميراث الأقرباءُ الذين لا يرثون واليتامى من الأجانب والمساكين منهم فأعطُوهم شيئًا ممَّا يُقسَم، وقولوا لهم قولًا جميلًا.

(٩) - ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾: أي: وليَخفْ على عيال هذا الميت الذين يأمرونَه بالجُود في قسمتِه مالَه كما كانوا خائفين على عيال أنفسهم الصِّغار والضِّعاف مِن بعد موتِهم، فليتَّقوا اللَّهَ، وليأمروا بالعدل، ولينهَوه عن الجَور، وليقولوا للمريض قولًا سديدًا صوابًا، وقيل: معنى الآية: وليخشَ مَن وَلِي مال اليتيم الَّذي يليه ما يخشاه في ولده الضِّعاف لو مات عنهم، فكما يحبُّ أن يُفعلَ بولده بعدَه فليفعلْ بولدِ غيره الَّذي يليه. ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: ولْيخاطبوا اليتيم مخاطبةً جميلة لا انتهار فيها.

(١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾: نزلت في مَرثد بن زيد الغطفانيِّ، ولي مال ابن أخيه فأكله، فنزلت هذه الآية[١]، والمعنى: إن الذين يُتلفون أموال اليتامى بالأكل وغيره من وجوه الإتلافِ -وخصَّ الأكل بالذِّكر لِمَا مرَّ أنَّه المقصود المعظَم بأخذ المال- إنَّما يأكلون في بطونهم ما يصيرون به إلى التَّعذيب بنار جهنَّم. ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: أي: سوف يدخلون النَّار المسعورة؛ أي: الملتهبة، ويقاسون حرَّها.

(١١) - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ أي: يقول لكم قولًا يوصلُكم

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٢٦٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ١٤٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧١).

إلى إيفاء حقوق الأولاد بعد موتكم. هذا حقيقةُ هذه الكلمة، ومَن قال: أوصني، فمعناه: أوصلني إلى علم ما أحتاج إلى علمه، ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾: قيل: أي: في أولاد الموتى. وقيل: في أولاد موتاكم. وقيل: أي: في أولادكم بعد موتكم. ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أي: إنْ ترك ابنًا وابنتين، فللابن سهمان ولكلِّ بنتٍ منهما سهم، ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: أي: إنْ كنَّ البنات ثلاثًا أو أكثر من ذلك فلهنَّ الثُّلثان فرضًا، والباقي للعَصَبة إن كان. ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾: أي: كانت البنتُ واحدة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾؛ أي: فرضًا، والباقي للعصَبة إن كان. ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾: أي: فرضُ كلِّ واحدٍ من الوالدَين سدسُ المال إذا كان للميِّت ولدٌ، فإنْ كان الولد ذكرًا فهو العصَبة، وليس للأب إلَّا السُّدس بالفرض. فإن كان الولد أنثى فليس لها إلَّا النِّصف فرضًا، وللأب سدسُ المال فرضًا، وله باقيه بالتعصيب؛ لقول النبيِّ ﷺ: "ألحِقوا الفرائضَ بأهلِها، فما أبقَتْ فلأولى رجلٍ ذكَرٍ"[1]. ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾: أي: فإنْ لم يكن للميِّت ولدٌ ذكرٌ أو أنثى وكان له أبوان ورثاه، وكان للأم الثُّلث، وهو بيانٌ أنَّ الباقي للأب، فإنَّه عصبة؛ فقد قال تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾، فجعلهما وارثَين، وبيَّنَ نصيبَ أحدهما وهو الأم، فكان بيانًا أنَّ الباقيَ نصيبُ الآخر، وهو الأب. ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾: هذا يقع على الاثنين فصاعدًا من الذُّكور والإناث، من الإخوة لأب وأم، أو لأب، أو لأم، أو مختلفَين، ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾، والباقي للأب ولا شيء للإخوة؛ لأنهم محجوبون به ﴿مِنْ

(١) رواه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم (١٦١٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: يعني: هذه السِّهام للورثة بعد تنفيذ وصيَّته على وجهها، وبعد قضاء دينه. ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: أي: أنفعُ وأرجى في الدَّارين. ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾: أي: مقدَّرةً موجَبة منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: أي: عليمًا بمصالحكم وبعجزكم عن موافقة الصَّواب لو وكَل الأمر في التَّقدير إليكم، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قدَّر وحكَم وبيَّن.

(١٢) - ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾: أي: زوجاتُكم، فالمرأة تسمَّى زوجةً، ويجمع على الزَّوجات، وزوجًا يجمع على الأزواج؛ ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾: أي: ابن أو بنت، ويقع على الواحد والجمع، وعلى ولد الصُّلب وولد الابن وولدِ ابن الابن وإن سَفُلوا. ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾: فينتقِصُ بسبب الولد، فيصير النِّصفُ ربعًا. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: مر تفسيره. ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾: أي: للزوجات ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾: مر تفسيره. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾: فينتقصن بسبب الولد. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ مر تفسيره، ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ﴾: الرَّجل هاهنا هو الميت. ﴿يُورَثُ﴾: أي: يُنالُ ميراثُه، ﴿كَلَالَةً﴾: أي: يُنال إرثُه على كونه ميتًا لا ولدَ له ولا والد. ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾: عطف على قوله: ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾؛ أي: لأمٍّ، على هذا إجماع الصَّحابة والعلماء. ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾: أي: لا يُفضَّل الذَّكر على الأنثى. ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾: أي: الاثنان والأكثر ذكورًا كانوا أو إناثًا أو مختلِطين يستوون في الثُّلث، لا يفضَّل الذَّكر منهم على الأنثى؛ لأنَّ الشِّركة تقتضي

التَّسوية ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: قد مرَّ تفسيرُه. ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾: أي: لا يكون هذا الموصي بما أوصَى قاصدًا الإضرار بالورثة بما فعَل. ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾: أي: لكلِّ واحدٍ منهما السُّدس وهم شركاء في الثُّلث وصيةً من اللَّه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمطيع من العباد والعاصي، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل عاصيهم بالعقوبة، بل يُمهل؛ إذ لا يعجزُه شيءٌ ولا يفوتُه أمرٌ[(١)].

(١٣-١٤) - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾؛ أي: معالمُ دِينه بيَّن فيها حلالَه وحرامَه، وطاعتَه ومعصيته. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: شرطٌ وجزاءٌ في وعد المطيعين. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾: شرطٌ وجزاءٌ في وعيد الكافرين، ولا حجَّة فيه للخوارج والمعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة في النَّار؛ فإنَّ الآية في حقِّ الكفَّار؛ لأنَّ الكافر هو الَّذي يتعدَّى الحدود كلَّها، ويكون عاصيًا في كلِّ شيء، فأمَّا المؤمن العاصي فهو مطيع بالإيمان، غيرُ متعدٍّ حدَّ التَّوحيد[(٢)]. ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يدلُّ على هوانه على اللَّه، وسقوطِ قَدْره عنده، وهو نقيض حال أهل الجنَّة فإنَّهم في جنَّات مُكرَمون[(٣)].

(١٥) - ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: (اللَّاتي): جمع الَّتي،

---

(١) جامع البيان (٦/ ٤٨٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٨)، والتيسير في التفسير (٤/ ٤٦٤).

(٢) التيسير في التفسير (٤/ ٤٦٥).

(٣) البسيط (٦/ ٣٧٥)، وجامع البيان (٦/ ٤٩١).

وكذا اللَّواتي واللَّائي. والفاحشة: الفعلةُ القبيحةُ، وهي الزِّنا هاهنا. ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾: أي: اسألوا أيُّها الأئمة الَّذين إليكم إقامةُ الحدود شهادةَ أربعة من الشُّهود على زناهنَّ. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾: أي: شهد الأربعة على ذلك ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾؛ أي: احبسوهنَّ، وكان هذا حدَّ الزِّنا في الابتداء. ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾: أي: إلى أنْ يستوفيَ مدَّةَ حياتهنَّ الموتُ. ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: أي: مَخْلَصًا عن الحبسِ بشيءٍ آخر، وقد جعل ذلك، وهو فيما روى عبادةُ بنُ الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "خذوا عنِّي، قد جعلَ اللَّهُ لهنَّ سبيلًا: البكرُ بالبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبُ جلدُ مئةٍ ورجمٌ بالحجارة"(١).

(١٦) - ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ هما الرَّجل والمرأة يجتمعان على الزِّنا، وأصل الكلمة في الذَّكرين، لكن إذا اجتمع الذَّكرُ والأنثى وُصِفا بما يُوْصَفُ به الذَّكران؛ تغليبًا للذَّكر على الأنثى. والمعنى: والرَّجل والمرأة اللَّذان يأتيان الفاحشة -وهي الزِّنا- فآذوهما، وهذا حدُّهما، وهو الإيذاءُ باللِّسان يقال لهما: بئس ما فعلتُما، أمَا استحييْتُما؟! أما خفتُما اللَّهَ ورسولَه؟! تعرَّضْتُما لعقوبةِ اللَّهِ ومقتِه، واستوجَبْتُما التَّفسيقَ وبطلانَ الشَّهادة، وفضَحْتُما أنفسكما وعشيرتَكما، ونحو ذلك، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الأذى باللِّسان واليد(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٢) جامع البيان (٦/ ٥٠٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٥)، والنحاس في "الناسخ والمنسوخ" (ص: ٣١٠).

﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾: أي: فإنْ ظهرَ ندمُهما وأصلحا العملَ بعد ذلك بارتكاب الطَّريقة المحمودة في الصَّلاح والعفَّة -وذلك لا يكون إلَّا بعد مُضيِّ مدَّة بعد إظهار التَّوبة- فأمسكوا عن إيذائهما وأحسِنوا لهما القَول، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾: يقبلُ توبةَ التَّائب إذا أصلحَ بعد توبتِه، ويرحمُه فلا يردُّ عليه توبته ولا يعذِّبه.

(١٧) - ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾: لمَّا ذكر في الآية الأولى توبةَ الزَّانينَ وأنَّه توَّاب رحيم، أبان في هذه الآية وقتَ التَّوبة. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ ليسَ على الوجوب؛ فإنَّه لا يجبُ للعبد على ربِّه شيءٌ، لكنَّه تأكيدٌ للوعد، على معنى: أنَّه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يهمل. ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ ليست هذه جهالةَ عدم العلم بأنَّه ذنب؛ لأنَّ ذلك عذر، لكنَّها التَّغافلُ والتَّجاهلُ وتركُ التَفكُّر في العاقبة، كفعل مَن يجهله ولا يعلمه. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي: لا يؤخِّرونها حتى يفوت وقتُها، وهو حضور الموت. ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: يقبل توبتهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: أي: ﴿عَلِيمًا﴾ بضمائر عباده وعزمِهم على التَّوبة، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يفعل بعباده، قابلًا توبةَ مَن هو أهلٌ لقبولها(١).

(١٨) - ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾: أي: ولا توبةَ للَّذين يُذنبون منهمِكين مصرِّين،

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٧٩)، وجامع البيان (٦/ ٥١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٨).

وللتَّوبةِ مسوِّفين، إلى أن يزول حال التَّكليف بحضور أسباب الموت ومعاينةِ ملك الموت، وما يُضطرون فيه إلى العلم بالحقائق، فإنَّ هؤلاء لا تُقبل توبتُهم؛ لأنَّه حالةُ اضطرار لا حالةُ اختيار، وقَبولُ التَّوبة ثوابٌ، ولا وعدَ به إلَّا لمختارٍ، ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: أي: لا يُقبلُ إيمانُ هؤلاءِ إذا صاروا إلى حالةِ الاضطرار، كما لا يُقبلُ إيمانُه بعدَ البعث أو في القبر. ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: الفريق الثَّاني والثَّالث هيَّأنا لهم في الآخرة عذابًا وجيعًا.

(١٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾: أي: إكراهًا، وتقديره: مكرِهين، وعاد الكلامُ إلى الوصيَّة في أمر النِّساء والنَّهيِ عن ظلمهنَّ، والمعنى: يا معشرَ المؤمنين لا يحلُّ لكم أن ترثوا النِّساء كما ترثون الأموال[١]. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ معناه: ولا تعضلوا النِّساء؛ أي: منكوحاتكم إذا تزوَّجْتُموهنَّ ثم كرهتُموهنَّ، فلا تضيِّقوا عليهنَّ بسوء الخلق ومنعِ الحقِّ ليفتدينَ بالمهر. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ هي الزِّنا؛ أي: إذا لم تكتفِ بك وطاوعْتَ غيرَكَ فلكَ العضل إلى أن تفتدي منك بالمهر، وقيل: الفاحشةُ: المعاملة السَّيِّئة والنُّشوز، فللزَّوج في هذه الحالة أن يأخذ منها الفدية، وما جاء ذلك إلَّا من جهتها. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: قيل: هو مقدَّمٌ في المعنى، وتقديرُه: ولا تعضلوهنَّ وعاشروهنَّ بالمعروف إلَّا أنْ يأتيْنَ بفاحشةٍ مبيِّنة، والمعاشرة بالمعروف: هي المعاملة على المجاملة خُلُقًا وقولًا ومالًا، وقيل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بتعليم الدِّين والتَّأدُّب بأخلاق المسلمين، وحسنِ

---

(١) البسيط (٦/ ٣٩١)، البحر المحيط (٦/ ٥٢٥)، والتيسير في التفسير (٤/ ٤٧٨).

الصُّحبة ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: أي: إنْ كرهتُم صحبتهنَّ لقبحهنَّ أو لسوء خلقهنَّ فصبرتُم على ذلك فعسى أن يهبَ اللَّه لكم منهنَّ أولادًا تَقَرُّ بهم أعينكم، أو يعطيَ لكم في الآخرة ثوابًا جزيلًا بصبركم وحسنِ معاشرتكم، أو عسى أن تموتَ فيرث منها مالًا كثيرًا يقيم به مصالحه، وقيل: فإن كرهتم فراقهنَّ فعسى أن يجعل اللَّه في الفراق خيرًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠][1].

(٢٠) - ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: أي: في غير حال نشوزها أو زناها ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾؛ أي: وقد كنتم أعطيتم المرأة مالًا كثيرًا، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: أي: من القنطار المقنطَر، لا قليلًا ولا كثيرًا.

﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: الألف أصله للاستفهام، وهو على معنى الاستنكار والاستعظام؛ أي: أتفعلون هذا وهو قبيحٌ؟، و﴿بُهْتَٰنًا﴾؛ أي: ببهتان، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ أي: بإثم مبين، والبُهتانُ: الكذبُ على الغير مواجهةً ومكابرةً على وجهٍ يحيِّره، من قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ أي: تحيَّر.

(٢١) - ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾: (كيف) كلمة تعجُّب، يقول: عجبًا منكم من أيِّ وجهٍ ولأيِّ وجهٍ تأخذون ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: وصلَ الزَّوجُ إلى المرأةِ، والمرأةُ إلى الزَّوج. قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو كنايةٌ عن الجماع، واللَّه تعالى نزَّه كتابه عن ذكر ما يُستشنَع سماعًا، فسمَّاه سرًّا في آية، وإفضاءً في آية، ومسًّا في

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٨٤)، ولطائف الإشارات (١/ ٣٢٢).

آية[١]. ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: أضاف ذلك إلى أخذهنَّ؛ لأنَّ اللَّه تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهنَّ، فهو كأخذهنَّ، والميثاقُ: العهدُ الوثيقُ، والغليظُ للمبالغة، وقال النبيُّ ﷺ: "اتَّقوا اللَّهَ في النِّساءِ؛ فإنَّهنَّ عَوانٍ عندكُمْ، أخذتموهُنَّ بأمانةِ اللَّهِ، واستحللْتُمْ فروجَهُنَّ بكلمَةِ اللَّهِ[٢]"

(٢٢) - ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾: ولا تنكحوا من النِّساء مثلَ ما كان ينكحُ آباؤكم من المناكح المحرَّمة في الدِّين، فإنْ فعلْتُم ذلك فهو مفسوخٌ عليكم، إلَّا ما قد سلفَ مِن نكاحِ مَن يجوزُ نكاحُ مثله في الإسلام ابتداءً، فإنَّه غيرُ مفسوخٍ عليكم، ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: فإثمُ ذلك مرفوعٌ عنكم. ثم بيَّنَ صفةَ هذا العقد في الحال، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾: أي: فعلةً قبيحةً ﴿وَمَقْتًا﴾؛ أي: أشدَّ البغض عندَ اللَّهِ. ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس السَّبيلُ هذا؛ فإنَّه يؤدِّي بصاحبه إلى النَّار[٣].

(٢٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: أمرَ في أوَّل السُّورة بنكاح ما طاب من النِّساء؛ أي: حلَّ، وذكر قبل هذه الآية بعضَ ما لا يطيب، وهو نساء الآباء، وذكر المحرَّمات الباقيات في هذه الآية، وبدأ بالأمهات، وهي جمع الأم، وهي الوالدة، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: جمع البنت، ويقع على بنت الإنسان، وبنت الابن، وبنت البنت، وإنْ سفلَتْ. ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾: جمع الأخت، ويقع الاسم على الأخت

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٣٢٣)، جامع البيان (٦/ ٥٤١)، وبحر العلوم(١/ ٣١٦).

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد اللَّه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في حديث خطبة حجة الوداع.

(٣) جامع البيان (٦/ ٥٥٢)، والتيسير في التفسير (٤/ ٤٨٧).

لأبٍ وأمٍّ، ولأبٍ، ولأمٍّ. ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾: جمع العمَّة، وهي أختُ الأب: لأبٍ وأمٍّ، ولأبٍ، ولأمٍّ، وعمَّات الأبِ والجدِّ والأمِّ والجدَّة من الوجوه الثَّلاثة، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾: جمع الخالة، وهي أخت الأمِّ: لأبٍ وأمٍّ، ولأبٍ، ولأمٍّ، وخالات الأب والجدِّ والأمِّ والجدَّة من الوجوه الثَّلاثة كذلك، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: وإن بَعُدنَ داخلاتٌ في الحكم بالذُّكور ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾: هذا تحريم الأمِّ من الرَّضاعة. ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾: هذا تحريم الأختِ من الرَّضاعة؛ لأبٍ وأمٍّ كانت، أو لأبٍ، أو لأمٍّ، عند عامَّة العلماء، ويحرم أيضًا بالرَّضاع ما يحرم بالنَّسب، فتحرم البنتُ من الرَّضاع، وبنت الأخ من الرَّضاع، وبنت الأخت من الرَّضاع، والعمَّة من الرَّضاع، والخالة من الرَّضاع، وقد قال ﷺ: "يحرمُ مِن الرَّضاعِ ما يحرمُ من النَّسبِ"(١). ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾: وجدَّة المرأة القُربى والبُعدى من قِبل أبيها وأمِّها كذلك بالنَّسب والرَّضاع؛ لشمول الاسم، ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم﴾: الرَّبائب: جمع الرَّبيبة، وهي بنت الزَّوجة، والرَّبيب ابنُها، والرَّابُّ زوج الأمِّ؛ لأنَّه يَرُبُّ أولادَها. والحجورُ: جمع الحِجْر، وهو كناية عن كونهنَّ في ولايتهم وحمايتهم. ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: وهذا الدُّخول شرطٌ بالإجماع. ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: في نكاح الرَّبائب. ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾: أي: منكوحاتُ أولادكم، والحلائلُ: جمع الحليلة، وهي الزَّوجةُ، والحليلُ: الزَّوجُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ

---

(١) رواه البخاري (٦١٥٦)، ومسلم (١٤٤٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ورواه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

منهما يحلُّ للآخر. ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ ليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن عن الرَّضاع، بل عن حليلة ابن التَّبنِّي؛ لأنَّهم كانوا يجعلونه كولد الصُّلب في هذا، فأبطلَه الشَّرع. ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾: أي: وحرِّم عليكم الجمعُ بين الأختين في النِّكاح. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: من نكاح إحدى الأختين، وماتت أو طلِّقت فتحلُّ الأخرى بأن يتزوجها. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾؛ أي: لِمَا كان في الجاهليَّة ﴿رَحِيمًا﴾: لِمَنْ فعل ذلك في الإسلام إذا تابَ(١).

(٢٤) - ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أي: وحرِّم عليكم نكاحُ المنكوحات؛ أي: اللَّاتي لهنَّ أزواجٌ، إلَّا ما ملَكْتُموهنَّ ملك يمينٍ بسبيهنَّ وإخراجهنَّ بدون أزواجهنَّ بعد الاستبراء، وتقع الفُرقة بتباين الدَّارَيْن لا بالسَّبيِّ، ولا تجب العِدَّة، وتحلُّ للغانم بملك اليمين، والإحصانُ أصلُه: المنع، والحَصان بفتح الحاء: المرأة العفيفة المانعة فرجَها؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، وأحصنَها الزَّوج فهي محصَنةٌ. ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾: جمع يمينٍ، وهي اليد اليمنى، وأضاف المِلك إليها لأنَّها هي المتصرِّفة في عامة التَّصرُّفات غالبًا، ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فريضةً منه، وقيل: هو على إضمار: احفظوا، أو: اتَّبعوا، أو: الْزَموا، ما كَتب اللَّه عليكم. ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾: أي: ما سوى هؤلاء المحرَّمات، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ أي: وأُحلَّ لكم أن تبتغوا، وقيل: أي: لِأَنْ تبتغُوا على إضمار اللَّام،

---

(١) جامع البيان (٦/ ٥٦١)، وبحر العلوم (٣/ ٤١)، والكشف والبيان (٣/ ٢٨٤)، وروح المعاني" (٥/ ٤٣٧).

ومعناه: لتبتغوا؛ أي: لتَطلبوا. ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾: قيل: أي: المملوكاتِ بالثَّمن، والمنكوحاتِ بالمهر. ﴿مُحْصِنِينَ﴾؛ أي: أعفَّاءَ، وهو نصبٌ على الحال؛ أي: مريدينَ التَّعفُّف. ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾؛ أي: غيرَ زانِين. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾: أي: فأيَّ تمتعٍ وجدتم منهنَّ بالنِّكاح. ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾أي: مهورهنَّ، ﴿فَرِيضَةً﴾ أي: مقدَّرًا، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾: أي: منَ الزِّيادة في المهرِ على المسمَّى بعد التَّسمية عند العقد، ودلَّ ذلك على جواز الزِّيادة في المهر في النِّكاح والثَّمن في المبيع، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. أي: ﴿عَلِيمًا﴾ فيما حرَّم وأحلَّ، ﴿حَكِيمًا﴾ وضَعَ كلَّ شيءٍ موضعه.

(٢٥) - ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾: أي: ومَن لم يقدرْ منكم على فضلِ مالٍ. ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: الحرائرَ المسلمات، و﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ ترجمة عن ﴿طَوْلًا﴾، أو معناه: لِأَنْ ينكح، ومعناه: فمَن لم يجد ما يتزوَّج به الحرَّة المسلمة، كما يقولُ الرَّجلُ: لا أستطيع أن أحجَ؛ أي: لا أجد ما أحجُّ به. ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: فلْيَنكِحْ مملوكةً من الإماء المسلمات. والفتاةُ أصلُها: الشَّابَّة، والفتاء بالمد: الشَّباب، والفتى: الشَّابُّ، والأَمَةُ تُسمَّى فتاة، والعبدُ يُسمَّى فتًى، وإنْ كانا كبيرين في السِّنِّ؛ لأنَّهما لا يوقَّران لرقِّهما توقيرَ الكبار الأحرار، ويعاملان معاملة الصِّغار. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾: شَرَطَ إيمانَها، ثم أعلمَ أنَّ الحكمَ مبنيٌّ على ظاهر حالها دون باطن أمرها؛ فإنَّه لا يعلمُه إلَّا اللَّه تعالى، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: أي: إذا جمعكم الإيمان لم تختلفوا في أحكامه، فيكون ذلك أدعَى إلى تأكيد الأُلفة بينهما، والتَّعاونِ

منهما على أمور الدِّين. وقيل: إنَّ النِّكاح يراد به الألفةُ والسَّكن، فإذا اتَّفقا في الدِّين كان أقربَ إلى أن يتآلَفا. ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: أي: مواليهنَّ، ودلَّ أنَّ النِّكاح ينعقد بعبارة الأَمَة العاقلة، وينفذ إذا كان بإذنِ مَولَاها(١).

﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي: أعطوهنَّ مهورهنَّ على وفقِ الشَّرع، ولهنَّ قبضُ ذلك بإذن مواليهنَّ، وقد ذكر الإذنَ في الأوَّلِ، فكان ذكرًا في الثَّاني؛ لأنَّ الحادثة واحدة، ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: أي: عفائفَ، ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾: أي: زانياتٍ ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾: الخدْنُ: الصَّديقُ، والخدين كذلك، وذلك كالخلِّ والخليلِ، والمخادنةُ: المصادقةُ، ويقع الاسم على الذَّكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذَى أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]؛ أي: خدينات. ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾: قيل: أي: أسلمْنَ، وقيل: أي: نكحْنَ. ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾: أي: زنَيْنَ ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾؛ أي: ما على الحرائر من الحدِّ، وهو الجلدُ، فتُجلَد الحرَّة مئةَ جلدةٍ، والأمةُ خمسينَ. و﴿الْعَذَابِ﴾: الحدُّ؛ قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور: ٨]. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾: أي: الزِّنا؛ أي: إباحة نكاح الأَمَةِ لمن خشي الزِّنا لو لم يتزوَّجْ بها. وأصل العنتِ: المشقَّةُ والمضرَّةُ. ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: وصبرُكم عن نكاح الأمَة خيرٌ لكم؛ لأن فيه إرقاقَ الولد. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: ﴿غَفُورٌ﴾ لكم إن لم تصبروا، ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم إذ أباح لكم نكاح الإماء.

---

(١) التيسير في التفسير (٤/ ٥٠٧).

(٢٦) - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي: يريدُ اللَّهُ أن يبيِّنَ لكم ما تأتون وما تذرون، وما لكم وما عليكم، وما به صلاحُكم وفسادكم في أمور دينكم ودنياكم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي: ويريد أن يدلَّكم على السُّنن التي سنَّها لمن كان قبلكم من أهل الكتاب؛ لتكونوا علماءَ كما كان الذين جاءتهم الرُّسل، ويزولَ عنكم سمةُ الجهالة التي كانت للأميين. ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يوفِّقكم للتَّوبة عمَّا كنتم عليه من الخلاف. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرَع لهم(١).

(٢٧) - ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: التَّكرير للتَّأكيد والتَّقرير، وهو في حقِّ قومٍ علم اللَّه منهم التَّوبة. ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾: أي: ويريد أعداؤكم من الكفَّار الَّذين إنَّما يتَّبعون ما تميل إليه أهواؤهم أن تميلوا عن طاعة اللَّه وعن دينه ميلًا عظيمًا؛ أي: فاحشًا مُفرِطًا في الجهل والخطأ(٢).

(٢٨) - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: أي: يسهِّلَ في أمور المناكح. ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي: لا يصبر عن النساء. وقيل: ضعيفًا في أمر النساء. وقيل: ضعيفًا في اليقين. وقيل: أي: ضعيفًا لا يطيق العقوبة(٣).

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ١٣٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١١/ ٢٠٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٠)، والبحر المحيط (٦/ ٥٨٤). معاني القرآن للأخفش (١/ ١٦٩ و٢٥٢).

(٢) الكشف والبيان (٣/ ٢٩٠)، والبسيط (٦/ ٤٦٣).

(٣) جامع البيان (٦/ ٦٢٢)، والكشف والبيان (٣/ ٢٩٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٠).

(٢٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: أي: لا يأكلْ بعضُكم مال بعضٍ، والمراد من الأكل: الأخذ، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ أي: لكن إذا كانت تجارة عن تراضي العاقدين بها فكلوا، ويلتحق بها أسبابُ الملك المشروعة كالهبة والصدقة والإرث والعقود الجائزة؛ لخروجها عن الباطل. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: لا يَقتلْ بعضُكم بعضًا، ذَكر حرمةَ المال والنفس بعد ذِكر حرمةِ الفرج؛ لأن انتهاكها من الموبقات فنهى عنها كلّها. وقيل: أي: ولا تهلكوا أنفسكم بإتلاف أموالكم؛ لأنَّه ذكر في أول السورة أن المال قيامُ الناس، فيكون في هلاك المال هلاكُ البدن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: ولرحمته بكم نبَّهكم على ما فيه صيانةُ أموالكم وبقاءُ أبدانكم.

(٣٠) - ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾: أي: ومن يرتكب النهي عن أكل المال وقتلِ النفس، والعدوان: مجاوزةُ حدِّ الأمر، والظلم: الجَوْر، ومعناه: عالمًا به غيرَ مخطئ ولا متأوِّلٍ، يشير بذلك إلى أنه إذا كان عن جهلٍ أو خطأ أو شبهةٍ لم يستحِقَّ هذا الوعيدَ الشديد. ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: أي: ندخلُه نارَ جهنم. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: وكان إصلاؤه النارَ سهلًا لا يَعْسُر عليه شيء[(١)].

(٣١) - ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الكبائر: جمعُ كبيرةٍ، وهي الفعلةُ العظيمة الإثم، وقد أضافها إلى جميع المنهيَّات، وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي إلى السبعمائة أقرب، والاجتناب:

---

(١) جامع البيان (٦/ ٦٢٧)، التيسير في التفسير (٤/ ٥٢٠).

التباعُد ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: الصغائر بالطاعات والتكفير: السَّتر، والسيئات: جمعُ السيئة، وهي خلافُ الحسنة. ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالًا أو موضعًا ﴿كَرِيمًا﴾ أي: حسنًا وهُوَ الجنة[١].

(٣٢) - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾؛ أي: ولا تشتهوا كثرة الأموال فإنها تصير بعدكم لغيركم بالميراث. ﴿مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ﴾؛ أي: الشيءَ الذي فضل الله به ﴿بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: الأغنياءَ على الفقراء والرجالَ على النساء بالميراث. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من الخير ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أيضًا من الخير، فلا حرمان لهنَّ من الثواب بأنوثتهن ومنعِهن عن الجهاد، ولهن خيراتٌ أُخَرُ يُجازَينَ عليها، ثم أمر بالسؤال من فضله لتوفيق ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: واسألوا من أفضاله مثل ما أعطى فلانًا الذي تتمنَّونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: أي: بمواضع الاستحقاق لفضل النعم والأرزاق[٢].

(٣٣) - ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: ولكلِّ ميت، وقيل: لكلِّ مورِّث ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾؛ أي: ورثةً يَلُونه؛ أي: يَقربون منه، والمعنى: ولكلِّ ميت جعلنا ورثةً ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (مِن) في ﴿مِّمَّا﴾ صلة، و(ما ترك) اسم للترِكة الموروثة، و﴿مَوَالِيَ﴾ بمعنى الورثة، وتقع وراثتهم على ما ترك. ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ جمع يمين، وهي اليد التي أُضيفت المعاقَدةُ إليها كما تضاف سائر الأفعال إلى اليد، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]،

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ١٠٥).

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ١٤٨ - ١٥٠)، والكشف والبيان (٣/ ٣٠٠).

وقيل: كانوا يصفِّقون بالأيدي عند العقود والعهود؛ أي: يأخذون الأيدي بالأيدي، فلذلك أضيفت إليها، وكانوا يؤكِّدون العهود بالأيمان، ولذلك سمِّيت محالفةً وحِلفًا، وتقديره: والذين عقَدَت لكم أيمانكم، وهو عقدُ الموالاة، وهي مشروعةٌ، والوراثةُ بها ثابتةٌ عند عامة الصحابة والعلماء، وتفسيره: إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له، فيقول لآخر: والَيْتُك على أن تَعْقِلني وتَرِثني، ويقول الآخر: قبلتُ، انعقد ذلك، ويرث به الأعلى من الأسفل، ولا يرث به الأسفل من الأعلى، وله أن ينتقل بولائه عنه إلى غيره ويفسخَه بحضرته ما لم يَعقل عنه جنايتَه، فإذا عَقَل فلا فسخ ولا انتقال، ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي: أعطُوا الموالِيَ بالقرابة والمواليَ بالولاء قسمتَهم من الميراث. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: أي: هو عالم الغيب والشهادة، وهو أبلغ وعد ووعيد[(١)].

(٣٤) - ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي: قائمون بتأديبهنَّ وتَدبيرهنَّ. ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ أي: بتفضيلِ اللَّه الرِّجالَ على النِّساءِ بالعقلِ، والقُوَّةِ، والجماعات، والجُمُعات، والولايات، والشَّهادات، والجهادِ وملكِ النِّكاح، وملكِ الطَّلاق، وتضعيفِ الميراث، وكونِ الأنبياء منهم. ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾؛ أي: وبأن نفقتهنَّ عليهم، ودلَّ على وجوب نفقاتِ الزَّوجاتِ على الأزواج. ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾؛ أي: النِّساءُ الموصوفاتُ بالصَّلاح هنَّ المطيعاتُ للَّه تعالى، والرَّاعياتُ حقوق الأزواج في غيبتِهم، فيحفظنَ أنفسهنَّ عن الغيرِ، ويَحفظنَ أموالَ الأزواجِ أيضًا، ودلَّ على أنَّ الصَّلاحَ هو أداءُ حقِّ

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٤٦)، التيسير في التفسير (٥/ ١٢).

اللَّه تعالى وحقِّ الخلق. ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾؛ أي: ذلك بحفظِ اللَّهِ وعونِه، ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾؛ أي: تَخشون ترفعهنَّ بالمخالفة؛ لعلمكم بالأعمال المؤدِّيةِ إليه. ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: بالكتابِ والسُّنَّة، وقيل: العظةُ كلامٌ يُلَيِّنُ القلوبَ القاسيةَ، ويُرَغِّبُ الطبائعَ النَّافرة، وهي بتذكيرِ العواقِب(١).

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾؛ أي: إذا لم يَنفعِ الوعظُ فأدِّبوهنَّ بالهَجرِ، وهو القطعُ، ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ جمعُ مضجع، وهو موضعُ وضعِ الجَنْبِ للنَّوم، قيل: هو ألَّا يضاجعَها في مضجعٍ. وقيل: لم يُرِد به ليُبعِدها مِن مضجعِه؛ فإنَّه لم يقل: عن المضاجع، بل أرادَ أنَّهما يَجتمِعان في مضجعٍ، لكن يولِّيها ظهرَه، ولا يلازِمُها، ولا يَنبسِطُ إليها كما كان يفعلُهُ؛ إعلامًا بالعَتبِ والمؤاخذة.

﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾؛ أي: إذا لم تقع الكفايةُ بالهجران، فأدبوهنَّ بالضَّرب، وهو ضرب غيرُ خادشٍ ولا جارِحٍ ولا شائن. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾؛ أي: في الإجابةِ إلى الفِراش، ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾؛ أي: لا تَطلُبوا العِلَلَ، ولا تَذكروا ما قد كان، وقيل: أي: لا تُكلِّفوهنَّ محبَّةَ القلب، فليس ذلك بأيديهنَّ، واكتفوا منهنَّ بالطَّاعة، فللنَّاس مِن النَّاس ما يظهرون، وللَّه مِن النَّاسِ ما يُضمِرون. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: إنَّ اللَّهَ مع عُلُوِّه وكبريائِه لا يؤاخِذُ بأوَّل الحال، ويدعو إلى التَّوبة، ويَقبلُ إذا تابَ، ولا يؤاخِذُ بما قد كان، فالعبدُ أحقُّ بذلك، وقيل: ذكر علوِّه وكبريائه في آخرِ هذه الآية تنبيهٌ للعبدِ، ومنعٌ له عن مجاوزةِ الحدِّ فيما يُقيمُه عليها على

---

(١) جامع البيان (٦/ ٦٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٩)، تأويلات أهل السنة (٣/ ١٥٦)، البحر المحيط (٧/ ٣٨).

وجهِ التَّأديب[١].

(٣٥) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الخطابُ لولاة الأمرِ، ولقُضاة العصر. وخفتُم، أي: خشيتُم، أو علمتُم الخلافَ والنِّفارَ بين الزَّوجين، وذلك قولُه تعالى: ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، وأصلُ الشِّقاقِ: أنْ يصيرَ أحدُهما في شِقٍّ والآخرُ في شقٍّ، بالمخالفة والمباعدة والمعاداة. ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾؛ أي: أرسِلوا متوسِّطًا مِن عشيرة الزَّوج، ومتوسِّطًا مِن عشيرةِ المرأة، لينظرا مَن الظَّالم منهما فيؤمرَ بترك الظلم، فيخلو حكمُ الرَّجل بالرَّجل ويتفحَّصُ عن رأيه في إمساكِها ومفارقتِها، ويخلو حكمُ المرأة بالمرأة، ويفعل كذلك، ثمَّ يلتقيان، فيقبلان على الظَّالمِ منهما، فيحملانِه على العدل. ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ أي: الحكمين. ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: يؤلِّفْ ببركةِ ذلك بين الزَّوجين، والتَّوفيقُ مِن الموافقة، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾؛ أي: بإرادة الحكَمين، ﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: بمعاملة الزوجين[٢].

(٣٦) - ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوا اللَّه، وقيل: أطيعوا اللَّه. ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أي: الشِّركَ الجليَّ، وهو الكفرُ، والشِّركَ الخفيَّ، وهو الرِّياء، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وإحسانًا بالوالدين، ومعناه: إلى الوالدين، والباءُ بمعنى: إلى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠]. وبدأ بهما؛ لأنَّ حقَّهما أعظمُ حقوق البشر. ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ أي: بصاحب

---

(١) تيسير في التفسير (٥/ ١٦)، والكشف والبيان (٣/ ٣٠٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٣٧٠).

(٢) جامع البيان (٦/ ٧١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٥)، والتفسير البسيط (٦/ ٤٩٧ - ٤٩٨).

القَرابة، وهو أمرٌ بصلةِ الأرحامِ المتَّصلين بك بالوالدين، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ مر تفسَّرهما. ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ قيل: الأوَّلُ هو الجارُ النَّسيب، والثاني هو الجارُ الأجنبيُّ، وقيل: الأوَّل: هو الجارُ المسلِمُ، والثاني: هو الجارُ المشرِكُ المباعِد في الدِّين، وقيل: الأول: هو الجارُ الملاصِق، والثاني: هو الجارُ الذي لا يُلاصق. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ هو الرَّفيق في السَّفر. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الغريبُ، وقيل: هو الضَّيفُ. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ أي: العبيدُ والإماء. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾؛ أي: متبخترًا في مشيته، عظيمًا في نفسِه، لا يقومُ بحقوق اللَّه تعالى التي عليه، فخورًا يفخرُ على عبادِ اللَّه بما خوَّلهُ اللَّه تعالى مِن نعمتِه.

(٣٧) - ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ البخل هو: تركُ الإيثارِ في زمان الاضطرار. نزلَت الآيةُ في رؤساء أهلِ الكتاب، قالوا لرجالٍ مِن الأنصار: لا تُنفِقوا أموالَكم، فإنَّا نَخشى الفقرَ عليكم، وما تَدرون ما يكون، فنزلَت هذهِ الآيةُ: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بأنفسهم، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بقولهم. ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: يُخفونَ ما أنعمَ اللَّهُ عليهم به مِن المالِ وسَعَةِ الحال، وهم الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧]، ولمَّا نزلَتْ آيةُ الاستقراض ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، فهم في غاية البُخلِ بالمال. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أي: هم كافرون، وقد أعتدنا لهم عذابًا يُهانون به في الآخرة(١).

(١) جامع البيان (٧/ ٢٤)، والتيسير في التفسير (٥/ ٢٥).

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ذمَّ قومًا منهم بالبُخل، وذمَّ قومًا بالإنفاق في غير الحقِّ، والمعنى: أي: يَبذلون أموالَهم لوجوهِ النَّاس، لا لرضاءِ اللَّه تعالى. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ونفقةُ مَن لا يُؤمِنُ لا تكونُ لرضا اللَّهِ، بل تكون بتزيين الشيطان، ولذلك ختمَ الآيةَ به، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ القرينُ: المقارِنُ، كالشَّريكِ هو المشارك، وقوله تعالى: ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾؛ أي: بئس القرين هو، وما أسوأهُ قرينًا له، وهو يكون في الدُّنيا، كما قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وفي الآخرة أيضًا، كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، والآية نزلت في المنافقين.

(٣٩) - ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ عليهم؟، استفهامٌ بمعنى الاستنكار، يقول: أيُّ مضرَّةٍ ومشقَّةٍ عليهم في الإيمان والإنفاق؟. ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أخبرَ أنَّهم ممتنعون عنه اختيارًا، لا ممنوعون عنه إجبارًا، وهذا قطعٌ للعُذر؛ لأنَّ تركَهم الإيمانَ وإنفاقَهم للرِّياء، كان لإبقاء الرياسة، فأخبرَ أنَّ إيمانَهم وإنفاقَهم لا يزيلُ ذلك، بل يزيدُها، كما كان لعبد اللَّه بن سلام وأصحابه، وغيرُهم ماتوا وانقطعَ ذِكْرُهم أصلًا. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾؛ أي: أنشأَهُم على علمِه بأنَّهم لا يؤمنون؛ ليعلمَ الخلائقُ أنَّ مخالفتَهم إيَّاه لا تَضرُّهُ. وقيل: أي: كان بهم عليمًا أنَّهم لا يؤمنون، عنادًا ومكابرةً، لا لقصور الدليل.

(٤٠) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: مقدارَ ذرَّةٍ في الثِّقل، والذَّرَّةُ هي: رأس نملة حمراء لا تَكادُ تُرى مِن صغَرِها[١]، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ أي: وإن تكُ زِنَةُ الذَّرَةِ حسنةً[٢]، ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ الإضعافُ: إعطاءُ المثلَين، والتَّضعيفُ والمضاعفةُ: إعطاءُ الأمثالِ، يقول: وإنْ تكُ قدر الذَّرَّة حسنةً، فاللَّهُ تعالى يُعطِي ثوابَها أضعافًا، لا على قدرِ العمل، وهذا جزاءُ العمل، ثمَّ وراءَه زيادةٌ مِن عنده. ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: يعطِ مِن عنده ثوابًا كثيرًا كبيرًا، وما وصفَهُ اللَّهُ تعالى بالعظيمِ، فمن يَعرِفُ مقدارَهُ مع أنَّه سَمَّى الدُّنيا وما فيها قليلًا، وسمَّى هذا الفضل عظيمًا.

(٤١) - ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾؛ أي: فكيف حالُهم؟ وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ لأنَّه يقتضي إقرارَ العبد على نفسه بما كان من قبيحِ عملِه. ﴿بِشَهِيدٍ﴾؛ أي: شاهدٍ عليهم، وهو نبيُّهم. ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾؛ أي: أحضرناكَ، ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾؛ أي: هذه الأمَّة ﴿شَهِيدًا﴾؛ أي: شاهدًا على مَن آمنَ بالإيمان، وعلى من كفرَ بالكُفْر، وعلى مَن نافقَ بالنِّفاقِ؛ أي: بماذا يعتذرون، وبأيِّ شيءٍ يَحتجُّون، وإلى شفاعةِ مَن يَلتجئون، إذا أُمِرَ بهم إلى النَّار؟ رويَ عن ابن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: "اقرأ عليَّ"، قلت: يا رسول اللَّه، أقرأ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ١٨٤)، جامع البيان (٧/ ٢٩)، والكشف والبيان(١٠/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ١٨٤)، جامع البيان (٧/ ٢٩)، والكشف والبيان(١٠/ ٣٢٠ - ٣٢١).

عليك، وعليك أنزل قال: "نعم"، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قال: "حسبك الآن"، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان[(١)].

(٤٢) - ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نُصبَ على الظرف، وأضيف إلى "إذ"، وهي أداةٌ للظَّرف، واتِّصالُها بما قبلَها: إذا جئنا من كلِّ أمَّةٍ بشهيدٍ يومئذٍ. و﴿يَوَدُّ﴾؛ أي: يتمنَّى. ﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾ أي: خالفوا أمرَ المصطفى ﷺ ونهيَه، ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: يتمنَّون لو سُوُّوا بالأرضِ، وسُوِّيَت بهم؛ أي: كانوا مِن جملةِ الأرض، ترابًا غيرَ مكلَّفين، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ هذا وصفُ حالهم يومئذٍ أنَّهم لا يكتمون اللَّهَ شيئًا مِن حديثِهم الذي كانوا عليه، بل يُصدِّقونَ أنبياءَهم فيما شَهدوا عليهم مِن الكُفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]، فأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]،

(٤٣) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ أي: لا تدنوا إلى مواضعِ الصَّلاة -وهي المساجدُ- حالةَ السُّكرِ، فذكرَ الصَّلاةَ، وأرادَ بها مواضعَها، ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بيَّنَ أنَّ السُّكرَ هو أنْ يصيرَ بحالٍ لا يَعلمُ ما يَقول[(٢)]، ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، وهو نهيُ الجُنب عن قُربان المساجدِ،

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠) عن ابن مسعود -رضي الله عنه-.

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ١٨٧)، وجامع البيان (٧/ ٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٩).

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ الجُنُب: الذي خالطَ أهلَه، أو خرجَ منه منيُّه بشهوةٍ واحتلام، ويَستوي فيه الذَّكرُ والأُنثى، ذلك، وهو نصبٌ على الحال؛ أي: لا تقربوا المساجدَ وأنتم مجنبون، والجُنُبُ للجمع هاهنا. ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ العبورُ: المرور، أي: إلَّا أن تدخلوا المساجدَ للعبور لا للجلوس. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ جمعُ مريضٍ، كالجرحى جمعُ جريح، والمراد منه: مرضٌ يُخافُ معه إذا استُعمِلَ الماءُ اشتدادُ المرض، أو امتدادُه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أي: وجاء، والغائط: المكانُ المطمئنُّ مِن الأرض، وكانوا يأتونَه لقضاء الحاجة قبل اتِّخاذِ الكُنُف في البيوت، وهو كناية عن الحدث. ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: جامعتُم، فأجنبتم. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾؛ أي: لم تَقدروا على استعمالِه؛ لعدمِه، أو بُعده، أو لفقد آلةِ الوصولِ إليه، أو لمانعٍ عنه، مِن حيَّةٍ أو سَبُعٍ أو عدوٍّ. ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ الأَمُّ واليَمُّ والتَّيمُّم والتأمُّمُ: القصد. ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصَّعيدُ: وجهُ الأرض؛ لأنَّه تصاعدَ عنها، أو لأنَّه يصعدُ عليها، والطَّيِّبُ: الطَّاهرُ. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ قيل: أي: فامسَحوا الصَّعيدَ بها. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ العفوُّ: كثيرُ العفوِ، والصَّفح والتَّجاوزُ، ﴿غَفُورًا﴾ أي: كثيرَ المغفرة للذُّنوب.

(٤٤) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كلمةُ تعجيبٍ؛ عن أمرٍ قد بلغَهُ، فيَخرجُ مخرجَ التَّذكير، أو لم يبلغه، فيَخرُجُ مخرجَ التَّعليم، والمعنى: ألم تَنْتَهِ رؤيةُ قلبك يا محمَّد ﷺ إلى اليهود الذين أُعطوا حظًّا مِن التَّوراة، فغفلوا وما شعروا، أُعطوا الكتابَ، ثمَّ حُرِموا بركاتِ الفهم، فحرَّفوا، وخالفوا،

ولم يَعملوا بالعلم؟. ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾؛ أي: بالهُدى، ومعناه: يختارون الغيَّ على الرُّشد، أو يستبدلونه. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: ويحبون أنْ تَضلُّوا أنتم سبيلَ الحقِّ كضلالِهم.

(٤٥) - ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو أعلمُ بهم منكم؛ لأنَّه يَعلمُ مِن باطِنِهم ما لا تَعلمونه؛ أي: هؤلاء اليهودُ أعداؤكم، فلا تَثقوا بهم، ولا تَستعينوا بهم في شيءٍ. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ أي: وكفى باللّه وليًّا، فاكتفوا به وليًّا؛ أي: مُحِبًّا. وقيل: متكفِّلًا. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: معينًا، وقيل: مانعًا[١].

(٤٦) - ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ نزلت في رفاعة بن زيد، ومالك بن الضَّيف، وكعب بن أسيد، وكلهم يهود. وفي «من» قولان، أحدهما: أنها من صلة الذين أوتوا الكتاب، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا؟. والثاني: أنها مستأنفة، فالمعنى: من الذين هادوا قوم يحرّفون. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ التحريف، هو التغيير. والْكَلِمَ: جمع كلمة. وفي معنى تحريفهم الكلم قولان: أحدهما: أنهم كانوا يسألون النبيّ ﷺ عن الشيء، فإذا خرجوا، حرفوا كلامه، والثاني: أنه تبديلهم التوراة. ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: عن أماكنه ووجوهه[٢]. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ أي: قولَك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾؛ أي: أمرَك، يُظهِرون الأوَّل، ويُضمرون الثاني خوفًا. ﴿وَاسْمَعْ﴾ أي: قولنا، ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: لا أسمعَك اللّهُ، وهذا كانوا يضمرونَهُ في أنفسهم. وقيل: معناه: غير مسمَعٍ؛ أي: غيرَ مجابٍ،

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٥٧)، التيسير في التفسير (٥/٤٨).
(٢) زاد المسير (١/٤١٦)، وجامع البيان (٧/ ١٠٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦).

﴿وَرَاعِنَا﴾ يوهمون بظاهره أنَّهم يطلبون مراعاتَه عند كلامِهم، وهو إمهالهم حتى يُتمُّوا كلامَهم. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: تقليبًا، وقد لَوى يَلوي ليًّا؛ أي: يُظهِرون هذا، ويُريدونَ به السَّبَّ بالرُّعونة. ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ أي: يقولون: هو لا يَصلحُ للنُّبوَّة. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا﴾؛ أي: قولَك، ﴿وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: أمرَك، ولا يقولون: وعصَينا في أنفسِهم. ﴿وَاسْمَعْ﴾؛ أي: قولَنا، ولا يُلحِقونَ به: غيرَ مُسمَع. ﴿وَانْظُرْنَا﴾ مكان: راعنا، من غير تلبيس؛ أي: انتَظِرنا حتَّى نفرغَ من كلامِنا. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي: لكان خيرًا لهم في الدُّنيا والآخرة؛ أمَّا في الدُّنيا فدوامُ الرياسةِ التي خافوا فوتَها لو أطاعوهُ واتَّبعوه؛ إذ قد أطاعَ منهم قومٌ، فلم تذهب رياستُهم، بل ازدادَ شرفُهم وذكرهُم في الحياة وبعدَ الوفاة، ﴿وَأَقْوَمَ﴾؛ أي: أعدلَ، مِن القيِّم، وهو المستقيم. ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾؛ أي: طردَهم وأبعدَهم عن رحمتِه بسبب اختيارِهم الكفرَ. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا قليلًا، منهم عبدُ اللَّه ابنُ سلام وأصحابُه(١).

(٤٧) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ وهو القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي: موافقًا للكتاب الذي أنزلَ على نبيِّكم، وهو التَّوراة. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ الطَّمسُ: محوُ الأثر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]، وقيل: هو التغيير، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]، والمعنى: أي: نمحو ما على الوجهِ من العينين والأنفِ والفم، وسائر أجزاء الوجه، فيصيرَ الوجهُ كالقفا، وهو معنى قول ابن عباس

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ١٩٩)، التيسير في التفسير (٥/ ٥٢).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نجعلها كخفِّ البعيرِ وحافر الدَّابَّة[١]. ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ أي: نردَّ الأشياءَ المصوَّرة في الوجوه ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ جمع دُبُر، وهو الخلفُ؛ لأنَّ الدُّبر ما أدبرَ مِن بدنِ الإنسان، والقُبُل: ما أقبلَ منه؛ أي: نَجعلَ ذلك في الأقفيةِ، وهو مسخُ الرَّأس والوجه، فتكونَ الأيدي والبطون والأرجل في مواضعها، والوجهُ بما فيه في القفا، وفيه مِن الخزيِ والقُبحِ ما لا يخفى. ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾؛ أي: نمسخهم بالكلية كما جعلنا أصحاب السبت قردةً. ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ أي: عذابُ اللَّهِ الذي أمرَ بإنزالِهِ مُنزَلٌ بهم لا محالة[٢].

(٤٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ أي: هؤلاء اليهود مشركون، واللَّهُ تعالى لا يغفر الشِّركَ لمن ماتَ عليه، فأمَّا إذا أسلمَ فقد قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وهو يَعُمُّ الكبائرَ والصَّغائر؛ أي: هي في جوازِ المغفرة، لكنَّه معلَّق بالمشيئة، وإنْ ماتَ مُصِرًّا عليها مِن غير توبةٍ. ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾؛ أي: اختلقَ أعظمَ الأكاذيب.

(٤٩) - ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾؛ أي: اليهودُ يَمدحون أنفسهم فيقولون: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨]، و﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [البقرة: ٨٠]، و﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١١١]، وإنَّا نُعلِّمُ أبناءَنا الصِّغارَ التَّوراة، فنكفِّر بذلك ذنوبَنا، فنصيرُ كأنَّنا

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٣٢٤).

(٢) تأويلات أهل السنة" (٣/ ٢٠١)، وبحر العلوم (٢/ ٦٢)، والكشف والبيان (٣/ ٣٢٤)،

لا ذنبَ لنا. ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: ليس كذلك، وليس لهم أنْ يُزكُّوا أنفسَهم، واللَّهُ تعالى هو الذي يُزَكِّي مَن يَشاء، وهم الموحِّدون. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أي: لا يُنقِصُ اللَّهُ أحدًا مِن عبادِه شيئًا يَستحِقُّه بعملِه، وإنْ قلَّ، ولو كنتُم مستَحِقِّين للتَّزكية، لما منعكم ذلك. والفتيلُ ما يَحدثُ بفتل الأصابعِ مِن الوسخ. وقيل: الفتيلُ: ما يكونُ في شَقِّ النَّواةِ طُولًا، والنَّقيرُ: ما يكون في النُّقْرةِ التي في ظهرِ النَّواة، والقطميرُ: قشرها.

(٥٠) - ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ "كيف" كلمةُ تعجيبٍ، وافتراؤهم على اللَّه تعالى ما ذكر مِن كلماتِهم في تزكيةِ أنفُسِهم. ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ أي: ظاهرًا. وقيل: أي: مُظهَرًا فحشَه ووبالَه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ يُقصدُ بهذه الكلمة تعظيمُ الإثم، ويستعمل في المدح والذَّمِّ، يعني: لو لم يكن لهم من الذُّنوب إلَّا هذا الافتراء، لكان إثمًا عظيمًا، لا يجوزُ أن يزكُّوا أنفسَهم معه، فكيف ولهم آثامٌ عظامٌ غيرُها؟(١)!

(٥١) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ سبب نزولها أن جماعة من اليهود قدموا على قريش، فسألوهم: أديننا خيرٌ، أم دين محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم، فنزلت هذه الآية، الجبتُ: حُيَيُّ بن أخطب، والطَّاغوتُ: كعبُ بن الأشرف، فكانت اليهودُ تخاصِمُ إليهما، قيل: الجِبتُ: السحر، والطَّاغوتُ: الشَّيطان. وقيل: الجِبتُ: السَّاحر، والطَّاغوت: الكاهن، وقيل: الجِبتُ والطَّاغوت:

(١) التيسير في التفسير (٥/ ٦٠).

كلُّ معبودٍ دون اللَّه تعالى؛ مِن حجرٍ أو مَدَرٍ أو صورةٍ أو شيطانٍ. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ﴾ يعني لمشركي قريش أنتم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعنون النبي ﷺ وأصحابه ﴿سَبِيلًا﴾؛ يعني: في الدّيانة والاعتقاد(١).

(٥٢-٥٣) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: هؤلاء اليهودُ طردَهمُ اللَّهُ تعالى وأبعدَهم مِن رحمته. ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾؛ أي: معينًا، ومانعًا عنه عذابَ يوم القيامة. ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾؛ أي: ولو كان لهم هذا الملكُ والسُّلطان، لم يُعطوا أحدًا مِن النَّاس شيئًا من الفضل، لا قليلًا ولا كثيرًا؛ لبُخلِهم.

(٥٤) - ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ، و"أم" بمعنى "بل"، والحسدُ: تمني زوالِ النِّعمة، ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ يعني: مِن الدِّين الحقِّ، والكتابِ الصِّدق، فلا معنى لحسَدِهم؛ لأنَّ الحسدَ إنَّما ينبغي أنْ يقعَ في الشَّيء الموضوعِ في غير موضع استحقاقِه، وليس كذلك. ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ أي: بيانَ الكتابِ، وآلُ إبراهيمَ: أولادُه، وهم مُقِرُّون بذلك، وقائلون باستحقاقِهم ذلك، ومحمَّدٌ ﷺ مِن أولادِه، فلِم يُنكِرون ذلك فيه، ولا يُنكِرون في بني إسرائيل، وهم مِن ولدِه؟، وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي اللَّه تعالى عنهما: ﴿النَّاسَ﴾: محمَّدٌ ﷺ وحدَه، وذلك أنَّ اليهودَ قالوا: ما شأنُ محمَّدٍ، أُعطي النُّبوَّةَ بزعمِه وهو جائعٌ عارٍ، لا همَّ له إلَّا نكاحُ النِّساء، فحسدوه بنكاحِ النِّساء، وأحلَّ اللَّهُ له منهنَّ ما

(١) زاد المسير(١/٤٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤)، وجامع البيان (٧/ ١٣٩ - ١٤٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٢٩).

شاء أنْ ينكحَ، فذلك قوله تعالى: ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الحكمةُ: النُّبوَّة. ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ الملك: النبوَّةُ،، واليهودُ لا يَحسُدونَهُم بهذا كلِّه، فلم يَحسُدون محمَّدًا ﷺ به، وهو من آله؟.

(٥٥-٥٦) - ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ أي: مِن اليهودِ مَن آمنَ بمحمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾؛ أي: أعرضَ عنه. ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾؛ أي: أعددتُ للصَّادِّين جهنَّمَ، وكفى بها نارًا مسعورةً؛ أي: موقَدة؛ أي: بها الكفايةُ في تعذيبِهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ وهم هؤلاء، ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ أي: نُدخلُهم جهنَّم، ومعنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ أي: احترقت. ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ أي: أعدنا تلك الجلودَ غيرَ محترقةٍ، وقيل: معنى قوله: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ أي: سرابيلَ مِن قطِران، سُمِّيَت جلودًا؛ للزومِها جلودَهم، على المجاورة، فكلَّما احترقَت، أُعيدَت أمثالَها. ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: ليَخلُصَ ألمُه إليهم على نهاية ما يكونُ فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ أي: لا يُمنَعُ عمَّا يوقِعُه بالكفَّارِ مِن العذاب، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يفعلُه بالعباد.

(٥٧) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ بيَّنَ جزاءَ الأولياء بعد جزاءِ الأعداء، وقد مرَّ تفسيرُ هذه الكلمات مرَّاتٍ. ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي: ظلًّا دائمًا، مُظِلًّا عن جميعِ المؤذيات، مِن حرِّ الشمس، وأذى الظُّلمةِ، وبردِ الزَّمان، ونحوِها(١).

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٢٢٠)، ولطائف الإشارات (١/ ٣٤٠)، والتيسير في التفسير (٥/ ٧٣).

(٥٨) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وانتظامُها بما قبلها: أنَّ اليهودَ خانوا الأمانةَ التي كانت عندَهم مِن نعتِ الرَّسول ﷺ، وحكموا بالجورِ، حيث جعلوا المشركين أهدى سبيلًا مِن المؤمنين، فأمرَ اللَّهُ المؤمنين بخلافِ ذلك، وهو أداءُ الأماناتِ إلى أهلِها، والحكم بالعدلِ، وهو عامٌّ في حقوقِ اللَّه تعالى مِن العبادات، وحقوق النَّاسِ مِن المعاملات، وفي حقِّ النبيِّ ﷺ في تبليغِ الوحي، وفي حقِّ الصَّحابةِ والتَّابعين وعلماءِ الدِّين وعامَّة المسلمين في تبليغِ ما عندَهم مِن العلم والدِّين إلى سائرِ المؤمنين، وكذلك العدل في الحكم، قال النبيُّ ﷺ: "كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته"(١)، وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأمانةُ في كلِّ شيءٍ؛ في الوضوء، والصَّلاة، والصَّوم، والزَّكاةِ، والجنابة، وفي الكيلِ والوزن، وأعظمُ مِن ذلك الودائع(٢)، وقيل: قولُه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ في الأمناء، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ في الأمراء، وقيل: كلُّه في الأمراء، وهي أمانةُ الفيء والخَراجِ والصَّدَقات وأموالِ بيت المال.

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾؛ أي: نِعمَ الوعظُ مِن اللَّه تعالى هذان الأمران، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾؛ أي: لما تقوله القضاة ﴿بَصِيرًا﴾ بما يعملُه الأمناء(٣).

(٥٩-٦٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) حلية الأولياء (٤/ ٢٠١).
(٣) التيسير في التفسير (٥/ ٧٤)، والكشف والبيان (٣/ ٣٣٢ - ٣٣٣).

﴿مِنكُمْ﴾ ولمَّا أمرَ ولاةَ الأمورِ أنْ يَحكموا بين النَّاسِ بالعدل، وكان رأسُ الولاةِ رسولَ اللَّه ﷺ، أمرَ عبادَهُ بطاعتِه أوَّلًا، ثمَّ بطاعةِ رسولِه فيما يَأمرُ به عن ربِّه -وطاعتُه طاعةُ اللَّه-، ثمَّ بطاعةِ أولي الأمرِ، وهم الذين يقومون في الخلقِ بأمرِ اللَّه تعالى وأمرِ رسولِه، مِن الأُمراءِ والعلماءِ، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: إن اختلفتُم أنتم والأمراءُ في شيءٍ مِن الحلال والحرام. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: القرآن، وقوله: ﴿وَالرَّسُولِ﴾ أي: ارجعوا إليه في حياتِه، وإلى أحاديثه بعد وفاتِه[(١)]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: إنَّ الإيمانَ يُوجِبُ الطَّاعةَ دون العصيان، ودلَّتِ الآيةُ أنَّ طاعةَ الأمراءِ واجبةٌ إذا وافقوا الحقَّ، فإذا خالفوه فلا طاعةَ لهم، قال النبيُّ ﷺ: "لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق"[(٢)]. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: خيرٌ مِن الاختلافِ، وأحسنُ عاقبة، قال اللَّه تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أي: عاقبتَهُ، وقد آلَ إليه الأمرُ يَؤُول أوْلًا؛ أي: عاد، وأوَّله؛ أي: غيَّره تأويلًا حسنًا[(٣)]. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ أي: لا تتعجَّب مِن المنافقين الذين يَزعُمون أنَّهم آمنوا بالقرآن وبالكتبِ المُنزلةِ قبله. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ أي: إذا وَقعَت لهم خصومة تحاكموا إلى الطَّاغوت، كاليَهود الذين

---

(١) جامع البيان (٧/ ١٧٦) الكشف والبيان (٣/ ٣٣٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٣٨٣).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبراني في "المعجم الكبير" (١٨/ ١٧٠) (٣٨١) من حديث عمران بن حصين.

(٣) التفسير الوسيط (٢/ ٧٢).

ذُكروا قبل هذه الآيات؛ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

الطَّاغوت: الشيطان هاهنا، بدليل أنَّه قال في آخره: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا﴾، وقيل: الطَّاغوت هاهنا كعب بن الأشرف، فإنَّ يهوديًّا نازعَ منافقًا في أمرٍ، فدعا اليهوديُّ إلى النبيِّ ﷺ، ودعا المنافقُ إلى كعب بن الأشرف وهذا كان أعجبَ عجبٍ؛ إذ صار المنافقُ يَدعو إلى حاكم اليهود، واليهوديُّ يَدعو إلى حاكم المسلمين. ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي: يَتبَرَّؤوا مِن الطَّاغوت، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾؛ أي: يدعوهم إلى الضَّلال، ويسبِّبَ لهم الضَّلالَ بالوَسوسة. ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾؛ أي: على وجهٍ لا يَعودون إلى الهُدى أبدًا(١).

(٦١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾؛ أي: وإذا دُعيَ هؤلاء المنافقون إلى حكمِ الله تعالى وحكمِ رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، رأيتَهم يُعرِضون عنك إلى غيرك؛ ليُغروهُ بالرِّشوةِ، فيقضي لهم.

(٦٢) - ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أي: فكيف يصنعُ هؤلاء المنافقون إذا نالتهم عقوبةٌ، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بما أسلفوا من الجنايات. ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ أي: أتوك يا محمَّدُ ﷺ خاضعين خاشعين، يتشفَّعون إليك في الكفِّ عنهم، والصَّفح عن جُرمهم، ويَدفعون ذلك عن أنفسِهم بالمعاذير الكاذبةِ، مؤكَّدةً بالأيمان الفاجرة، يقولون: ما

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٦٨) وجامع البيان (٧/ ١٩٣ - ١٩٥)، والكشف والبيان (٣/ ٣٣٧)، والتفسير البسيط (٦/ ٥٥٠).

أَرَدْنا بالتَّحاكم إلى غير النبيِّ ﷺ إلَّا الإحسانَ إلى خصومنا، وإدامةَ الائتلاف فيما بيننا.

(٦٣) - ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: من النِّفاق. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: تولَّى عن معاقبتهم إلى وقتِ الأمر بالقتال. ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانِك في الملأ، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾؛ أي: اقتصر على تخويفِهم سوءَ العاقبةِ للحال، وقل لهم فيما يَحِلُّ بهم مِن العذاب إن لم يَرجعوا قولًا يَبلغُ الإقناعَ، ورجلٌ بليغٌ: يَبلغ بكلامه كنهَ ما في قلبِه، والبلاغةُ: إيجازُ اللَّفظِ، وحسنُ التَّرتيب، وبلوغُ المرادِ، والقولُ البليغُ: ما يَبلغُ تمامَ المقصود. ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ في السرِّ والخلاء.

(٦٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لـمَّا أمرَ النبيَّ ﷺ بوعظِهم وإبلاغِ القولِ فيهم؛ أمرَهم بطاعتِه فيما أَمَرَ، واتِّعاظِهم بما وعظ، وأخبرَ أنَّ كلَّ رسولٍ أُرسِل كان على الأمَّةِ طاعتُه. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وَضعوها غير مَوضِعها بالتَّحاكمِ إلى الطَّاغوت. ﴿جَاءُوكَ﴾؛ أي: أتوكَ يا محمَّد ﷺ، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾؛ أي: رجعوا عن النِّفاقِ، وأخلصوا على الإطلاق، وسألوا اللَّهَ مغفرةَ ما كان منهم مِن الشِّقاق. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ أي: شفعَ لهم إلى ربِّهم. ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يَتوبُ عليهم ويَرحمُهم، فلا يُعذِّبهم(١).

(٦٥) - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ رفعَ قدرَ رسولِه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بإضافة نفسِه إليه في القسَم، و"لا" ردٌّ لكلامِهم؛ أي: يَزعُمون أنَّهم مخلصون، ولا صدق في ذلك،

---

(١) التيسير في التفسير (٥/ ٩٠).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾؛ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يرضَوا بحكمِك. ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: اختلف، وقد اشتجرَ القومُ وتَشاجروا؛ إذا اختلفوا في الأمر، وتداخلَ بعض كلامِهم في البعض، كتداخل أغصان الشجرة بالتفافها. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: في قلوبِهم ﴿حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ أي: ضيقًا. وقيل: شكًّا في أنَّ القضاءَ حَقٌّ. وقيل: إثمًا. ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾؛ أي: يَنقادوا لقضائِكَ لهم وعليهم، ﴿تَسْلِيمًا﴾؛ أي: انقيادًا، وذَكَرَ المصدرَ للتَّأكيد؛ أي: يَنقادون حقَّ الانقيادِ، بلا كراهةٍ في الفؤاد(١).

(٦٦-٦٨) - ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ولو أنَّا فرضنا على هؤلاء المنافقين قتلَ أنفسِهم بطريقِ التَّوبةِ، كما كان لبني إسرائيل، ويَحتمل أنَّه قتلُ بعضِهم بعضًا، ويَحتمل أنَّه مجاهدةُ الأعداء وقتلُهم، أو فرضنا عليهم الخروجَ مِن ديارهم مهاجرين عنها، ما فعلوه إلَّا قليلٌ منهم، لغلظ الأمرين أخبر بعلمه فيهم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾؛ أي: وإذ لم نُشدِّد عليهم، وأمَرناهُم بالإخلاص وتركِ النِّفاق، فلو اتَّعظوا بهذا الوعظِ. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾؛ أي: أحمدَ عاقبةً في الدَّارين. ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾؛ أي: وآكدَ لعزائمِهم على الثَّبات على الدِّين وتركِ التَّذبذب. ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾. أي: ولأعطَيناهُم إذا فعلوا ذلك من عندِنا ثوابًا كثيرًا في الآخرة لا يَنقطع. ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾. أي: ولثبَّتناهم على الدِّين الحقِّ؛ وهو وعدٌ ببقاءِ الإيمان للمطيعِ المخلِص.

---

(١) جامع البيان (٧/ ٢٠١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٥).

(٦٩) - ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ أي: ومَن أطاعَ اللَّهَ تعالى ورسولَه مِنهم ومِن غيرِهم، فعملَ بالشَّرائعِ، وانقادَ للأحكام. ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فهم في الآخرة مع الذين أتمَّ اللَّهُ عليهم النِّعمةَ. ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ التَّشديدُ للمبالغة في الصِّدقِ،، وهو الذي لم يَدعْ شيئًا أظهرَه بلسانه إلا حقَّقه بقلبِه وعملِه، وهذه صفةُ السَّابقين إلى متابعةِ الأنبياء، وهم أفاضلُ أصحابهم. ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ جمع شهيدٍ؛ وهو الذي قام بشهادةِ الحقِّ حتَّى قُتِلَ في سبيل اللَّه. ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ جمع صالحٍ؛ وهو الذي خَلَصَ عن كلِّ فسادٍ، يعني: هم في الجنَّة معهم، يُجزَونَ الجنَّة، ويُؤتونَ نعيمَها[١]. ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾؛ أي: رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم[٢].

(٧٠-٧١) - ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: ذلك الوعدُ، وقيل: ذلك الإنعامُ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾؛ أي: عالمًا بأعمالِ عباده، وبمن هو أهل الفضل. وقيل: أي: ﴿عَلِيمًا﴾ بمقادير مراتِبهم وجزاءِ أعمالهم. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرَّزوا من إيقاع العدوِّ بكم، وذلك قد يكون بأخذ العدَّة، وقيل: معناه هٰهنا: تحرَّزوا منهم، فانفِروا إليهم قبلَ أن يَنفِروا إليكم، ﴿فَانْفِرُوا﴾ النَّفيرُ: الخروجُ إلى العدوِّ غزوًا، ﴿ثُبَاتٍ﴾؛ أي: متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ انْفِرُوا

(١) لطائف الإشارات (١/ ٣٤٤)، التيسير في التفسير (٥/ ٩٨).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ١١٢)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٢٤٧)، ومعاني القرآن" للفراء (١/ ٢٦٨).

﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: مجتمعين، ومعنى الآية: اخرجوا إلى قتالِ العدوِّ فرقةً بعد فرقةٍ، أو: اخرجوا إنْ شئتُم مجتَمِعين.

(٧٢-٧٣) - ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أمرَ بالجهاد، وأخبرَ أنَّ في المنافقين مَن يُثَقِّلُ المخلصين عن ذلك. ﴿مِنكُمْ﴾ أي: مِن جنسِكم. وقيل: أي: منكم في الظَّاهر دون الباطن، (ليبطِئن) بتخفيفٍ، وهو من الإبطاء، وهو خلافُ الإسراع، وأبطأ؛ أي: تثاقل، وتَباطأ: أَرى من نفسِه ذلك، وبطَّأ غيرَه بالتشديد للتعدية؛ أي: حَمَلَه على الإبطاء، يقول: إنَّ مِن المنافقين المختلِطين بكم مَن يَمنعُكم عن الجهاد، ويُظهِر من نفسِه الإشفاقَ عليكم وعلى أموالكم وأولادكم. ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: نالتكم نكبةٌ مِن الأعداء. ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾؛ أي: منَّ اللَّه عليَّ. ﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ أي: مع المؤمنين حاضرًا قتالَ العدوّ، فينالَني مِن النَّكبة ما نالهم، والآية نزلت في عبد اللَّه بن أُبيٍّ وأصحابه[1].

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾أي: غنيمةٌ، ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾أي: هذا المنافق المبطِّئ المسلمين عن الجهاد معكم في سبيل الله ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ يتمنَّى أن يكون شهيدَ القتال معهم، ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فأنالَ مالًا كثيرًا.

(٧٤) - ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ﴿يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون؛ أي: الذين يؤثرون الآخرةَ على الدُّنيا، أمرَهُم أنْ يقاتِلوا

---

(١) التفسير البسيط (٦/ ٥٨٤)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٢٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٠)، وتفسير مقاتل (١/ ٣٨٨).

لطلبِ رضا اللَّه، دون الغنيمة كما يقاتل المنافقون، رويَ أنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّا نقاتل، فنَقْتُل ولا نُقْتَل في سبيل اللَّه؛ فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية، وأشركَهم جميعًا في الأجر. ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ أي: يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ أي: يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثوابًا جزيلًا.

(٧٥) - ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ أي: لَا مَانِع لكم من القتال ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ ومعناه: في تخليص العَجَزة مِن الرِّجال البالغين، والنِّساءِ، وصغار الأولادِ المقهورين في أيدي الكفَّار. ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾؛ أي: لا حيلةَ لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ إلَّا اللَّه، فيقولون: يا ربَّنا، أخرجنا من مكَّة التي أهلُها ظالمون بالشِّرك، وبظُلمنا بالمنعِ عن الخروج، وبحملِنا على الكفرِ بالدَّعوة إليه والتَّعذيبِ عليه. ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾؛ أي: وهيِّئ لنا مِن عندكَ مَن يتولَّى كفايتَنا. ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾؛ أي: وهيِّئ لنا مِن عندك مَن ينصرُنا، ويمنعُنا مِن عدوِّنا، وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى ﷺ عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم[١].

(٧٦) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في رضا اللَّه.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٢٥٧)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٨)، والتيسير في التفسير (٥/ ١١١)، وتفسير الجلالين(١/ ١١٣).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾؛ أي: الشيطان، وقيل: أي: الأصنام، والطَّاغوتُ: هو ما عُبِدَ من دون اللَّه تعالى. ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ هم الكفَّار. ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ أي: واهيًا لا يقاوم كيد الله بالكافرين.

(٧٧) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾أي: أمسِكوا عن قتال الكفار ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ عليهم الجهاد، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾أي: يخافون الكفار، وعذابهم، كخوفهم من عذاب الله -عز وجل- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: هلَّا أمهلتنا إلى الموتِ، فنموتَ على الفُرُش وهو سؤال طلب حكمةٍ، لا لاعتراضٍ ومعارضةٍ، بدليل أنَّهم لم يوبَّخوا على إسداء السُّؤال، بل أجيبوا، وذلك قولُه تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾؛ أي: التَّمتُّع بالحياةِ في الدُّنيا قليلٌ، وسيَنقضي عن قريب، ولو استُشهِدتم في القتال صِرتُم أحياءً، فتتَّصِلُ الحياةُ الفانيةُ بالحياةِ الباقيةِ في الآخرة. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾؛ أي: خيرٌ لمن اتَّقى اللَّه؛ فأطاعَه ولم يَعصِه. ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا تنقصون من أعمالكم قدر قشرة النواة فجاهدوا يقول: مَن اتَّقى اللَّه لم يُظلَم شيئًا، وإن قلَّ عمله، بل يُضاعَفُ ثوابُه، فأنتم إذا اتَّقيتم اللَّه، وجاهدتُم عدوَّه بأمرِه، لم يَبطُلْ سعيُكم.

(٧٨) - ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: حيثُما كنتُم أدرككمُ الموتُ، وهو تحريضٌ على الجهاد أيضًا؛ أي: ليس التَّخلُّف عن الجهاد بدافعٍ

للموت، وإذا أدرككم الموتُ لا محالة، فالموتُ في الجهاد أنفعُ وأرفع. ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ البرجُ: الحصنُ، وقيل: القصرُ، وقيل: البناءُ العالي، ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ هي القصورُ المرتفعةُ إلى عَنانِ السَّماء ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يقول: إنْ أصابَت هؤلاء المنافقين حالةٌ حسَنةٌ؛ نصرٌ وغنيمةٌ، أو خِصْبٌ وسَعةٌ، أو أمنٌ وعافيةٌ، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؛ أي: بعطاء اللَّه تعالى. ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: وإن أصابتهُم حالةٌ سيِّئةٌ؛ قتلٌ أو هزيمةٌ، أو جدبٌ أو بليَّةٌ، وبلاءٌ وشِدَّةٌ، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾؛ أي: بسببِك يا محمَّد؛ يتطيَّرون بك؛ كما قال ذلك قوم موسى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وكما قال قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٧]، وآخرون قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨]. ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؛ أي: قل يا محمَّدُ ﷺ: كلُّ ذلك بتقديرِ اللَّه، وهو سنَّة اللَّهِ تعالى في خلقه، ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، والقومُ هم المنافقون، والفقهُ: الفَهمُ، و﴿حَدِيثًا﴾ أي: يقولون ذلك عن قلَّة معرفةٍ، وغلَبةِ جهلٍ، لا يَفهمون شيئًا ممَّا قيل لهم على وجهه(١).

(٧٩) - ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. أي: ما أصابَك من ظفَرٍ أو سرورٍ؛ فمِن اللَّه، لا بحيلتِك ومَقدرتك. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾؛ أي: وما نالكَ مِن حالةٍ سيِّئةٍ فبسبب زَلَّةٍ منك، خاطبَ النبيَّ ﷺ، وأرادَ به أُمَّته،

---

(١) جامع البيان (٧/ ٢٣٥ - ٢٣٦)، التيسير في التفسير (٥/ ١٢٠).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَالِلَّهُعَنْهُمَا: أي: وما أصابَك وأصحابَك من مكروهٍ مِن العدوِّ وغيره فمِن نفسِك؛ أي: بذنوبِكم، وأنا قضيتُ ذلك عليكم. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ فمنكَ الدَّعوةُ وتبليغُ الرِّسالة، وليس إليك الحسنةُ والسيِّئة. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: عليك وعليهم، يجزي كلًّا بما شَهِدَ عليه. وقيل: أي: شاهدًا بأنَّك رسولُه(١).

(٨٠) - ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ في الدُّعاء إلى القتال وغيرِه. ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أي: أعرضَ عن طاعتِك يا محمَّد ﷺ. ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: رقيبًا عليهم، تُجبِرُهم على الإخلاص، وتعاقِبُ في تركِ ذلك.

(٨١) - ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾؛ أي: يقول المنافقون: هذه طاعةٌ، أو: مِنَّا طاعةٌ، أو: لأمرك طاعةٌ، يقولون هذا بحضرتِك. ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: خَرجوا وغابوا. ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: غيَّر، وقيل: دبَّر ليلًا، وقيل: أي: ألَّف وزخرفَ وغيَّر الذي تقول؛ أي: قولًا غير الذي تقول يا محمَّد ﷺ. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يأمرُ الملائكة بانتساخِه، ويُحاسِبُهم به يومَ القيامة، ويُجازيهم عليه. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن مكافأتِهم للحال، ونُسِخ ذلك بالأمر بالقتال. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: اعتمِد عليه، وثِقْ به؛ فإنَّه يكفيكَهُم. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: كافيًا ومتولِّيًا وناصرًا(٢).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، تأويلات أهل السنة" (٣/ ٢٦٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٨٢)، والبحر المحيط" (٧/ ٢٠٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وجامع البيان(٧/ ٤٧٢)، والتيسير في التفسير (٥/ ١٢٥).

(٨٢) - ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر، والتَّدبُّر في القرآن: التأمُّلُ في معانيه بعد تلاوته أو سماعه، أو طلبُ ما يَؤول إليه ظاهرُه مِن المعنى المرادِ به، ودلَّ هذا على بطلانِ التَّقليد، ووجوبِ طلبِ الدَّليل، وأنَّه حظُّ أهلِ العلم، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾؛ أي: تناقضًا في معانيه وتباينًا في نظمه، ولو لم يكن كلامُ اللَّه الحكيم منزَّلًا من عنده، وكان مِن كلام البَشر، لم يخلُ مِن أنْ يَلحقَهُ اختلالٌ في نظمِه أو معناه، وتناقضٌ فيما ذُكِر فيه.

(٨٣) - ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ أي: إذا أتى المنافقين خبرُ أمنٍ للسَّرايا التي بعثَها النبيُّ ﷺ، أو خبرُ خوفٍ لهم، أفشَوه. ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾؛ أي: تَركوهُ حتَّى يُخبِرهم الرَّسولُ ﷺ وهو حقيقةٌ؛ لأنَّه يُخبِرُ عن اللَّه بإخبارِه الصِّدقَ. ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: أمراءِ السَّرايا؛ ليُخبِروهم عن عَيانٍ، وهو على وجهِه وتمامِه. ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: لوصلَ إلى حقيقةِ علمِه الذين يَستخرجونَ الخبَرَ من أمراء السَّرايا والرَّسول. وقيل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾؛ أي: رجَعوا إليه في الاستخبار، ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: إلى الذين يَدخلون على النبيِّ ﷺ، ويَلوْنَ أمرَهُ؛ كالخلفاء الرَّاشدين الأربعة، وكبارِ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لعلِمَه المستنبطون؛ أي: الباحثون بالسُّؤال عن النبيِّ ﷺ. وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ للتبعيض؛ أي: بعضُ كبارِ الصحابة علموا ذلك بالبحث، ثمَّ أخبروا الناسَ عن حقيقتِه. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أيُّها المخلِصون. ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: في إذاعة الخبر. وقيل: هو على العموم، وهو متابعةُ الشَّيطان في الكفر والمعاصي.

(٨٤) - ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يا رسول الله ﷺ ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾؛ أي: لا تُلزَمُ الكلفةَ في الجهاد إلَّا في نفسِك، فاخرجْ وإن لم يُساعِدك أحدٌ، ولا شيءَ عليك بتخلُّفهم، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حُثَّهم على الجهادِ بذكرِ الثَّوابِ والعقاب، أو بما فيه من إعزازِ الدِّين وذبِّ الأعداء عن حوزةِ المسلمين، أو بوعدِ النُّصْرة والغنيمةِ والتَّمكين، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿عَسَى﴾ مِن اللَّه واجبٌ؛ لأنَّه إطماعٌ، والكريمُ إذا أطمَعَ أنجزَ، والكَفُّ: المنع، والبأسُ في الأصل: المكروه، ثمَّ يُوضَع موضعَ الحرب، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾؛ أي: بأسُ اللَّهِ الذي يوقِعُه بالمخالفين أمرُهُ أشدُّ، وتنكيلُه -أي: تعذيبُه- كذلك[1].

(٨٥) - ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾؛ أي: في تحريضِ المؤمنين على الجهاد ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾؛ لأنَّ الدالَّ على الخيرِ كفاعله. ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ وهي في تَجبين المؤمنين عن الجهاد على مقابلة القول الأوَّل، فيقول له: أولادُك صِغارٌ فارحمهم، ونفسُكَ ضعيفةٌ، والطَّريقُ بعيدٌ، وفي العدوِّ كثرةٌ، وفي المالِ قلَّةٌ، ونحو ذلك؛ يكن له حظٌّ من الوبال. والكِفْلُ: الحظُّ؛ وقيل: الكِفْلُ: المِثْلُ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾؛ أي: مقتدرًا، وقيل: أي: حافظًا، وقيل: أي: شاهدًا؛ أي: يَعلمُ مَن يشفع في حقٍّ ومَن يشفع في باطلٍ، ويحفظُ عليه عملَه ويُجازيه على وفقِه.

(٨٦) - ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي: إذا سُلِّمَ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٣٥١)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٨٤ - ٨٥).

عليكم في أسفارِكم للجهادِ، وهو تحيَّة الإسلام، فأجيبوا بأحسنَ منها؛ أي: بالزِّيادة على السَّلام، بذكرِ الرَّحمةِ والبَرَكات، أو ردُّوها أي: أجيبوها بقدرها، واحملوا صاحبها على ظاهر الحال مِن الإسلام، ولا تَقتُلوه؛ وقيل: هي عامَّةٌ في السَّلام. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾؛ أي: محاسبًا يحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها وقيل: أي: رقيبًا، وقيل: أي: حفيظًا(١).

(٨٧) - ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهو الحسيبُ وحده، والمقيتُ وحده؛ لا حسيبَ غيرُه، ولا مُقيتَ غيرُه. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللام في أوَّله والنونُ في آخره للقسَم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: في يوم القيامة، وقيل: أي: لَيَجمعنَّكُم في القبور إلى يومِ القيامة، وهي غايةٌ، ويومُ القيامة: يومُ القيامِ من القبورِ إلى أرض المحشر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ في كونه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أصدقَ مِن اللَّه فيما قال وأخبر وحدَّث، فثِقوا بما قال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وغير ذلك.

(٨٨) - ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ قال زيدُ بن ثابت: رجع قومٌ خرجوا مع رسول اللَّه ﷺ إلى أُحد، فاختلفَ النَّاس فيهم فرقتين، فنزلَت هذه الآيةُ(٢). ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ لكم؟ استفهامٌ بمعنى الاستنكار ﴿فِئَتَيْنِ﴾ أي: فرقتين؛ وسمَّاهم منافقين بعد إظهارهم الكفرَ بمكَّة؛

(١) جامع البيان (٧/ ٢٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢١٨).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم في (٢٧٧٦).

لنفاقِهم بالمدينة، وخفاءِ حالِهم على المسلمين. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: ردَّهم، وقيل: أي: نكسَهم، وقيل: أهلكهم. وفي اللغة: ركسه وأركسه؛ أي: ردَّه إلى الحالة الأولى، ومعنى الآية: والله ردَّهم إلى الكفر. ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار أي: هداية من أضله الله. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقًا يسلكه غيرَ الطريقِ الذي قضى اللَّهُ تعالى له به(١).

(٨٩) - ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ أي: تمنَّى هؤلاء أنْ تكفروا أنتم، فتستووا في الكفرِ المبيحِ للقَتل والسَّبي. ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: لا توالوهم ما داموا على الكفرِ الموجبِ للمُعاداة. ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: حتَّى يُسلِموا ويُهاجروا، فيعودوا إلى سبب الموالاة؛ لأنَّهم يصيرون أولياءَ اللَّه، فتَصلحُ موالاتُكم إيَّاهم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾؛ أي: أَعرضوا عن الإسلامِ والهجرة. ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ الأخذُ: الأسر. ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: في الحِلِّ والحَرَم. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ أي: لا تتولَّوهم، ولا تَستنصِروا بهم على عدوِّكم.

(٩٠) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾؛ أي: يَتَّصلون ويَلتجئون إلى قومٍ مِن أهل عهدكم بعهدٍ وأمانٍ؛ أي: إذا قَصدوا حضرةَ النبيِّ ﷺ، وتعذَّر الوصولُ إليه؛ فالتجؤوا إلى قومٍ معهم للمسلمين عهدٌ، فأمَّنوهم، فأنفِذُوا أمانَهم، ولا تَقتلوهم. ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ضاقت. ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ وضيقُ صدورِهم عن قتال المؤمنين

---

(١) زاد المسير (٢/ ١٥٥)، وجامع البيان (٧/ ٢٨٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٨٨).

بإلقاءِ اللَّه تعالى الرُّعبَ في قلوبِهم، وضيقُ صدورِهم عن قتالهم قومَهم أنَّهم على دينِهم، فكانوا لا يصلون إلى نهب الأموال. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوِّيهم بعد ضعفِهم، أو ينزعَ الرُّعبَ عن قلوبهم، يقول: اذكروا مِنَّتي، ولا تُعجَبوا بأحوالكم، فإنَّ عجزهم عنكم بإعجازي، لا بكم. ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ عطفٌ على: سلَّطهم، وتكرار اللَّام للتَّأكيد، ولو قال: فقاتلوكم، لاستقام أيضًا؛ لأن اللفظ القرآني أبلغ بالطبع ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي: تركوا مخالطةَ المسلمين؛ لأنَّهم إذا كان بهم قوَّةٌ، فالاحتياطُ في تركِ الاختلاط. ﴿فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ هو تفسيرُ الاعتزال، فإن اعتَزلوا عن قتالِكم. ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾؛ أي: الانقيادَ؛ أي: استسلَموا لكم بطلبِ الأمان، وقيل: أي: بالإيمان. ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقًا إلى القِتال واستباحةِ الأرواحِ والأموال[(١)].

(٩١) - ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾؛ أي: قومًا آخرين من المنافقين. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: إذا لقُوا المؤمنين قالوا: آمنَّا، وإذا خلوا إلى شياطينِهم؛ قالوا: إنَّا معكم؛ ليَأمنوا قتلَ الفريقَين إيَّاهم. قيل: هم أسدٌ وغطَفان، كانوا حاضري المدينة، وكانوا تكلَّموا بالإسلام، وهم غير مسلمين. وقيل: نَزلت في نُعَيم ابن مسعود الأشجعيِّ، كان يَأتي النَّبيَّ ﷺ بخبر المشركين، ويأتي المشركين بخبر النبيِّ ﷺ فيأمنُهم جميعًا، فأمرَ اللَّه تعالى نبيَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ بطردِه، وألَّا يتركَهُ يدخلُ عليه، ففعل. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ أي: كلَّما دُعوا إلى الشِّرك؛ عادوا فيه وأجابوا إليه، و﴿الْفِتْنَةِ﴾: الشِّرك، والإركاسُ: الرَّدُّ إلى الحالة

---

(١) الكشاف (٢/ ٩٠)، والتيسير في التفسير (٥/ ١٤٨)، والكشف والبيان (٣/ ٣٥٧).

الأولى. ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾؛ أي: لم يُجانِبوا قتالَكم وقيل: فإن لم يَتركوا مخالطَتكم، بل خالَطوكم في وقتٍ، وخالَطوا قومَهم في وقتٍ؛ عملًا بالنِّفاق، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي: ولم يَنقادوا لكم بطلبِ الصُّلح. ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: ولم يُمسِكوا عن محاربتِكم. ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي: وجدتموهم؛ أي: في أيِّ موضعٍ أخذتُموهم مِن الحلِّ والحرَم والأشهرِ الحُرُم. ﴿وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾؛ أي: فقد أبحنا لكم دماءَهم وأموالَهم، وجعلنا حجَّتكم عليهم قائمةً؛ لدوامِهم على النِّفاق[١].

(٩٢) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾؛ أي: وما كان لمؤمنٍ في حكم اللَّه أنْ يتعمَّد قتلَ مؤمنٍ، ﴿إِلَّا خَطَأً﴾؛ أي: إلَّا أنْ يقعَ عندهُ أنَّه كافرٌ، فيقتلُه بناءً على ذلك، وقيل: معناه: ما كان لمؤمنٍ أن يَقتلَ مؤمنًا البتَّة، لكن من قَتَلَ خطأً فحكمُه كذا. وقيل: معناه: وما كان لمؤمنٍ أنْ يقتلَ مؤمنًا فلا يقتصَّ به، إلَّا أنْ يكونَ خطأً، فلا قصاص فيه[٢]. ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقيقٍ مسلمٍ ذكرًا كان أو أنثى؛ كفارةً لذلك حقًّا للَّه تعالى. ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ الدِّيَةُ: بدل النفس، واسمٌ للمال،، وهي عشرةُ آلاف درهم، أو ألفُ دينار، أو مئةٌ مِن الإبل، وأصلُها على القاتلِ، وتَتحمَّلها العاقلةُ تخفيفًا عليه، وهي في ثلاث سنين، ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي: أولياءِ المقتول؛ وهم ورثتُه. ﴿إِلَّا أَنْ

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٣٥٨)، وجامع البيان (٧/ ٣٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ٣٠٠)/ والتيسير في التفسير (٥/ ١٥٢).

﴿يَصَّدَّقُوا﴾ أصلُه: يَتصدَّقوا، أدغمت التَّاء في الصَّاد، ومعناه: إلَّا أنْ يُبرِئ الأولياءُ القاتلَ والعاقلةَ عنها؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[البقرة: ٢٨٠] كذلك قولُه تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾[المائدة: ٤٥] أي: عفا عن ذلك. ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾؛ أي: فإن كان المقتولُ مِن قومٍ أعداءٍ لكم، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: المقتولُ مؤمنٌ، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: فعليه تحرير رقبة مؤمنة من ماله، ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾؛ أي: إنْ كان المقتول ذمِّيًّا مِن أهل ذِمَّة أو موادعةٍ؛ فله عِصمةٌ بالإحراز بالدَّار. ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ دلَّ أنَّ دية الذِّمِّيِّ كديةِ المسلم، ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: وفيه الكفَّارة أيضًا. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾؛ أي: الرقبةَ المؤمنةَ. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾؛ أي: فعليه ذلك بدلًا عن التَّحرير. ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: تخفيفًا منه؛ كما قال: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[المزمل: ٢٠]، وأصلُ التَّوبة: الرُّجوع، فالمذنبُ يَتوبُ إلى اللَّه؛ أي: يَرجعُ إليه بالنَّدامة، والتَّوبةُ مِن اللَّه: إعادتُه إلى الحالة الأولى، والتَّخفيفُ عليه كذلك. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾؛ أي: عالمًا بالقاتل أنَّه عامدٌ أو مخطئٌ، وعالمًا بتكفيرِه أنَّه يَنوي به التَّوبةَ أو الإصرار، ﴿حَكِيمًا﴾ في شَرْعِ هذه الأحكام(١).

(٩٣) - ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾؛ أي: قاصدًا قتلَه وقيل: أي: قتلَهُ مستحلًّا لقتلِه، ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ هو جزاؤُه لو جازاه، لكنَّه يتفضَّل ولا يُخلِّده فيها لإيمانه. وقيل: التَّخليدُ ليس هو التَّأبيد، بل هو تطويلُ إبقائه فيها؛

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ٣٥٩)، وجامع البيان (٧/ ٣٠٦ - ٣٠٨).

فإنَّه لم يقل: فيها أبدًا، وفي كلِّ موضعٍ ذُكر الخلودُ مع الأبد، فهو للتَّأبيد. ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾؛ أي: انتقم منه، وطردَهُ مِن رحمتِه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ لاجترائِه على اللَّه.

(٩٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾؛ أي: سرتُم في طريقِ الغزوِ فتأنَّوا في قتلِ من تقتلونَهُ، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ مِن البيان؛ وهو العلم؛ أي: لا تَعجلوا، وتأمَّلوا لِتَعلموا. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، بالألف، هو تحيَّة الإسلام. وبغير ألفٍ، وهو الاستسلام[(١)]. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾؛ أي: تَطلبون متاعَ الحياةِ الدُّنيا، وعند اللَّه أجورٌ عظيمةٌ، وقيل: أي: عند اللَّه غنائم كثيرةٌ، فاطلبوها مِن حيث أذنَ لكم، وأباحَ لكم. ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كذلك كنتُم مِن قبلُ كفَّارًا تقاتلون على عرض الدُّنيا. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أنعمَ عليكم بالإسلام. ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ كرَّر الأمرَ به تأكيدًا في الوعظ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؛ أي: لا يخفى عليه إضمارُكم وإظهارُكم، وهو يجزيكم على ذلك.

(٩٥ - ٩٦) - ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ولمَّا أُمِروا بالتَّثبُّت في الجهاد؛ خافَ بعضُهم ما يَقعُ في الجهاد مِن ذلك، فكأنَّه عزمَ على ألَّا يخرجَ، فنزلَت هذه الآيةُ حثًّا لهم على الجهاد. ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ الزَّمانة، والضَّريرُ: الزَّمِن؛ وهو الأعمى والأشلُّ ونحوهما. ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛

---

(١) السبعة (١/ ٢٣٦)، والتيسير (١/ ٩٧).

أي: بعذر ﴿دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وعد اللَّهُ الجنَّة كلَّ المؤمنين؛ المجاهدين، والقاعدين بعذرٍ، والقاعدين بغير عذرٍ، وهذا لأنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، فإذا قامَ به البعضُ؛ سقط عن الباقين. ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ أي: بغيرِ عذرٍ، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثمَّ فسَّره بما بعده وهو قوله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا الثواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله تعالى لخاصة عباده المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها، ثمَّ ذكرَ في الآية مرَّةً: ﴿دَرَجَةً﴾، ومرَّةً: ﴿دَرَجَاتٍ﴾، وحاصلُه أنَّ اللَّهَ تعالى فضَّل المجاهد على القاعد بعذرٍ بدرجةٍ، والمجاهدَ على القاعد بغير عذرٍ بدرجاتٍ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: غفورًا لأوليائه رحيمًا بأهل طاعته.

(٩٧-٩٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ وأصله: تتوفَّاهم، أسقطت إحدى التاءَين تخفيفًا، والتوفِّي: قبض الروح. ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ هم ملكُ الموتِ وأعوانُه، أو هو وحدَهُ، وذُكِرَ باسم الجمعِ تعظيمًا له. ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ هو حالُ المقبوضين، والنُّون سقطَت للإضافة، وظلمُهم أنفسَهم: هو تركُ الهجرةِ، ثمَّ الرِّدَّة. ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾؛ أي: قالت الملائكةُ لهؤلاءِ الأربعين أو الخمسين الذين تخلَّفوا بمكَّة، ولم يهاجروا في ماذا كنتم؟ أي: في أيِّ أمرٍ كنتُم فشغلَكم عن الهجرة والجهاد؟ ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مكَّة؛ أي: كان أهلُ مكَّةَ يقهروننا، ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾؛ أي: قالت لهم الملائكةُ: ألم تكن أرضُ المدينةِ آمِنةً واسعةَ الرِّزق فتهاجروا إليها؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الإثبات، وهو ردّ عليهم عذرَهم، ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

﴿مَصِيرًا﴾ بسبب ظلمهم أنفسهم[١]، ولمَّا نزلَ هذا الوعيد، قال المسلمون: هلكَ إخوانُنا الذين بمكَّة، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾[٢]، لا قوة لهم على الهجرة إمَّا لضعفٍ في البدن، أو عُدْمٍ من الزَّادِ والمركب. ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يَعرفون طريقًا ولا يَجدون مَن يَهديهم.

(٩٩) - ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ و"عسى" مِن اللَّه واجبٌ؛ لأنَّه إطماعٌ، والكريمُ إذا أطمعَ أنجزَ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ أي: كان عفوًّا غفورًا لعباده قبل أنْ يخلقَهم. وقيل: أي: كذلك أجرى اللَّهُ العادةَ في الأوَّلين؛ وهو العفوُ والمغفرةُ للمعذورين، وكذلك يفعلُ بالآخِرين. وقيل: العفوُ: هو التَّخفيفُ برفعِ الإثم عنهم، وكان له أن يُغلِّظَ المحنةَ في التعبُّد عليهم.

(١٠٠) - ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾ أي: متحوَّلًا، وقيل: أي: مخرجًا عمَّا يَكرهُ. وقيل: أي: مبتغَى معيشةٍ. وقيل: أي: مهاجرًا وهو حقيقتُه، فإنَّ المُراغَمَ موضعُ المراغمةِ؛ وهي المهاجرةُ على رغم مَن كان فيهم. ﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتِّساعَ رزقٍ. وقيل: أي: توسُّعًا مِن تضييق الكفَّار عليه. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ أي: إلى حيث أمرَ اللَّهُ ورسولُه. ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فقد حصلَ له الأجرُ بوعدِ اللَّه، وهذا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٣٣٥)، لطائف الإشارات (١/ ٣٥٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٤)

(٢) أسباب النزول (١/ ١٧٠).

تأكيدٌ للوعدِ، فلا شيءَ يجبُ على اللَّه لأحدٍ من خلقِه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ يَغفرُ له ما كان منه من القُعود إلى أنْ خرج، ﴿رَحِيمًا﴾ يرحمُه بإكمال أجر المهاجرين له(١).

(١٠١) - ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ وهذا من الأمور التي يحتاجون إليها في جهادهم، يقول: إذا سرتُم في الأرض مسافرين؛ فلا مأثمَ عليكم في أنْ تنقصوا من أعداد ركعاتِ الصَّلاة، فتُصلُّوا الفرائضَ التي هي أربعٌ ركعتَين. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: إنْ خشيتم أنْ يَقصدَكُم الكفَّارُ بقتلٍ أو جرحٍ أو أخذٍ. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾؛ أي: أعداءً، أي: لعداوتهم الظاهرة يَنتهزون الفرصةَ، فتحرَّزوا عنهم.

(١٠٢) - ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾؛ أي: وإذا كنت يا محمَّدُ ﷺ في أصحابِك الضَّاربين في الأرض، فأردتَ أن تقيمَ بهم الصَّلاة. ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾؛ أي: فاجعلهُم طائفتين، ولتَقُم إحدى الطَّائفتين معك؛ يَفتتحون معك الصَّلاةَ، ويُصَلُّون معك ركعةً تامَّةً، ولتَقم الطَّائفةُ الأخرى بإزاء العدوِّ. ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ أي: قَطْعًا لطَمعِ العدوِّ فيهم. ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾؛ أي: إذا صلَّت هذه الطائفةُ التي معك ركعةً تامَّةً، فليَرجعوا ليَقفوا بإزاءِ العدوِّ. ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾؛ أي: ولتحضر الطَّائفةُ الواقفةُ بإزاءِ العدوِّ، فليَفتتحوا معك الصَّلاة، وليُصلُّوا معك

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٩٥)، وجامع البيان (٧/ ٤٠٠).

الرَّكعة الثَّانية. ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ أي: ما يَتحرَّزون به من العدوِّ، وأمر به الطَّائفة الثَّانية، وأَخْذُ السلاحِ: هو أَخْذُ ما يُقاتلون به العدوَّ مِن السُّيوفِ والرِّماح والقِسِيِّ ونحو ذلك. ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾؛ أي: تمنَّى الكفَّار غفلتكم، و﴿لَوْ﴾ كلمةُ تمنٍّ، والأسلحةُ: جمع السِّلاح؛ وهو كلُّ شيءٍ يُقاتَلُ به، والأمتعةُ: جمعُ متاعٍ؛ وهي الثِّيابُ ونحوها. ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: فيحملونَ عليكم حملةً واحدةً، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى﴾؛ أي: تعبٌ، ﴿مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾؛ أي: لئلَّا يَثْقُلَ عليكم حملُها، ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرَّزوا عنهم بسائرِ الوجوه. ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾؛ أي: إذا أخذتُم حِذركم؛ لم يُنْفِذِ اللَّهُ تعالى للكفَّار عليكم كيدًا؛ إذ هم أعداءُ اللَّه تعالى، وقد أعدَّ لهم في الدَّارينِ عذابًا مذِلًّا(١).

(١٠٣) - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ قيل: فإذا فرغتُم منها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: بكلِّ حالٍ، وهو الذِّكرُ باللسانِ، والدُّعاءُ بالنَّصر، فإنَّه حال ملاقاة العدوِّ، وهو كما قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقيل: أي: إذا أردتُّم أداءَ الصَّلاة؛ فصلُّوا قيامًا إنْ قدرتُم عليه، وقُعودًا إنْ عجزتم عن القيام، ومضطجعين إنْ عجزتم عن القعود. ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: إذا سكنتُم بزوالِ الخوف، فأتِمُّوا الصَّلاة بطائفةٍ واحدةٍ. وقيل: إذا اطمأننتُم بالصِّحَّة،

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٣٤٦)، والتيسير في التفسير (٥/ ١٧٦).

فأتمُّوا بالقيام والقعودِ، والرُّكوع والسُّجود. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي: إنَّ الصلاة فريضةٌ مِن اللَّه تعالى، مفروضةٌ لأوقاتٍ معلومةٍ، كلَّما مضى وقتُ صلاةٍ واحدةٍ؛ جاء وقت صلاةٍ أخرى.

(١٠٤) - ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾؛ أي: لا تَضعُفوا في طلبِ العدوِّ في مكامنهم، نَزلَت في أهل أُحُدٍ، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾؛ أي: تُوجَعون. ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾؛ أي: تأمَلون الحياةَ الباقيةَ بالشَّهادةِ والرِّزقِ الدَّائمِ في الآخرة، والظَّفَرِ والنُّصرةِ في الدُّنيا، وهم لا يَأملون ذلك. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: ﴿عَلِيمًا﴾ بمصالحِ العباد حين دعاهُم إلى الجهاد، ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيرِ أمورهم. وقيل: عَلِيمًا بما ينالُ المؤمنين من الألمِ في سبيله، ﴿حَكِيمًا﴾ لا يُسوِّي بينَهم وبين الكفَّار في جزائِه[(١)].

(١٠٥-١٠٦) - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالحكمِ الحقِّ، وقيل: بحقِّ اللَّه عليكم، وقيل: بحقِّ بعضهم على بعضٍ. ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾؛ أي: أعلمَك، وهي مِن رؤيةِ القلب، ودل ذلك على جوازِ الاجتهاد فيما لا نصَّ فيه. ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: للمنافقين معينًا في الخصومة. وقيل: الخصمُ في الحقِّ، والخصيمُ في الباطل، والآية نزلت في طعمةَ بن أُبَيرق الأوسيِّ، وكان سرقَ دِرعًا مِن جار لهُ يقال له: قتادة بن النُّعمان الأنصاريُّ وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٠٣)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢١٣)، ولطائف الإشارات (١/ ٣٥٨ - ٣٥٩)، والتيسير في التفسير (٥/ ١٨١).

النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه فنزلت(١). ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾؛ أي: مِن قصدك قطعَ اليهوديِّ بغير سرقةٍ، والذَّبَّ عن طعمة. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾؛ أي: لمن استغفر.

(١٠٧) - ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾؛ أي: عن طبقة طعمة، وهم إن خانوا غيرهم، فقد أضرُّوا بأنفسِهم، فكان ذلك خيانةً في حقِّ أنفسهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾؛ أي: كثيرَ الخيانة، سمَّاه به لسرقتِه مرَّاتٍ. ﴿أَثِيمًا﴾ أي: كثير الإثم، والأثيمُ أبلغُ من الآثم؛ كالشَّهيد أبلغُ مِن الشَّاهد، والرَّحيم أبلغُ من الرَّاحم، وإثمُه كان بيمينِه الكاذبة، ورميِهِ اليهوديَّ البريءَ بالسرقة.

(١٠٨) - ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ أي: يَستترون بمعاصيهِم في أخذ الأموالِ وجحد الحقوق، ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾؛ أي: لا يُمكنُهم الاختفاءُ عن اللَّه تعالى، فإنَّه مطَّلعٌ على سرائرهم. ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يدبِّرون بالليل، وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾؛ أي: مِن تبرئة طُعمة، واتِّهامِ اليهوديِّ البريء. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾؛ أي: عالمًا بكلِّ وجوهِه(٢).

(١٠٩) - ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ "ها" تنبيهٌ، و﴿وَأَنْتُمْ﴾ خطابٌ لرهطِ طُعمة، و﴿هَؤُلَاءِ﴾ بمعنى: يا هؤلاء، وقيل: بمعنى: الذين. ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: خاصمتُم عن الخائنين، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا

---

(١) أسباب النزول للواحدي (١/ ١٧٣)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٠٤)، وتفسير الجلالين (١/ ١٢١).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٣٥٩ - ٣٦٠)، والتفسير البسيط (٧/ ٧٦).

عذبهم، وهو استفهامٌ بمعنى النفي، ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: حافظًا؛ كالموكَّل على الشيء يَحفظُهُ.

(١١٠) - ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾؛ أي: ما يسوءُ غيرَهُ مِن سرقةٍ وخيانةٍ وتهمةٍ بباطلٍ، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ أي: يَعملْ ما يَضُرُّ به نفسَه. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ دعاهم إلى التَّوبة والاستغفارِ ليغفرَ لهم ما كان مِنهم مِن الأوزار، والآيةُ عامَّةٌ في كلِّ الذُّنوب، وهي أرجى آيةٍ في القرآن، والاستغفارُ هو سؤالُ المغفرة مع النَّدمِ على المعصية.

(١١١) - ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ أي: مَن فعلَ ما يَأثمُ به؛ فهو على نفسِه، لا يُعاقَب به غيرُه، وإن أراد تحميلَه غيرَه كما أرادهُ طعمةُ وقومه، ولا يَخفى ذلك على اللَّه تعالى؛ لأنَّه عليمٌ، وهو حكيمٌ لا يَضعُ الشَّيءَ غير موضعِه، ولا يُعاقِب بالذَّنبِ غيرَ فاعلِه.

(١١٢) - ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾؛ أي: بغير عمدٍ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي: بعمدٍ. ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾؛ أي: يتَّهم بالإثم مَن كان بريئًا عنه، ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾؛ أي: كَذِبًا محيِّرًا مَنْ كَذبَ عليه، لغايةِ استحالته. ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ أي: وِزْرًا ظاهرًا؛ أي: يُظهِرُهُ اللَّهُ تعالى، فيُعرَفُ بالبُهتان في الدُّنيا، ويعاقَبُ بإثمه في العُقبى.

(١١٣) - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ أي: ولولا توفيقُ اللَّهِ وعصمتُه لك يا محمَّد ﷺ. ﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾؛ أي: لقَصَدت جماعةٌ مِن قوم طُعمةَ أن يزلوك بتبرئة طُعمةَ وقطعِ اليهوديِّ. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: وما يكون وبالُ ذلك إلَّا عليهم. ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾؛

أي: شيئًا، و﴿وَمِنْ﴾ للتأكيد. ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ أي: القرآنَ وبيانَ القرآنِ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾؛ أي: مِن أمورِ الدِّين، وقيل: مِن أنباءِ الأوَّلين. ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾؛ أي: مِن وقتِ خلقك إلى الآن بكلِّ شيء، فلم يكن ليترُكَ عصمتَك عن إزلالِ المنافقين، مع ما لهُ عليكَ مِن الفضلِ المبين.

(١١٤) - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ النَّجوى: الاسمُ مِن المناجاةِ؛ وهي المسارَّة، ولمَّا بيَّت طائفةٌ لا يَرضى مِن القول، أخبرَ اللَّهُ أنَّه لا خيرَ في مثل تلك المسارَّة ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، يعني: بتَصَدُّقٍ بمالٍ على محتاج. ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قيل: أي: قرضٍ، وقيل: أي: قولٍ حسن. ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾؛ أي: عند فسادٍ وقعَ بينهم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ أي: شيئًا من هذه الثَّلاثة، ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لطلبِ رضا اللَّه. ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يعلم مقداره إلا الله.

(١١٥) - ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾؛ أي: ومن يُعادِهِ ويخالفْهُ، ويكن في شِقٍّ غير شقِّه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾؛ أي: ظهرَ له الرُّشدُ فأسلمَ. ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يَكفُرْ، ويَسلُك غيرَ سبيل المؤمنين، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾؛ أي: نَكِلْهُ إلى ما اختارَهُ مِن الكفر. ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هذا ظاهرٌ، وهذا في شأن طُعمةَ؛ ارتدَّ وهلكَ في الكُفر، ثمَّ إنَّ الآيةَ بصيغتِها عامَّةٌ في حقِّ مَن اتَّصف بهذه الصِّفات، وفيها دليلٌ على أنَّ الإجماع حُجَّةٌ، ومُتَّبع غيرِ سبيلِ المؤمنين ضالٌّ[1].

(١) التيسير في التفسير (٥/ ١٩٣).

(١١٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ خرج طعمة من مكَّة، ولحق بحرَّةِ بني سُلَيم، فعبدَ صنمَهم حتَّى ماتَ على الشِّركِ، فنزلَ فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(٢)، فبيَّن أنَّ طُعمةَ لو لم يُشرِك، لكان في سَعَةِ رحمةِ اللَّه أن يَغفِر له[(١)]. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾؛ أي: تَناهى تماديهِ في الضَّلال؛ إذ لا جهلَ أفحشُ مِن الجهلِ باللَّه.

(١١٧) - ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ أي: ما يَعبدون من دون اللَّه إلَّا أوثانًا، وهذا تعجيبٌ مِن بعضِ جهالات أهل الشِّرك، ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ أي: وما يعبدون إلَّا شيطانًا عاتيًا خبيثًا، خارجًا عن طاعة اللَّه، ظاهرًا شرُّه.

(١١٨) - ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: طردَهُ وأبعدَه مِن رحمتِه. ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾؛ أي: لأجتهدنَّ في إضلالِ عبادِك حتَّى يصيرَ لي سهمٌ مقدَّرٌ معلومٌ، وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ اللَّه تعالى كان قال له: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ﴾ [ص: ٨٥].

(١١٩) - ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ أي: لأصرِفنَّهم من الهُدى إلى الضَّلال بالدُّعاء والتزيين والاستزلال، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾؛ أي: ولأُلقِيَنَّ في قلوبِهم الأمانيَّ، وقيل: معناهُ: لأشغلنَّهم بالأمانيِّ عن الإيمانِ والطَّاعات. ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ والبتْكُ: القطعُ، والتَّبتيكُ: للتَّكْثير والتكرير، و﴿الْأَنْعَامِ﴾: الإبلُ والبقرُ والغنم؛ أي: لأحملنَّهم على أنْ يَقطعوا آذانَ هذه الأشياء ويحرِّموها على أنفسِهم

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٧).

بجعلِها للأصنام، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾؛ أي: لَأُزَيِّنَنَّ لهم تغييرَ دينِ اللَّه تعالى الذي فطرَ النَّاسَ عليه، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[الروم: ٣٠][الروم: ٣٠]. وقيل: أي: فليغيِّرُنَّ الأشياءَ عمَّا خُلِقت له، فيَجعلون للحجارةِ والخشبِ والطِّين منازلَ مَن يستحقُّ العبادةَ، واللَّهُ تعالى لم يَخلقها لهذا، ويُحرِّمون الأنعامَ والحرثَ، فلا يأكلونَها، ولا يَنتفعون بها، وإنَّما خَلقَها اللَّهُ تعالى للمنافع. ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يتولَّى مصالحَه، ويَكفيه مُهِمَّهُ، حتَّى انقادَ لأمرِه، وأطاعَه، وحرَّمَ ما أحلَّهُ اللَّه بقوله. ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾؛ أي: في الدُّنيا والآخرةِ؛ بفوت الطيِّبات، والوقوع في العقوبات[1].

(١٢٠-١٢١) - ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾؛ أي: يعدهُم البقاءَ في الدُّنيا، ويُمَنِّيهم ذلك بالوسوسة. وقيل: يعدهم الفقر. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: خداعًا. ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: هؤلاء الذين اتَّبعوه مصيرُهُم النَّار، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾؛ أي: معدلًا.

(١٢٢) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ولم يتبَّعوا الشيطانَ في الأمرِ بالكفر والمعاصي. ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: صدقًا، لا كوعد الشيطان. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾؛ أي: قولًا، استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أصدقَ مِن اللَّه قولًا.

(١٢٣) - ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾؛ أي: ليس الأمرُ

(١) جامع البيان (٧/ ٤٩٤ - ٤٩٦).

على شهواتِكم وأمانيكم أيُّها المشركون، تقولون في آلهتكم: هم شفعاؤنا عندَ اللَّه، ولا على شهواتِ اليهودِ والنَّصارى؛ يقولون: نحن أبناءُ اللَّه وأحباؤه، ولن تمسَّنا النَّارُ إلَّا أيَّامًا معدودات. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؛ أي: مِن المشركين وأهلِ الكتاب وغيرِهم. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾؛ أي: شركًا[١]. ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ في حقِّ الكافرِ على الإطلاق؛ أنَّه لا يجدُ مَن يَتولَّى حفظَه عن العذاب أصلًا، ولا مَن يَنصرُه فيُعينه، أو يمنعُه عمَّا يُرادُ به من العقاب فعلًا، وفي حقِّ المؤمن أنَّ العاصيَ الذي يُعذِّبه اللَّهُ مدَّةً، ثمَّ يُخرِجه مِن النَّار، ويدخِلُهُ الجنَّة؛ ليس له وليٌّ ولا نصيرٌ يَدفع عنه هذا العذابَ المؤقَّتَ.

(١٢٤) - ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: ومن يعمل شيئًا من الصالحات من ذكرٍ وأنثى، وهو خاص الإيمان، فسوف يدخل الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة[٢].

(١٢٥) - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣]؛ قالت اليهودُ والنَّصارى: لقد استوينا كلُّنا، فنزلَت هذه الآيةُ في إبطالِ دينِهم وتفضيلِ دين الإسلام. ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: أخلصَ دينَه للَّه. وقيل: أي: عملَه، والوجهُ أشرفُ أعضاءِ الإنسان؛ فخُصَّ بالذِّكر، ولأنَّ الانقيادَ يَظهرُ في الوجه، ﴿وَهُوَ

---

(١) تفسير ابنُ أبي حاتم (٤/ ١٠٧٢).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ١٢٤).

﴿مُحْسِنٌ﴾ قيل: الأول في الاعتقاد، وهذا في العمل. وقيل: أي: أسلمَ وجهَه وهو محسِنٌ في حقِّ عبادِ اللَّه تعالى. ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ خصَّه بالذِّكر؛ إذ هو أجلُّ الأنبياء المفتَخرِ بهم لأهل الكتاب، ثمَّ هم خالفوهُ في دينِه، فأبطَلوا فضائلَهم، وهو أيضًا ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مستقيمًا على منهاجِه في إقامة الشَّرائع. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أثنى عليه بذلك، وهو أنَّه جعله مختصًّا بالانقطاع إليه؛ بصبرِه وتحمُّلِ المكارهِ في إقامة دينِه، حتَّى هجرَ أهلَه وولدَهُ، وفارقَ وطنَه وبلده، وبذلَ نفسَه ومالَه وولدَه، والخُلَّةُ: المودَّة التي توجِب الاختصاصَ بتخلُّل الأسرار، فإبراهيمُ خليلُ اللَّه؛ أي: المحتاجُ إليه، المنقطعُ إليه بحاجتِه وإظهارِ فاقتِه(١).

(١٢٦) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: مُلكًا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾؛ أي: عِلمًا، بيَّن أنَّه وإنْ رفعَ منزلتَهُ، وأعلى درجتَهُ، فهو عبده، ويحيطُ بكلٍّ مِن موافقِيه ومخالفيه علمُه.

(١٢٧) - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي: يطلبون من الفتوى ومن الإحسان المجاملةُ في حقِّ اليتامى والنِّساء. ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾؛ أي: يجيبكم عن سؤالكم ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: ويفتيكم فيما يتلى عليكم، وقيل: والكتابُ المتلوُّ عليكم يُفتيكم؛ أي: يُبيِّنُ لكم، ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾؛ أي: اليتيماتِ مِن النِّساء، واليَتامى يَصلحُ للذُّكور والإناث جميعًا. ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾؛ أي: لا تُعطونهنَّ ما فُرِضَ لهنَّ من المهورِ؛ لعدم المال لكم. ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾؛ أي: تُحِبُّونَ نكاحهنَّ، وتَرغبون في

---

(١) جامع البيان (٧/ ٥٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٧٢).

ذلك. وقيل: أي: لا تفرضونَ لهنَّ صداقَ أمثالِهنَّ، بل تحطُّون عن ذلك ظلمًا. وقيل: أي: لا تُعطونهنَّ ميراثهنَّ، فتَظلمون مِن هذا الوجه، وتظلمونهنَّ أيضًا بنكاحهنَّ بما دون مهورهنَّ. ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾؛ أي: عن أن تنكحوهنَّ، ولعدمِ الرغبةِ فيهنَّ لا تنكحونهنَّ، ولرغبتكم في أموالهن تَعضلونهنَّ؛ لتَرثوهنَّ إذا متنَ. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: وما يُتلَى عليكم في أوَّل السُّورة يُفتيكُم في هؤلاء أيضًا، وهو قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾[النساء: ٢]، ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾[النساء: ٢]، ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾[النساء: ٦]، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾[النساء: ٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾[النساء: ١٠]، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾وقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: مِن اتِّباعِ أمرٍ، واجتنابِ نهيٍ، فقد سبقَ علمُ اللَّه بكونه منكم، وهو جازيكم عليه(١).

(١٢٨) - ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾هو جوابُ سؤالهم عن أمورِ النِّساء، وتحقيقُ وعدِه: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، وهو في خويلة بنتِ محمَّدِ بن مسلمة وقوله: ﴿خَافَتْ﴾؛ أي: علمت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾؛ أي: زوجِها. ﴿نُشُوزًا﴾؛ أي: ترفُّعًا وكراهةَ صحبةٍ. ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾أي: تولِّيًا بوجهه. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾على أن تكونَ القديمةُ هي القيِّمةَ في البيت، وفي يدها الرَّفعُ والوضع، والقَسْمُ للحديثة، فيكون للشَّابَّةِ لذَّةُ الصُّحبَة، وللعجوزِ مراعاةُ الحرمة. ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ أي: الصُّلحُ منهما على هذا الوجهِ أحسنُ من الدَّوامِ على

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٣٧٢) وتفسير مقاتل (١/ ٤١٢)، والكشف والبيان (٣/ ٣٩٤).

المخالفةِ والنُّشوزِ والإعراض؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى الفِراق. ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾؛ أي: وطُبِعت الأنفسُ على الشُّحِّ، وهو البخلُ ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ أي: إنْ تُحسِنوا أيُّها الأزواجُ بالإجابةِ إلى الصُّلح. وقيل: أي: بإيفاءِ حقِّ المسنَّةِ. ﴿وَتَتَّقُوا﴾ قيل: أي: تتَّقوا الميلَ. وقيل: وتتَّقوا الفِراقَ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: يَعلمُ ذلك، ويُجازي عليه(١).

(١٢٩) - ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾؛ أي: ولن تَقدِروا أن تُسوُّوا بين نسائكم في العدلِ في الحبِّ وإنْ جهِدتُم؛ لأنَّ الحُبَّ عملُ القلبِ الذي لا يملِكُه الإنسان. ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾؛ أي: لا تَجمعوا بين ميلِ القلوب وميلِ الأفعال في القَسمِ والنَّفقة. ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ المعلَّقةُ: ألَّا تكونَ ذاتَ زوجٍ ولا مطلَّقة، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قيل: إن تُصلِحوا ذاتَ بينِكم في حسنِ الصُّحبة. وقيل: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ أعمالَكم بتركِ كلِّ الميل، وتتَّقوا الجورَ. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لما في قلبكم من الميل ورحيم بكم في ذلك.

(١٣٠) - ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾؛ أي: وإنْ لم يصطلحِ الزَّوجان على شيءٍ، وتفرَّقا بالخلعِ، أو بتطليقِهِ إيَّاها، وإيفائِه مهرَها ونفقةَ عدَّتها؛ أغنى اللَّهُ كلَّ واحدٍ منهما عن صاحبِه، وكفاهُ أمرَهُ بغيرِه. ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾؛ أي: مِن غِناه، وقيل: أي: مِن كمال قدرتِه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ أي: غنيًّا. وقيل: أي: قادرًا، يسع قدرتُه إغناءَهما وغيرَ ذلك، ﴿حَكِيمًا﴾ لا يأمرُ عبادَهُ إلَّا بما هو

(١) التيسير في التفسير (٥/ ٢١٨).

مصلحةٌ وحكمة.

(١٣١) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهو بيانُ السَّعةِ المذكورةِ في الآية الأولى، وبيانُ أنَّه قادرٌ على إغنائهما، فلهُ ما في السَّماوات وما في الأرض. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: أمرنا الكلَّ بتقوى اللَّه، وهو: أنْ تَعبدوه وتُطيعوه، هذه وصيَّةُ اللَّه في الأوَّلين والآخرين، لم يلحقها نسخٌ ولا تَبديل. ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾؛ أي: مستغنيًا عن إيمانِ الخلق، وعن كلِّ شيءٍ، ﴿حَمِيدًا﴾ مستَحِقًّا للحمدِ بذاتِهِ وصفاتِه وأفعالِه، لا بحَمدِ خلقِه.

(١٣٢) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: حفيظًا، وقيل: قائمًا بالتَّدبير. وإنَّما كرَّر ذِكر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثلاثًا؛ للبيانِ عن عللٍ ثلاث، يقول: وجَبَتْ طاعةُ اللَّه فيما وصى به؛ لأنَّ له ملكَ السَّماوات والأرض، وهو غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ، حميدٌ بذاتِه، مستَحِقٌّ للحمد؛ لأنَّ له ملكَ السَّماوات والأرض، حفيظٌ لكلِّ شيءٍ، قائمٌ بتدبيرِ كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ له ملكَ السَّماوات والأرض.

(١٣٣) - ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ أي: يهلككم. ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾؛ أي: ويخلق قومًا آخرين أطوعَ منكم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾؛ أي: على الاستبدالِ، ويجوزُ أنْ يكونَ خطابًا للكفَّارِ، وتخويفًا لهم، ويجوز أن يكون لكلِّ العصاة.

(١٣٤) - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾؛

أي: من طلبَ بعمله ثوابَ الدُّنيا، لم يَنلْه بإرادتِه وعملِه؛ فإنَّ ثوابَ الدُّنيا والآخرة بيدِ اللَّه تعالى، وهو المعطي، فليَطلب بعَملِه وجهَ اللَّه الذي يملكهُما؛ ليعطيَه إيَّاهما.

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ للأقوال، ﴿بَصِيرًا﴾ بالأفعال، وهو وعدٌ ووعيدٌ أنَّه يجزي كلًّا على وفق عمله(١).

(١٣٥) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ أكثرُ هذه السُّورةِ في الأمر بالقِسطِ في المعاملات، وهذه الآيةُ في الأمر بالقسطِ في الشَّهادات، ولأنَّه ذكرَ مَن أرادَ بعملِه الدُّنيا، وقد يَمنعُ الشَّاهِدُ شهادةَ الحقِّ لطمعِ الدُّنيا، ﴿قَوَّامِينَ﴾ مبالغةٌ في قائمين، والقِسْطُ: العدل. أي: قوموا بالعدل، فاشهدوا للنَّاس على النَّاس بما لكم فيه شهادةٌ؛ لوجهِ اللَّه تعالى وتقرُّبًا إليه. ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ هذه كلمةُ تأكيدٍ؛ أي: وإن كان ضررُ تلك الشهادةِ عائدًا إليكم. وقيل: المرادُ مِن الشَّهادة على نفسِه: هو الإقرارُ بما عليه من الحقِّ لخصمِه؛ فإنَّ الشَّهادةَ إخبارٌ محقَّقٌ، والإقرارُ على نفسِه بما عليه من الحقِّ إخبارٌ. ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: وإنْ كانت شهادتُكم على آبائِكم وأمَّهاتِكم وأقاربكم، ولا يَسعكم منعُها حقًّا لهم. ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ أي: إن يكنْ مَن يُخاصِمُ غنيًّا أو فقيرًا. ﴿فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾؛ أي: أحقُّ بهما فيما اختار لهما من غنًى أو فقرٍ، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي: لا تَتَّبعوا الهوى لتكونوا عدولًا. وقيل: لا تَتَّبعوا الهوى في تركِ العدل، ﴿وَإِنْ تَلْوُوا﴾؛ أي: تُحرِّفوا الشَّهادةَ، فتَشهدوا على وجهٍ لا يَصِحُّ وتتعطَّل. ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾؛ أي: تتولَّوا عن أدائِها. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) جامع البيان (٧/ ٥٨٢)، ولطائف الإشارات (١/ ٣٧٢).

﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: مِن تحريفِ الشَّهادةِ وكتمانِها وأدائها على وجهِها، وهو وعدٌ ووعيدٌ بالجزاءِ على وفق العمل(١).

(١٣٦) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: داوموا على الإيمان بالله ورسوله ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل بمعنى الكتب ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: عن الحق(٢).

(١٣٧ - ١٣٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ هم المنافقون، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]، ويتكرَّر ذلك منهم. وازديادُ الكفرِ منهم ثباتُهم على الكفرِ إلى الموت، وهذا القولُ يؤيِّدُه ما بعدَه: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتَّوراةِ وبموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ مِن بعدِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعُزير، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعد عزيرٍ بالمسيح، ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: ليس مِن صفةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ مغفرةُ الكفرِ؛ فقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾؛ أي: سبيلَ الرُّشدِ ما كانوا مختارين

(١) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٦٨)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٩١). الدر المصون (٤/ ١١٨).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ١٢٧)، والنكت والعيون (١/ ٥٣٥)، والكشف والبيان (٣/ ٤٠١)، والبسيط (٧/ ١٤٦).

للكفر. وقيل: أي: لا يغفرُ لهم إذا ماتوا على الكفرِ، ولا يَهديهم طريقَ الجنَّة، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: ضعْ إخبارَهُم بالعذابِ الأليمِ موضعَ البشارةِ لهم(١).

(١٣٩) - ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه صفةُ المنافقين؛ أي: يتولَّون الكفَّار لا المؤمنين. ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾؛ أي: أيطلبون عند الكفَّارِ المنَعةَ؟، وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ. ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: المنعةُ مِن جميعِ وجوهها للَّه، لا يَمنعُ مِن عذابِهِ الذي يُنزِلُهُ بالمنافقين مانعٌ مِن هؤلاء الكفَّار الذين يتولَّونهم، ولأنَّ العزَّة والمنعةَ والغلبةَ إذا كانت له، فهو يُعِزُّ أولياءَه لا أعداءه.

(١٤٠) - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: نَزَّلَ اللَّهُ تعالى عليكم في القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾؛ أي: إذا جلستُم أيُّها المخلِصون مع المنافقين، وسمعتموهم يَكفرون بالقُرآن ويَستهزؤون به. ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾؛ أي: لا تَمكثوا على القعود عندهم حتَّى يشرعوا في كلامٍ غيرِ الكفرِ والاستهزاء بالقرآن. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾؛ أي: إذا مكثتُم معهم فأنتم مثلُهم في الوزرِ، والمرادُ بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ هو ما نزلَ بمكَّة في سورةِ الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] وكان ذلك في ابتداءِ الأمر حين لم يكنِ الأمرُ بالقتالِ واردًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ

---

(١) جامع البيان (٧/ ٥٩٧)، وبحر العلوم (١/ ٣٩٧)، وتفسير مقاتل (١/ ٤١٥).

﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ سوَّى بين المنافقين وبين الكافرين المجاهرين أنَّهم مخلَّدون في العذابِ أجمعين.

(١٤١) - ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ أي: يرتقبون بكم، ويَنتظرون عاقبةَ أمركم إذا غزوتُم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: فتحُ بلادِ الأعداء وغنيمةٌ. ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد خَرَجْنا معكم لغزوِ الأعداءِ. فطَلَبوا سهائم الغنيمة. ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ أي: حظٌّ مِن الغلبةِ على المسلمين. ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ الاستحواذُ: الاستيلاء، قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة: ١٩]. وقيل: أي الغلبةُ، ومعناه: قال المنافقون للكفَّار: ألم نستَوْلِ عليكم؟ أي: أحطنا بكم؛ يعني: لحياطتكم وتقويتِكم. ﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألم نجعلْكُم ممنوعِين من المؤمنين؛ أي: محفوظين؛ أي: ذببنا عنكم بالأسباب من تثبيطِ المؤمنين عن الجهاد وتعويقِهم بأشياء. ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: يقضي بينكم أيُّها الفريقان، فيُدخِلُ المنافقينَ النَّارَ، ويُدخِلُ المؤمنين الجنَّة. ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قيل: لن يجعلَ اللَّهُ لليهودِ على أصحاب محمَّدٍ ﷺ يدًا، وكان كذلك. وقال ابنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لن يجعلَ اللَّهُ للكافرين على المؤمنين حُجَّةً أبدًا[١].

(١٤٢) - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؛ أي: يُخادعونَ أولياءَ اللَّه وهم المؤمنون، فأضافَ خداعَهم إلى نفسِه؛ تشريفًا لهم، وهو مجازيهم على

(١) البسيط (٧/ ١٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٥).

ذلك، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ الكسلُ: هو التَّثاقلُ عن الشَّيء؛ لمشقَّتهِ على النَّفسِ وضعف الدواعي إليه، وهو خلاف النشاط: وهو الإسراعُ إلى الشَّيءِ لخفَّته على النَّفس وقوَّةِ الدَّواعي إليه، وكسلُهم لأنَّهم لا يَعتقدون وجوبَها، ولا يَعرفون فضلَها. ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾؛ أي: إنَّما يقومون إليها إراءَةً للمسلمين. ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: باللِّسانِ دون الاعتقاد.

(١٤٣) - ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: مترددين بين الإيمان والكفر ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ هو تفسيرُ المذبذبين؛ أي: متردِّدين متحيِّرينَ، لا إلى المسلمين بالكُلِّيَّةِ ظاهرًا وباطنًا، ولا إلى الكفَّار كذلك. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾؛ أي: ومن يخذله اللَّهُ، فلن تَجِدَ له سبيلًا؛ أي: يا محمَّد ﷺ، فلن تجد له طريقًا إلى الهدى؛ بما أضلَّهُ اللَّهُ باختيارِهِ الضَّلال.

(١٤٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بموالاتهم أي: لا تَصنعوا أيُّها المخلصونَ ما يَصنعُ المنافقون، ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ برهانًا بيِّنًا على نفاقكم، وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ.

(١٤٥) - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ الدَّركاتُ إلى أسفل، كالدَّرجاتِ إلى أعلى، والواحدُ دركٌ ودَرْك بالفتح والسكون. ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾؛ أي: الطبقِ الأسفلِ من النَّار، وهو أشدُّ عذابًا، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾؛ أي: مانعًا من عذابِ اللَّه.

(١٤٦) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ استثنى التَّائبين منهم، ترغيبًا لهم في

الرُّجوع، قوله: ﴿تَابُوا﴾؛ أي: رجَعوا عن النِّفاق بالإخلاص، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسَدوا مِن الأعمال، ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ اعتقدوا أنَّ العاصمَ هو اللَّهُ تعالى مِن المكاره، فلا يَعتصِمون بالخلق بعد هذا، كما كانوا يفعلونه قبل هذا، ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ عن الرِّياء ونحوه، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: في الثَّواب والدرجات، لا في العقابِ والدَّرَكات. ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ جمعَ الكلَّ في الوعدِ بإيتاءِ العظيم مِن الأجر.

(١٤٧) - ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الجحود؛ أي: لا يعذِّبُكم، ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾؛ أي: آمنتم باللَّه تعالى وشكرتُم له بالطَّاعة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾؛ أي: يَجزيكُم على شكرِكم. وقيل: الشُّكر مِن اللَّه تعالى: قَبولُ اليَسير مِن العمل، وإعطاءُ الكثيرِ من الثَّواب، وقوله: ﴿عَلِيمًا﴾؛ أي: عالمًا بصنيعِكم، وبقدرِ جزائِكُم على أعمالِكُم[١].

(١٤٨) - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ أي: لا يحبُّ اللَّهُ أنْ يَجهرَ بالسُّوء إلَّا مَن صارَ مظلومًا، و﴿الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ عند ابن عباسٍ وقتادةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: أنْ يدعوَ على ظالمه. وقيل: أن يَنتصِرَ مِن ظالمِه. ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ أي: ﴿سَمِيعًا﴾ لدعاءِ المظلوم، ﴿عَلِيمًا﴾ بفعل الظَّالم[٢].

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٣٨٠)، والتيسير في التفسير (٥/ ٢٣٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٢٦)، وجامع البيان(٧/ ٦٢٥ - ٦٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٠٠) وبحر العلوم (١/ ٤٠٠)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٤٠٣).

(١٤٩) - ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي: إن تظهروا شيئًا من أعمال البر، وقيل: هو إحسانُ القول فيمن جفاه، والإخفاء: هو إحسان النية في حق من آذاه. ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ هو التَّجاوزُ عمَّن ظلمَهُ في دنياه وعُقباه. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾؛ أي: اقتدِ بفعل اللَّه؛ فإنَّه كثيرُ العفوِ عن عباده، مع قدرته على عقوبتِهم. قيل: هو وعدٌ للعافي عن ظالِمه بعفوِ اللَّه عنه.

(١٥٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذكرَ أولًا المجاهرين بالكُفر، ثمَّ المنافقين، ثمَّ ذكر اليهودَ والنَّصارى، وإنَّها فيهم، ووصفَهم بالكفرِ باللَّه تعالى؛ لأنَّ كفرَهُم ببعضِ أنبيائه وكتبِه كفرٌ به؛ لأنَّه ردٌّ لقولِه. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ لـمَّا أضافهم اللَّه تعالى إلى نفسِه بأنَّهم رسلُه، وهم أنكروا رسالةَ بعضِهم، فقد فرَّقوا بقطعِ هذه الإضافة بينَهم وبينَ اللَّه. ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ هم لا يقولون بهذه اللَّفظة، لكنَّ اليهودَ يُصدِّقون بموسى وهارون وعزير، ويُؤمنونَ بالتَّوراةِ، ويَكفرونَ بعيسى والإنجيل، وبمحمدٍ والقرآن، والنَّصارى يَكفرون بمحمَّدٍ والقرآن، فرجعَ ذلك إلى هذا القولِ معنى. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي: دِينًا بينَ الإيمانِ بالكُلِّ والكفرِ بالكلِّ، وهو الإيمانُ بالبعضِ والكفرُ بالبعض، ثمَّ الجمعُ بين هذا كلِّه ليس بشرطٍ لثُبوتِ الكفر[١].

(١٥١) - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾. أي: الإيمانُ بالبعض والكفرُ بالبعض لا يجعلُهم مؤمنين مِن وجهٍ، بل هم كفَّار على الإطلاق. فالذين كفروا

(١) لطائف الإشارات (١/ ٣٨٢ - ٣٨٣)، وتفسير مقاتل (١/ ٤١٨).

حاقِّين فيه؛ أي: قاصدين له، جادِّين فيه، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾؛ أي: أعددنا، لهم عذابًا يهانون به ويعذبون..

(١٥٢) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾؛ أي: الثوابَ الموعودَ لهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يغفرُ لهم ما تَقدَّمَ مِنهم مِن الكفرِ قبل مجيء محمَّدٍ ﷺ، ويَرحمُهم، فلا يؤاخذُهم بذلك.

(١٥٣) - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: كعبُ بنُ الأشرف وفنحاصُ بن عازوراء وأصحابُهما، وقيل: يعني: بني قريظة والنضير. ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: كتابًا مكتوبًا مثلَ الألواحِ المنزَلةِ على موسى صلوات اللَّه عليه. ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾؛ أي: هؤلاء خَلَفُ سلفٍ اقترحوا وتحكَّموا على نبيِّهم موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع ما جاءهم بالألواح المكتوبة ما هو أكبرُ مِن هذا التَّحكُّمِ عليك، وهذا تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عيانًا، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾؛ أي: العذابُ الهائلُ، وقيل: النَّارُ المحرِقةُ، وقيل: النَّارُ فيها الصَّوت. ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾؛ أي: على أنفسهم بالتَّحكُّمِ على نبيِّهم في الآيات. ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ أي: اتخذ هؤلاء – الذين سألوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما سألوه من رؤية ربهم جهرةً، بعد ما أحياهم الله فبعثهم من صعقتهم – العجلَ الذي كان السامريُّ نبذ فيه ما نبذ من القبْضة التي قبضها من أثر فرس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلهًا يعبدونه من دون الله. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ قيل: هي الصاعقةُ، سمَّاها اللَّهُ مع توحُّدها: بيِّنات؛ لما فيها من دلائل الوحدانيةِ للَّه

تعالى، وصدقِ موسى، وتنبيهِهم على جهلهم، وغير ذلك. وقيل: هي الآياتُ التسع. ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾؛ أي: بالتَّوبةِ، ولم نستأصل الكلَّ. ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي: حجَّةً بيِّنةً قويَ بها على أعدائه.

(١٥٤) - ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾؛ أي: ورفعنا الجبل فوق رؤوسِهم؛ لأخذِ الميثاق عليهم بأخذِ الكتاب والعمل به، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ أي: باب إيلياء مطأطئين عند الدُّخولِ رؤوسَكم، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ بأخذِ السَّمك يومَ السَّبت، ﴿وَأَخَذْنَا﴾ عليهم بذلك كله عهدًا مؤكَّدًا غاية التأكيد.

(١٥٥) - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؛ أي: فبسببِ نقضِهم هذا الميثاقَ المأخوذَ عليهم، وبكفرِهم بآياتِ التَّوراة، وهو تحريفها، أو بكفرهم بالمعجزات التي أوردَها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليهم، وبقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام، وغيرهما من الأنبياء، مِن غير أنْ يُتصوَّر منهم سببُ استحقاق القتل، وبقولهم: قلوبنا غلف؛ أوعيةٌ للعلوم، أو هي في غلافٍ، فلا نفهم ما يُقال، فلا حاجة لنا إلى قول موسى، ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: ختم عليها فلا تعي وعظا هو ردٌّ لقولِهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه[١].

(١٥٦-١٥٧) - ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ قيل: وبكفرِهم بعيسى، والأوَّلُ كفرُهم بالتَّوراة وبمعجزاتِ موسى، فلم يكن تكرارًا،

(١) تفسير الجلالين (١/ ١٣٠).

وقيل: معناه أنَّهم كفروا كفرًا بعد كفرٍ، وكفرًا على كفر، فهو تفحيشٌ لحالهم وقولِهم على مريم بهتانًا عظيمًا حيث رموها بالزنا.

(١٥٧) - ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: وبقولهم، ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وهم لم يعتقدوهُ رسولَ اللّه، وله وجهان: أحدهما: أنَّهم قالوه استهزاءً به، والثاني: أنَّهم لم يقولوا: إنَّه رسولُ اللّه، ولكنَّ اللّهَ تعالى وصفَه به، ثمَّ إنَّهم لم يقتلوه، ولكن ادَّعوا ذلك كذبًا، فاستحقُّوا بذلك عقابَ قاتِله. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: خُيِّلَ لهم، فوقعَ عندهم أنَّ ذلك شبيهٌ به، فقتلوه، أو رأوا مقتولًا، وكانوا قصَدوا قتلَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فظنوا أنَّ المقتول عيسى، فادَّعوه. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: اختلفوا في قتله ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ أي: مِن قتلِه. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ فإنَّهم يَدَّعون قتلَه، وهم شاكُّون فيه؛ فإنَّه بعد قتلِهم ذلك الرَّجلَ كانوا يقولون: إنْ كان هذا عيسى، فأين صاحبُنا؟! وإن كان هذا صاحبَنا، فأين عيسى؟! ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي لم يَتيقَّنوا بقتِله فإنَّهم ادَّعوه، وهم على شكٍّ. وقيل: ما قتلوه، وهذا نفيٌ مطلقٌ، قوله تعالى: ﴿يَقِينًا﴾؛ أي: هذا النَّفي متيقَّنٌ، ليس فيه شبهةُ القتل[(١)].

(١٥٨- ١٥٩) - ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى السَّماء، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي: في ملكه وقيل: أي: منتقمًا مِن اليهود، ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه وقيل في رفعِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السَّماء حيًّا، ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٢٧)، والكشف والبيان (٣/ ٤٠٩)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٢٠)، وبحر العلوم (١/ ٤٠٢).

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: وما مِن أهلِ الكتابِ أحدٌ، إلَّا لَيُصَدِّقنَّ به، أو إلا من ليؤمننَّ به قبل موته، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: يكون عيسى عليهم شهيدًا بتكذيبِ مَن كذَّبهُ وتَصديقِ مَن صدَّقه.

(١٦٠) - ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾؛ أي: كانت أُحِلَّت لهم، أي: بسببِ ظلمِهم أنفسَهم بارتكابِ ما نُهوا عنه، ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾، وهو ما ذُكِرَ في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾[الأنعام: ١٤٦]. ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾؛ أي: بصرفِهم ومنعِهم، وهو بطريقين: بالقِتالِ، واستغواءِ الضَّعفَةِ والجُهَّال.

(١٦١) - ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا﴾؛ أي: وبأخذهم، ﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: في التَّوراة، ودلَّ على حُرمةِ الرِّبا في كلِّ الأمم. ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ هو أخذُ الرِّشا في الأحكام واستئكالُ أموالِ الأشرافِ بتَحريفِ الكتاب. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: دون مَن آمن. ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: مؤلمًا في الآخرة.

(١٦٢) - ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ أي: الثابتون ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: مِن أهل الكتاب، وهم عبدُ الله ابنُ سلام وأصحابُه. وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أصحاب النبيِّ ﷺ. ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ أي: بالقرآنِ والتَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبور. ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصبٌ على المدح، ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: المصدِّقونَ بوحدانية الله

تعالى، وبكون القيامةِ، ﴿أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ والأوَّلون أعتدنا لهم عذابًا أليمًا(١).

(١٦٣) - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لمَّا فضح اللَّهُ تعالى اليهودَ بذكرِ ذُنوبهم وعيوبِهم، غضبوا وقالوا: ليس هذا كلام اللَّه، وما أنزلَ اللَّهُ على بشرٍ مِن شيءٍ، فنزلَت هذه الآية. وبدأ بمحمَّدٍ ﷺ تشريفًا له؛ لأنَّه أفضلُ الأنبياء وأعظمُهم وإن كان خاتمًا لهم، ثمَّ جعلَ نوحًا ثانيَهُ في الوحي في هذه الآية، وإنَّما قدَّمه على سائر الأنبياء؛ لأنَّه أبو البشر، ولأنَّه أول نذير على الشِّرك، ولأنَّه أطولُ الأنبياءِ عمرًا، وأكبرُهم سِنًّا، وجُعِلَت معجزتُه في نفسِه، وهو أوَّلُ مَن شُرِعَت له الشَّرائعُ، وسُنَّت له السُّنن(٢). ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولادُ يعقوب. ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ قدَّمَ ذكرَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أيوب؛ لأنَّ البدايةَ تكونُ بالأهمِّ، وهذه الآيةُ في الإنكار على اليهودِ، وطعنِهم على عيسى؛ فلذلك قدَّم ذكرَهُ، ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى والضم مصدر بمعنى مزبورًا أي مكتوبًا، وأخَّره عن ذكرِ سليمان مع وجوده قبله؛ لما قلنا: إنَّ الواوَ ليس للترتيب، ولأنَّه أوفقُ لخواتم الآي.

(١٦٤) - ﴿وَرُسُلًا﴾ أي: أرسلنا ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: سمَّيناهم لك في القرآن، وعرفناكَهم إلى مَن بُعِثوا. ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ

---

(١) معاني القرآن (١/ ١٠٦)، وجامع البيان (٧/ ٦٨٠ - ٦٨١).

(٢) التيسير في التفسير (٥/ ٢٦٢).

﴿عَلَيْكَ﴾؛ أي: لم نسمِّهم لك، فالمسمَّون المذكورون في سورة الأنعام وغيرها، وهي مقدَّمةٌ في النُّزول، وإنْ كانت مؤخَّرةً في الكتابة. وسأل أبو ذَرٍّ رسولَ اللَّه ﷺ: كم الأنبياء؟ قال: "مئةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا" قال: كم الرُّسلُ منهم؟ قال: "ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشر؛ أوَّلُ الرُّسل آدم، وآخرُهم نبيُّكم محمَّدٌ ﷺ، وأوَّلُ رسلِ بني إسرائيل موسى، وآخرُهم عيسى، وبينهما ألفُ نبيٍّ؛ أربعةٌ منهم سريانيون، وأربعةٌ مِن العرب؛ هودٌ، وصالح، وشعيبٌ، ومحمَّدٌ عليهم الصَّلاة والسَّلام[(١)]". ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾؛ أي: بلا واسطةٍ.

(١٦٥) - ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالجنَّة لمن أطاعَ، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالنَّارِ لمن عصاه. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾؛ أي: لئلَّا يكونَ لهم الاحتجاجُ، فيقولوا ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ الآية [طه: ١٣٤]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾؛ أي: منيعًا قادرًا على إعزازِ من أعزَّه، وإذلال من أذلَّه، ﴿حَكِيمًا﴾ بوضعِ كلِّ شيءٍ موضعَهُ. وقيل: أي: قادرًا على إثابةِ مَن صدَّقهم وعقابِ من كذَّبهم[(٢)].

(١٦٦) - ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ قال الكلبيُّ رحمه اللَّه: إنَّ رؤساءَ مكَّة قالوا: يا محمَّد، إنَّا قد سألنا عنك اليهودَ وعن صفتِك، فزعَموا أنَّهم لا يعرفونَك في كتابِهم، فائتنا بمَن يشهدُ لك أنَّ اللَّهَ بعثَك إلينا رسولًا، فأنزلَ اللَّهُ

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣٦١)، والحاكم في المستدرك: (٤١٦٦).إسناده ضعيفٌ جدًّا.

(٢) البسيط (٧/ ١٩٥)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٤٢١).

تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ إلى قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٩]، قالوا: نعم يا محمَّد، نحن نشهدُ على ذلك، ولا نجدُ أحدًا يَشهد أنَّك رسولُ اللَّه، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ الآية(١). وشهادةُ اللَّه لرسوله: بما أظهرَ على يدِه مِن المعجزات، وهي شهادةٌ قاطعةٌ، ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أي: أنزلَ القرآنَ الذي فيه علمُه. وقيل: أي: أنزلَهُ عالمًا باستحقاقِك الإنزالَ عليك، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ شهادةُ الملائكة: إقرارُهم بنُبوَّتِه، وفي شهادةِ اللَّه كفايةٌ، وإنَّما قرنَ بها شهادةَ الملائكة؛ تشريفًا لهم، أو على مقابلةِ شهادتِهم بتكذيب الكفَّار، وقد عرفَ النبيُّ ﷺ كثرتَهم وشرفَهم عند اللَّه تعالى، فإذا علمَ شهادتَهم له بذلك، كان ذلك تسليةً له وغُنيةً عن شهادةِ الكفَّار.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾؛ أي: شاهدًا(٢).

(١٦٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ هم اليهودُ كفروا بتكذيب محمَّدٍ ﷺ، ومَنعوا النَّاسَ عن سبيلِ الحقِّ بقولِهم للعرب: إنَّا أهلُ العلم، وفي كتابنا أن شريعةَ موسى لا تُنسخُ أبدًا، والأنبياءَ لا يكونون إلَّا من ولدِ هارون، وضلُّوا بهذا ضلالًا بعيدًا عن الرُّشدِ وعن كلِّ خيرٍ.

(١٦٨ - ١٦٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾؛ أي: أنفسَهم بإيرادِها مواردَ الهَلَكة، وظلموا غيرَهم بصدِّهم عن سبيل اللَّه. ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: ليس مِن صفةِ اللَّهِ المغفرةُ لهم ما داموا على الكفر. ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

---

(١) أسباب النزول للواحدي (١/ ١٧٩) والكشف والبيان (٣/ ٤١٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٣٤).

طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ بخلاف ما قال في حقِّ المؤمنين: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]. أي: إلَّا طريق اليهوديَّة الذي هو طريقُ أهلِ جهنَّم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؛ أي: في جهنم. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ أي: كان تخليدُهم في جهنَّم عليه هيِّنًا، فهو قادرٌ على الكمال، لا يَتعذَّرُ عليه شيءٌ، ولا يَخرجُ عن قدرته مقدورٌ.

(١٧٠) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الحقُّ: شهادة أن لا إله إلا اللَّه. وقيل: هو القرآن. ﴿فَآمِنُوا﴾ أي: صدِّقوا. ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ قيل: أي: لخيرٍ لكم، ولأجل خيرٍ لكم. وقيل: هو نصبٌ على الدُّعاء؛ أي: أصبتُم خيرًا لكم. ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: فإن اللَّه غنيٌّ عن إيمانِكم؛ فإنَّ له ما في السَّماوات والأرض وما بينهما. وقيل: أي: هو قادرٌ على أن يَخسِفَ بكم الأرض، وأنْ يُنزِلَ عليكم من السَّماء العذابَ فإنهما له. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأعمال العبادِ كلِّهم؛ مؤمِنهم وكافِرهم، وعليمًا بجزائِهم، ﴿حَكِيمًا﴾ في جميع ما يَحكُمُ به[1].

(١٧١) - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾؛ أي: لا تَجاوزوا حدَّ الحقِّ، وهو خطابٌ لليهود والنَّصارى جميعًا، وغُلُوُّ اليهودِ في إساءةِ القول في عيسى، بتسميته ولدَ الزِّنا، وغُلُوُّ النَّصارى في مدحِ عيسى، بقولهم: عيسى هو اللَّه، أو ابنُ اللَّه، وثالثُ ثلاثةٍ، وهذا كلُّه كفرٌ. ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾؛ أي: الصِّدق؛ أي: لا تُضيفوا إليه الولدَ، ولا تَجعلوا عيسى متَّحدًا بخالقِه. ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

---

(١) البسيط (٧/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٦٩).

﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ابنُ اللَّه. ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾؛ أي: بشارتُه التي بشَّر بها مريم أنَّها تَلِدُ غلامًا زكيًّا مِن غير زوج، وقيل: كلمته؛ أي: كان وجودُه بكلمتِه: كن، فكان، وقيل: أي: كان يُهتدَى به كما يُهتدَى بكلامِ اللَّه، ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: ذو روح منه، أضيف إليه تعالى تشريفًا له وليس كما زعمتم ابن الله أو إلهًا معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه[(١)]. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾؛ أي: بعيسى وسائرِ رسل اللَّه. ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾؛ أي: هم ثلاثة، ومن قولهم: عيسى ثلاثةُ أقانيم، وهو جوهرٌ واحد، ويقولون: الثلاثة: الأبُ، والابنُ، وروحُ القُدُس. ﴿انْتَهُوا﴾؛ أي: عن هذه المقالاتِ. ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾؛ أي: يكن خيرًا لكم، أو: اعملوا خيرًا لكم، أو الخيرُ لكم. ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخَلقًا، وعيسى منهم. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: حافظًا ومدبِّرًا لهما ولما فيهما.

(١٧٢) - ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾؛ أي: لن يأنفَ ولن يَمتنِعَ عن الإقرارِ به، وهذا ردٌّ على النَّصارى، ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم وهذا ردٌّ على مشركي العرب. ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ أي: فإنَّ اللَّهَ سيجمَعُهم يومَ القيامة إلى حكمه؛ فيجازيهم

(١) تفسير الجلالين(١/ ١٣٣)، وجامع البيان (٥/ ٤٠٧)، (٧/ ٧٠٣).

على استنكافِهم واستكبارِهم(١).

(١٧٣) - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: إذا حشرَهُم ميَّزَ بينهم وبين مخالفيهم، فيوفِّرُ ثوابَ المؤمنين المطيعين في جنَّةِ الخلد، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يُعطيهم زيادةً على الموعود. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا﴾؛ أي: عن عبادته، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾؛ أي: تعظَّموا عن الاعتراف بعبودته، ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: وجيعًا في النَّار. ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: لأنفسهم، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: سوى اللَّه ﴿وَلِيًّا﴾؛ أي: من يتولَّى كفايتَهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: مانعًا عقوبتَهم.

(١٧٤) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو خطابٌ للكلِّ والبرهانُ: الحُجَّةُ، وهو النبيُّ ﷺ؛ أي: جاءَكم حجَّةٌ مِن اللَّه في اعتقادِ ما تَعتقدونَهُ، وبطلانِ ما لا يجوزُ أنْ تعتقدوه من مِلَلِ الكفر. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾؛ أي: مضيئًا يُبيِّنُ الحقَّ مِن الضَّلال، وهو القرآن.

(١٧٥) - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: تمسَّكوا بالقرآن، وقيل: أي: امتنعوا باللَّه. ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ أي: في الجنَّةِ ونعيمِها، سمَّاها رحمةً؛ لأنَّها تُنالُ برحمته، كما يُسمَّى المطرُ رحمةً، وسمَّى نعيمَها فضلًا؛ لأنَّه بفضلِهِ يُنال. ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾؛ أي: إلى طلبِ رضوانِه طريقًا قيِّمًا.

(١٧٦) - ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؛ أي: يسألونك، وهذا خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقد

(١) الكشف والبيان (٣/ ٤٢٠)، والتيسير في التفسير (٥/ ٢٧٢).

عاد الكلامُ إلى ما يَقتضيهِ أوَّلُ السُّورة؛ ليكون آخرُها مقتضيًا ما اقتضاه أوَّلُها، ويكونَ ما تخلَّلها توكيدًا للكلام بما لا بدَّ منه مِن ترغيبٍ وترهيبٍ وتنبيهٍ.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ إخبارٌ عن سؤالٍ مطلقٍ، وتبيَّن بالجواب أنَّ السؤال عن ماذا كان، ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الكلالة في من ماتَ لا والدَ له ولا ولد. ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾؛ أي: إنْ هلكَ امرؤٌ؛ أي: مات، ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾؛ أي: ابن، ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾؛ أي: للهالكِ وهو الميِّتُ أختٌ؛ أي: لأبٍ وأمٍّ، أو لأبٍ، ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾؛ أي: فرضُها نصفُ تركَةِ أخيها. ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾؛ أي: الأخُ، لو بقيَ وهلكَت الأختُ، فالأخُ يرثُها، ولمَّا أُطْلِقَ عُلِمَ أنَّه يَستحقُّ كلَّ تركتِها بالعصوبة. ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ أي: ولم يكن لها ولدٌ ولا والدٌ ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾؛ أي: فإن كانت الأختان اثنتين، ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾؛ أي: مِن تركةِ الأخ. ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً﴾؛ أي: جمعًا، ﴿رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ ترجمةٌ عن الإخوة، ودلَّ على أنَّ الاسمَ يَتناولُ الذُّكورَ والإناث جميعًا. ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾؛ أي: فللأخ منهم مثلُ نصيبِ الأختينِ بالعصوبة، كما في الأولاد. ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ أي: يُبيِّن اللَّهُ لكم الضَّلال، وإذا بيَّنَ الضَّلال فقد بيَّنَ الهُدى؛ وقيل: معناه: لئلَّا تَضِلُّوا؛ أي: لا تُخطِئوا، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: واللَّه عالمٌ بكلِّ شيءٍ من مصالحِ عبادِه، فهو تنبيهٌ لهم، ولا يتركُهم سدى[(١)].

(انتهى تفسير سورة النساء).

---

(١) الوسيط (٢/ ٣)، وجامع البيان(٧/ ٧١٢)، ولطائف الإشارات (١/ ٣٩٥)، والتيسير في التفسير (٥/ ٢٧٧)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٢٦).

(٥) سورة المائدة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورةُ المائدةِ مدنيَّةٌ، إلا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها انفردت بذكر قصة المائدة التي طلب الحواريون من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نزولها من السماء. وقد حكى الله- تعالى- ذلك في آخر السورة، وتسمى أيضا سورة العقود: إذ وقع هذا اللفظ في أولها. وتسمى أيضا المنقذة، وقد عدت السورة الحادية والتسعين في عدد السور على ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الأحزاب وقبل سورة الممتحنة، وهي مئةٌ وعشرون آيةً، وقيل: اثنتان وعشرون آية، وقيل: ثلاثٌ وعشرون آية، وكلماتها ألفان وثمان مئة وثلاث، وحروفُها أحدَ عشر ألفًا وتسعُ مئةٍ وأحد وخمسون.

من أغراضها:

أنها احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وعلى حفظ شعائر الله في الحج والشهر الحرام، والنهي عن بعض المحرمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام، وفيها شرائع الوضوء، والغسل، والتيمم، والأمر بالعدل في الحكم، والأمر بالصدق في الشهادة، وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحرابة، وتسلية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها، والحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين، وبين أهل الكتاب، وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه،

وإبطال العقائد الضالة لأهل الكتابين، وذكر مساو من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب وأنهم أرجى للإسلام وذكر قضية التيه، وأحوال المنافقين، والأمر بتخلق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحل لهم، والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس، وما تخلل ذلك أو تقدمه من العبر، والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى، والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به والتهاون فيه. واستدعاؤهم للإيمان بالرسول الموعود به، وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرسل على أممهم، وشهادة عيسى على النصارى، وتمجيد الله تعالى(١). وانتظامُ هذه السُّورة بالسُّورةِ التي قبلها أنَّ اللَّهَ تعالى ذكرَ في تلك السُّورة حكمَ أموالِ اليتامى، وحكمَ النِّساء، وحكمَ المواريثِ، وحكم المحرَّمات والمحلَّلات، وحكمَ السَّكران، والصَّلوات، والأمانات، والقِتال، وقتلَ المؤمن، وصلاةَ الخوف، والسَّرقةَ، والخُلعَ، والصُّلحَ، والشَّهادةَ والحكم، وتحكُّمَ المنافقين وأهل الكتاب، وختمها بقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: هذه الأحكام؛ لئلَّا تضلُّوا أي: لا تخطئوا، وهذه عهودُ اللَّه مع خلقه، وهي أوامرُه ونواهيه، وذكرَ في آخرِ تلك السُّورة نقضَ أهلِ الكتابِ عهودَ اللَّه، وأمرَ في أوَّلِ هذه السُّورةِ المؤمنين بالوفاءِ بهذه العهود؛ مخالفةً لهم(٢).

(١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أي: العهود المؤكدة التي بينكم

---

(١) التحرير والتنوير (٦/ ٧٤)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (٤/ ١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٠).

(٢) التيسير في التفسير(٥/ ٢٨٧)، وروح المعاني(٦ / ٤٨).

وبين الله والناس، ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم أكلًا بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سوى ما يُقرَأ عليكم؛ أي: في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ وإطلاقُ هذا يقتضي حِلَّ تلك الأشياء، ولمَّا استثنى تلك الأشياء بقيَ الحِلُّ فيما وراءها. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: أُحِلَّ لكم هذا في غير إحلالِكم الصيد وأنتم محرمون؛ أي: في حالِ ما لا تستحِلُّون ذلك بالاصطياد في الحَرَم أو الإحرام. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن التَّحريم والتَّحليل للصيد لا اعتراض عليه.

(٢) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الشَّعائرُ: معالمُ الدِّين، أي: لا تَستحِلُّوا شيئًا مِن تركِ المناسك؛ مِن الطَّوافِ بالبيت، والسَّعيِ بين الصَّفا والمروة، ومسحِ الرُّكن، والوقوفِ بعرفات والمزدلفة، ورمي الجمار؛ لأنَّ عامَّةَ العرب كانوا لا يَرون الصَّفا والمروة مِن شعائر الله. ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا تَستَحِلُّوا هذه الشهور، ولا تتعرَّضوا بقتلٍ ولا لقتال أحدٍ فيها. ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ هو ما يُهدَى إلى الكعبةِ مِن الإبلِ والبقرِ والغنم. ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن أي: فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها بسوء. ﴿وَلَا آمِّينَ﴾؛ أي: ولا تَستحِلُّوا القاصدينَ ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾؛ أي: الكعبةَ المحرَّمة المحترمة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ أي: يَطلبون فضولَ الأموالِ بالتِّجارات، ويَطلبون رِضوان اللَّه عنهم، والعفوَ عن الجنايات؛ أي: يَقصدونَ البيت لإصلاحِ أسبابِ المعاشِ والمعاد، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾؛ أي: وإذا خرجتُم من الحَرَم أو الإحرام، فقد زالَ حظرُ الاصطيادِ، وأُبيحَ الاصطياد. ﴿وَلَا

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ أي: ولا يحملنكم بغض قوم، وقيل: لا يكسبنَّكم[١]، ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ أي: بأن صدُّوكم، أو: لأنْ صدُّوكم، أي: منعوكم ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾؛ أي: لا يحملنَّكم صدُّ الكفَّارِ إيَّاكم عن دخولِ مكَّة للعمرةِ عام الحديبية، وبغضُهم، أو البغيضُ منهم، على أنْ تَعتدوا أنتم حدَّ الشَّرعِ، فتَمنعوا هؤلاء عن المسجدِ الحرام، فلا قدوةَ في الباطل. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ أي: على فعلِ الإحسان وتركِ العِصيان. ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ أي: على المعاصي، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: التعدي على حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه[٢].

(٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾؛ أي: الذي يموتُ بلا زكاة، ﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوحُ وهو السَّائلُ، ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾؛ أي: كلُّ أجزائِه، وتَخصيصُ اللَّحمِ بالذِّكر لما أنَّه معظَمُ المقصود، وقد قال في سورةٍ الأنعام: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والكناية تَرجِعُ إلى الخنزير، فدلَّ على أنَّ كلَّه نجسُ العين. ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾؛ أي: وما ذُبِحَ فذُكِرَ عليه غير اسم اللَّه. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾؛ أي: ما اختنقَ بالشَّبكةِ أو بحبلٍ، أو خنقَهُ خانقٌ. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾؛ أي: المضروبةُ ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾؛ أي: السَّاقطةُ في بئرٍ أو ماءٍ، أو مِن علوٍّ، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾؛ أي: المنطوحةُ، وقد نطَحَتْهُ الشَّاةُ بقرنِها؛ أي: ضربَتهُ فقتلَتهُ. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾؛ أي: ما جرحَهُ أسدٌ، أو ذئبٌ، أو ضبُعٌ، أو أكلَ شيئًا منه، وماتَ بجرحه، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ يرجعُ الاستثناءُ

(١) الكشف والبيان (٤/ ٨)، وجامع البيان (٨/ ٣١ - ٣٣).

(٢) الجلالين (١/ ١٥٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٩٩).

إلى قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وما بعدَها، إذا أدركَها وبها حياةٌ، فذبحَها، وسمَّى عليها، حلَّت. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾؛ أي: على اسم الأصنام. وقيل: أي: للأصنام ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ أي: تطلبوا القسم والحكم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾ الأزلام: القِداحُ المعلَّمةُ، واحدُها زُلَم وزَلَم؛ بضمِّ الزَّاي وفتحها، وقال الحسن: كانوا إذا أرادوا أمْرًا أو سفَرًا، يَعمِدون إلى قداحٍ ثلاثة، على واحدٍ منها مكتوبٌ: أمَرَني ربِّي، وعلى واحدٍ منها: نهاني ربي، والثالثُ غُفْلٌ لا شيءَ عليه، فيُجيلونها، فإذا خرجَ الذي عليه الأمرُ، مضوا لأمرهم، وإن خرجَ الذي عليه النَّهيُ، كَفُّوا، وإن خرجَ الذي ليس عليه شيءٌ أعادوه[(١)]. ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي: الاستقسام بالأزلامِ خروجٌ عن الطَّاعة، وارتكابٌ للنَّهي. وقيل: يرجع ذلك إلى تناولِ كلِّ محرَّمٍ في هذه الآية. ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ وهذا حثٌّ لهم على التمسُّكِ بما بيَّنَ لهم؛ مِن الوفاءِ بالعُقود، وتحليل المحلَّلاتِ، وتحريمِ المحرَّمات، خلافًا لما كان عليه المشركون، يقول: أعطيتُكم الغلبةَ عليهم، وقَهَرْتُهم، فلا مطمعَ لهم في تغييركم عن دينِكم. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾؛ أي: فلا تخافوهم وخافونِ في الثَّباتِ على أمري ونهيي والوفاءِ بعقودي. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ أي: بيانَ شرائعِ دينكم؛ لأنَّ الآيةَ نزلت بعرفات عامَ حجَّةِ الوداع، ولم يكن بعدَها شرعُ حكمٍ. ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾؛ قيل: بالإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقيل: هي جميعُ النِّعم، قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان إتمامُ النِّعمةِ عليهم أنْ دخلوا مكَّةَ آمِنين، وحجُّوا مطمئنين، ولم يخالطهُم أحدٌ مِن المشركين.

---

(١) جامع البيان (٨/ ٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٩٨).

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فالإسلامُ هو الدِّينُ المرضيُّ، وهو دينُ اللَّه، وهو الذي لا يقبلُ غيره. ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾؛ أي: أصابَتْهُ الضَّرورةُ والحاجةُ إلى شيءٍ مِن هذه المحرَّمات في مجاعةٍ، فتناوله، هذا مضمرٌ. ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾؛ أي: غيرَ متمايلٍ إليه قصدًا، أو متناولٍ منه إسرافًا، أو مُدَّخر منه اختيارًا. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: يَغفرُ له فلا يعاقبُه، ويَرحمُه فلا يُعذِّبُه(١).

(٤) - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ نزلَت الآيةُ في عَدِيِّ بنِ حاتم الطَّائيِّ وزيد بن مُهَلهل الطَّائيِّ، ويقال له: زيدُ الخيل، وسمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ زيدَ الخير، قالا للنبيِّ ﷺ: إنَّ كلابَ آل ذُريح يأخذون البقرَ والحُمُر والظِّباء، فمنها ما يُقتَل، ومنها ما يُدرَك ذكاتُه، وقد حرَّمَ اللَّه الميتةَ، فنزلَت الآيةُ(٢): ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾؛ أي: الذبائح، وقيل: أي: الحلالاتُ ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾؛ أي: وصيدُ ما علَّمتم، هذا مضمرٌ. والجوارحُ: الكواسبُ للصَّيدِ مِن الكلابِ والفهودِ والصُّقور ونحوها. ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: مُضَرِّينَ لها حتَّى تَستكلِبَ وتَضرى بالصَّيد، فتعتادَ أخذَه، ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: الجوارح، وتعليمُها أنْ تَنزجرَ بزجرِك، وتَمضي لإرسالِك، ولا تعدلَ عن سَنَنِ إرسالِك، وتَقتلَ الصَّيدَ جَرْحًا، لا خنقًا، وتمتنعَ بمنعك، ولا تأكلَ مِن الصَّيدِ. ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ممَّا لم يأكلن، فإذا أكلْنَ، حرم، وهذا في

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٠١)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٤٥٥)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٣)، والتيسير في التفسير (٥/ ٣٠٤).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤٥٤).

صيدِ الكلبِ ونحوِه، ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: عند الإرسال، وهو شرطُ الحِلِّ. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ أي: واحذروا مخالفةَ أمرِ اللَّه في هذا كلِّه وفي غيره، إنَّ اللَّه محاسبُكم على أفعالِكم، ومجازيكم عليها، ولا يلحقُه فيه لبثٌ لتذكُّرٍ ولا قطعٌ بشغْلٍ. ودلَّتِ الآيةُ على فضلِ العلم؛ فإن الكلبَ الخسيس بالتعلم جلَّ قدرُه، وحلَّ صيدُه، وفيه عِظَةٌ، وهو أنَّه بتركِ علمِه والأكلِ من صيدِه يُحكَمُ بجهلِه وزوالِ علمه، فلا يَحِلُّ صيدُه، فكذا مَن علم من النَّاس، فخالفَ عِلْمَهُ، وقد سمَّى اللَّهُ تعالى مخالفَ علمِه جاهلًا، قال تعالى خبرًا عن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩](١).

(٥) - ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ كرَّرَ المنَّة بهذا؛ تأكيدًا. وقيل: الأوَّلُ بيانُ الحكم، وهذا بيانُ المنَّةِ، ﴿الْيَوْمَ﴾ بمعنى الآن حين أكملتُ لكم الدِّينَ، وأتممتُ عليكم النِّعمةَ. ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾؛ أي: ذبائحُهم، قيَّدت به؛ لأنَّ سائرَ الأطعمةِ لا يَختصُّ حِلُّها بالملَّة. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾؛ أي: بالبيع والهبةِ والإباحةِ ونحوِها. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ أي: أُحِلَّ لكم العفائفُ بالنِّكاح، وليس هذا لاشتراط صحَّةِ النِّكاح، بل للاستحباب. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: العفائفُ مِن الكتابيَّات، ويَستوي فيه الحرائرُ والإماء، ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: سمَّيتُم لهنَّ ذلك، وألزِمتُموه ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ أي:

---

(١) التيسير في التفسير (٥/ ٣٠٨).

طالبين التَّعففَ بنكاحهنَّ، لا سافِحين الماءَ بالزِّنا حيثُ شئتُم، ولا متَّخذِي خليلاتٍ على الخصوصِ تزنون بهنَّ. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: جَحدوا به أنْ يكونَ دينًا حقًّا لا يُقبَلُ غيرُه، وحَبِط بذلك عملُهم، وهو تديُّنهم بالكتابِ وبنُبوَّة موسى وعيسى عليهما السَّلام. ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خسِروا ثوابَ عنائِهم في الدُّنيا، وقيل: مِن الهالكين(١).

(٦) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ومن الوفاءِ بالعقودِ المأمورِ به في أوَّلِ السُّورةِ هذا؛ قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾. أي: إذا أردتُم القيامَ إليها، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: فليَغسِل كلٌّ مِنكم وجهَه ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ جمع مرفق، وهو مجتمَعُ طرَفي السَّاعدِ والعَضد، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعره ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفًا على قوله: ﴿وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، فيَدلُّ على فرضيَّةِ غسلِها، وبالجر على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾(٢)، ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾؛ أي: تَطهَّروا، وهو غسلُ جميعِ ظاهرِ البدن، ويَدخل فيها الفمُ، والأنفُ، والأذنُ،

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ١٩)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٠٣).

(٢) السبعة (١/ ٦٢٢)، والتيسير (١/ ٢٠٧).

والسُّرَّةُ، وخِلالُ الأصابع، ومنابتُ الشَّعر. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جمعُ مريض، فيقع على كل مرضٍ. ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ يتناولُ كلَّ سفرٍ أيضًا. ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾؛ أي: وجاءَ أحدُكم مِن الغائط؛ أي: المكانِ المطمئنِّ، كنايةً عن قضاءِ الحاجة؛ لأنَّهم كانوا يأتونه لذلك. ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾؛ أي: جامعتم. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾؛ أي: في السَّفر، بعد طلبه، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ التَّيمُّمُ: القصدُ، والصَّعيدُ: وجهُ الأرض، والطَّيِّبُ: الطَّاهر. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ هو بيانُ كيفيَّتِه، وهما ضربتان؛ ضربةٌ للوجهِ، وضربةٌ لليدين إلى المرفقين. ﴿مِنْهُ﴾ أي: من الصَّعيد، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: ضيق، وقيل: مشقة؛ أي: لا يريدُ بتكليفِ الوضوءِ والاغتسالِ والتيمُّمِ إيَّاكم تضييقَ الأمر عليكم، وإلحاقَ المشقَّة بكم. ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾؛ أي: ولكن يريدُ تطهيرَكُم مِن الحدثِ والجنابة. وقيل: أي: مِن الذُّنوب، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ويريدُ إتمامَ النِّعمةِ عليكم بإباحةِ التَّيمُّمِ لكم والتخفيفِ في حالة المرضِ والسَّفرِ عليكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لِتشكروا له قولًا وفعلًا وعقدًا(١).

(٧) - ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: هي الإسلام. وقيل: هي كلُّ النِّعَم، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾؛ أي: عهدَه الذي عاهدَكم به، وأوثقَهُ عليكم، وهو مِن العقودِ المذكورةِ في صدر هذه السُّورة. ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سمعنا قولَك، وأطعنا أمرَك، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: في نقض الميثاق، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؛ أي: بسرائر الصُّدورِ، مِن الخيرِ والشَّرِّ، وهذا

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٠٥)، والتيسير في التفسير (٥، ٣١٩).

وعدٌ ووعيد(١).

(٨ - ١٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: أكملتُ لكم دينكم، فكونوا قائمين بأمرِ الدِّين، في حياةِ نبيِّكم وبعد وفاته، مُبيِّنينَ مُبرهنِينَ مُبلِّغينَ مُعلِّمين. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾؛ أي: ولا يحملنَّكُم بغضُ قومٍ على تركِ العدلِ فيهم. ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: وعدلُكم في حقِّ الأولياءِ والأعداء أقربُ إلى أن تكونوا متَّقين مجتنبين كلَّ السَّيِّئات. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: في كلِّ أمرٍ ونهي. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به، وهو وعدٌ ووعيد. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَعْدًا حَسَنًا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ الجَنَّة(٢). ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال عطاء: يريد بني النضير خاصة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠]، هذا اللفظ ينبئ عن التخليد فيها؛ لأن المصاحبة تقتضي الملازمة، كما يقال: أصحاب الصحراء، أي اللازمون لها(٣).

(١١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ أي: قصدَ قوم وهم قريش. ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يَمدُّوها بالقتل. ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾؛ أي: منعَها وعصمكم مما أرادوا بكم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: في كلِّ شيءٍ، واثبتُوا على التَّقوى. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وأنتم

(١) جامع البيان (٨/ ٢٢٠)، والبسيط (٧/ ٢٨٨).

(٢) تفسير الجلالين(١/١٣٨).

(٣) البسيط(٧/٢٩٢).

مؤمنون، فافعلوا ذلك.

(١٢) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اتصالُها بما قبلَها أنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ لنبيِّه: لا تَعجبنَّ مِن نقض هؤلاء اليهود ميثاقهم معك، وقصدِهم قتلَك؛ فإنَّهم مِن أولادِ قومٍ أخذنا ميثاقَهم فنَقضوا. ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أي: وبعثَ موسى هؤلاءِ بأمرِنا، والنَّقيبُ هو الملِكُ على قولِ ابن عبَّاس؛ أي: على كلِّ سبطٍ مِن بني إسرائيل ملكًا ورئيسًا[(١)]، ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾؛ أي: قال لهم: حافظُكم، ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قوله: ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم، ﴿الصَّلَاةَ﴾ اسمُ جنس، وأريد بها كلُّ الصَّلوات، والتَّعزير: النُّصرة والتعظيم، والإقراضُ الحسَنُ: وراء الزَّكاة، وهو الإحسانُ إلى كلِّ محتاجٍ في أيِّ وقتٍ وقعَ مِن غير كراهةٍ في القلب وامتنانٍ على الفقير، بل يَطلُبُ به رضا اللَّهِ، وتطيبُ به نفسُه. ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: فمَن نقضَ منكم هذا العهدَ فقد أخطأَ قصدَ الطَّريق، وضلَّ عن الهُدى[(٢)].

(١٣) - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ الفاء للتفريع على ما تقدم من الحديث عنهم، والباء للسببية، أي بسبب نقضهم الميثاق و«ما» مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٤٨٠)، تفسير مقاتل (١/ ٤٦٠)، والكشف والبيان (٤/ ٣٥)، وبحر العلوم (١/ ٤٢٢).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٥٩)، ومجاز القرآن لأبي عبيد (١/ ١٥٦).

في النفس ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ أي: طردناهم وبعَّدناهم عن الرَّحمة. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ والقسوةُ: اليُبْسُ والصَّلابةُ، فلا تَلينُ، ولا تَنقاد لأحكامِ الدين. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه. ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: وتركوا نَصيبًا ممَّا وُعِظوا به مِن الإيمانِ بمحمَّدٍ ﷺ. ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾؛ أي: أبدًا تقِفُ على خيانةٍ منهم، وقيل: معناه: تَطَّلِعُ على فرقةٍ خائنةٍ منهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ عبد اللَّه بن سلام وأصحابه. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: اترك مكافأتهم للحال، ﴿وَاصْفَحْ﴾ أي: أعرِض عن قتلِهم إلى وقت الأمرِ بالقتال، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ العافينَ الصافحين.

(١٤) - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ذكرَ نقضَ العهدِ وتركَ الوفاءِ بالعقد من النَّصارى أيضًا، كما ذكرَ من اليهود، وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ دليلٌ على أنَّهم ابتدَعوا النصرانيَّة وتلقَّبوا بها[١]. ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي: أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ هذا وعيدٌ لهم في الآخرة مع ما ذكرَ لهم من وعيدِ الدُّنيا؛ ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾ به توبيخًا، ثمَّ يُجازيهِم عليه تعذيبًا وتخليدًا، والوعيدُ بهذا الإغراء ثابتٌ

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٤٢)، والتفسير البسيط (٧/ ٣٠٧)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٤٨٢).

أيضًا في حقِّ اليهود. قال تعالى في هذه السورة: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

(١٥) - ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطابٌ لليهود والنَّصارى جميعًا، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ أي: محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يَذكر اسمَهُ؛ ليُعلَم أنَّ الرُّسلَ يُعرفون بالآياتِ المعجزة، دون الأسماء، وفيه دليلٌ أنَّ مَن آمنَ بالرُّسلِ كلِّهم يكون مؤمنًا، وإن لم يَعرِف أسماءَهم. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ هو الرَّجمُ المذكور في التَّوراة، والبِشارةُ بالنبيِّ المصطفى محمَّدٍ ﷺ في التَّوراة والإنجيل، وقصَّةُ أصحاب السَّبتِ الذين مُسِخوا قردةً، كانوا يخفونَه؛ لما فيه من السُّبَّة. ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾؛ أي: يَتركُ بيانَه لكم، وإن أعلمَهُ اللَّهُ به؛ لأنَّ ما بيَّنَهُ حُجَّةٌ كافيةٌ عليكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ؛ لأنَّه يُستضاءُ به من ظلماتِ الكفرِ والأهواء. ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ هو القرآنُ، يُبيِّنُ كلَّ شيءٍ مِن أمورِ الدِّين.

(١٦) - ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾؛ أي: يُرشِد اللَّهُ بالقرآن مَن كان همُّه اتِّباعَ مرضاةِ اللَّهِ بطلب الحقِّ، لا التَّعصُّبِ لدينِ آبائه، إلى طرقِ السَّلامةِ من مكاره الدَّارين. ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: يُخرِجُهم مِن ظُلماتِ الشِّركِ وهي أنواعٌ، إلى نورِ الإيمان وهو واحدٌ. ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: يُثبِّتُهم على الدِّين الحقِّ القيِّم.

(١٧) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا توبيخٌ للنَّصارى، وإبطالٌ لقولِهم حيث جعلوه إلهًا ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ استفهامٌ

بمعنى النفي؛ أي: فمَن يَمنعُ اللَّهَ ويدفع من عذاب الله ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهًا لقدر عليه، والمراد بالإهلاك: التَّعذيب في القيامة، وبيَّن بهذا غايةَ ضلالتِهم في اعتقاد عيسى إلهًا مع أنَّه مقدورٌ عليه، مقهورٌ مجبور. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وعيسى منهم، فكان مملوكًا مخلوقًا. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ كما يشاء، بأبٍ وغير أب، فليس فيه ما يُوهِم أنَّ عيسى إله. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يخلق ما يشاء كيف يشاء[١].

(١٨) - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي كل منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ أي: كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ قال محمَّدُ بنُ إسحاق: قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ نعمانَ بنَ أضاء، وبحريَّ بنَ عمرو، وشاس بنَ عَدي، كلَّموا رسول اللَّه ﷺ، فدعاهُم إلى اللَّه، وحذَّرهُم نِقْمتَه، فقالوا: ما تُخَوِّفُنا يا محمد، فنحن أبناءُ اللَّه وأحباؤه ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: بالنَّارِ، ولا يُعذِّبُ والدٌ ولدَهُ بالنَّار، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: خلقٌ مِن خلقِه، فلا بُنوَّةَ. ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يَغفِرُ لمَن تابَ مِن النَّصرانيَّةِ واليهوديَّة، ويُعذِّبُ مَن ماتَ عليهما. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فله التَّصرُّفُ فيهم. ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إلى جزائِه مرجعُ الكلِّ[٢].

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤١٣ - ٤١٤)، وجامع البيان(٨/ ٢٦٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ٤٨٧ - ٤٨٨)، والتفسير البسيط (٧/ ٣١٦).

(١٩) - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾؛ أي: يا أهلَ اليَهوديَّة والنَّصرانيَّة، وأراد بالكتاب الكتابَين؛ التوراة والإنجيل، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾؛ أي: محمَّدٌ ﷺ. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾؛ أي: ما لكم وعليكم. ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾؛ أي: حالَ فتورِ أمرِ الرُّسلِ بانقطاعِ مجيئِهم مدَّةً يَدْرُس فيها الدِّين، أو يَكاد يَدرُس. ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾؛ أي: لئلَّا يَقولوا يومَ القيامةِ: كنَّا في زمانِ فترةٍ، فاتَّبعْنا النَّاسَ على ما أدركناهُم عليه، ولم يَكن عندنا علمٌ بما بدَّلوا وغيَّروا، فقطَعَ اللَّهُ احتجاجَهُم بهذا، ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾؛ يعني: نبيٍّ مبشِّرٍ بالجنَّةِ المطيعين، ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ يُنذِر بالنَّارِ الجاحدين. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ هو محمَّدٌ ﷺ، فانقطعت حُجَجُكم، وبَطَلَتْ معاذيرُكم بإتيانِه وتبيانه. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كانوا يقولون: لا رسولَ بعد موسى، فقال: إنَّ اللَّهَ قادرٌ على إرسالِ محمَّدٍ وإقامةِ المعجزاتِ له، كما كان قادرًا على إرسالِ موسى وإقامة المعجزاتِ له، وعلى كلِّ شيءٍ(١).

(٢٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾؛ أي: واذكُرْ يا محمَّدُ ﷺ إذ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيلَ حين أنجاهمُ اللَّهُ مِن فرعون وقومِه، وأخرجَهم مِن أرضِ مصر، ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، وذِكْرُ النِّعمةِ يَستَدعي الشُّكرَ، وطاعةَ المنعمِ فيها أمر، ونِعَمُ اللَّهِ كثيرةٌ، ومنها ما قال: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ أي: منكم والأنبياءُ بعد إبراهيم كلُّهم مِن

---

(١) جامع البيان(٨/ ٢٧٥)، والكشف والبيان (٤/ ٤٠)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٦٤)، وبحر العلوم(١/ ٤٢٦)، والكشاف (١/ ٦١٩).

نسلِ إبراهيم، وبنو إسرائيل أولاده. ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ أي: أحرارًا تملكون أنفسَكم بعد ما كنتم في أيدي القبط كأهل الجزية فينا. وقيل: جعلَ لكم الخدمَ مِن بني آدم، وهم أوَّلُ قومٍ جعلَ لهم ذلك. ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانِكم، وقيل: تظليلُ الغَمام، وإنزالُ المنِّ والسَّلوى[(١)].

(٢١) - ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهَّرة، وقيل: المباركة. قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي أرض بيت المقدس، وقال قتادة: أرض الشام، وقيل: دمشق وفلسطين وبعضُ الأردن. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قضى أنْ يكون لكم، وقيل: جعلَها اللَّهُ لكم. وقيل: أمركم بدخولها. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾؛ أي: ولا تَرجِعوا موَلِّينَ ظهورَكُم منهزمين، فتَخسروا ما وعدَ لكم؛ مِن الاستيلاءِ على بلادِهم في الدُّنيا، ومن الثَّوابِ في العُقبى.

(٢٢) - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ أي: أهل سَطوةٍ وقَهرٍ. ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا﴾؛ أي: بالقتال، ﴿حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ بغيرِ قتال، فيُسلِّموها لنا، ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: يسلِّموها لنا طائعين، أو بغيرِ قتال، ﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ بلادَهم حينئذٍ.

(٢٣) - ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾؛ يعني: قال اثنان مِن أولئك الاثني عشر، وهما يوشعُ بنُ نون وكالب بن يوفنَّا، وهما مِن الذين يَخافون اللَّهَ، ولا يَخافون غيرَهُ، وذلك بإنعامِ اللَّه عليهما بالتَّوفيق للاعتماد عليه،

---

(١) جامع البيان (٨/ ٢٨١)، والتفسير البسيط (٧/ ٣٢٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٦٥).

والأمنِ بوعدِه. ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾؛ أي: قالا لهم: ادخلوا أنتم بابَ بلدِهم، فإذا دخلتم انهزَموا، وكانت الغلبةُ لكم. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنَّ الإيمانَ باللَّه يوجِبُ الثِّقةَ بوعد اللَّه، والاعتمادَ على نُصرةِ اللَّه، والائتمارَ بأمرِ اللَّه.

(٢٤) - ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾؛ أي: وإنْ كثُرَ القول، وامتدَّ الزَّمان. ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ أي: اذهب أنت، وربُّك جلَّ جلالُه يعينُك على قتالِك، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وقيل: ﴿وَرَبُّكَ﴾؛ أي: سيِّدُك، وهو أخوك الأكبرُ هارون، اذهبا جميعًا فقاتلاهم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ "ها" تنبيهٌ و"هنا" إشارةٌ إلى المكان الحاضر ﴿قَاعِدُونَ﴾؛ أي: مستَقِرُّون ثابتون، لا نَتقدَّم إلى بابِ بلدِهم، ولا نُقاتل أهلَه.

(٢٥) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾؛ أي: قال موسى: يا رب، إنِّي لا أملكُ إلَّا نفسي، وأخي أيضًا لا يَملِكُ إلَّا نفسَه، فلا نقدِرُ على تكليف هؤلاء شيئًا، وقيل: ﴿إِلَّا نَفْسِي﴾ وإلَّا أخي، فإنَّه يُطيعُني ولا يُخالِفُني، فأنا مالكُ أمرِه بظاهرِ الحال وموافقتَهُ إيَّاي في كلِّ شيءٍ. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أي: أخْرِجنا مِن عدادهم، ولا تُلحِقنا بهم في استحقاقِ العقوبة. وقيل: أي: اقضِ بيننا وبينَهم[١].

(٢٦) - ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فإنَّ الأرضَ المقدَّسة ممنوعةٌ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤١٧)، والتيسير في التفسير (٥/ ٣٥٧).

عليهم أنْ يَدخلوها ويَسكنوها. ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ﴾؛ أي: يَبقون مُتحيِّرين في الأرضِ التي هُم فيها، وهي البرّ، والتِّيهُ: التَّحيُّر الذي لا يُهتَدى لأجلِه للخروجِ إلى الطَّريقِ المستقيم، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أي: لا تحزَن عليهم بما أصابَهم وهم فاسقون مستحِقُّون لذلك(١).

(٢٧) - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على أهلِ الكتاب هؤلاء؛ الذين قال أسلافُهم لموسى ذلك، وهؤلاء الذينَ في عصرِك مِن أولادِهم يَحسدُونك، وقد همُّوا أنْ يَبسطوا أيديَهم إليك بالقتل، فأخبِرهم بقِصَّةِ ابنَي آدمَ، الذي بَسطَ يدَهُ إلى صاحبه بالقتلِ حسدًا له، وإلى ماذا صار أمرُه مِن خُسرانِ الدُّنيا والآخرة، فكذلك حالُ هؤلاء. ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾؛ أي: خبرَهما. ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: ليَعتبروا ويتذكَّروا، لا ليَحمِلوه على اللَّعبِ والباطل ككثيرٍ مِن الأقاصيص التي هي من لهوِ الحديث. وضربَ اللَّهُ المثلَ بهما؛ لبيانِ أنَّ التَّحاسُدَ في بني إسرائيل قديمٌ، وبلغ ذلك حتَّى قَتَلَ مَن رُدَّ قربانُه مَن قُبِلَ قربانُه؛ حسدًا له على ما آتاهُ اللَّه من فضلِه، وهؤلاء أولادُ أولئك، فلا تُنكِر يا محمَّدُ حسدَهم إيَّاكَ(٢). ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾؛ أي: تَقرَّبا إلى اللَّه بقربانٍ؛ قابيلُ بالسُّنبلة، وهابيلُ بالكبش، فتُقبِّلَ مِن هابيل، ولم يُتقبَّل مِن قابيل، وقوله تعالى: ﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾؛ أي: قرَّبَ كلُّ واحدٍ منهما قربانًا، ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ أي: قال قابيلُ ذلك؛ أي: كيلا يَقولَ النَّاسُ إذ رأوك ورأوني: هذا مقبولُ القُربان، وهذا مردود القربان. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

(١) مجاز القرآن (١/ ١٦٠)، وجامع البيان (٨/ ٣٠٥)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٦٧ - ٤٦٨).

(٢) جامع البيان (٨/ ٣٢٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٦٩)، وبحر العلوم (١/ ٤٢٩).

﴿الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: قال ذلك هابيل.

(٢٨) - ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾؛ أي: لئن مددتَ، و(اللَّام) للقسم، ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾؛قيل: أي: أستَسْلِمُ وأصبرُ، ولا أعارض، وكانت معارضةُ القاتِلِ يومئذٍ حرامًا، والتَّسليمُ واجبًا، فأخبرَ أنَّه يَخافُ اللَّه، ولا يَرتكبُ الحرام.

(٢٩) - ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾؛ أي: تَرجِعَ، وقيل: أي: تَحتمل. ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾؛ أي: بإثمِ قتلِك إيَّايَ، وبسائرِ ما أَثِمْتَ به؛ مِن عقوقِ الأب، والحسد، والحقد، والكُفر. وقيل معناه: أريدُ أن تكون عليك آثامي التي كانت بذنوبي بسببِ قتلكَ إيَّاي، فقد رُويَ أنه يؤخَذُ من سيِّئات المظلومِ يوم القيامة فتحمَلُ على الظالم[1]. ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: فتعذَّبَ بالنَّار إذا بُؤتَ بالإثم، وذلك جزاءُ مَن قتلَ نفسًا بغيرِ حقٍّ، واختارَ الدُّنيا على الآخرة، ومَن فعل ذلك، فقد نقصَ نفسَهُ حظَّها مِن ثوابِ اللَّه تعالى.

(٣٠) - ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾أي: سهَّلَت له نفسُهُ قتلَ أخيه حتَّى فعلَ غيرَ خائفٍ، ولا مُتفكرٍ في عاقبتِه، فأطاعَ هواهُ، وقتلَ أخاهُ، وقيل: زَيَّنَت له نفسُه. ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ أي: صار خاسرًا دنياهُ وآخرتَهُ، فقد أسخطَ والديه، وفقدَ أخاهُ، وأسخطَ ربَّه، وصار إلى النَّار.

---

(١) روي في هذا المعنى أحاديث؛ منها ما رواه البخاري في "صحيحه" (٢٤٤٩) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: "من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلَّلهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالحٌ أخذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ، أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه".

(٣١) - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: قتلَ أخاه، ولم يَدْرِ ما يَصْنَعُ به، فأرسلَ اللَّهُ غرابًا يُثيرُ التُّرابَ عليه. ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾؛ أي: ليُبْصِرَهُ كيف يُخفي جثَّةَ أخيه، وقد كانت أنتنَت، فسُمِّيَت سوأةً لذلك. وقيل: السوءةُ: العورةُ هاهنا، ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾؛ أي: قال قابيل: ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ وهي كلمةُ تأسُّف على ما فَعَلَ، فلا نفعَ له. وقيل: الويلُ والويلة: الهلاك، ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ استفهامٌ بمعنى التعجُّب، وتقديره: أعجَزتُ عن أن أكونَ، وهذا تَحسُّرٌ منه على ما فاتَه مِن مقدارِ هذا العلم الذي وقفَ عليه الغرابُ. ﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾؛ أي: صار نادمًا على حملِهِ، لا على قتلِه(١).

(٣٢) - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: بسبب ذلك أكَّدنا القولَ على بني إسرائيلَ، وغلَّظنا الميثاقَ عليهم، وخَصَّ بني إسرائيلَ بالذِّكرِ، والحكمُ ثابتٌ في الكلِّ؛ لأنَّ المخالفين في عصرِ النَّبيِّ ﷺ بقيَّةُ بني إسرائيل، وكانوا يَدينون بالتَّوراة والإنجيل، فذكَّرهم ذلك. ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: بغير نفسٍ قتلَها هو، فاستحقَّ القِصاص بذلك. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ردَّةٍ؛ فإنَّ الفسادَ اسمٌ للكفر، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هذا في حقِّ مَن قتلَ نبيًّا أو إمامًا عدلًا، فالآيةُ في حقِّ بني إسرائيل، وكانوا معروفين بقتلِ الأنبياءِ، وقتلُهم قتلُ كلِّ العالم، أو هو في حقِّ كلِّ مقتولٍ، لكن خُصَّ بنو إسرائيل بهذا التغليظ، كما خُصُّوا بسائرِ التَّغليظات، وقيل:

(١) جامع البيان (٨/ ٣٤٢)، وتأويلات أهل السنة (٣/ ٥٠١)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٧٢).

هو في حقِّنا كذلك، ومعنى الآية: أنَّ نفعَ هذا الواحدِ كان يَصلُ إلى كلِّ المؤمنين، وكان يقوم ببدنِه في مصالحِ كلِّ المؤمنين، وكان يقول بلسانِه: اللَّهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فيَصِلُ ذلك إلى كلِّ المؤمنين. ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وهو في العفوِ عن القصاصِ، وإبقائه حيًّا، وهو إبقاءُ النَّفعِ منه على كلِّ النَّاس، فهو كإحياءِ كلِّ النَّاس. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: ولقد جاء بني إسرائيلَ هؤلاء ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الواضحاتِ الدَّالَّاتِ على صدقِهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾؛ أي: بعد ذلك المجيء بالدِّلالات لَمُجاوِزون حدَّ الأمرِ والنَّهي، وناقضونَ الميثاقَ بالعصيان والكُفر.

(٣٣) - ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لمَّا ذكرَ عقوبةَ مَن قتلَ نفسًا بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرض، ذكرَ بعدَه عقوبةَ مَن يَسعى بالفساد في الأرض، وهم قطَّاع الطَّريق، وجعلَهم محاربين اللَّهَ ورسوله؛ لأنَّهم يُحارِبون المؤمنين، وهم أولياءُ اللَّه ورسولِه، فشرَّفَهم بجعلِ محاربتِهم محاربتَه ومحاربةَ رسوله، وقال النبيُّ ﷺ: "يقول اللَّه تعالى: من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة"[1]، وقيل: معناهُ: يُخالِفون اللَّهَ ورسولَه؛ فإنَّه لا محاربةَ بدون المخالفة. ثمَّ جعلَ أخذَ مال المسلمين بغير حقٍّ محاربةً للَّه ورسوله بأيِّ طريقٍ كان، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾؛ أي: بفسادٍ، وقيل: أي: فاسدين أو مفسدين. ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ التَّقتيلُ: تكثيرُ القتل وتكريرُه. ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ التَّصليبُ: تكثيرُ الصَّلْبِ وتكريرُه، وهو نوعُ قتلٍ يكونُ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه بلفظ: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب".

مع التَّعليق في جذع. ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ التَّقطيعُ: تكثيرُ القطعِ وتكريرُه، و﴿مِنْ خِلَافٍ﴾؛ أي: تقطع اليدُ اليمنى والرِّجلُ اليسرى. ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ النَّفيُ: التَّبعيد، وقيل: هو التَّسييرُ في البلاد، وتركُ التَّقرير في مكان، وقيل: هو الحبسُ في السِّجن. و﴿أَوْ﴾ في هذه الآية ليس للتَّخيير، بل هو للتَّفصيل، ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾؛ أي: فضيحةٌ، و﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكورِ قبلَه. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: مع عقوبةِ الدُّنيا، نزلَتِ الآية في العُرَنيِّين الذين ارتدُّوا، واستاقوا الإبلَ، وقَتلوا الرِّعاء، والقِصَّةُ مشهورة(١).

(٣٤) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ فتَسقطُ عنهم هذه الحدودُ. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَغفرُ لهم بالتَّوبة فلا يُعذِّبُهم، ويَرحمُهم، فلا يُعاقِبُهم، ومَن أقلعَ عن معاصيه، وارتدعَ عن ارتكاب مساويه، قبل أنْ يَنهتِكَ عنه سِتْرُ السَّداد، لا تقامُ عليه في الظَّاهر حدودُ الشريعة، ولا يؤاخِذُه الحقُّ سبحانهُ وتعالى بسالفِ الجريمة، وإذا قَدَر عليه الإمامُ قبلَ إظهارِ التَّوبةِ، أقامَ عليه الحدَّ وإنْ تَقنَّعَ بنقابِ التَّقوى والخشية، وكذلك إذا سقطَ العبدُ عن عينِ اللَّه، لم يصل بعدَهُ إلى ما كان عليه مِن تقريبِ اللَّهِ إيَّاه بالمشاهدة(٢).

(٣٥) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تُؤذوا عبادَ اللَّه، وثقُوا بوعدِ

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٥٥)، وجامع البيان (٨/ ٣٦٢).

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ٥٠٨)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٢٠ - ٤٢١)، والتيسير في التفسير (٥/ ٣٨٠).

الله، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾؛ أي: القُربة بالتَّقوى، فلن يُقرِّبكُم إليه غيرُه، لا كما يَفعلُ هؤلاء اليهود بالتَّوسُّل بآبائهم، والإفراطِ في ذلك، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ هؤلاء اليهودَ وسائرَ الكُفَّار. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لِتَأمنوا ما تخافون، وتَنالوا ما تَرجون.

(٣٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذكرَ وعيدَ المتباعِدين بعد وعد المتوسِّلين، يقول: لو أنَّ الكُفَّار ملكوا جميعَ ما في الأرض، وملكوا مثلَ ذلك، ليفتدوا به، فيُخلِّصوا أنفسَهم مِن عذابٍ حضر، لم يُتقَبَّل ذلك منهم، ولم يُخلَّصوا، ولهم عذابٌ وجيع.

(٣٧) - ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ قيل: أي: يَطمعون، كما يقولُ الرَّجلُ لآخر: إنَّما أريدُ أنْ تُعطيني كذا؛ أي: أطمع، وقيل: معناه: أي: يَتمنَّون في النَّار أنْ يَخرجوا منها، ولا يكونُ ما يَتمنَّون. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي: دائم وهذا الخلودُ للكفَّار.

(٣٨) - ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ السَّرقةُ: أخذُ ما ليس له مستخفيًا، والسَّرقةُ الموجبةُ في الشَّرع للقطع: هي أخذُ النِّصابِ مِن الحرزِ على استخفاء، والسَّارقُ: الرجل الفاعل لذلك، والسارقةُ: المرأة، وبدأ بالرَّجل هاهنا، وبالمرأةِ في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾؛ لأنَّ الدَّاعي إلى ذلك الفعلِ يَنشأ مِن جهتِها غالبًا، وهذا الفعلُ وهو السَّرقةُ وجودُه يكونُ مِن الرَّجل غالبًا. ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أضافَ الأيدي إليهما، فيكون عن كلِّ واحدٍ منهما يدٌ واحدةٌ، وتقديرُه: فاقطعوا يدَ كلِّ واحدٍ منهما،

﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾؛ أي: جزاءًا لهما على ما فعلا مِنْ فِعلِ السَّرقةِ. ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: عقوبةً رادعةً لهما من العود، ولغيرِهما مِن الاقتداء بهما، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: منيعٌ لا يُعارَضُ في حكمِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكمَ به في شرعِه، فهو تحصينٌ للأموال، ومنعٌ للعِباد عن سيِّء الأفعال.

(٣٩) - ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾؛ أي: بعد سرقتِه، ﴿وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ردَّ المسروقَ، وأَرْضى الخصمَ. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ أي: يقبلُ توبتَه. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يَغفِرُ ذنبَه، فلا يَفضحُه، ويَرحمُه فلا يُعذِّبُه.

(٤٠) - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾؛ أي: يا محمَّدُ، وقيل: أي: يا إنسان؛ خطابٌ لكلِّ مكلَّف، وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ جميعُ أمَّتِه. ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والمرادُ مِن هذا الاستفهام الأمرُ؛ أي: اعلَمْ أنَّ ملك السَّماواتِ والأرض لله. ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: السَّارقَ، يأمرُ بقطعِه مع توبتِه. ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يُسقِطُ الحدَّ عن قاطعِ الطَّريق إذا تابَ قبل أنْ يُقدَرَ عليه، وقيل: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ مَن ماتَ على كُفرِه، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لَمن تابَ مِن ذنبِه. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: على التعذيبِ والمغفرةِ وغيرِهما[١].

(٤١) - ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ خاطب سائرَ الأنبياءِ باسم التعريف، وخاطبَ محمَّدًا ﷺ باسم التَّشريفِ: ﴿يَاأَيُّهَا

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٢٣)، والكشف والبيان (٤/ ٦٣)، والتيسير في التفسير (٥/ ٣٨٧).

﴿ٱلرَّسُولُ﴾، والمعنى: لا يغمك صُنع المسارعين في الكفر الذين يقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون. ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ عطف على المنافقين. ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: هم ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾، أضمرَ الابتداء. ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ مبالغةً في السَّماع. وقيل: معناه: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ منك ليَكذِبوا عليك. ﴿سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾؛ أي: يَسمعون منك ليُخبِروا مَن لم يَأتِك، والسَّمّاعون: هم كبارُ اليهود، والذين لم يَأتوك هم عوامُّهم الذين اشتَغلوا بمعايشِهم، يعني: يَنقُلون عنك إليهم غيرَ ما قلت، يَحتالون بذلك للتَّحريف، وكانوا يُفتونهم بآرائِهم، ويُروِّجون ذلك بقولهم: نأتي محمَّدًا فنسمعُه يقولُ كذلك، وهو حكمُ اللَّه في كتابنا وكتابهم، يقول: إنَّ عوامَّهم لا يأتونك فيعرفوا أحكامَ الإسلام. ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعد إنزالِ اللَّهِ تلك مذكورةً في مواضعها، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾؛ أي: يقولُ أحبارُهم لعوامِّهم: إنْ حَكَمَ لكم محمَّدٌ ﷺ بما أخبرَنا أنَّه في كتابِنا فاقبَلوه. ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ أي: إنْ حكمَ بخلافِ هذا، فلا تَقبلوهُ، وتحرَّزوا عن حكمِه. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: إضلالَهُ، وفضيحته وخزيه في الدُّنيا، وتعذيبَهُ في الآخرةِ، فلن تمنعَ أنت يا محمَّدُ ﷺ عنهم ذلك. والفتنةُ: قد تكون بمعنى الإضلال[1]. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: عن الكفرِ؛ لعلمِه منهم اختيارَ الكفر. ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وخزيُ الدُّنيا هو ما قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

(١) النكت والعيون (٢/ ٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ١٧٤).

﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]. وقيل: هو أخذُ الجزيةِ منهم. وقيل: هو السَّبيُ والجلاء، وفي الآخرة عذاب هائل.

(٤٢) - ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾؛ أي: الحرام المستأصل، وسُمِّي الحرامُ به؛ لأنَّه يُعقِبُ عذابَ الاستئصال، والسُّحت هاهنا: هو الرشوة في الفُتيا والحكمِ وتحريفِ الكتاب. ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ يعني: أهل خيبر، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ بالرَّجمِ، ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تقضِ بينهم، أنت في ذلك بالخيار. قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ثمَّ نُسِخَ الخيار، ووجبَ الحكمُ بقولِه: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩][(١)]. ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾؛ أي: لن يقدروا على الإضرارِ بك. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: وإن اخترتَ ذلك فاحكم بالعدلِ، إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العادلين.

(٤٣) - ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى الاستنكار؛ يعني: كيف يجعلونكَ حاكمًا فيَرضون بحكمِكَ، وعندَهمُ التَّوراة فيها حكمُ اللَّه، فلا يَرضون به؟ قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الرَّجم[(٢)]. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ أي: الرَّجم فلا يقبلونه. ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ للحال بكتابهم؛ لأنَّهم قد حرفوه. وقيل: أي: لا يؤمنون في المستقبلِ بكَ وبكتابِك، وهذا في قومٍ عَلِمَ اللَّهُ منهم أنَّهم لا يؤمنون.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٥) والحاكم في "المستدرك" (٣٢١٧).

(٢) جامع البيان (٨/ ٤٤٩) عن ابن عباس أنه فسر حكم اللَّه بحدود اللَّه.

(٤٤) - ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾؛ أي: هدايةٌ إلى الدِّين، ونورٌ يُضيءُ طريقَ الصَّواب في الأحكام. ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾؛ أي: انقادوا لحكمِ اللَّهِ تعالى في التَّوراة، ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾؛ يعني: على اليهود، واللامُ بمعنى "على"، كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها. ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ أي: العالِمون العامِلون، نُسِبوا إلى الربِّ؛ لأنَّهم عالمون بِهِ عاملون له. ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ جمع حبر؛ بفتح الحاء وكسرها، وهو العالمُ الذي يُحَبِّرُ الأمورَ تحبيرًا؛ أي: يُحَسِّنُها. ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: العلماءُ المحسنون بسبب حفظِ الكتاب. ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾؛ أي: كان هؤلاء جميعًا شهودًا على أنَّه كتابُ اللَّه وحكمُه، وأمرُه ونهيُه. ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ولمَّا كان الاستحفاظُ لِئلَّا يُحرِّفوا، وكان التَّحريفُ لأمرين؛ لخوفِ الكِبار، وطمعِ العوام، سدَّ عليهم البابين فقال: لا تَخشوا كبارَ القومِ واخشون، ولا تَستبدلوا بأحكامِ دِيني عرضَ الدُّنيا. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ "أي: ومَن لم يرَ الحكمَ به ولم يعتقده، فقد كفر، ومن أقرَّ بها ولم يَحكُم بها فهو ظالمٌ فاسق"[١].

(٤٥) - ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾؛ أي: في التوراة أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ؛ أي: الواحدةُ تَقتصُّ بالواحدة، وقد خالفتُم ذلك، ففَضَّلتم بني النَّضيرِ على بني قُريظة بالتَّضعيف، ثمَّ أخبرَ أنَّ القِصاصَ فيما دون النَّفس كذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، أي: العينُ الواحدة تُقتَصُّ بالعين الواحدة،

(١) الكشف والبيان (٤/ ٧٠)، والتيسير في التفسير (٥/ ٤٠٠).

وكذلك ما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: الأنف يجدع بالأنف، والأذن تقطع بالأذن، والسن تقلع بالسن ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: فيما يمكنُ حفظُ المساواةِ فيه؛ تحقيقًا لمعنى القصاص. ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾؛ أي: عفا عنه، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ للعافي بإحسانه. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: الواضعون الأمرَ غيرَ موضعه(١).

(٤٦) - ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾؛ أي: أتبعنا، ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أي: آثارِ الذين أسلموا. وقيل: على آثار الربانيِّين والأحبار. ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾؛ أي: أرسلناهُ بعدَهم. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾؛ أي: صدَّق بما تَقدَّمه من نزول التوراة أنَّها حقٌّ، وأنَّها مِن عند اللَّه، وأنَّ العملَ بها واجبٌ عليهم. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾؛ أي: وأعطينا عيسى الإنجيلَ، ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في الإنجيل ﴿هُدًى﴾؛ أي: بيانُ التَّوحيد والطَّاعة، ﴿وَنُورٌ﴾ أي: وضياءٌ للطَّريق الحقّ. ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ أي: وجعلنا الإنجيلَ موافقًا لما تَقدَّمَهُ مِن التَّوراة في أصل التَّوحيد والطَّاعة.. ﴿وَهُدًى﴾؛ أي: هاديًا إلى الحقِّ، مُرشِدًا إليه، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾؛ أي: واعظًا، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصَّهم بها؛ لانتفاعِهم بها.

(٤٧-٤٨) - ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾؛ أي: في الإنجيل مِن الأحكام. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن الطَّاعة. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) الكشف والبيان (٤/ ٧٠)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٨٠)، وجامع البيان (٨/ ٤٥٧).

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: وأنزلنا إليك يا محمَّدُ ﷺ القرآن ببيانِ الحقِّ، موافقًا لما تَقدَّمه مِن التَّوراة والإنجيل. ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: شاهدًا عليه، وقيل: أمينًا عليه(١). ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ أي: بالرَّجمِ على المحصَن، وبالتَّسوية في القِصاص بين القرظي والنَّضيري. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ أي: في تركِ القَوَد، وإعطاءِ الدِّيةِ، وتركِ الرَّجم واختيارِ الجلد، ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: ميلًا عمَّا جاءَكَ مِن الحق. ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾؛ أي: البيانِ في القرآن. ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ أي: جعلنا لكلِّ أمَّةٍ شريعةً، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾؛ أي: طريقًا واضحًا؛ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شرعةٍ واحدةٍ، وهي الإسلام، بلا اختلافٍ ولا تفاوت. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾؛ أي: جعلَ الشَّرائعَ مختلفةً؛ أي: ليَختبركُم فيما أعطاكُم مِن الدِّين. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: فابتَدروا إلى العملِ بالشَّرائع، فهي خيراتٌ كلُّها، جامعةٌ خيرَ الدَّارَين. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أيُّها الأمم، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وهو وعدٌ ووعيد؛ أي: كنتم مختلفين، فكان بعضُكم يُضيفُ شيئًا إلى اللَّه أنَّه شَرعَهُ، وينفيه آخر، فأُثيبُ منكم المحقَّ على حقِّه، وأجزي المبطِلَ جزاءَ مثله(٢).

(٤٩-٥٠) - ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ متصل بقوله:

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٧٣)، والوسيط (٢/ ١٩٥) ومعالم التنزيل (٣/ ٦٥)، وجامع البيان(٨/ ٤٨٧ - ٤٩٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٨٤)، تأويلات أهل السنة (٣/ ٥٣٤)، وجامع البيان (٨/ ٤٩٦ - ٤٩٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥١، ١١٥٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٨٢).

﴿مُصَدِّقًا﴾؛ أي: أنزلناه بتصديقِ ما بين يديه وبـ ﴿وَأَنِ احْكُمْ﴾، وقيل: يقعُ عليه الإنزالُ، وتقديره: إنَّا أنزلناه إليك ﴿وَأَنِ احْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: يصرفوك، وقيل: يَستزِلُّوك، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: فإنْ أعرضوا عن الانقيادِ لحكمك، فاعلم أنَّ اللّهَ يُريدُ أنْ يُعجِّلَ لهم عقوبة بعضِ ذنوبِهم في الدُّنيا، فإنَّ الدُّنيا ليست بدار كمالِ الجزاء، وعذابُ الدُّنيا عذابُ بعض الذُّنوب. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: من رؤساء اليهود وغيرهم ﴿لَفَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الطَّاعة، فلمَّا نزل هذا، قال كعبُ بن الأشرف ومالكُ بن الصَّيف: لا نرضى بحكمك، فنزل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الألفُ ألفُ الاستفهام، وهو للاستنكار والاستعظام. و﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حالةُ الشِّرك، والجهلُ المطلقُ يقع على جهل الكفار، ﴿يَبْغُونَ﴾ والبُغاء: الطَّلَبُ بضمِّ الباء، يقول: أتطلبون حكمَ أهل الجاهليَّةِ في حدِّ الزِّنا والقصاص حيث لم تَرضوا بحكم التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآن؟. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أحسنُ حكمًا مِن اللّه ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنَّ لهم إلهًا، فيعلمون أنَّه لا أحسنُ حكمًا منه؛ لأنَّه على المصلحةِ والحكمة، لا على المجازفة والشَّهوة(١).

(٥١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: لا تَتولَّوهم، وقيل: لا تَدينوا بدينهم، فإنَّكم إذا فعلتُم ذلكَ صِرْتُم لهم أولياء، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ لاتِّفاق أديانِهم، فإذا تولَّيتُموهم كنتم على دينِهم. ﴿وَمَنْ

(١) تفسير مقاتل (١/ ٤٨٢ - ٤٨٣)، والبسيط (٧/ ٤١٤)، والتيسير في التفسير (٥/ ٤١١).

﴿يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وهذا إذا تولَّاهم لدينِهم، وأمَّا الصُّحبةُ لمعاملةٍ أو شراءِ شيءٍ منهم، أو لطلب عملٍ منهم، مع المخالفةِ في الاعتقادِ والأمور الدينيَّة، فليس فيه هذا الوعيد. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لا يُرشِدُ الظالمين أنفسَهم بتركِ إخوانِهم المؤمنين وموالاةِ الكافرين (١).

(٥٢) - ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: فتُبصِرُ يا محمَّدُ ﷺ المنافقين الذين في قلوبهم شكٌّ في الدِّين، وغِلٌّ على المؤمنين، يُبادِرون في موالاةِ اليهودِ والنَّصارى والكافرين، ثمَّ يَحتجُّون بما لا حُجَّة فيه، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ هي الدولةُ الدائرةُ من قومٍ إلى قوم؛ أي: يقولون: نخافُ أنْ يكون للدَّهر دائرةٌ على المؤمنين، فنضطرَّ إلى هؤلاءِ الكفَّار والالتجاءِ بهم، فخيَّبَ اللَّهُ ظنَّهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ﴾؛ يعني: فتح مكة، أو بالنصر لنبيه بإظهار دينه، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ يهتك ستر المنافقين وافتضاحهم، وقيل: إجلاء بني النَّضير، وقتلِ بني قريظة. ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ ولمَّا تحقَّقوا ذلك ندموا، لكنَّ ندامتَهم لم تكن على نفاقِهم؛ لأنَّه توبةٌ منهم، بل على تولِّيهم إيَّاهم، واعتدادِهم به (٢).

(٥٣) - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾؛ أي: يقول المؤمنون لليهود: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ المنافقون ﴿الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ مجتهدين غايةَ جهدِهم فيها ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: الحالفون ﴿لَمَعَكُمْ﴾ أيُّها

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٥٣٧).

(٢) البسيط (٧/ ٤٢٢)، ومعالم التنزيل (٣/ ٦٨).

اليهود ومتولُّوكم وأعوانُكم، وقد وثقتُم بهم، وقد ظهرَ كذبُهم في أيمانِهم، وخيبةُ ظنونِكم بهم. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾؛ أي: بَطَلَت أعمالُ المنافقين في موالاةِ أهل الكتاب، وانقَطَعتْ أطماعُهم. ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾؛ أي: في الدُّنيا والآخرة؛ بفوات المعونةِ، ودوامِ العقوبة.

(٥٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ أي: مَن يرجِعُ منكم عن دينِ الإسلام بموالاة الكفَّار، فليَعلم أنَّ اللَّهَ لا يُخْلِي دينَه عن أنصارٍ يَحمونَه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؛ أي: يرضى منهم أعمالَهم، ويُثني عليهم بها، ويُطيعونَهُ ويُؤثِرون رضاه. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ جمع ذَلُول، وهو اللَّيِّنُ، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ جمع عزيز، وهو الشَّديد، أي: يأتي بقومٍ رحماءَ بالمؤمنين عاطفين عليهم، غلاظٍ على الكفَّار أشداءَ عليهم. ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: يَبذُلون المجهودَ في قتال الكفَّار، حملًا لهم على الإسلام، ومنعًا عن عبادةِ الأصنام. ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؛ أي: لا يَخشون في إظهارِ دينِ اللَّه ملامةَ مَنْ يَلومُهم مِن أقاربِهم الكفَّارِ على قطيعةِ الرحم[١]. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ اتِّصافُهم بهذه الأوصافِ مِمَّا آتاهمُ اللَّهُ مِن فضلِهِ؛ ثوابًا لهم على حُسنِ نيَّاتِهم. ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يُعطيه مَن يعلَمُهُ أهلًا له؛ باختيارِه طاعتَه، وكراهيةِ معصيته. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يَسَعُ فضلُه جميع خلقِه، عَليمٌ بمَن هو مِن أهلِه.

(٥٥-٥٦) - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ نهى عن موالاةِ الأعداء، وأَخبَرَ أنَّ وليَّهم هو اللَّهُ الذي يتولَّى مصالِحَهُم ومراشِدَهم، ويَأمرُ رسولَهُ

---

(١) التيسير في التفسير - (٥/ ٤١٩).

أنْ يَتولّاهم بالنَّصيحةِ والدُّعاءِ إلى طاعة اللّه وطلبِ مرضاتِه، ورَسولُهُ يَأمرُ المؤمنين بأنْ يتولَّوهم بالشفقةِ والمعاونة على التَّقوى والطَّاعة. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وهذا من صفاتِ الذين آمنوا. ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾؛ أي: هم خاشعون للّه، مع استكثارِهم نوافلَ الصَّلوات والصَّدقات[1]، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: ومَن جعلَ اللّهَ وليًّا له، يَتولَّى مصالحَهُ ونَصْرَهُ، وجعلَ رسولَه وليًّا له يَدلُّه على مراشدِه، وجعل المؤمنين أولياءَ له، يَعتضِدُ بهم في أمورِه، ويَجعلُهم موضِعَ سرِّه وصلتِه وبرِّه، فهو مِن حزب اللّه. ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ أي: جندُه، وقيل: أنصاره. ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم.

(٥٧) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ نهى عن موالاةِ كلِّ الكفَّارِ على العموم بعد ما نَهى عن موالاةِ أهل الكتاب على الخصوص، يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ اليهودَ والمشركين أولياء ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾؛ أي: سخريةً ﴿وَلَعِبًا﴾؛ أي: عبثًا؛ أي: يهزؤون به، ويقولون: هو محدَثٌ، لا قرارَ له ولا ثبات، ولا هو مِن عندِ اللّه آت، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: واحذروا عذابَ اللّهِ؛ في تركِ ما أمرَكُم به، وفعلِ ما نهاكُم عنه مِن اتِّخاذِ الكفَّارِ أولياء وغيرِ ذلك، إن آمنتم، فإنَّ الإيمانَ يُوجِبُ طاعةَ اللّهِ، وتركَ موالاةِ أعداءِ اللّه.

(٥٨) - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾؛ أي: وإذا أذَّنَ مؤذِّنُكم، فدعا إلى الصَّلاة، اتَّخذوا الصَّلاةَ سخريةً وعبثًا، وقالوا: هذا أمرٌ لا ثبات

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٥٤٢ - ٥٤٣)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٣٣).

له، فإذا كان صنيعُهم هذا بأجلِّ أمورِ دينكم، فكيف يَجوزُ لكم أنْ تُوالوهم وتَثِقوا بهم؟ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: إنَّما يَفعلون ذلك لأنَّهم سفهاءُ، لا يَعلمون ما في الصَّلاةِ والدُّعاءِ إليها مِن النَّهيِ عن الفحشاءِ والمنكر في الدُّنيا، والثَّوابِ الجزيلِ في العُقبى(١).

(٥٩) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: هل تَعيبون؟ وقيل: تَكرهون؟ وقيل: تَطعنون، وقيل: تُنكِرون، وقال ابن عباس في سبب نزولها: أنّ نفرًا مِن اليهود، أتوا رسولَ اللَّه ﷺ، فسألوهُ عمن يؤمِنُ به من الرُّسل؟ فقال: "أؤمنُ باللَّهِ وما أُنزِل إلينا، وما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ، فلمَّا ذكرَ عيسى، جحدوا نبوَّته، وقالوا: لا نؤمِنُ بما آمنتَ به، فأمرَ اللَّهُ تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يقولَ لهم: ما الذي تَعيبون منَّا في تديُّننا بالإسلام إلَّا أنَّا لم نُفرِّق بين الأنبياء والكتبِ، فآمنَّا بكلِّ مَن أرسلَهُ اللَّهُ، وبكلِّ ما أنزلَهُ اللَّه، وليس نداؤنا بالصَّلاة والشَّهادةِ لمحمَّدٍ بالرِّسالة جحودًا لمَن يَنتحلونَهم مِن الأنبياء؛ مِن موسى وغيرِه، بل هو جامعٌ للشَّهادة للَّه بالتَّوحيد، وللأنبياءِ بالرِّسالة، فلا عيبَ علينا، بل العيبُ عليكم إذ بدَّلتُم وخالفتُم؟. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الطَّاعة، وبحضُكم أسلمَ وأطاعَ، كعبد اللَّه بن سلام وأصحابِه(٢).

---

(١) جامع البيان (٨/ ٥٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٣ - ١١٦٤)، والتيسير في التفسير (٥/ ٤٢٦).

(٢) جامع البيان (٨/ ٥٣٧ - ٥٣٨)، وتفسير ابن حاتم (٤/ ١١٦٤).

(٦٠) - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ قيل: هذا جوابٌ لكلامٍ محذوف، وهو قولُهم للمؤمنين: إنَّ ثوابَكم على دينِكم ما أنتُم فيه من الفقرِ والضُّرِّ، ولو كنتم مُحقِّين لكنتُم للخيرِ والبِرِّ مستحقِّين، فنزلَ قولُه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ بمَن هو شرٌّ مثوبةً منَّا؛ أي: جزاء. وقد أثابَهُ؛ أي: جزاه، والمثوبة: الثَّواب، وهو الجزاء، ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾؛ أي: هو أنتم وأسلافُكم، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: سلبَهُم مُلكَهم، وشتَّتَ شملَهم، وضربَ عليهم الذِّلَّةَ والمسكنة. ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ قيل: جعل أصحابَ السَّبتِ قردةً، وجعلَ أصحابَ المائدة خنازير، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كلا الصِّنفين مِن أصحابِ السَّبت، فشُبَّانهم مُسِخوا قردةً، ومشايخُهم مُسِخوا خنازير[1]، ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الطَّاغوت، وهو ما عُبِدَ مِن دونِ اللَّه، وجَعَلَهُم بطاعتِهم أحبارَهُم ورهبانَهم فيما أَمروهُم به مِن معصيةِ اللَّه عابدينَ لهم، وقيل: أراد بِهِ عبادةَ العجلِ. ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي: هؤلاء الذين هذه صفاتُهم أردأُ منزلةً، وأبعدُ عن قصدِ الطَّريق -وهو الهدى- ممَّن قلتم، ولمَّا نزلَت هذه الآيةُ عيَّرهم المسلمون، وقالوا: يا إخوةَ القردةِ والخنازيرِ، فنكسوا رؤوسَهم بما فضحهم اللَّهُ تعالى على لسان رسولِه ﷺ.

(٦١) - ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾؛ أي: مِن هؤلاء اليهودِ منافقون يَلقونكُم بوجهٍ، ويَلقون الكفَّارَ بوجهٍ، فإذا جاؤوا مجلسَ الرَّسول ﷺ قالوا: آمنَّا بما أنزلَ اللَّه، قولًا مجملًا. ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾؛ أي: دخلوا وهم كافِرون.

(١) الكشف والبيان (٤/ ٨٥)، والتيسير في التفسير (٥/ ٤٢٨).

﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ وخرجوا وهم كافرون، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ أي: بما لم يزالوا يُضمِرون من النِّفاق والحقد عليكم.

(٦٢) - ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾؛ أي: مِن اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾؛ أي: الوزر، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: الظُّلم، ويجوزُ أن يكونَ الإثمُ في القولِ، والعدوانُ في الفِعل، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾؛ أي: الحرام. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هي كلمةُ ذمٍّ.

(٦٣) - ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾؛ أي: هلَّا يَنهاهم العلماءُ العُمَّال، ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ هم العلماءُ المحسِنون، ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ هو تغييرهم نعتَ النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ أي: الحرام، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، هو ذمُّ العلماء، والأوَّلُ ذمُّ العامة، وقوله: ﴿كَانُوا﴾ وصفٌ لهم أنَّهم لم يَزالوا كذلك. وقيل: ﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾ علماءُ أهلِ التَّوراة، ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ علماءُ أهلِ الإنجيل.

(٦٤) - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ولمَّا استوى عامَّتُهم وعلماؤهم في المعاصي ابتلاهُمُ اللَّهُ تعالى بالسِّنين، وكذلك كانت سُنته في الماضين، ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ أي: هو بخيلٌ لا يُعطينا ما يَنفعُنا ولا يَضرُّه، والعربُ تُسمِّي البخيلَ مغلولَ اليدين؛ أي: ممسكَ اليدينِ عن العطاء، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: هم الذين قُبِضَت أيديهِم عن الإعطاء، فهم الموصوفون بكمالِ البُخل، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾؛ أي: بُعِّدوا عن الرَّحمةِ وطُردوا. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ اليدُ والعينُ والمجيءُ والإتيانُ ونحوُها صفاتُ اللَّه، وردَ بها القرآنُ فنُثبِتُها للَّه على اعتقادِ ما أراد اللَّهُ تعالى بها، والمفهومُ مِن هذه الكلمةِ هاهنا ردُّ ما قالوا، وإثباتُ سَعَةِ فضلِه وسبوغِ نعمِه

على عبادِه[١]. ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾؛ أي: يَرزقُ مَن يشاءُ ما يشاءُ على ما يشاءُ مِن توسيعٍ وتضييق، فله الحكمُ والمشيئةُ في كلِّ البَرِيَّة. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ اللامُ للقَسم، وهو للتَّأكيد، ومعناهُ أنَّ كثيرًا مِن هؤلاء اليهود يَزداد -عند نزولِ القرآنِ بكشفِ سرائِرهم القبيحةِ- عنادًا وثباتًا على الكفر، وهذا من إضافة الفعل إلى السَّبب، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بين اليهودِ والنَّصارى ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ مجازٌ عن همِّهم بتهييجِ الحروبِ على النبيِّ ﷺ، وإبطالِ الله ذلك. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ قيل: بالمعاصي، وقيل: بأخذِ الرِّشا وتغييرِ الكتاب. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم[٢].

(٦٥-٦٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾؛ أي: اجتنبوا المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ السَّالفة، ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة؛ أي: لا يُعذِّبهم بما قالوا، لحاجةٍ له إلى تعذيبهم، بل جزاءً لهم على كفرِهم وتكذيبِهم، ولو أنَّهم آمَنوا وأسلموا، لأَمِنوا وسَلِموا. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: أقاموا العملَ بذلك على الاستقامةِ دون التَّحريف. ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾؛ أي: لتابَعْنا عليهم بركات السَّماء بالأمطارِ وبركاتِ الأرض بالنَّبات، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾؛ أي: جماعةٌ جاريةٌ على القصدِ، وهو الطريق العادل؛ أي: لم يزيغوا، ولم يَغلُوا في دينِهم، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ سائر

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٨٨)، معالم التنزيل (٣/ ٧٦)، التيسير في التفسير (٥/ ٤٣٣).

(٢) تفسير الجلالين(١/١٤٩)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٣٧)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٩٠).

اليهود؛ مِن الكفر، وصدِّ الناس عن الإيمان، واستحلالِ السُّحت[(١)].

(٦٧) - ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أي: بلِّغ جميعَ ما أُنزِل إليكَ؛ ولا تكتم شيئًا منه خوفًا أن تنال بمكروه فإنْ لم تُبَلِّغ شيئًا منه فإنَّك لم تبلِّغ رسالاتي كلَّها، وقيل: معناه: بلِّغ ذلك محتسِبًا غيرَ خائفٍ أحدًا، فإنْ لم تُبلِّغ على هذا الوصف فكأنَّك لم تُبلِّغهُ أصلًا. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ أي: يحفظُكَ منهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: لا يُرشدُ إلى الحقِّ أهلَ الكفر، ما داموا مختارين للكفرِ[(٢)].

(٦٨) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾؛ أي: من الدِّين الحق، ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: حتَّى تَعملوا بجميعِ هذه الكتب على الاستقامةِ والدَّوام. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾؛ وإضافة زيادةِ الكفر والطُّغيان إلى نزولِ القرآن بطريقِ التَّسبيب، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: لا تَحزن على أنْ لم يدخلوا في دينك، ولم يَصيروا مِن أتباعِك، فليسوا ممَّن يُتأسَّفُ بفوتهم.

(٦٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا، وهم اليهود مَن آمنَ مِنهم باللَّه واليومِ الآخر وعملَ

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣١٥)، والتيسير في التفسير (٥/ ٤٣٧).

(٢) جامع البيان (٨/ ٥٧٠)، والكشف والبيان (٤/ ٩١)، وتفسير مقاتل (١/ ٤٩١ - ٤٩٢)، وبحر العلوم (١/ ٤٤٩).

صالحًا، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصَّابئون والنَّصارى كذلك(١).

(٧٠) - ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: في كتبِهم بالإيمانِ باللَّه وبجميعِ الأنبياء. ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾؛ أي: في تجديدِ هذا الميثاق. ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: لا يوافِقُ أهواءَهم. ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾؛ أي: فريقًا كانوا يَقتلون، فإنَّه إخبار عن سَلَفِهم.

(٧١) - ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾أي: أصرُّوا على الذُّنوب، وظنُّوا لطولِ إمهالِ اللَّه إيَّاهم ألَّا يقع عليهم من اللَّه عقوبة، وقيل: الفتنةُ: المحنة؛ أي: حسِبوا ألَّا تأتيَهم الرُّسلُ بامتحانِهم على خلافِ ما أحدَثوا بهوى أنفسِهم، ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾؛ أي: ألِفوا المعاصيَ، فصاروا لرَين القلوبِ عُميًا، فلا يُبصِرون قبحَها، وصمًّا، فلا يَسمعون وعظَ النَّاهي عنها. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: ثمَّ أرسلَ اللَّهُ رُسُلًا، فأجابوهم، وتابوا للَّه، فقبِلَ اللَّهُ توبتَهم. ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾؛ أي: ثمَّ امتدَّتِ المهلةُ، فعادوا إلى المعاصي، وألفوها، فصاروا كما كانوا عُميًا وصُمًّا، وهو كقولهم: حبُّك الشَّيءَ يعمي ويُصِمُّ. ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ قومٌ تَقدَّم ذِكرُهم، أي: العميُ والصُّمُّ كثيرٌ منهم. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بأعمالِ الأسلافِ والأخلاف، فيُجازِيهم على الاستحقاقِ في الوِفاقِ والخلاف(٢).

---

(١) مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٣٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ١٩٣)، المحرر الوجيز (٢/ ٢١٩) معاني القرآن للفراء (١/ ٣١٠ - ٣١٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ٣٢٢).

(٢) تأويلات أهل السنة (٣/ ٥٦١)، والتيسير في التفسير (٥/ ٤٤٦).

(٧٢) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هو في نصارى بني نجران، وهو قولُ اليعقوبيَّة مِن النَّصارى أنَّ عيسى إلهٌ. ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾؛ أي: هو معترفٌ بأنَّه عبدُ اللَّه ورسولُه، وأنَّ اللَّهَ ربُّه وربُّ بني إسرائيل، ويقولُ لهم: لا تُشرِكوا باللَّه، ويَتوعَّدُهم عليه، وذلك: قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: أحدًا مِن خلقِه، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ وهو تحريمُ المنعِ، لا تحريمُ التَّكليف ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾؛ أي: وما للمشركين أعوانٌ يمنعونَهم. والظُّلم: الشِّركُ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وهو وضعُ الشَّيء غيرَ موضعِه.

(٧٣) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. قول عامَّةِ النَّصارى، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو إلهُ الخلقِ أجمعين. ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾؛ أي: إنْ لم يَرجِعوا عن هذا القول. ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: لَيُصِيبنَّ الذين كفروا، ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: مِن كفَّار النَّصارى، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم قيل: في الدُّنيا، وقيل: في الآخرة، وقيل: فيهما جميعًا.

(٧٤-٧٥) - ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: فليَتوبوا إلى اللَّه مِن هذه المقالات، وليُؤمنوا، وليَستغفروا اللَّه بألسنتِهم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَغفرُ ذنوبَ التَّائبِ، ويَرحمُه، فلا يَردُّ توبتَه ولا يعذِّبُه. ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: ليس عيسى ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يأتي بمثلِ ما أتى به أولئكَ مِن المعجزات، ولم يكن ما أتوا به مِن الآياتِ مُخرِجًا لهم

مِن العبوديَّة، مُثبِتًا لهم استحقاقَ الرُّبوبية، فكذلك عيسى، وكانت ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾أي: بَرَّةٌ تقيَّةٌ، صَدَقتْ في أعمالِها وأقوالِها وأحوالِها، وذلك لا يوجبُ لها أن تكون إلهًا. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾؛ أي: كانا يحتاجان إلى ما يُقيمُهما مِن الغذاءِ، وكانا يَجوعانِ وَيشبعان، ويكونُ مِنهما ما يكونُ ممَّن يأكلُ الطَّعام، وهو كنايةٌ عن قضاءِ الحاجةِ، فآثارُ الحدوثِ فيهما ظاهرةٌ، وحاجتُهما إلى ما يقيمُهما ماسَّةٌ، وهذا ممَّا لا يَتهيَّأ للنَّصارى دفعُه، فكيف تصحُّ دَعواهم فيهما يَدَّعون؟. ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: تَدبَّر وأبصر بعينِ قلبِك كيف نوضِحُ لهم الدلائل؟ ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ؟! وهذا تَعجيبٌ مِن اللَّه في ذهابِهم عن الفرقِ بين الرَّبِّ والمربوب(١).

(٧٦) - ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: إذا كان المسيحُ وأمُّه يَحتاجان إلى ما يُقيمُهما، لم يَملِكا لأحدٍ ضرًّا ولا نفعًا إلَّا بإذن مالكِهما، كسائر المربوبين، فكيف يعبدان؟ ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ أي: يَسمعُ مقالاتِ النَّصارى، ويَعلمُ اعتقاداتِهم، فيُجازِيهم جزاء مثلهم، وهذا وعيد.

(٧٧) - ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾؛ الغلوُّ: مجاوزةُ الحدِّ إلى الازدياد، وضِدُّه التَّقصير، وهو النُّقصان عن بلوغ الحدِّ، وكلاهما فاسدٌ، والحقُّ في الوقوفِ عند الحدِّ. وهذا نهيٌ لليَهود والنَّصارى عن مجاوزةِ الحدِّ في عيسى؛ فإنَّ اليهودَ جاوزوا الحدَّ فيه، حيث نَسبوهُ إلى غيرِ رِشْدَةٍ، والنَّصارى

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٤٠)، التيسير في التفسير (٥/ ٤٥١).

جاوزوا الحدَّ فيه، فاتَّخذوه إلهًا. ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾؛ أي: بغير الحقِّ، وهو الباطل. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾؛ أي: أسلافكم، ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: أحدَثوا هذه الأباطيلَ، فضلُّوا بها في أنفسِهم. ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ أي: مِن الناس بدعوتِهم إيَّاهم إليها. ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: ثَبتوا على ذلك الضَّلال.

(٧٨) - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: لُعنوا في الزَّبورِ على لسان داود، وفي الإنجيلِ على لسان عيسى ابن مريم، وإنَّما خصَّ داودَ وعيسى بالذِّكر؛ لأنَّ مَن قارب عهدَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا على الحقِّ، وإنَّما حدَثت هذه الضَّلالاتُ بعد ذلك. ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؛ أي: ذلك اللَّعنُ والمسخُ لعصيانِهم أمرَ اللَّه، وعدوانِهم على خلقِ اللَّه.

(٧٩) - ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؛ أي: كان لا يَنهى بعضُهم بعضًا عن الفعلِ القبيح الذي فَعلوه. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهو كلمةُ ذمٍّ؛ أي: ما أسوأَ تركَ الأمرِ بالمعروف والنَّهيِ عن المنكر[(١)].

(٨٠) - ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ قيل: أي: مِن كلِّ أهلِ الكتاب، وقيل: مِن اليهودِ خاصَّةً. ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: عَبدةَ الأوثان، وهذا لليهودِ خاصَّةً، وكان منهم منافقون يتولَّونَ أصنافَ المشركين لتَذبذبِهم. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: لبئس ما قدَّموا لأنفسِهم ذُخرًا لآخرتِهم. ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: قدَّمَت لهم أنفسُهم سخطَ اللَّه. ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾؛ أي: في جهنَّم، وهو ما قدمت لهم أنفسُهم.

---

(١) جامع البيان (٨/ ٥٨٦ - ٥٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨١ - ١١٨٢).

(٨١) - ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: ولو كان هؤلاء اليهودُ يؤمنون باللَّه، وبموسى، وما أنزل إليه، وهو التوراة، ما اتَّخذوا المشركين أولياء؛ لاختلاف أديانهم. ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾؛ أي: كثيرٌ منهم مع كفرِهم متمرِّدون، منهمِكُون في المعاصي.

(٨٢) - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: قَسَمًا إنَّك يا محمَّدُ تَجِدُ اليهودَ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للمؤمنين على الإيمان؛ لأنَّ الغالبَ على اليهود قساوةُ القلوب، والإفراطُ في الحسَد، حتَّى خرجوا بذلك إلى تكذيبِ الأنبياءِ وقتلِهم، حتى همُّوا بقتل رسول الله ﷺ غير مرَّةٍ، وسمّوه، وسحروه، وألَّبوا عليه أشباههم من المشركين، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ أي: الذين زعموا أنَّهم نصارى، من أتباع المسيح، وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودّة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرّقة والرّأفة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ القِسيسُ: العابدُ، وكذلك القَسُّ، وتَعارفوا إطلاقَه على رؤوسِ العُبَّاد مِنهم، والرُّهبان جمعُ راهب، وهو الخائفُ مِن اللَّه، وقيل: ﴿قِسِّيسِينَ﴾ متعبِّدين، ﴿وَرُهْبَانًا﴾ أصحاب الصَّوامع، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن الإيمان(١).

(٨٣) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ بعثَ النَّجاشيُّ اثنَي عشر رجلًا إلى رسول اللَّه ﷺ، فقرأ عليهم القرآنَ،

---

(١) جامع البيان (٨/ ٥٩٨ - ٥٩٩)، والكشف والبيان (٤/ ١٠٠).

فبكوا، وكان فيهم سبعةُ رهبانٍ وخمسةُ قسَّيسين، أو خمسةُ رهبانٍ وسبعةُ قِسِّيسين، ففيهم نزلَت هذه الآيةُ[(١)]. ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، والمعنى: لو أنَّك كنتَ معهم لرأيتَ ذلك، وقوله: ﴿تَفِيضُ﴾؛ أي: تَسيلُ، والدَّمعُ: ماءُ العين، ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ بكوا حين عرفوا الحقَّ لمعنيين؛ إمَّا فرحًا بنَيلِ الإيمان، وإمَّا خوفًا مِن اللَّهِ تعالى بتأخيرِ الإيمان إلى الآن. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾؛ أي: آمنَّا يا ربَّنا بك وبرسولِك وبكتابِك. ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: اكتبنا مع محمَّدٍ ﷺ وأمَّته؛ الذين جعلتَهُم يومَ القيامة شُهداءَ على النَّاس، نَشهدُ بمثل ما يَشهدون به يوم القيامة؛ أنَّه قد بلَّغَ وأنَّ الأنبياءَ قد بلَّغوا[(٢)].

(٨٤) - ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ أي: أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: مع أنَّا نرجو أنْ يُدخِلَنا اللَّهُ جنَّته مع الصَّالحين في أنفسِهم، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ.

(٨٥) - ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ أي: جزاؤهم بما قالوا من كلمةِ التَّوحيد، مع ما كان لهم مِن الاعتقاد الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا جزاء كل من أحسن[(٣)].

---

(١) جامع البيان (٨/ ٥٩٦، ٦٠١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٤).

(٢) التيسير في التفسير (٥/ ٤٦٧).

(٣) لطائف الإشارات (١/ ٤٤٤).

(٨٦-٨٧) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ هذا وعيدٌ للكافرين بعدما ذَكَرَ وعدَ المؤمنين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾. همَّت طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ فذكروا القيامةَ فرَقُّوا وبكوا، وحرَّموا على أنفسِهم الطيِّبات، وفي روايةِ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنهم قالوا: نَقطعُ مذاكيرنا، ونَترك شهواتِ الدُّنيا، ونَسيحُ في الأرضِ كما يَفعلُ الرُّهبان[١]، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: لا تجاوزوا حدَّ الشَّرع؛ فإنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن اعتدى حدودَه ونقضَ عهودَه.

(٨٨-٨٩) - ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: اتَّقوا مخالفةَ أمرِه ونهيِه، وفيه دليلٌ أنَّ الإيمانَ لا يَزولُ بزوال التَّقوى، فقد أثبتَهُ اللَّه مع ذلك. ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: باللغو الكائن في أيمانكم، وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله وبلى والله، أخبرَ بهذه الآيةِ أنَّهم إذا ألغَوها، وحنَثوا فيها، لم يُؤاخذوا بالإثمِ، وعليهم الكفارة. ﴿وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ﴾ بالتخفيف والتشديد وفي قراءة "عَاقَدْتُمْ"[٢] ﴿الْأَيْمَانَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد. ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ أي: كفارة اليمين، هو أنْ يُغَدِّيَهم ويعشِّيهم، ويجوزُ أنْ يُعطيَهُم بطريقِ التَّمليك، وهو لكلِّ واحدٍ منهم نصفُ صاعٍ مِن حنطة، أو

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ١٠١)، وأسباب النزول (١/ ١٩٨ - ١٩٩)

(٢) السبعة (١/ ٢٤٧)، والتيسير (١/ ١٠٠)، وجامع البيان للداني (ص: ٤٨٥) والنشر للجزري (٢/ ٢٥٥).

صاعٌ مِن شعيرٍ، أو صاعٌ من تمر، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ هم مَن في عياله مِن الزَّوجةِ والأولاد والخَدَم، والأوسَطُ: بين الجيِّد والرَّديء، وبين الإسرافِ والتَّقتير، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ هو مصدرٌ، ومعناها الإلباس، و﴿أَوْ﴾ للتَّخيير، وكذلك قوله: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، فيختار أيَّ الثلاثةِ شاء؛ مِن إطعامِ عشرةِ مساكين، أو إلباس عشرة مساكين كلَّ واحدٍ كسوةً تامَّةً، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: فمَن لم يَجِد أحدَ هذه الأشياء، فكفَّارتُه صيامُ ثلاثةِ أيَّام، إنْ شاءَ تابعَها، وإنْ شاءَ فرَّقَها؛ لإطلاق النَّص، ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾؛ أي: ذلك المذكور. ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: فلا تنسوها. وقيل: أي: فلا تَحْنَثوا فيها. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: كما بيَّنَ حكمَ اليمين، بيَّن سائر الأحكام؛ لتَشكروا نعمَهُ ببيانِ ما بكم إليه حاجةٌ.

(٩٠) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ أي: الْمُسْكِرُ الَّذِي يُخَامِر الْعَقْل ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ أي: الْقِمَار ﴿وَالْأَنْصَاب﴾ أي: الْأَصْنَام ﴿وَالْأَزْلَام﴾ أي: قِدَاح الِاسْتِقْسَام ﴿رِجْس﴾ أي: خَبِيث مُسْتَقْذَر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: الَّذِي يُزَيِّنهُ ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أَيْ: الرِّجْس الْمُعَبَّر عَنْ هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: على الرَّجاءِ للفوز والفلاح(١).

(٩١) - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ فـ ﴿الْعَدَاوَةَ﴾: ما يُفضي إلى التَّعدِّي بالفعل، و﴿وَالْبَغْضَاءَ﴾: ما يَتمكَّن مِن البُغض في القلبِ. ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾؛ أي: في استعمالِها. ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

(١) تفسير الجلالين (١/ ١٥٤).

﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾؛ أي: يَمنعَكُم عن ذلك. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: انتهوا، ودلَّتِ الآية على تحريم الخمرِ قطعًا.

(٩٢) - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ أي: في تحريمِ الخَمْرِ والميسرِ ونحوِهما، ولا تُطيعوا الشَّيطانَ في شيءٍ. ﴿وَاحْذَرُوا﴾؛ أي: عقابَهُ في مخالفتِه. ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؛ أي: فإنْ أعرضتُم فقد قامَت عليكم الحُجَّةُ بإبلاغ الرَّسولِ ذلك، وبَرِئ الرَّسولُ عمَّا كان عليه، ولا يَملِكُ هو مِن أمرِكم إلَّا التبليغ الظَّاهر، ثمَّ الحكمُ للّه في إثابة المطيعين ومعاقبة العاصين، فاحذَروا نزولَ عِقابه، وحلولَ عذابِه، وهو أبلغُ وعيدٍ وتهديد.

(٩٣) - ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾؛ أي: ذاقوا مِن الخمر، لمَّا نَزلَت الآيةُ في تحريمِ الخمر، قال حُيَيُّ بنُ أخطب: فما حالُ مَن ماتَ مِنكم وهم يَشربونها، فذكر المسلمون ذلك لرسولِ اللّه ﷺ، وقالوا: إخواننا ماتوا وقتلوا وهم يشربونَها؟، فأنزل اللّهُ هذه الآية[١].

﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ما حرَّم اللّه عليهم سواهما، وقيل: اتَّقوا الشِّركَ، ﴿وَآمَنُوا﴾ باللّه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في إيمانهم، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ يعني: اجتنب الأحياء الخمرَ والقِمار إذا جاءَهم تحريمُها، ﴿وَآمَنُوا﴾ صدَّقوا بتحريمها، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما يُحرَّمُ عليهم بعد هذا بنصٍّ يَرِدُ في التحريم لبعض ما أُحِلَّ لهم، ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ فيما تعبَّدهم اللّه به، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا معنى الأمر بالتَّقوى ثلاثًا في هذه الآية،

(١) تفسير مقاتل (١/ ٥٠٢ - ٥٠٣)، التفسير البسيط (٧/ ٥١٥).

وقيل: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أعمالًا، والمحسنين أحوالًا، والمحسنين آمالًا(١).

(٩٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ﴾ أي: بالنَّهي عن الاصطياد، والبلوى والابتلاء: الاختبارُ، وهو مِن اللَّه تعالى لإظهار ما علمَ مِن العبدِ على ما علم، لا ليَعلمَ ما لم يَعلم، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا. ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ وهو للتبعيض فإنَّ المُحَرَّم هو صيدُ البرِّ دون صيْدِ البحر، وصيْدُ الإحرامِ دون الإحلال، وصيْدُ الحرمِ دونَ الحِلِّ. ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾؛ أي: تُصِيبُه. ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ جمع رُمْحٍ، وكذا غيره من السِّلاح، وهو كبارُ الطَّيرِ التي لا تُؤخذُ إلا بحيلةٍ، ولا تُصابُ إلَّا بسلاح. ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: ليعلمَ اللَّهُ خوفَ الخائف منه بالامتناعِ عن الاصطياد موجودًا، كما كان يَعلمُ قبل وجودِه أنَّه يُوجَد؛ ليُثيبَهُ على عملِه، لا على علمه فيه، ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: بالاستدلال، دونَ العلمِ الضَّروري الواقعِ بالعِيان ونحوِه، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾؛ أي: اصطادَ بعد هذا الابتلاء؛ وهو النهيُ والبيان. ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُضْرَبُ على ظهرِه وبطنِه وتُنزَعُ ثيابُه(٢).

(٩٥) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ هو جمعُ حَرام، وهو الذي أحرمَ بحِجَّةٍ أو عمرةٍ، وهو أيضًا الذي دَخل الحرمَ، والنَّهيُ يَتناولُهما جميعًا، ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الواو للحال، نَهى عن قتل الصَّيدِ في هذه الحالة، وهو في الحقيقةِ نهيٌ عن التَّعرُّض للصَّيدِ بكلِّ وجهٍ. ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٤٦ - ٤٤٧).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٠٤) التيسير في التفسير (٥/ ٤٨٩).

﴿قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أوجبَ الجزاءَ في قتلِ كلِّ صيدٍ، فيَدخلُ فيه ما يُؤكلُ لحمُه وما لا يُؤكَلُ لحمُه، إلَّا الخمسَ الفواسِقَ المستثناةَ في الخبر، وهو قوله ﷺ: "خمسٌ فواسقُ يُقتلن في الحلِّ والحَرَم؛ الحيَّةُ، والعقربُ، والفأرةُ، والحدأةُ، والكلبُ العقور"(١)، ويُلْحَقُ بها ما ابتدَأ فعدَا على الآدميِّ، فقتلَهُ ذابًّا عن نفسِه. ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾؛ أي: بالتَّقويم. أو بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في النعامة ببدنه وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة وبن عمر وبن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الظبي بشاة ﴿هَدْيًا﴾ بالنصب أي: يُجزى هديًا، أو حُذف باؤه؛ أي: يُجزَى بهديٍ. ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾؛ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان كما قال: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج: ٣٣]؛ ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ أي: فعليه كفَّارةٌ، وهو إطعامُ المساكينِ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ و﴿أَوْ﴾ للتَّخيير في هذه الأشياء الثَّلاثةِ، فيَختارُ أيَّها شاءَ. والعَدلُ: المِثل. ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾؛ أي: ثقَلَ ما جُوزيَ به في بدنِه أو مالِه، وأصلُ الوبال: هو ثقلُ الشَّيء المكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل: ١٦]؛ أي: شاقًّا ثقيلًا، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؛ أي: في الجاهلية قبل النَّهي، وقيل: بالكفَّارة وقع العفو. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾؛ أي: فاللَّهُ يَنتقمُ منه، والمعنى أن مَن عادَ إلى قتلِ الصَّيد بعد ورودِ النَّهي، فاللَّهُ تعالى يُوجِبُ عليه الجزاءَ بهذه الأشياء، ولا يَعفو عنه، وسمَّاهُ

(١) رواه البخاري في "صحيحه" (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

انتقامًا كما سمَّاه وبالًا؛ لأنَّه شاقٌّ. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾؛ أي: منيعٌ لا يُغالَبُ، منتقِمٌ ممَّن خالفَه لا يُعارَضُ [١].

(٩٦) - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس حلالًا كنتم أو محرمين ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ وهو ما يُولَد ويَنشأ في الماء كالسمك ونحوه ﴿وَطَعَامُهُ﴾ الطَّعام ما قذفَهُ البحرُ.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾؛ أي: للعيرِ وهم القومُ المسافرون، وقوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾؛ أي: متعةً ومنفعةً، والطَّري منه منفعةٌ للحاضرين، والمملَّحُ مِنه للمسافرين، ثمَّ هذا يَقعُ على السَّمك خاصَّة. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فمنهم مَن حملَهُ على لحمِ صيدِ البَرِّ مطلقًا حالةَ الإحرام، وإن لم يكن صادَهُ محرِمٌ، فأمَّا ما صاده حلالٌ فلا بأسَ بأكلِه للمحرِم، وحديثُ أبي قتادة فيه مشهورٌ: قال جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عقرَ أبو قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حمارَ وحشٍ، ونحن محرمون وهو حلال، فأكلنا معه، ومعنا رسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تُبعَثون فيَجزيكم بأعمالِكم.

(٩٧) - ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ لمَّا حرَّمَ الاصطيادَ في الحرم والإحرام، وكان ذلك لحرمةِ البيتِ الحرام، عقَّبهُ ذكرَه، والكعبة سُمِّيَت بها لتكعُّبها؛ أي: لتربُّعِها، ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ ترجمةٌ وبدلٌ عنها، والقِيامُ:

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٢٠)، ومعاني القرآن" للنحاس (٢/ ٣٦٢)، وجامع البيان (٨/ ٧١٥).

(٢) رواه من حديث جابر أبو عوانة في "مستخرجه" (٧٦٣٥)، وروى نحوه البخاري في "صحيحه" (١٨٢٢)، ومسلم (١١٩٦) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العِماد والمِلَاكُ، وكذلك القِوام، وهو ما يَستقيمُ به الشَّيء، والمعنى: يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ هذا جنسٌ أريدَ به الجمعُ، وهو الأربعةُ الأشهر الحُرُم؛ رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجَّة، والمحرَّم، قيامًا لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ مر تفسيرهما ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: قد عَلِمَ اللَّهُ تعالى في الأزلِ أنَّ العربَ يكونُ بينَهم سفكُ الدِّماء والتَّباغي، فجعلَ الكعبةَ مأمنًا؛ ليتوصَّلوا بها إلى إقامةِ معايشِهم ولا يَتفانوا.

(٩٨-٩٩) - ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ أي: لمَنْ كفرَ وعصى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: لمَن آمنَ واتَّقى، وحفِظ الحقوقَ وراعى[(١)]. ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾؛ أي: تبليغُ الأمرِ والنَّهي، والوعدِ والوعيدِ، وليس عليه الحملُ على الطَّاعة جبرًا، والمنعُ عن المعصية كُرهًا. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾؛ أي: بالألسنة، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾؛ أي: بالأفئدة. وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ مِن الطَّاعة، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من المعصية.

(١٠٠) - ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ أي: لا يَستوي المشرك والمؤمن، وقيل: أي: لا يَستوي الحرامُ والحلال. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾؛ يريد أنَّ أهلَ الدُّنيا يُعجِبُهم كثرةُ المال وزينةُ الدنيا، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾؛ أي: العقولِ الخالصة. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: على رجاءِ الفوزِ

---

(١) جامع البيان (٩/ ٨)، والتيسير في التفسير (٥/ ٥٠٠)، والتفسير البسيط (٧/ ٥٤١).

بكلِّ مطلوبٍ، والأمنِ مِن كلِّ مرهوبٍ، والإطماعُ مِن اللَّه تحقيقٌ [(١)].

(١٠١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ نزول هذه الآية لما سألوا رسولَ اللَّه ﷺ، فأكثروا المسألةَ، ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾؛ أي: إنْ تَظهَر لكم تُحزِنكُم، ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ أي: وإنْ تَسألوا عن أشياء بعد نزولِ القرآن بها وفيها إشْكالٌ، ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ أي: تَظهَر لكم، وهذا إطلاقٌ للسُّؤالِ عند الإنزالِ لحلِّ الإشكال، وتوبيخٌ لهم على السُّؤال فيما لا حاجةَ إليه في الحال. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾؛ أي: عفا اللَّهُ عنكم هذه السُّؤالاتِ التي سألْتُموها مِن غيرِ حاجة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾؛ أي: لا يعاقِبُكم إلَّا بعد الإنذار.

(١٠٢) - ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾؛ أي: سألوا آياتِ الاقتراح، كقوم صالحٍ سألوا النَّاقةَ، ثمَّ كفروا بها وعقروها، وقوم طالوت قالوا لنبيهم: ابْعث لنا ملِكًا نقاتلْ في سبيلِ اللَّه، فلمَّا كُتِبَ عليهم القتالُ تولَّوا إلَّا قليلًا منهم، وقومِ عيسى سألوا المائدةَ فقال لهم: اتَّقوا اللَّهَ إن كنتُم مؤمنين، ثمَّ كفروا بها.

(١٠٣) - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾؛ أي: ما شرعَ اللَّهُ تعالى ذلك، وما جعلَهُ مِن أمورِ الدِّين. ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ والوصيلة الناقة البكر تبكر

---

(١) تأويلات أهل السنة (٣/ ٦٣٠)، جامع البيان (٩/ ١٢ - ١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٦).

في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر ﴿وَلَا حَامٍ﴾ والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدودة فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسموه الحامي[(١)]، ﴿وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ اللَّهَ تعالى لم يُحرِّمها، وهم عوامُّهم المقلِّدون رؤساءَهم.

(١٠٤) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾؛ أي: قيل لأتباعِهم: هلمُّوا إلى حكمِ اللَّه تعالى ورسولِه بأنَّ هذه الأشياءَ غيرُ محرَّمةٍ. ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾؛ أي: كافينا ذلك. ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الألفُ ألفُ الاستفهام بمعنى الاستنكار، أي: كيف يَجوزُ تقليدُ قومٍ بما لا عِلم لهم به ولا اهتداءَ لهم فيه؟.

(١٠٥) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؛ لقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، وقال حذيفةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؛ أي: إذا أمرتُم ونهيتُم[(٢)]. وقال أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّها النَّاسُ، لا تَغرَّنَّكم هذه الآية، فيقولَ أحدُكم: عليَّ نفسي؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ

(١) تفسير الجلالين(١/ ١٥٧).

(٢) جامع البيان (٩/ ٥٠ - ٥١).

يقول: "لتَأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتَنهَونَّ عن المنكر، أو لَيَستَعمِلنَّ عليكم شرارَكُم، ثمَّ لتَدعونَّ اللَّهَ فلايَستجيبُ لكم"(١)، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيَجزي مَن ضلَّ ومَن اهْتدى؛ كلًّا على وفقِ حاله.

(١٠٦) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾؛ أي: حَلِفُ ما بينكم، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ وهو المرض؛ لأنَّه مُقدِّمةُ الموتِ، وسببه ويُفضي إليه. ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾؛ أي: وقتَ الإيصاء، ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾؛ أي: يَحلِفُ اثنانِ عدلانِ مِن أهلِ مِلَّتِكُم أيُّها المسلمون، إذا كانا هما الموصى إليهما والمدفوعُ إليهما مالُ المريض. ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾؛ أي: مِن غير مِلَّتِكم، إذا كانا هما المدفوع إليهما المالُ؛ لأنَّ الإنسانَ يَأتمن على مالِه مَنْ شاء؛ كافرًا كان، أو مسلمًا. ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: سِرتُم وسافرتم، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾؛ أي: اتَّصلَ الموتُ بالمرض. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾؛ أي: تَقِفونَهما للتَّحليف. ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قيل: هي صلاةُ العصرِ، وأهلُ الأديان كلِّها يُعظِّمون ذلك الوقت. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾؛ أي: يَحلفان به. ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾؛ أي: شككتُم في أمانتِهما، ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ فهذا كلامٌ يَتكلَّمُ به الحالِف قبل حَلِفه تأكيدًا لحالِه، فقد يقول له القاضي: اتَّقِ اللَّهَ، ولا تَحلِف باللَّه كاذبًا، تشتري به ثمنًا قليلًا، فيقولُ: معاذ اللَّه أنْ أكونَ كذلك، لا أستبدِلُ بالحَلِفِ أو باسم اللَّه عوضًا يسيرًا من الدُّنيا، وإنْ كان هذا الميِّتُ قريبًا. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾؛ أي: لا نكتمُ شيئًا بالحلِفِ باللَّه، ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾؛ أي: نَأثمُ لو

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (٢٣)، والطبري في جامع البيان (٩/ ٥١ - ٥٢).

حلَفنا على الكذِبِ.

(١٠٧) - ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾؛ أي: اطُّلِعَ على خيانتهما، وقد عَثَرَ على الشَّيءِ عُثُورًا؛ أي: اطَّلعَ عليه، وأعثرَهُ غيرُه عليه؛ أي: أطلعَهُ، ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلاً ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية وهم الورثة، ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ بالميت أي الأقرباء إليه[١]. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾؛ أي: الآخرانِ الوارثانِ يَحلفان ما نعلمُ أنَّ مورِّثنا كان باعَ هذا الإناءَ منهما. ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾؛ أي: ليَمينُنا أحقُّ بالقَبولِ مِن يمين هذين الوصيَّينِ الخائنين. ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾؛ أي: ما تَجاوزْنا الحقَّ في يميننا. ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: إن حلَفنا كاذبين.

(١٠٨) - ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾؛ أي: شرْعُ هذا الحكم أقربُ إلى أنْ يأتيَ الأوصياءُ بالأيمانِ على وجهِها؛ أي: بالحقِّ دون الباطل، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؛ أي: وأن يخافوا إن حلِفوا كاذِبين، وظهرَ ذلك أنْ تردَّ الأيمانُ على الورثةِ بعد أيمانِ الأوصياء. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: في الخيانةِ أو اليمينِ الكاذبة. ﴿وَاسْمَعُوا﴾؛ أي: وعظَ اللَّهِ واعمَلوا به. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أي: لا يُرشِدُ الخارجين عن طاعتِه.

(١٠٩) - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ أي: اذكر يوم يجمع الله الرسل يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾؛ أي: ماذا أجابتكُم أُممُكم حين دعوتم إلى

(١) تفسير الجلالين (١/ ١٥٩).

التوحيد؟، وهذا للاستشهاد، فإنَّهم شهداءُ على الأمم، ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾؛ أي: يقولون، وذكر بصيغة الماضي؛ لأنَّه كائنٌ لا محالةَ، فهو كالموجود الآن، وإنما قالوا: لا علم لنا، عند بعضهم؛ لغلبةِ الهيبة؛ لما ذكرَ من الأهوال ومَخوْفِ الأحوال. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون(١).

(١١٠) - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾؛ أي: يُعدِّدُ اللَّهُ على عيسى يومئذٍ نِعمَه، ويَتبيَّنُ بذلك بُطلانُ قولِ النَّصارى في اتِّخاذِه واتخاذِ أمِّه إلهين، والنِّعمةُ اسمُ جنسٍ أُريدَ بها الجمعُ؛ فإنَّه ذكرَ بعده أعدادَ نعمِ اللَّه تعالى، والنِّعمةُ عليه ما ذكرَ في أوَّل هذه الآية وفي غيرها، وفي حقِّ والدتِه ما ذكرَ في سورة آل عمران: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ الآيات [آل عمران: ٣٧]، ودلَّت الآيةُ على أنَّ الشُّكر يَجِبُ على الولد بنِعَم الوالدَين؛ لأنَّ النعمةَ عليهما نعمةٌ عليه. ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾؛ أي: قوَّيتُك بجبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل: أي بالاسم الأعظم، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلًا، وهو ما قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ الآية [مريم: ٣٠]. ﴿وَكَهْلًا﴾؛ أي: بعد ثلاثين سنةً، حين أوْحى إليكَ بالرِّسالة. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ قيل: الكتابُ والحكمةُ هما التَّوراةُ والإنجيل، وقيل: ﴿الْكِتَابَ﴾: كُتُب الأوَّلين، وقيل: هو الكتابةُ بالقلم، والحكمةُ: فهمُ الكُتب. وقيل: العملُ بها مع علمِها. ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾؛ أي: تُصوِّرُ وتُقدِّر ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾؛ أي: على صورةِ الطَّير. ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾؛

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٥٣ - ٤٥٤)، والتيسير في التفسير - (٥/ ٥٢٥).

أي: بتَخليقي، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: بتخليق اللَّه موتَها. ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾؛ أي: تُصِحُّ المولودَ أعمى، والذي به برصٌ. ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾؛ أي: تُخرِجُهم مِن قبورِهم أحياءً، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: وإذ منعتُ اليهودَ عن قتلِك حين همُّوا به؛ إذ أتيتُهم بالعلاماتِ الدالَّة على نُبوَّتِك. ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: فقال الجاحدون مِن بني إسرائيل: ما هذا الذي أتيت به إلَّا سحرٌ ظاهر.

(١١١) - ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ هذا الوحيُ إلهامٌ، أو وحيٌ إلى نبيِّهم وبَلَّغهم، فصار كقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]؛ أي: إلى نبيِّكُم، فبَلَّغكُم. ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾؛ أي: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: واشهد يا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: مؤمنونَ مخلِصون. وقيل: أي: واشهد؛ أي: يا ربَّنا، وكان هذا دعاءً منهم، وهذا من جملةِ ما عدَّدَ اللَّهُ على عيسى من النِّعم[1].

(١١٢-١١٣) - ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هذا على المجاز أي: هل يُجيبُ ربُّك، أو يفعل. ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ وأما معنى المائدة فقال الزجاج: الأصل عندي أنها فاعلة من ماد يميد إذا تحرك، فكأنها تميد بما عليها[2] ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: احذروا أنْ يكونَ سؤالُكم

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٥٤)، والتيسير في التفسير (٥/ ٥٢٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٢٠).

سؤالَ شكٍّ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إذْ كنتُم مؤمِنين، قالوا: الحكمةُ في هذا الجواب مِن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم كي يَقولوا ما يَدلُّ على إخلاصِهم وتَصديقِهم، وأنَّ سؤالَهم لم يكن عن ارتيابٍ، فلا يقعَ عند السَّامعين أنَّهم شاكُّون أو متعنِّتون، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: نكونَ مخصوصين بهذه النِّعمة. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أي: تَزولَ الخطَرَاتُ والوَساوِسُ والشُّبهات. ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾؛ أي: نَعلمَ صِدْقَك عِلْمَ عِيان، كما كنَّا علمناها علمَ استدلال. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ أي: على المائدةِ ونزولها شاهدين على الجاحدين، بوقوع العلم بالمشاهدة.

(١١٤) - ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال عيسى لبني إسرائيل: هل لكم أنْ تصوموا للَّه ثلاثين يومًا، ثمَّ تَسألونَه، فيُعطيَكم ما سألتُم، فصاموا، ثم دعا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ﴿اللَّهُمَّ﴾؛ أي: يا اللَّه ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يا ربَّنا، ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: طعامًا يُعادُ إليه مرَّةً بعد مرَّةٍ. وقيل: أي: يكونُ ذلك اليومُ الذي تَنزِل فيه المائدةُ عيدًا باقيًا، كالأعيادِ لأهل كلِّ شريعةٍ، تعظيمًا لذلك اليوم، ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي: يأكلُ منها الأوَّلون، وهم الحاضرون، والآخِرون؛ أي: الذين يَأتون مِن بعد. وقيل: أي: تكونُ المائدةُ طعامًا دائمًا لنا. وقيل: أي: يجتمعُ أهلُ مِلَّتِنا عليه قومًا بعد قومٍ، كما في الولائمِ العظيمة. ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾؛ أي: علامةً شاهدةً على صِدقي، وإزالةً للشُّبهةِ والوَسواسِ. ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾؛ أي: أعطِنا ما سألناكَ، وأنت خيرُ المعطِين، تَبتدِئ بالعطيَّة قبل الاستحقاق. ختمَ

الدُّعاءَ بالثَّناءِ، كما بدأَ به توسُّلًا إلى اللَّه تعالى بطلبِ الإجابة[(١)].

(١١٥-١١٦) - ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وعدَ الإنزالَ، وشرط عليهم شرطًا وهو قولُه تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا وعيدٌ بالعذابِ بأبلغِ ما يكون، وأرادَ به عالمي زمانِهم، وقيل: أرادَ به كلَّ العالم؛ فإنَّه مسخهَم خنازير، ولم يمسخ قومًا كذلك قبلَهم ولا بعدَهم، وقال الحسنُ البصريُّ وقتادةُ ومجاهدٌ رحمهم اللَّه: لمَّا سَمِعوا الشَّرْطَ خافوا فاستَعفَوا وقالوا: لا نُريدُها، فلم تَنزِل. وقال الحسن: لو نزلَت لكانت باقيةً إلى يوم القيامة؛ لأنهم قالوا: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وأكثرُ النَّاسِ على أنَّها نزلَتْ، وعليه الأخبارُ المشهورة[(٢)]. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ يقول لعيسى هذا يومَ القيامة، وهذا بيانُ شرفِ عيسى، وأنَّه مع منزلتِه هذه يُخاطَب يوم القيامةِ بهذه الهيئة. وقيل: قال اللَّه تعالى له ذلك حين رفعَهُ إلى السَّماء ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وإنَّما خاطبَ بذلكَ عيسى دون النَّصارى؛ لأنَّهم في غاية البغضِ عند اللَّه؛ لغاية فحشِ ما تكلَّموا به، ولأنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أصدقُ النَّاسِ كلِّهم عند النَّصارى، فألزمَهم كذبَهم بقولهم، ثمَّ عذَّبَهم.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ نزَّهَ اللَّه تعالى عن كلِّ سوءٍ أوَّلًا، ثمَّ قال: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ أي: ما يَنبغي لي أنْ أقولَ ذلك، وهو ظاهرُ البطلان، وقد قلتُ في الصِّغرِ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، فكيف أقول بخلافه في الكِبَرِ؟

---

(١) جامع البيان (٩/ ١٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٤).

(٢) جامع البيان (٩/ ١٣٠) التيسير في التفسير (٥/ ٥٣٢).

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ وهذا اعتذارٌ حسنٌ واضح. ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾؛ أي: في ذاتي، ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ أي: في ذاتك، وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تَعلمُ ما في غيبي، ولا أعلمُ ما في غيبك. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ أي: ما خفي عنا، وهو اسمٌ للمبالغة(١).

(١١٧) - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾؛ أي: وحِّدوهُ وأطيعوهُ، وكذلك أخبرَ اللَّه تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة: ٧٢]، وقال في سورة الزخرف: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦]، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾؛ أي: شاهدًا على ما يفعلون ويقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مدَّةَ كوني فيهم، آمرُهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾؛ أي: قبضتَني ورفعتَني إلى السَّماء. ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: الحفيظَ والمطَّلِعَ. ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مِن قولي وفِعلي، وقولِهم وفعلهم.

(١١٨) - ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي لمن آمن منهم، وقيل: وإنْ تُؤخِّر العذابَ عنهم في الحال إلى الآخرة. ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي: المنيعُ في سُلطانِك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك، لا مانعَ لك عن مغفرتِهم، ولا شيءَ منك إلَّا وفيه الحكمةُ البالغة(٢).

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٢٢)، والتيسير في التفسير (/ ٥٤٠).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ١٦١)، وبحر العلوم (١/ ٤٦٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٢٣).

(١١٩) - ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ أي يقول اللَّه: إنَّ هذا اليومَ يوم ينفعُ الصَّادِقين فيه صدقُهم في الدُّنيا، وقال مقاتل رحمه اللَّه: الصادقون: النَّبيُّون يَنفعُهم صدقُهم، وكان عيسى صادقًا في الدَّنيا فيما قال، فيَنفعُه ذلك، فكذلك يَنفعُ النَّبيِّين فيما شَهِدوا به على أُمِهم يومئذٍ[(١)] ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ﴾؛ أي: رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالسَّعي المشكور، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾؛ أي: بالجزاءِ الموفور. ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فإنَّه في الآخرة، وهو باقٍ، والفوزُ في الدُّنيا غيرُ باقٍ.

(١٢٠) - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يريد خزائن السموات: وهي المطر، وخزائن الأرض: وهي النبات، وجمع السموات ووحد الأرض تفخيمًا لشأن السموات على الأرض، والجمع قد يدل به على تفخيم الشأن، والآية تشير إلى أن الآمال يجب أن تتعلق بالله تعالى لعظم ملكه وسعة مقدرته؛ وعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمُّه مِن جملةِ ذلك، فهما مملوكانِ له، فكيف يَكونان إلهين، وهو قادرٌ عليهما، فهما مقدوران له، فكيف يكونان ربَّين، تَمدَّحَ اللَّهُ تعالى بقدرته القديمةِ، الشَّاملةِ لجميع المقدوراتِ، الصَّالحةِ لإيجادِ المصنوعات، فهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ مِن التَّقرُّبِ والإبعاد، والإشقاء والإسعاد، والقَبول والرَّدِّ، والإقبال والصَّدِّ[(٢)].

(انتهى تفسير سورة المائدة).

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٥٢٢).

(٢) التيسير في التفسير (٥/ ٥٤٤)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٥٩)، والبسيط (٧/ ٦١١).

(٦) سورة الأنعام مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورةُ الأنعام مكِّيَّة وسميت سورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات، نزلت بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات، قد عدت هذه السورة الخامسة والخمسين في عد نزول السور، وهي مئةٌ وخمسٌ وستُّون آيةً، وكلماتُها ثلاثةُ آلافٍ واثنتان وأربعون، وحروفُها اثنتا عشر ألفًا وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وثلاثون، ونزلت هذه السورة جملةً بمكَّة ليلًا، وشيَّعَها سبعون ألف ملك[١].

من مقاصدها:

أنها ابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله لأنه مبدع العوالم جواهر وأعراضا فعلم أنه المتفرد بالإلهية. وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرفاً ولا علمًا. وتنزيه الله عن الولد والصاحبة. وموعظة المعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالقرون المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى، وأنهم ما يضرون بالإنكار إلا أنفسهم. ووعيدهم بما سيلقون عند نزع أرواحهم، وتسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي ﷺ من طلب إظهار الخوارق

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ١٣١)، وزاد المسير (٣/ ١)، وفضائل القرآن للمستغفري (٧٨٨)،في فضائل القرآن لابن الضريس (١٩٧)، وجامع البيان (٩/ ١٤٧).

تهكمًا. وإبطال اعتقادهم أن الله لقنهم على عقيدة الإشراك قصدًا منهم لإفحام الرسول ﷺ وبيان حقيقة مشيئة الله. وإثبات صدق القرآن بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق. وتثبيت النبي ﷺ وأنه لا يؤاخذ بإعراض قومه، وأمره بالإعراض عنهم. وبيان حكمة إرسال الله الرسل، وأنها الإنذار والتبشير وليست وظيفة الرسل إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات، وأن تفاضل الناس بالتقوى والانتساب إلى دين الله. وإبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال. وبيان أن التقوى الحق ليست مجرد حرمان النفس من الطيبات بل هي حرمان النفس من الشهوات التي تحول بين النفس وبين الكمال والتزكية. وضرب المثل للنبي مع قومه بمثل إبراهيم مع أبيه وقومه وكان الأنبياء والرسل على ذلك المثل من تقدم منهم ومن تأخر. والمنة على الأمة بما أنزل الله من القرآن هدىً لهم كما أنزل الكتاب على موسى، وبأن جعلها الله خاتمة الأمم الصالحة. وبيان فضيلة القرآن ودين الإسلام وما منح الله لأهله من مضاعفة الحسنات، وتخللت ذلك قوارع للمشركين، وتنويه بالمؤمنين، وامتنان بنعم اشتملت عليها مخلوقات الله، وذكر مفاتح الغيب، وبعد أن ساقت السورة الكريمة هذه الوصايا الحكيمة اتجهت في ختامها إلى دعوة الناس للعمل بكتاب الله الذي أنزله ليكون هداية ورحمة لهم، وأنذرت الذين يعرضون عن هديه الحكيم بسوء العذاب، وحثت كل عاقل على المبادرة إلى الإيمان بالله من قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الإيمان، ولا تنفع فيه الأعمال، لأنه يوم جزاء وحساب، وأمرت في ختامها كل مسلم بأن يخلص عمله لله، وأن يحمده على هدايته إياه إلى طريق الحق والرشاد، وبينت منزلة الإنسان في

هذا الوجود وحضته على أن يكون بقوله وعمله أهلًا لهذه المنزلة السامية حتى ينال رضا الله، وقد ساقت السورة في ختامها كل هذه المعاني بأسلوب ساحر يخلب الألباب، ويرقق القلوب، ويصفى النفوس، ويشيع في وجدان المؤمن الأنس والبهجة والخوف والرجاء، **وخلاصة القول أن** الأغراض الرئيسة التي استهدفتها السورة الكريمة تتركز فيما يلي:

(أ) إقامة الأدلة على وحدانية الله وقدرته، وأنه سبحانه- هو المستحق للعبادة والخضوع، وأن شريعته وحدها هي التي يجب أن تكون مرجعنا في كل ما يتعلق بعبادتنا ومعاملاتنا وسائر شئوننا.

(ب) إقامة الأدلة على صدق النبي ﷺ في دعوته، مع بيان وظيفته وتسليته عما يلاقيه من أعدائه.

(ج) إقامة الأدلة على أن يوم القيامة حق، وعلى أن الناس سيحاسبون فيه على أعمالهم، إن خيرا فخير وإن شرًا فشر.

(د) تفنيد الشبهات التي أثارها المشركون حول هذه الأمور الثلاثة السابقة بأسلوب يقنع العقول، ويهدى القلوب، ويرضي العواطف، ويحمل العقلاء على المسارعة إلى الدخول في هذا الدين عن طواعية واختيار(١)، وانتظامُ هذه السُّورة بسورةِ المائدة: أنَّ تلك السُّورةَ في ردِّ مقالات أهلِ الكتاب، وهذه السُّورة في ردِّ مقالات المشركين، والثاني: أنَّ تلك السُّورةَ في بيان الأحكام، وهذه السُّورة في بيان التَّوحيد، وبهما تعبَّدَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ كلَّ خلقِه، وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورةِ بآخرِ تلك

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١٢٣)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢٣).

السُّورة أنْ ختمَ تلك السُّورةَ بالملك، وفتح هذه السُّورةَ بالحمد، وتقديرُه: أنَّ اللَّه الذي له ملكُ السَّماوات والأرض هو المستحقُّ للحمد.

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: الثَّناءُ للَّهِ تعالى على أفعاله كلِّها، والشُّكرُ للَّهِ تعالى على نعمِهِ كلِّها، والرِّضا منَّا له بقِسَمِه كلِّها، وهو الممدوحُ بالصِّفاتِ التي يَستحقُّها، ودلَّ على ذلك كلِّه الألفُ واللَّامُ في أوَّله، وهما لاستغراقِ الجنس. ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ أي: بغيرِ عَمَدٍ مِن تحتِها، ولا عِلاقةٍ مِن فوقها، ولا سلسلةٍ مِن جوانبها، قوله: ﴿وَالْأَرْضَ﴾؛ أي: الأرضين، وقد قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، واسمُ الجنس يَقعُ على الجمع. ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾؛ أي: خلقَ ذلك كلَّهُ، وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾؛ أي: خلقَ اللَّيلَ والنَّهار، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: ثمَّ المشركون مع إقرارِهم بأنَّ اللَّه خلقَهما يَعدلون بِربِّهم سواه؛ أي: يُسوُّون به الأوثان، وقيل: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: عن ربِّهم يَميلون ويَنحرفون[١].

(٢) - ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾؛ أي: هو اللَّه الذي خلق السَّماوات والأرضَ، والظُّلماتِ والنُّور: خلقَكُم مِن آدم، وخلق آدمَ مِن تراب، وخلطَ ترابَهُ بالماء، فصارَ طينًا، ثمَّ صار حمأً مسنونًا، ثمَّ صلصالًا، ثمَّ بشرًا سويًّا، ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾؛ أي: قَدَّرَ مُدَّةً، قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحسن -رضي الله عنه-: هو أجلُ الدُّنيا. ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ﴾ أي: هذا الأجلُ المضروبُ

(١) التفسير البسيط (٨/ ٨)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٢).

معلومٌ عند اللَّه، لا يَطَّلِعُ عليه غيرُه، ثمَّ اختلفَتْ ألفاظُ المفسِّرين فيه: قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ أجلُ الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ السَّاعةُ والوقوفُ بين يدَي اللَّهِ تعالى. وقال الضَّحَّاك: ﴿أَجَلًا﴾ أجلُ العبادِ إلى الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ الآخرةُ والبعثُ بعد الموت. ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ أجل حياتك إلى أنْ تموت، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أجلٌ بعد موتِك إلى أنْ تُبعَثَ. وقال الحسن: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ أجل الدُّنيا مِن يومِ خلقِها إلى أن تَفنى، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يوم القيامة، وقال الضَّحَّاك: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ أجل الموتِ، لكلِّ نفسٍ أجل، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجلُ السَّاعة ذهابُ الدنيا، والإفضاءُ إلى اللَّه تعالى، وقال عطاء: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ من مولدِه إلى موتِه، ومن موتِه إلى بعثِه ودلَّت الآيةُ على أنَّ الأجلَ واحدٌ، ودلَّ ذلك على بطلانِ قول المعتزلةِ في الأجلَين. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾؛ أي: وبعد هذا البيانِ أنتم تَشكُّون في البعث(١).

(٣) - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ هو معبودٌ في السَّماواتِ، ومعبودٌ في الأرض، فهو إلهٌ واحدٌ في السَّماوات وفي الأرض، لا شريكَ له، وقيل: أي: هو المستحِقُّ للعبادة في السَّماوات وفي الأرض، وذلك بشهادةِ السَّموات والأرض له بالإلهيَّة، ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ في السَّماوات وفي الأرض. ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أي: يَعلمُ سرَّ أعمالِكم وجهرَها. وقيل: يَعلمُ ما تُسِرُّون

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٦٠)،وجامع البيان (٩/ ١٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٠).

مِن القولِ، وما تَجهرون به، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: ما تَعملون مِن خيرٍ أو شرٍّ.

(٤ - ٥) - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: آياتِ توحيدِ اللَّه تعالى، وآياتِ إثباتِ رسالةِ محمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويَحتمل آياتِ إثبات البَعث بعد الموتِ، بما أخبرَ أنَّه خلقَهم مِن طينٍ، فإذا ماتوا صاروا تُرابًا، فإذا كان إنشاؤهم مِن ترابٍ، يجوزُ إعادتُهم مِن تراب، ويحتملُ آيات القرآن، ويحتمل المعجزات، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: مُنصرِفين بقلوبِهم عن تأمُّلها، فلا يَنتفعون بها، وإنَّما يَنتفِعُ بها مَن تأمَّلها ونظرَ فيها. وقيل: أي: مُكذِّبين، ولذلك ذكرَ التَّكذيبَ فيما بعدَهُ، وهو قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: بالقرآنِ، وبمحمَّدٍ ﷺ. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: أخبارُ ما كانوا يَسخرون به مِن آياتِ اللَّه تعالى بنزولِ العقوبةِ بمَن جحدَها[(١)].

(٦) - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ القرنُ: أهلُ كلِّ عصرٍ فيه نبيٌّ أو عالِمٌ عظيمٌ، سُمُّوا بذلك لاقترانِهم به، وقيل: مُدَّةُ ذلك سبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة. ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ التَّمكينُ في البلادِ إعطاءُ المُكنة والمكانة والعُلُوِّ والغلبة أي: أعطيناكُم ما لم نُعطِ، يعني: وسَّعنا عليكم في كثرةِ العبيد والمال والأنعام. ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾؛ أي: السحاب دارًّا بالمطرِ، فكَثُرت غلَّاتُهم، ونَمَت مواشيهِم. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾؛ أي: كثُرت مياهُ الأنهارِ بكثرةِ الأمطار، وتَفجَّرت العيون. ﴿مِنْ تَحْتِهِمْ﴾؛

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٧)، والتفسير البسيط (٨/ ١٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٩).

أي: من تحتِ أشجارِهم. ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: بتكذيبِهم أنبياءَهم، وبكفرانِهم نعمَ اللَّه، ولم يُغنِهم ذلك، ولم يَدفعْ عنهم العذابَ. ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: خلقنا بعدَهم قومًا آخرين، فليَحذروا أنْ يَنالَهم مثلُ ما نال أولئكَ إذا فعلوا فعلَهم.

(٧) - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ أي: القرآنَ في صحيفةٍ؛ أي: مكتوبًا في بياضٍ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: مسُّوه ونظروا إليه[١] ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر سحرتَ به أعيننا، ليست له حقيقة ولا صحة، ظاهر لمن تدبّره وتأمّله أنه سحر لا حقيقة له.

(٨-٩) - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: لوجب العذاب، وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ أَيْ: لَا يُؤَجَّلُونَ وَلَا يُمْهَلُونَ. ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾؛ أي: لا يقعُ لهم فيما سألوا؛ لأنَّا لو أنزلنا ملكًا لجعلناهُ في صورةِ رجل؛ إذ لو أنزلناهُ على صورةِ الملَك، لم يعاينوه، على العادةِ التي أجراها للنَّاس، وإذا لم يعاينوه، لم يَثِقوا بكلامِه، ولقالوا: لا نَدري أنَّه صوتُ مَلَكٍ أو غيره، ولو جاءَهم بآيةٍ لكان لهم أن يقولوا: إنَّما عجَزْنا عن معارضَتِك؛ لأنَّك من غير جنسنا، لا أنَّه آيةٌ مِن اللَّه، وإذا لم يَجُز أنْ يَكونَ على صورة مَلَك، لهذا وجبَ أن يُجعَلَ في صورةِ رجلٍ، ثمَّ لهم أنْ يَسألوا الدِّلالةَ أنَّه مَلَكٌ جُعِلَ

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٢٩)، بحر العلوم (١/ ٤٧٤)، والكشف والبيان (٤/ ١٣٥ - ١٣٦).

رجلًا. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ ولوقعَ الالتباسُ هاهنا كما يَقعُ في إرسالِ البشر، واللَّبْسُ والتَّلبيسُ: تَخليطُ الأمرِ وإضافتُه إليه، على معنى أنَّهم لا يُنكِرون في محمَّدٍ أنَّه بَشَرٌ، ويُنكِرونَ أنَّه رسول، ولو أُنزِلَ مَلَكٌ في صورة رجلٍ، لأنكروا رسالتَه، وأنكروا كونَهُ مَلَكًا[١].

(١٠) - ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: نزلَ بهم مكروهٌ من جهةِ فعلهم، وفيه تسليةُ النَّبيِّ ﷺ، على أنَّه ليس هو المخصوص به، فإنَّ سائرَ الأنبياء فُعِلَ بهم كذلك، وفيه وعدٌ له بنصرتِه وإهلاكِ عدوِّه. ﴿سَخِرُوا مِنْهُم﴾ قيل: أي: مِن الأنبياء، تعديةً لفعلِ السُّخرية. وقيل: أي: مِن الأُمم، فإنَّ مِنهم مَنْ لم يَسخر، فهذا وعيدٌ لمن سَخِرَ مِنهم على الخصوص.

(١١-١٢) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: سافِروا، فاعتبِروا بخرابِ بُلدانِهم، وزوالِ سلطانِهم؛ بتكذيبِهم أنبياءَهم[٢]. ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾؛ أي: قل للمكذِّبينَ والمستهزئين: لَمَن مُلكُ ما في السَّماوات والأرض، وكانوا مُقِرِّين بأنَّ اللَّهَ جلَّ جلالُه هو الخالقُ والمالك، فليس لهم أنْ يَجعلوا مع اللَّهِ مِن خلقِه ومُلكِه شريكًا، فهو قادرٌ على أنْ يُعاجِلَهُم بالعذاب، ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾؛ أي: إن لم

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٧ - ٢٨)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن" للزجاج (٢/ ٢٣١).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٥٥٠)، وبحر العلوم (١/ ٤٧٥)، التيسير في التفسير (٦/ ٢٧).

يقولوا هم: إنَّه للَّه، فقل أنت: إنَّه للَّه. ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أصلُه: أوجب، ولكن لا يَجوزُ الإجراءُ على ظاهرِه؛ والمرادُ به: أنَّه وَعَدَ ذلك وعدًا مؤكدًا، وهو منْجِزُهُ لا محالة. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هذا قسَم، أي: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في القبورِ إلى يوم القيامة، وهي للغاية. وقيل: أي: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في الدُّنيا؛ بإلحاق المتأخِّرين بالمتقدِّمين، إلى أنْ يَجمعهُم يومَ القيامة. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شكَّ في الجمعِ، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخسرانُ: ذهابُ رأسِ المالِ؛ أي: مَنْ فاتتهُ نفسُه وهلكَتْ في الحقيقة، فهو الذي لا يُؤمِن.

(١٣-١٤) - ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: وله ما استقرَّ في اللَّيلِ والنَّهارِ مِن خلقٍ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾؛ أي: لما يقولونه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعلونَه. ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: قل يا محمَّدُ للمشركين: أيجوزُ أنْ يُظَنَّ بي أنْ أتَّخِذَ غيرَ اللَّه متولِّيًا لي بالحفظِ والكفايةِ والنُّصرة، كما فعلتُم أنتم؟، ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كنتُ لا أدري ما الفاطرُ، حتَّى رأيتُ أعرابيين يختصِمان في بئرٍ، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها؛ أي: أبتدأتُ حفرها، فعَلِمتُ أنَّه ابتداءُ الخلق [(١)]. ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾؛ أي: يَرزُق غيرَهُ، ولا يَرزقُه أحدٌ، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾؛ أي: ما يكونُ لي أنْ أتولَّى غيرَ اللَّه، فقد أُمِرتُ بهذا، ومعناه: أن أكونَ أوَّلَ مَنْ خضعَ وانقادَ مِن العربِ، أو مِن أهلِ مكَّةَ، أو مِن أهل العصر، والإسلام: هو الاستسلامُ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إنَّما صَلَح عطفُ النَّهيِ على الإخبار؛

(١) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن (١/ ٣٤٥)، وجامع البيان (٩/ ١٧٥).

لأنَّ تقديرَهُ: إنِّي قيل لي: أَسْلِم، ولا تَكونَنَّ مِن المشركين.

(١٥-١٦) - ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: قل يا محمَّدُ ﷺ لأهلِ مكَّة: إنِّي أعلمُ إنْ عصيتُ ربي فعَبدتُ غيرَه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: عذابَ يومِ القيامة ووصفَهُ بالعظيم؛ لأنَّ فيه الأمورَ العظام. ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي: مَن يُصْرَف عنه عذابُ يومِ القيامة، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾؛ أي: رحمَهُ اللَّه. ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾؛ لأنَّه دائمٌ لا زوالَ له، وليس كفوزِ الدُّنيا فإنَّه يَنقطِعُ.

(١٧) - ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي: إنْ يُصِبكَ اللَّهُ بفقرٍ، أو مرضٍ، أو بلاءٍ، فلا كاشفَ له إلَّا هو. ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾؛ أي: بغِنًى، وسَعَةٍ في الرِّزقِ، وصِحَّةٍ في الجسم، فهو مِن عندِه. ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن السَّعةِ والضِّيق، وهو تحقيقُ قوله: ﴿أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، وأنقادَ للّه، فأُقِرَّ له بذلك، ولا أتَّخِذَ غيرَهُ وليًّا، وهو المالكُ للنَّفعِ والضُّرِّ.

(١٨) - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ القهرُ: القدرةُ على الغَلَبة، والقهَّارُ: مبالغةٌ في صفةِ القاهر، و﴿فَوْقَ﴾ ليس بصلةٍ لقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾، بل هما كلامان تامَّان، وتقديرُه: وهو القاهر وهو فوق عباده. عنوا به العظمةَ والجلال، لا الارتفاع في المكان. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ العالمُ بتدبير الصَّنعةِ، المانعُ عن الخَلل، و﴿الْخَبِيرُ﴾ العالمُ بسرِّ العبادِ وعَلانيتِهم.

(١٩) - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أتى أهلُ مكَّةَ رسولَ اللَّه ﷺ، فقالوا: أما وجدَ اللَّهُ رسولًا غيرَك، ما نَرى أحدًا يُصَدِّقُك لما تقول، ولقد سألنا عنك اليهودَ والنَّصارى، فزعموا أنَّه ليس لك

عندَهم ذِكرٌ، فأرِنا مَنْ يَشهدُ أنَّك رسولُ اللَّه كما تَزعُم، فأنزلت ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: قل لهم بعد هذا: هو اللَّهُ شهيدٌ بيني وبينكم، على أنِّي قد بلَّغتُكم وتبرَّأتُ مِن أنْ أتَّخِذَ وليًّا غيرَه. ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾؛ أي: وإنَّما أوحيَ إليَّ هذا الكتابُ، لأخوِّفكُم به من عذاب اللَّه. ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾؛ أي: وجميعَ مَن بلغَه هذا ممَّن غابَ عن بلدِكم، أو تأخَّرَ عن عصرِكم(١)، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾؛ أي: إنَّكم إنْ شهِدتُم بذلك، فإنِّي لا أشهدُ به. ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ معناه: سلهم: أتَشهَدون بهذا، فإنَّ مِن العجيب أنْ يَشهدوا بهذا بعد وضوحِ البيان، فإنْ لَجُّوا وشَهِدوا فقل: لا أشهدُ معكم(٢).

(٢٠) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ أي: إنَّ أهلَ الكتاب الذين يَرجع إليهم هؤلاء المشركون في السُّؤال، يعرفون أن محمدًا رسولَ اللَّه حقٌّ، كما يَعرفون أولادَهم؛ لذِكرِه في كتابِهم. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، مر تفسيره.

(٢١) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا أحدَ أظلمُ ممَّن اختلقَ على اللَّه زورًا، فأشركَ به غيرَه، ووصفَهُ بما لم يَصِف به نفسَه. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؛ أي: بالقرآنِ وبمحمَّدٍ ﷺ. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٦٤)، الكشف والبيان (٤/ ١٤٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ٢٠٨).

(٢) جامع البيان (٩/ ١٨٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧١)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٥٤).

﴿الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: لا يفوزُ المشركون. وقيل: المشركون وأهلُ الكتابِ ما داموا على ظلمِهم[(١)].

(٢٢) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: لا يُفلِح الظَّالمون أيَّامَ الدُّنيا ويومَ نحشرُهم. وقيل: أي: وليتَّقوا يومَ نحشُرُهم؛ أي: نَبعثُهم، ونَجمعُهم كافَّةً، ثمَّ نقولُ للمشركين: أين مَن أشركتُموهم باللَّه مِن آلهتِكم؛ رجاءَ نفعِهم إيَّاكم عند اللَّه؟ ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تقولون.

(٢٣) - ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: ثمَّ لم تكنْ معذِرتُهم حين قيل لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟ وقيل: سمَّى المعذرةَ فتنةً؛ لأنَّها صارت بليَّةً لزمتهُم بها الحجَّةُ. ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ أي: عند أنفُسِنا، بل كنا موحِّدين بإقرارِنا أنَّ الخالقَ واحدٌ والرَّازقَ واحد، وإنَّما عبدنا الأصنامَ ليقرِّبونا إلى اللَّه زُلْفى[(٢)].

(٢٤) - ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قيل: يقولُ اللَّه تعالى حينئذٍ لمحمَّدٍ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: انظر كيف كذَبوا على أنفسِهم بقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: تلاشى افتراؤهم:

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣٤)، تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٢)، التيسير في التفسير (٦/٣٨).

(٢) جامع البيان(٩/ ١٩١)، معاني القرآن" للزجاج (٢/ ٢٣٦)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٤٤).

إنَّا نعبدُهم ليَشفعوا لنا، فلم يَحصل ذلك لهم. وقيل: أي: اشتغلَ عنهم الآلهةُ التي كانوا يَفترون على اللّهِ بجعلِها شركاءَ للّه.

(٢٥) - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: ومِنْ هؤلاء الظَّالمين مَن يَستمِعُ إليك كالمُظهِرِ للقَبول والانقياد، وهو مُصِرٌّ على الجحودِ والعناد. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: أغطيةً، جمع كِنان، وهو الغطاء، وقد كنَّ الشَّيء إذا صانه، وأكنَّه؛ أي: غطَّاه. وقوله تعالى: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾؛ أي: جَعلنا في أسماعِهم ثِقَلًا، وليس ذلك بإجبارٍ، بل هو عقوبةٌ لهم على اختيارِهم الكفر على إصرارهم، ويدلُّ عليه ما بعدَه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾؛ أي: كلَّ آيةٍ اقترحوها. وقيل: الآياتُ المقترحةُ وغيرُها، وهو في قوم علمَ اللّه منهم الاختيارَ للكفر على الأبد؛ أي: يُدخِلون الشُّبهَ فيها، ويَقولون: لعلَّها سحرٌ، ولعلَّها أساطيرُ الأولين. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾؛ أي: يُحاجُّونَك. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: أحاديثُ الأوَّلينَ التي كانوا يَسطرُونها؛ أي: يكتبونها[1].

(٢٦) - ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: هؤلاء الكفَّار يَنهون النَّاسَ عن اتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ، وعن الاستماع منه، ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: يتباعدون بأنفسِهم عنه. ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾؛ أي: وما يُوردون مواردَ العذابِ إلَّا أنفسَهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يَنتفعون بعلمِهم. وقيل: وما يَعلمون ما عليهم مِن العذابِ في

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٨٩)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٩٦)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣٨).

الآخرة، وهو نفيُ العلمِ بقَدْرِ ذلك، وهو إعظامٌ له (١).

(٢٧) - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: ولو ترى يا محمَّد ﷺ إذْ وُقِفَ هؤلاءِ على النَّار، وقيل: حُبِسوا، ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يا ليتنا نَرجِعُ إلى الدَّنيا فنؤمنَ ولا نكفر، ونكون مؤمنين صادقين.

(٢٨) - ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ليس ما يتمنَّونه مِن الرَّجعةِ رغبةً في الإيمان، لكن أظهرَ اللَّهُ أعمالَهم السيِّئةَ على رؤوسِ الأشهادِ يومَ القيامة، ففضحَهم، وقيل: ﴿بَدَا لَهُمْ﴾؛ أي: لمشركي العرب ما كان أهلُ الكتاب يُخفونَه عنهم مِن قبل، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾؛ أي: ولو رُدُّوا إلى الدُّنيا لرجَعوا إلى ما نُهوا عنه مِن الشِّرك. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: في قولهم: ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

(٢٩-٣٠) - ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾؛ أي: قال هؤلاء الكُفَّار: ما الحياةُ إلَّا حياتُنا القربى؛ أي: الحاليَّة، ولا نُبعثُ بعدَ الموتِ أحياءً للجزاء. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾؛ أي: حُبِسوا على حسابِ ربِّهم، أو على عذابِ ربِّهم، أو "على" بمعنى اللام، وتقديرُه: وقفوا لربِّهم، كما قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: قال

---

(١) الكشف والبيان (١٢/ ٥٥ - ٥٦)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٣٦)، والتفسير البسيط (٨/ ٦١).

(٢) الكشف والبيان (١٢/ ٦١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٩).

اللَّهُ تعالى، أو قال الملَكُ بأمرِه: أليسَ البعثُ بحقّ؟. ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ اعترفوا به مُحقَّقًا بالقسم بعدما كانوا يقولون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: فلا نفعَ لكم في هذا الإقرار، فذُوموا في هذا العذابِ بذلك الإنكار[١].

(٣١) - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ الخسران: الهلاكُ وذهابُ رأسِ المال، وقد فاتَ هؤلاءِ خلاصُ أنفسِهم، ولزمَهُم هلاكُها. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾؛ أي: بالبعثِ للحساب والجزاء، ويكونُ أيضًا برؤية اللَّه التي وعدَها للمؤمنين، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾؛ أي: حتَّى إذا أتتهم القيامةُ فجأةً، وسُمِّيَت القيامةُ ساعةً؛ لسرعة الحساب فيها، ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾؛ أي: يا ندامَتنا على ما قصَّرنا في حقِّها؛ أي: في حقِّ القيامةِ مِن الاستعداد لها، وتقديمِ الأعمال الصَّالحةِ لأجلِها، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: وهم مع هذا التَّحسُّر يَحمِلون أثقالَ آثامِهم على ظهورِهم، وهو عبارةٌ عن لزومِ تلك الآثام لهم، وكونِهم مثقَلين بها، مرتَهَنين بعذابِ اللَّه تعالى. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: يَحمِلون[٢].

(٣٢) - ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: وما الحياةُ التي دعوتُم النَّاس إلى التَّمتُّع فيها، وقلتُم لا حياةَ غيرها؛ في قِصَر مدَّتها وسرعة انقضائها في جنب الحياة الآخرة، إلَّا كلَعِبِ الصِّبيان، ولهْوِ الفُرسان. واللَّعب: هو الذي لا

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٦٧)، والتيسير في التفسير (٦/ ٥١).
(٢) التفسير الوسيط (٢/ ٢٦٤)، وجامع البيان (٩/ ٢١٦ - ٢١٧)

حقيقةَ له، ولا مقصدَ فيه، واللهو: ما يُقصَدُ به قضاءُ الشهوة، وهو كالعبثِ ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: إنَّ نعيمَ الآخرةِ خيرٌ مِن نعيم الدُّنيا؛ لأنَّه لا يَزولُ ولا يَحول، ولا يُنتقص ولا يَتنغَّص، وخصَّ به المتَّقين؛ لأنَّهم هم المتفعون به، والصَّائرون إليه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا يَعقِلُ المشركون هذا فيعملوا به؟.

(٣٣) - ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ بمعنى التَّقليل ومعناه هاهنا: تقليل حزنِه بذلك؛ لتسليةِ اللَّه عزَّ وجلَّ إيَّاه. ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ أي: قولُ قريشٍ: إنَّك ساحرٌ كذَّابٌ مجنون. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يقول: لا يَجِدونكَ كاذبًا فيما تقول، لكنَّ الكافرين الظَّالمين أنفسَهم، الواضعين الشَّيءَ غيرَ موضعِه، يُنكِرون الحقَّ مع علمِهم به[(١)].

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: كذَّبهم قومُهم كما كذَّبتك قريشٌ، ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ في أبدانِهم، ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾؛ أي: عدتنا بهلاكهم، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ﴾؛ أي: لا مغيِّرَ ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: المواعيد في القرآنِ أنَّه سيَنصرُك والذين آمنوا معك، كما نصرَ الأنبياءَ قبلَك، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ مِن خبرِهم في القرآن كيف أنجيناهُم، ودمَّرنا قومَهم[(٢)].

(٣٥) - ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾؛ أي: ثَقُلَ عليك توليهم عنك. ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: سَرَبًا، وقيل: مدخلًا، وقيل: غارًا ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: درجًا، وقيل: مصعدًا ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾؛ أي: ممَّا

---

(١) النكت والعيون (٢/ ١٠٧)، والوسيط (٢/ ٢٦٥)، وجامع البيان (٩/ ٢٢٢).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٦٩)، وبحر العلوم (١/ ٤٨٢)، والكشف والبيان (٤/ ١٤٥).

يَقترحون ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: جعلَهم جميعًا بحيث يختارون الهُدى، ولكن لمَّا علمَ أنَّهم يَختارون الكفرَ على الهُدى، لم يشأ أنْ يَجمعهُم على ذلك، ولا يجوزُ أنْ يُحملَ على مشيئة الجبرِ والقهر؛ لأنَّ ذلك لا يكونُ هدًى. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أنَّ اللّهَ لو شاء لجمعَهم على الهُدى. وقيل: ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أنَّ بعضهم يُؤمِنُ دون بعض. قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كان النبيُّ ﷺ يَحرِصُ على أنْ يؤمِنَ جميعُ النَّاس ويتابعوه على الهدى، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

(٣٦) - ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: القولَ، والمعنى: إنَّما يَستجيبُ دعاءَك الذين يَسمعون دعاءَك للقَبول والانقياد، فأمَّا مَن أَلِفَ الشِّركَ وتمادى في الطُّغيان، فلا. وقيل: ﴿يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يَنتفعون بالسَّماع. ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ أي: كفَّار مكَّة، يَبعثُهم اللّهُ في الآخرةِ، ثمَّ إليه يُردُّون، فيَجزيهم بأعمالِهم.

(٣٧) - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: وقال هؤلاء الكفَّارُ: هلَّا نُزِّلَ عليه آيةٌ يَقترحُها، كآيات الأنبياءِ الماضين، مثل: فلق البحرِ لموسى، والناقةِ لصالح؛ مِنْ تَسيير الجبال، وتصيير الصَّفا ذهبًا، وتفجيرِ الينابيع، وإسقاطِ السَّماءِ كِسَفًا، والرُّقيِّ

(١) جامع البيان (٩/ ٢٢٦، ٢٢٧)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٥٣)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٧٤)، والتيسير في التفسير (٦/ ٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٤ - ١٢٨٥)، تفسير مقاتل (١/ ٥٥٩).

في السَّماء وإنزالِ الكتاب، ونحو ذلك، قل يا محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ الآيةَ التي اقترحوها، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون بأن الله قادر على أن ينزلها[(١)].

(٣٨) - ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: حيوانٍ يَدِبُّ على وجه الأرض. ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ هو للتَّأكيد والتَّحقيق، فإنَّ الطَّيران قد يُستعمَلُ للسُّرعةِ مجازًا، فذِكرُ الجناحين لإثباتِ حقيقةِ الفعل. ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾؛ أي: أصنافٌ، أي: سيحشرون يومَ القيامة كما تُحشرون أنتم، ثمَّ يُقتَص للبهائمِ بعضِها من بعض، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ما تركنا مقصِّرين ذكرَ شيءٍ مِنهم في اللَّوح المحفوظ من أعدادِهم وأرزاقِهم وآجالِهم. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: يُبعثون للحسابِ والجزاء، وهم بنو آدم[(٢)].

(٣٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: بالقرآنِ، وبمحمَّدٍ، وبالبعثِ بعد الموت، ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾؛ أي: يَتصامُّون عن سماعِ الحقِّ، ويَتباكمون عن القولِ بالحقِّ. ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: هم في ظلماتِ الكفر. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: من عَلِمَ منه اختيارَ الضَّلالِ، شاء ضلالَهُ، وخلقَهُ فيه، ومَن عَلِمَ منه اختيارَ الاهتداء، شاءَ اهتداءَه، وخلقَه فيه.

(٤٠) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ هذه كلمة استفهام، أي: قل يا محمَّدُ لهؤلاءِ

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٥٥٩).

(٢) البسيط (٨/ ١١٢)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٧٨)، والتيسير في التفسير (٦/ ٦٤).

المشركين الذين يَعدِلون بربِّهم: أخبروني عنكم، وعمَّا تَرون عليه أنفسَكم ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ -قيل: هو ما أتاهم يوم بدرٍ وأُحُدٍ والأحزاب- أو أتتكم القيامةُ بأهوالِها، أإلى غيرِ اللَّه تلتَجئون من الأصنام التي تعبدون أم إلى اللَّه؛ تُقِرُّون أنَّه خالقُكم ورازِقُكم؟.

(٤١) - ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: بل اللَّهَ تَدعون، فيَكشِفُ اللَّهُ عنكم البلاءَ الذي تَدعونَ اللَّهَ إليه، وهي كلمة غاية؛ أي: إلى أن يَتِمَّ الفرج. ﴿إِنْ شَاءَ﴾؛ أي: إنَّما يَكشِفُ بمشيئتِه لا بطَلَبِكم؛ إذ لا إكراهَ عليه، ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ أي: وتتركونَ ما كنتُم تشركونَه باللَّه؛ أي: فما معنى عبادتِكم الأصنامَ بعد هذا، وهي لا تُفرِّجُ عنكم الشَّدائدَ، ولا تَستجيبُ دَعواتِكم بالمقاصد؟.

(٤٢) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾؛ أي: أرسلنا إليهم رُسُلًا، فخالفوهم، وصحَّ الحذفُ لوضوح المراد. ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أي: بالفقرِ والمرض، وقيل: ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾: شدَّة البطشِ، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الأوجاع. فعلنا بهم ذلك ليَتضرَّعوا، وهو لطفٌ في الدُّعاء إليه، و"لعلَّ" كلمةُ ترجٍّ، ومعناه: كان الأنبياءُ صلوات اللَّه عليهم يَترجَّون منهم ذلك[١].

(٤٣) - ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾؛ أي: فهلَّا تذلَّلوا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾؛ أي: بلاؤنا وشدَّةُ الأمر منا. ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: غَلُظَت، فلم

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٨، ١٢٨٩).

تركن للاتِّعاظ بسبب إصرارِهم على سوء اختيارهم. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: حسَّن إليهم أعمالَهم، فلم يَتوبوا عنها.

(٤٤) - ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؛ أي: لم يتَّعِظوا بما وعِظوا، ولم يتضرَّعوا وقد امتُحِنوا. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: وسَّعنا عليهم النِّعمَ؛ لِيَشكروا، فلم يشكروا. ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾؛ أي: أَشِروا وبَطِروا، ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأةً بالعذابِ المستأصِل، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾؛ أي: فحينئذٍ هم آيِسون مِن كلِّ خير. وقيل: الإبلاس: انقطاعُ الحُجَّة. وقيل: الحيرةُ عند حلولِ البليَّة.

(٤٥) - ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: أُهلِكوا جميعًا، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: حَمِدَ نفسَه بنفسه؛ إذ نصرَ أولياءَهُ، وقهرَ أعداءَه. وقيل: بل أمرَ محمَّدًا ﷺ بأنْ يَحمَدَ اللّه على ذلك. وقيل: أي: اللّهُ محمودٌ على كلِّ حالٍ بما كرَّر مِن المواعظِ والأذكار، ولم يُنزِل بهم البوارَ إلَّا بعد الإعذار والإنذار.

(٤٦) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ ذَكرَ إهلاكَ الماضين، وأوعد الحاليِّين، فقال: أعلمتُم إنْ أصمَّكمُ اللّهُ، وأعماكم، وشدَّ قلوبَكم، فلم يصل إليها فهمٌ؟. ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: فلا إلهَ سوى اللّهِ يأتي بالمأخوذ، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: انظر يا محمَّدُ ﷺ، كيف نُبيِّنُ ونكرِّرُ لهم الشواهدَ على بُطلان الشِّرك وعلى حَقِّيَّة الإسلام، ثمَّ هم يُعرِضون عنها؛ أي: عن تدبُّرها وقَبولها.

(٤٧) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: ليلًا ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾؛ أي: نهارًا؛ أي: قل يا محمَّد: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ فجأةً مِن حيث لا تعلمون، أو علانيةً مِن حيث تَعلمون، فلا يُمكنكُم أنْ تَردُّوه عن أنفسِكم، فهلكتُم به، هل يكون ما نزلَ بكم مِن ذلك إلا هلاكًا نزلَ بقومٍ ظلَموا أنفسَهُم بكفرِهم بربِّهم؟.

(٤٨-٤٩) - ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ أي: المؤمنينَ بالجنَّة، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ الكافرين بالنَّار، ليس إليهم إلَّا هذا، وليس بأيديهم إنزالُ الآياتِ التي تقترحونها. ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ باللَّه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أعمالَهُ، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدخولِ النَّار، ولا حزنٌ بفوتِ الجنَّة، وهذا من تبشيرِهم[(١)]. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أي: يُصيبُهم فلا يُفارِقُهم. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾؛ أي: يَخرجون مِن طاعة اللَّه بالكفرِ، وهذا مِن إنذارِهم.

(٥٠) - ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ ولمَّا اقترحَ المشركون -لعنهم اللَّه- على رسول اللَّه ﷺ مِن الآياتِ ما ليس في مقدور البشر، أمرَ اللَّهُ نبيَّهُ أنْ يُخبِرَ الكفَّارَ عن نفسِه بهذه الجملة، فقال قل لهم: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ -جمع خِزانة وخَزينة، وهي ما يَخزِنُ؛ أي: يحرِزُ بحيث لا تناله الأيدي ويَحفظُ- فأملكَ إنزالَ ما تقترحونَه مِن الآيات، أو آتيكم بكنوزِ الأموالِ، وأفجِّرَ لكم الأنهارَ في الجنان، كما قلتم: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ

---

(١) البسيط (٨/ ١٥٠)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٤٥)، والتيسير في التفسير (٦/ ٧٤).

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان: ٧ - ٨]، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ولا أقولُ لكم: إنِّي أعلمُ الغيبَ، فأخبرَكُم بكلِّ ما تَسألون عنه ما لم يُعلِّمنيهِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، أو أعلمَ الأمرَ الذي إذا جئتُكم به آمنتُم، وأعلمَ عواقبَ الأمور. ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أقوى على ما لم يقوَ عليه البشرُ فأقهرَكم على ما أُريدُ منكم بقوَّتي، وإنَّما أنا عبدٌ مربوبٌ، بشرٌ مثلُكم، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي: أتبَّعُ ما يُوحي إليَّ ربِّي، فأبلِّغُكم. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: فأبصروا رشدَكم بقبول إنذاري؛ فإنَّه لا يَستوي الأعمى عنِ الرُّشد والبصيرُ بالرُّشد، أفلا تتأمَّلونَ بقلوبِكم ما فيه رُشدُكم؟ وقيل: ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الكافرُ والمؤمن، وقيل: هذا استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: فتفكروا[(١)].

(٥١) - ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾؛ أي: خوِّف بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ وهم المؤمنون؛ أي: إنَّ الكفَّار المقتَرحين ليسوا بقابِلين إنذارَك، فاصرِف الآن إدامةَ الإنذارِ إلى المؤمنين الذين يخافون البعثَ والحسابَ والجزاء. ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: لا ناصرَ لهم غيرُ اللَّه، ولا شافعَ يستوهِبُ ذنوبَهم؛ أي: الشفعاءُ إنَّما يَشفعونَ بإذن اللَّه، فهو مِن اللَّه تعالى في الحقيقة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ليَتَّقوا في المستأنَفِ، ويَثبتُوا على الإيمان.

(٥٢) - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ نزلت الآيةُ في الموالي؛ عمَّار، وبلال، وصُهَيب، وخبَّاب، ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٨٩)، جامع البيان (٩/ ٢٥٧)، والبسيط (٨/ ١٥٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٦٢)، ولطائف الإشارات للقشيري (١/ ٤٧٤).

﴿رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾؛ أي: لا تُبعِد الذين يَعبدون ربَّهم بالصَّلاة المكتوبة، ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ المرادُ به الليل والنَّهار، وجائزٌ أن يكون المرادُ به صلاةَ الغداةِ والعشيِّ؛ فإنَّه لا يَشهدُهما إلَّا أهلُ الإيمان، فأمَّا أهلُ النِّفاقِ، فكانوا يَشهدون غيرَهما مِن الصَّلوات[1]. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾؛ أي: يَطلبون بدعائِهم وذِكْرِهم وصلاتِهم وعبادتِهم رضاهُ. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: إنَّ حقائقَ أمورِ العباد إنَّما تَرجعُ إلى الأعمال التي يُحاسِبهم اللَّه عليها يوم الحشر، لا إلى حسبٍ ورياسة، وضَعة ودناءة، بل الجميعُ سواءٌ في حكم اللَّه تعالى، وإنَّما عليك اعتبارُ أحوالِ النَّاسِ في إيمانِهم بك وكفرِهم، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إنْ فعلتَ ذلك، كنتَ وضعْتَ التَّقريب والتَّبعيدَ غير موضعهما[2].

(٥٣) - ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: امتحنَّا وابتلينا بعضَ هؤلاءِ القومِ ببعض، فامتحنَّا الرؤساءَ منْهم بالصَّبرِ على قربِ منازلِ الضُّعفاءِ مِن النَّبيِّ ﷺ، وامتحنَّا الضُّعفاء بالصَّبرِ على الضَّعفِ والفقر، وعلى أذى الرؤساء، ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: قال الوليدُ بنُ المغيرة، والأسودُ بنُ عبد المطلب، والأسودُ بن عبدِ يَغوث، والعاص بنُ وائل، والحارثُ بنُ قيس، وعبدُ

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٥٧)، ومسلم في "صحيحه" (٦٥١) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنَّ رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: "ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا".

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٧٥ - ٤٧٦)،التيسير في التفسير (٦/ ٨٣).

العُزَّى بنُ عبد المطلب، وعتبةُ، وشيبةُ، والأسودُ بنُ عبد الأسد، والنَّضرُ بنُ الحارث، وأبو جهل بنُ هشام -لعنهم اللَّه-: أي: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ﴾ الفقراء والضعفاء ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ أنعمَ اللَّه عليهم من بيننا، فأعطاهم الإيمانَ والتوحيد، ولم يُعطِنا؟! ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ المطيعينَ للَّه، الذين شكروا إنعامي؛ بإرسالِ الرسول، وإنزالِ الكتاب، فهم أولى بإعطاءِ الإسلام ممَّن يَرجعُ إلى حسبٍ رفيعٍ، ومالٍ كثيرٍ، ولا يَنقادُ لأمري، ولا يؤمِنُ بي[(١)].

(٥٤) - ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: وإذا أتاكَ المؤمنون بالقرآنِ وسائرِ الآيات؛ مِن العُربِ والعَجَم، والرُّؤساءِ والأتباع، فابدأهم بتحيَّةِ الإسلام، وكلمةِ السَّلام، وقل: سلامٌ عليكم، وهو الدُّعاءُ بالسَّلامة من الآفاتِ كلِّها، في الدِّينِ والنَّفسِ والمال. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾؛ أي: وعدَكم بالرَّحمةِ وعدًا مؤكَّدًا. ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾أي: عمل عملًا سيئًا عن جهل، فالجهالة: هي جهلُ عاقبةِ الأمر، والتَّوبة: الرُّجوعُ عن الذَّنب، والإصلاحُ: تحقيقُ التَّوبةِ بإصلاح الأعمال، وقيل: هو قضاءُ الفوائتِ وردُّ المظالم. ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب وأناب.

(٥٥) - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: كما فصَّلنا لكمُ الآياتِ نُفصِّلُها لغيركم. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾أي: لِتَعلم يا محمَّدُ ﷺ سبيلَ المجرمين. والمعنى: وكذلك نُبيِّنُ الآياتِ ونفتِنُ البعضَ بالبعضِ، ونخاطبُك بمعاملة الرُّؤساءِ والفقراء؛ ليظهرَ أنَّ كفرَ الكافرين؛ لعنادِهم، لا لخفاءِ الحقِّ.

---

(١) جامع البيان (٧/ ٢٧٠)، والكشف والبيان (٤/ ١٥١).

(٥٦) - ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال بعضُ المشركين لرسول اللَّه ﷺ: استلم بعضَ آلهتِنا حتَّى نؤمِنَ بإلهك، فقال اللَّه تعالى له: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ، والملائكة، والشَّياطينَ والجِنَّ. ﴿تَدْعُونَ﴾؛ أي: تَدعونه إلهًا، وقيل: أي: تعبدون، وقيل: أي تَدعونهُ في مُهِمَّاتِ أمورِكم للإجابة.

﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾؛ أي: في هذا، وفي طرد الذين يَدعون ربَّهم، وفي كلِّ شيء. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: لو فعلتُ ذلك لكنتُ ضَلَلْتُ طريقَ الحقِّ. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: إلى طريقِ الحقِّ[(١)].

(٥٧-٥٨) - ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾؛ أي: على بيانٍ فاصلٍ بين الحقِّ والباطل، وهو النُّبوَّةُ ونزولُ الوحي. ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ البيانُ والبيِّنةُ واحدٌ، أي: كذَّبتُم بمدلولِ البيِّنةِ. وقيل: أي: كذَّبتُم بربِّي؛ لأنَّه قد سبقَ ذِكرُه. ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾؛ أي: مِن العذاب. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: ما القضاءُ إلَّا للَّه في إنزالِه وتأخيرِه وفي كلِّ شيء. ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾؛ أي: يُتِمُّ الحقَّ، وقيل: يَحكُم بالحقِّ. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾؛ أي: القاضين بين عبادِه؛ لأنَّه لا يَخفى عليه الحقُّ والصَّواب[(٢)]. ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾؛ أي: مِن العذاب، قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٤]. ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لأتمَّ الأمرَ بيني وبينكم بتعجيلي ذلك لكم. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٩٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ٩٠)

(٢) تأويلات أهل السنة (٤/ ٩٧)، ومعاني القرآن" للزجاج (٢/ ٢٥٦).

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾ وهو يُنزِلُ عليكم العذابَ للوقتِ الذي يَعلمُه أردعَ وأمنع[(١)].

(٥٩) - ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ أي: عند اللَّه الأشياءُ التي يُفتَح بها المنغلِقُ مِن الأمور التي يَغيبُ علمُها عن الخلق. وقيل: أي: هو العالِمُ بكلِّ شيءٍ مِن مبتدئِه إلى منتهاه. ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ لا يَعلمُ الأشياءَ على حقائقها جملةً وتفصيلًا ﴿إِلَّا هُوَ﴾. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ والعبادُ يَعلمون أنَّ في البحرِ ماءً وحيتانًا، وفي البرِّ رملًا وحصًى وأشجارًا وأوراقًا وأغصانًا، واللَّهُ يعلم مقاديرَها، وظواهرَها وبواطنَها، وما أودعَ فيها. ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما مِن شجرةٍ في برٍّ ولا بحرٍ إلَّا بها ملكٌ موكَّلٌ يَكتبُ ما يَسقطُ من ورقِها[(٢)]، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ أي: في جوف الأرض. ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾؛ أي: إلَّا يعلمُها، وهذا للتَّعميم. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللَّوحُ المحفوظ[(٣)].

(٦٠) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾؛ أي: يُنيمُكم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾؛ أي: كسبتُم، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: يُوقِظُكم من منامِكم في النَّهار. ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي: ليُتِمَّ مدَّة الحياة. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: بالبعثِ بعد الموت. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه، وهذا

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٩٣).

(٢) رواه سعيد بن منصور (٨٨١)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٠٤).

(٣) الوسيط (٢/ ٢٨١) الدر المنثور (٦/ ٦٥)، والكشف والبيان (٤/ ١٥٤)،التيسير في التفسير (٦/ ٩٦).

وعدٌ ووعيد(١).

(٦١) - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: يُصرِّفُهم كيف يشاء، مِن يقظةٍ إلى نومٍ، ومِن نومٍ إلى يقظة، ومِن حياةٍ إلى موت، ومن موتٍ إلى حياة، لا كالأصنام التي اتَّخذتموها آلهةً، وهي لا تَضرُّ ولا تَنفع. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾؛ أي: ملائكةً كرامًا كاتبين، يَكتبون أعمالَكم وأقوالَكُم، فيحفظونها عليكم. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي: قَبَضَتْ روحَهُ ملائكةٌ أرسلناهم غيرُ هؤلاء، وهم أعوانُ ملكِ الموت، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي: لا يؤخِّرونهُ طرفةَ عينٍ ومعناه في اللُّغة: لا يُقصِّرون، والمرادُ به: لا يُقدِّمون ولا يؤخِّرون(٢).

(٦٢) - ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾؛ أي: رُدَّ المتوفَّون بردِّ الملائكة. وقيل: بردِّ اللَّهِ بالبعثِ والحشر. ﴿مَوْلَاهُمُ﴾؛ أي: مالكهم، ﴿الْحَقِّ﴾ لا كموالي الدُّنيا المتغلِّبين. ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾؛ أي: يَنفُذُ حكمُه، لا حكم غيرِه فيه. ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾؛ أي: الرَّدُّ إليه للحساب والجزاء، ولا يَشغلُهُ حسابُ أحدٍ عن حساب غيره، ولا يكونُ فيه لبثٌ، ولا يَدخلُه غلطٌ، ولا من العبدِ لجاجٌ، فيُسرِّعُ حسابَهم، ويُعجِّلُ جزاءَهم(٣).

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٠٠ - ١٠١)، والتفسير البسيط (٨/ ١٩٣)، ولطائف (١/ ٤٧٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٠٦ - ١٠٧)، والتيسير في التفسير (٦/ ٩٩).

(٣) التفسير الكبير (٣٠/ ٧٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤١٠) وجامع البيان (٩/ ٢٩١).

(٦٣) - ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي، وظلماتُ البرِّ والبحر: شدائدُهما، ويقالُ لليوم الذي فيه شِدَّةٌ: يومٌ مظلم، ويومٌ ذو كواكب، ويجوزُ أنْ يُراد بها عين الظُّلماتِ في اللَّيل في البرِّ والبحرِ في السَّفر. ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: علانيةً وسرًّا. ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: يقولون هذا، أي أنجانا اللَّه ﴿مِنْ هَذِهِ﴾؛ أي: مِن هذه الظُّلمات. وقيل: هي الأهوال والكربات، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾؛ أي: المؤمنين المؤدِّين شكرَ اللَّهِ على نعمِه بطاعتِه[١].

(٦٤) - ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾؛ أي: سلهُم: مَنْ يُنجيكم منها؟ وإذا أقرُّوا بذلك فقل: هو كما قلتُم؛ اللَّهُ يُنجيكُم مِن تلك الظُّلماتِ، فتَهتدون للطريق وهو يُنجيكم. ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾؛ أي: غمٍّ يأخذُ بالنَّفْسِ، وكذلك الكُرْبةُ. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: لا تُخلِصونَ حين تَتخلَّصون، ولا تَشكرون، بل تُشرِكون.

(٦٥) - ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾؛ أي: اللَّهُ الذي قَدَرَ على إنجائِكم، هو قادر على إهلاكِكم بأنواعِ العذاب؛ إن شاءَ بعثَ عليكم العذابَ مِن فوقِكم بالطُّوفان والصواعق والقذف بالحجارة والرِّيح والصَّيحة. ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الخسفُ والزَّلزلةُ والإغراقُ. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾؛ أي: يَخلِطَكُم فِرَقًا، وأرادَ به الأهواءَ المختلفة. ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾؛ أي: الشِّدَّةَ والقتلَ. ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: كيف نُورِدُ عليهم المواعظَ المختلفةَ، مِن بيانِ الحقِّ، وإجابةِ الدُّعاءِ،

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٨٠)، ومعاني القرآن (١/ ٢١٦).

والإنجاءِ مِن الظُّلُمات، وتصريفِ اللَّيلِ والنَّهار، والأمرِ والنَّهي، والوعدِ والوعيدِ، مِن أوَّل السُّورةِ إلى هاهنا؛ لِيَستنبطَ هؤلاء المشركون مِنها بُطلانَ قولِهم، وتناقضَ مذاهِبِهم(١).

(٦٦-٦٧) - ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ أي: بالقرآن،: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: الصِّدقُ ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: بحافظِ أعمالِكم حتَّى أجازيَكُم عليها، بل اللَّه يَجْزيكم بها. ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: لكلِّ خبرٍ استقرارٌ وموضعُ اسْتقرار، ومعناه: لكلِّ خبرٍ قرارٌ على غايةٍ يَنتهي إليها، فيَتبيَّنُ حينئذٍ صدقُه مِن كذبِه، وحقُّه مِن باطله. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حقيقةَ خبرِ ما كذَّبتم به، وهي كلمةُ وعيد(٢).

(٦٨) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ هو خوضُ تكذيبٍ واستهزاء، وقال ابنُ عبَّاس: أمرَ اللَّهُ رسولَه: "إذا رأيتَ المشركين يُكذِّبون بالقرآن وبك، ويَستهزؤون بذلك، فاترُك مجالستَهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾"؛ أي: حتَّى يكون خوضُهم في غيرِ القرآن. ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: وإنْ يُنسِك الشَّيطانُ بعد النَّهيِ فقَعدتَ معهم. ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: المشركين، فقُم إذا ذكرتَ.

(٦٩) - ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الكفرَ والمعاصي مِن حسابِ الكفَّار الخائضين شيءٌ. ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ولكن

---

(١) التفسير البسيط (٨/ ٢٠٠)، والكشف والبيان (٤/ ١٥٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٠٣).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٨١)، والنكت والعيون (٢/ ١٢٨)، وجامع البيان (٩/ ٣١١).

عليهم أنْ يُذَكِّروهم أي: يعظوهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: لعلَّ الخائضين يتَّقون الدَّوامَ على الخوض. وقيل: أي: ليُذكِّروهم أنَّ خوضَهم يَسوءُهم؛ ليَتَّقوا مساءَتَهم[(١)].

(٧٠) - ﴿وَذَرِ﴾؛ أي: اترك محاجَّةَ هؤلاء بإيرادِ الحُجَجِ عليهم؛ لأنَّها إنَّما تَنفعُ لِمَن تدبَّر وتَفكَّر، وطلبَ الحقَّ بدلائلِه، وهؤلاء الخائضونَ اتَّخذوا دينَهم عبثًا، لا يَقصِدون طلبَ الحقِّ، ولا يطلبونَ دلائلَه، ولا يُفكِّرون في معادٍ ولا جزاءٍ ولا حساب. ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: ما هوتْهُ أنفسُهم، ودعَتْهم إليه الشَّياطين، ومَن فعلَ ذلك فهو عابثٌ لاعب. ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أوهَمَهم الشَّيطانُ أنَّ ما أُعطوا فيها مِن رئاسةٍ على الضَّعفة، ووُسِّع لهم فيها مِن الرِّزق، وأُطيل لهم في البَسطة، إنَّما هو لكرامتِهم على اللَّه. ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾؛ أي: وعِظْ بالقرآن. ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾؛ أي: خوفَ الإبسال. و﴿تُبْسَلَ﴾ أي: تُرتهن، وقيل: تُسلمَ للهَلكة، وقيل: تُحبس، وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تُفضَح[(٢)]. ﴿بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: للنَّفس وليٌّ يَنصرُها، ولا شافعٌ يَستوهِبُ ذنوبَها. ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾؛ أي: وإن تُفدَ كلَّ فديةٍ لا تُقبَل منها. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: أولئك الخائضون ارتُهِنوا وأُسلِموا للهَلَكة، وحُبِسوا وفُضِحوا بما كسَبوا مِن الشِّركِ والخوض في الباطلِ والمعاصي.

---

(١) التفسير البسيط (٨/ ٢١٠)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٠٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٢١)، معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣٩)، وجامع البيان (٩/ ٣٢٠ - ٣٢١).

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾؛ أي: ماءٌ حارٌّ شديدُ الحرارةِ، يصهَرُ به ما في بطونِهم وتقطَّع أمعاؤهم. ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: وجيع. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بكفرهم[(١)].

(٧١) - ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾؛ أي: أنطلَبُ النَّجاحَ ممَّن لا يَملِكُ لنا نفعًا ولا ضرًّا، وهي الأصنام؟. ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ أي: نرتدَّ عن ديننا، ونرجع إلى ورائِنا، وهو عبارةٌ عن الإدبار والخيبةِ والدَّمار، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾؛ أي: إلى الدِّين الحقِّ. ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾؛ أي: جرَّتهُ إلى المهاوي، وهي المساقطُ والمهالك، كما يقال: استزلَّته واستغْوته؛ أي: جرَّتهُ إلى الزَّللِ والغِواية. أي: إنْ فعَلنا كذلك كنَّا كرجلٍ ذهبَت به الشَّياطينُ في الفلاةِ متحيِّرًا لا يَهتدي لطريقٍ يَتخلَّص منه، ويأمنُ به السُّقوط، ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾؛ أي: لهذا الرَّجلِ أصحابٌ مشفقون عليه، يريدون الخيرَ به، يدعونه إلى الصِّراطِ المستقيم، ويقولون له: دع طريقَ الضَّلالِ وعُد إلينا. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾؛ أي: الطَّريقُ الذي هدى اللَّهُ إليه، فهو الطَّريقُ المستقيم. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: أمرنا اللَّهُ تعالى أنْ ننقادَ له، ونُسلِّمَ أنفسَنا إليه، فهو خالقُ العالمين وحافظُهم ومدبِّرُ أمورِهم.

(٧٢-٧٣) - ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾أي: تذلَّلوا لهُ بالعبادة، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ ولا تخالفوا أمره ونهيَه بالمعصية. ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: للحسابِ والجزاء

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ١٥٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٩٤).

أيُّها العادِلون باللَّه[١]، ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: للحقِّ، ولم يَخلقهُما باطلًا، وقيل: أي: لمنافعِ العباد، ولاستبداءِ الشُّكرِ منهم. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: يُكَوِّنهُ سريعًا، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾؛ أي: يَتحقَّقُ قولُه الصِّدقُ، ويَقعُ حكمُه الفصل، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يومئذٍ، كما قال: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: عالمُ ما غابَ علمُه عن الخلقِ، وعالمُ ما يشهَدُه الخلقُ، ويَحتملُ: عالمُ السِّرِّ والعلانية. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ المصيبُ في أقوالِه وأفعالِه؛ مِن الإماتةِ والإحياء، والإيجادِ والإفناء. ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأعمالِ عبادهِ؛ ظاهرِها وباطنِها، والعالمُ بجزائِها[٢].

(٧٤) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾؛ أي: اذكرْ لهؤلاءِ العادلينَ بربِّهم قصَّةَ إبراهيم، وهو أبو العرب، وهم أولى النَّاس بالاقتداء به؛ لأنَّهم ذرِّيَّتُه، وبه مفاخرتُهم، إذ قال إبراهيمُ لأبيه آزرَ منكرًا عليه، ومتعجِّبًا منه. ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾؛ أي: أتجعلُ الأصنامَ معبودةً لك تَعتقِدُها آلهةً؟. ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بعبادتِكم ما دونَ اللَّه.

(٧٥) - ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أي كما أريناهُ ضلالَ أبيه وقومِه حتَّى قال: ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أريناهُ ﴿مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقيل: أي: وكما أريناكَ ملكوتَ

---

(١) بحر العلوم (١/ ٤٩٤)، والكشف والبيان (٤/ ١٥٩)، وجامع البيان (٩/ ٣٢٨ - ٣٣٠)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٨٣)، والتيسير في التفسير (٦/ ١١٦).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٨٣)، وروح المعاني (٨/ ٢٤٩).

السَّماوات والأرض والآيات، كذلك أرينا إبراهيم. ﴿مَلَكُوتَ﴾ بمعنى الملك، وهو السُّلطان، وتقديرُه: ملكوتَنا في السَّماوات والأرض. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾؛ أي: وليكون مِن الموقنين أريناهُ الملكوت[1].

(٧٦) - ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ يقال: جنَّهُ اللَّيلُ، وجنَّ عليه، وأجنَّه، وأجنَّ عليه؛ أي: ستره. ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ قيل: الزُّهرة، وقيل: المشترى. ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ أي: أهذا ربِّي؟ على وجه الإنكار؛ أي: ليس هذا ربِّي، وأضمرَ القولَ. ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾؛ أي: غاب، ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾؛ أي: لا أُثني على الذي يَتعاقب عليه الأحوالُ، ويَعتريه التغيُّر والزَّوال باستحقاق الربوبيَّة، ولا أعطيهِ المحبَّة التي تَجِبُ للَّه الذي يَستحيلُ عليه الزِّيادةُ والنُّقصان، والذَّهابُ والإتيان.

(٧٧) - ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾؛ أي: طالعًا بارزًا، وثَمَّ قوم يَعبدون القمرَ، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾؛ أي: أهذا ربِّي؟ على وجه الإنكار؛ أي: ليس هذا ربِّي، وأضمرَ القولَ. ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾؛ أي: لئن لم يُثبِّتني اللَّهُ تعالى على هدايتِه، لأصيرنَّ مِن الذين ضلُّوا السَّبيل.

(٧٨ - ٧٩) - ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾؛ أي: فلمَّا أصبحَ ورأى الشَّمسَ طالعةً بارزةً -وهناك قوم يَعبدون الشَّمس- أرادَ أن يُنبِّههم، ويُبطِلَ اعتقادَهُم. ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾؛ أي: أهذا الطَّالعُ؟ أو أهذا النُّور؟ أو أهذا الشَّخصُ؟ وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي أيضًا. ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ أشارَ إلى الشَّخصِ أيضًا، وأراد أنَّه أكبر شخصًا ونورًا من القمر والكواكب. ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٣٦ - ١٣٧)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٢١).

﴿تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: فلمَّا غابَت، وعرضَ لها ما عرض للأوَّلين تبرَّأ منها ظاهرًا، ونبَّههم بهذا أنَّ الصَّانعَ هو الذي لا يجوزُ عليه شيءٌ مِن علامات الحدوث. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾؛ أي: أخلصتُ دِيني، وسَلَّمتُ نفسي. ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: خلقَها جميعًا، مُبتدِئًا خلقَهما. ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مستقيمًا، وقيل: مُخلِصًا، وقيل: حاجًّا. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: باللَّهِ شيئًا من خلقه.

(٨٠) - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾؛ أي: خاصموه بالباطل، وجادلوهُ، وخوَّفوهُ بآلِهتهم، كما قال بعضُ المشركين لنبيهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[هود: ٥٤]، فأجابهم وذلك قولُه تعالى: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾؛ أي: بالباطل. ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ هو لمعرفتِه، ولا تَرِدُ شبهةٌ على ما هداني له، فأمَّا الخوفُ فلستُ أخافُ آلهتكم التي تُشرِكونها باللَّه، لأنَّها لا تَضرُّ ولا تَنفع وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾؛ أي: إلَّا أنْ يُصيبَني اللَّهُ مِنها بضُرٍّ، فاللَّهُ تعالى قادرٌ على أنْ يجعلَ فيما شاء نفعًا، وفيما شاء ضرًّا، فاللَّهُ هو المالكُ للنَّفع والضُّرِّ، والقادرُ عليهما، لا الأصنام؛ فإنَّها مواتٌ لا فعلَ لها. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يصيبُ عبدًا شيءٌ مِن ضُرٍّ أو نفعٍ إلَّا وقد علمَه، فهو إنْ شاءَ عصمَني عن كلِّ ذلك. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: أفلا تتَّعِظون بما أقولُ، وتَتفكَّرون أحوالَ أصنامِكُم، فتعلموا أنَّها لا تَستحِقُّ العبادة(١)؟.

(٨١-٨٢)-﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ "كيف" هنا للإنكار. قال ابنُ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٨٥)، والتفسير البسيط (٨/ ٢٥١)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٣٢).

عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: خاصمَهُ قومُه، وخوَّفوهُ أصنامَهم، فقال: وكيف أخافُ الأصنام، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ عذرًا في كتابِ اللَّه. وقيل: أي: لا حجَّة معكم على جوازِ إشراكِه؛ إذ لا حجَّةَ لهم في عبادةِ الجمادِ الذي لا يَقدر على ضرٍّ ولا نفعٍ. ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾؛ أي: أهل الدينين أنا وأنتم ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنا من آلهتِكُم، أم أنتم من إلهي؟! إن كنتم تعلمون ذلك وتدركونه. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: لَمَّا نزلت هذه الآيةُ قالوا: يا رسولَ اللَّه، وأيُّنا لم يَظلم؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: "إنما هو كقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]"[(١)] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ في الآخرة، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الدُّنيا. وقيل: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ مِن العذاب، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى الحُجَّة[(٢)].

(٨٣) - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾؛ أي: وتلك الحُجَّةُ التي حاجَّ بها إبراهيمُ قومه حجَّتُنا ﴿آتَيْنَاهَا﴾؛ أي: أرشدناهُ إليها، ووفَّقناهُ للوقوف عليها، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ أي: مراتبَ ﴿مَّن نَّشَاءُ﴾ من عبادنا، فنؤتيه النُّبوَّة والملكَ والإمامة في الدِّين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: إنَّه يَضعُ الأشياءَ مواضعَ استحقاقِها، ومِن الحكمةِ إرسالُ الرُّسل، وتخصيصُ النَّبيِّين بالرِّسالة، وتأييدُ الرُّسلِ بالمعجزات، وهو أعلمُ حيث يَجعلُ رسالاته.

(٨٤) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ أي: رزقناهُ جزاءً على نصرةِ الدِّين

---

(١) رواه البخاري في "صحيحه" (٦٩٣٧)، ومسلم في "صحيحه" (١٢٤).

(٢) جامع البيان (٩/ ٣٦٨ - ٣٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج، والبسيط (٨/ ٢٥٤).

ومحاجَّةِ المشركين إسحاقَ ولدًا، ويعقوبَ نافلةً. ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ أي: هدينا كلَّ واحدٍ مِنهم للحقِّ، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: ومن ذريَّةِ نوح؛ لأنَّه نسق عليه ذكرَ يونسَ ولوط، وليسا من ذُرِّيَّة إبراهيم، بل هما من ذُرِّيَّة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو إعطاءُ الذُّرِّيَّة الطَّيِّبةِ المهديَّةِ. وقيل: أي: بالذِّكرِ والشَّرفِ والثَّناءِ الحسن. وقيل: بالثَّواب والدَّرجات في الآخرة.

(٨٥ - ٨٧) - ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ذكر في فريقٍ أنَّهم محسِنون، وفي فريقٍ أنَّهم صالحون، وفي فريقٍ: فضَّلناهم على العالمين، وفي فريقٍ الهدايةَ والاجتباءَ، وهذا ليس على تخصيص كلِّ فريقٍ بما ذكرَ من الوصفِ، ولكنَّه على الجمع أنَّهم كذلك، ثمَّ التفضيلُ يَحتمِلُ أنَّه بالنُّبوَّة، ويَحتملُ أنَّهم كانوا مفضَّلين على العالمين بالإحسانِ والصَّلاح لو لم يكنْ رسالةٌ ولا نبوَّةٌ. ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ هم مَن تقدَّمهم، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ مَن تأخَّر عنهم، ﴿وَإِخْوَانِهِمْ﴾ من قارنوهم. وقيل: ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: المؤمنون بعدَهم. والاجتباءُ يكون بالرِّسالةِ، وهو خاصٌّ لهم، ويكونُ بالتَّوحيد والإسلام، وهو يَعُمُّ الأنبياءَ والمؤمنين، ويَحتملُ أنَّه برفعِ الدَّرجاتِ والفضائل(١).

(٨٨) - ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؛ أي: ما ذكرَ في

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٤٢)،التيسير في التفسير (٦/ ١٣٧).

قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾، وفي قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ﴾ هو هُدى اللَّه، ولهُ أنْ يَهدي به مَن يَشاءُ مِن عباده، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا إنباءٌ عن الحكمِ فيهم لو أشركوا، إلا أنهم لا يشركون؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى قد عصمَهُم واختارَهُم لرسالتِه، وذكر هذا ليَعلموا أنَّ الحكمَ واحدٌ فيمن أشركَ باللَّه غيرَه، وضيعًا كان أو شريفًا[١].

(٨٩) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾؛ أي: الكتب مِن الصُّحف والتَّوراةِ والإنجيل والزَّبور، ووحَّدَ لأنَّه جنسٌ؛ أي: أوحينا إليهم، وجعلناهُم الحكَّامَ على الأُمم، وأرسلناهُم بالنُّبوَّة. ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾؛ أي: فإن يَجحَد بهذه الأشياءِ أهلُ مكَّةَ. ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؛ أي: قد هيَّأنا للإيمانِ بها قومًا ليسوا بها جاحدين، قيل: هم أهلُ المدينةِ، وهو بشارةٌ بإيمانِ الأنصار؛ لأنَّ السُّورةَ مكيَّةٌ.

(٩٠) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الاقتداءُ: الاتِّباع، وقد قداهُ يَقدُوهُ؛ أي: تبِعَهُ، والقدوة بفتح القاف وضمِّها وكسرها: الأسوة، و﴿اقْتَدِهْ﴾ أمرٌ، يعني أولئكَ الذين طهَّرَ اللَّهُ عن الجحدِ أسرارَهُم، ورفعَ على الكافَّةِ أقدارَهُم، فاقتفِ يا محمَّدُ هداهم المختار؛ فإنَّ مَن سلك الجدد أمِن العِثار[٢]، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وكان الأنبياءُ كذلك، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٥٦)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٨٧).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٨٨)، التفسير البسيط (٨/ ٢٦٧)، وجامع البيان (٩/ ٣٨٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٩).

ما هو، يعني: القرآن، إلَّا عظةٌ للجنِّ والإنس[١].

(٩١) - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآيةُ نزلَت في مشركي قريش؛ لمَّا قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾، قالوا: ما أرسل اللَّه رسولًا ولا أنزل كتابًا، فقال اللَّه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، أي: وما وصفوا اللَّه حقَّ صفته، وقيل: أي: وما عرفوه حقَّ معرفتِه، وقيل: أي: وما عظَّموه حقَّ تعظيمه. ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾؛ أي: قل يا محمَّد للمشركين هذا الكلام، فإنَّهم وإنْ كانوا لا يؤمنون بموسى والتَّوراة، فإنَّهم يَرجعون إلى أهلِ الكتابِ في كثيرٍ مِن أمورِهم، ويُصدِّقونَهم فيها. ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ خبرًا عن أهلِ الكتاب أنَّهم يَجعلون التَّوراةَ صحفًا وكتبًا، والقراطيس: جمعُ قِرْطاس، وهو الكتابُ والصَّحيفة، وقد قرطسَ؛ أي: كتبَ، ﴿ويخفون كثيرًا﴾ عن العامَّة ما فيه نعتُ محمَّدٍ ﷺ الإسلام، ويبدون صحفًا قد عزلوها عن الجملة في مدحِ بني إسرائيل، وتثبيتِ دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتأكيدِ أمرِه. ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ هو خطابٌ للمسلمين مِن هذه الأمَّة ﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ يعني: إذا قلت: مَن أنزلَ الكتابَ؟ فلم يجيبوا، فقل أنت: اللَّهُ أنزلَهُ، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: دَعهم وما هم فيه من التَّخليط والتَّكذيبِ بالكُتب على غير معرفةٍ، فإنَّهم إنَّما يَلعبون، فيَأتيهم الجزاءُ على خوضِهم ولعبِهم، وهي كلمةُ وعيدٍ[٢].

---

(١) التفسير البسيط (٨/ ٢٧٢)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٤٣).

(٢) التفسير البسيط (٨/ ٢٧٤)، والنكت والعيون (٢/ ٩٥).

(٩٢) - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: وهذا القرآنُ كتابٌ كثيرُ الخيرِ، موافِقٌ للتَّوراة التي كانَت قبلَه، وكانت ﴿نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ وقد أنزلناهُ عليك. ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾؛ أي: ولتُخوِّفَ أهلَ مكَّة، فأضمرَ الأهل، وسُمِّيَت مكَّةُ أمَّ القرى؛ لأنَّها مجتَمَعُ أهلِ القُرى، كما تَجتمِعُ الأولاد إلى الأمِّ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من البلاد والبوادي؛ أي: لإنذارِ أهل مكَّة ومَن حولَهم مِن سكانِ كلِّ المواضع أنزلناه، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؛ أي: الذين يُصدِّقون بالآخرةِ مِن أتباعِ محمَّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد تَدبَّروا هذا القرآنَ، فدلَّهم ذلك على أنَّه مُنزَّلٌ مِن عند اللَّه، فصدَّقوا به، فهم به مؤمنون، وللصَّلواتِ الخمسِ -التي هي أعظمُ العبادات بعدَ الإيمان، وأجمعُها للخضوعِ والخشوعِ وخصالِ الخيرِ- مؤدُّون، وعليها مداومون[١].

(٩٣) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ أي: ومَن أظلمُ لنفسِه وعقلِه، وأوضعُ للشَّيء في غيرِ موضعِه، ممَّن اختلقَ على اللَّه كذبًا، وادَّعى أنَّه أرسلَهُ نبيًّا وأوحى إليه، ولم يكن أوحى إليه، كمُسيلِمةَ والعَنسيِّ. ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو عبدُ اللَّه بنُ سعد بنِ أبي سَرْح[٢]. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: ولو ترى يا محمَّدُ ﷺ، إذ هؤلاء المشركون

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٧١)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ١٧٢).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٥٨)، والتفسير البسيط (٨/ ٢٨٥)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٧٥ - ٥٧٦).

الظَّالمون أنفسَهم وعقولهم في شدائدِ الموتِ وسكراتِه التي تَغمرُ عقولَهم؛ أي: تُزيلُها وتَغلبُ عليها كغمرةِ الماء، ورجلٌ مغامِرٌ؛ أي: مخاطِرٌ بنفسِهِ ملقٍ لها في الغَمَرات. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ الذين هم قابِضو الأرواحِ مِن ملائكة العذاب، ﴿بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ بعنفٍ وغِلْظَةٍ، يَقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: أخرجوا أرواحَكم مِن أبدانِكم. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾؛ أي: الهوانِ والذُّلِّ، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: بشركِكُم، وكذبِكم على اللَّه، وتَعظُّمِكُم على الانقيادِ للحقِّ (١).

(٩٤) - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ أي: جئتمونا مُنفرِدين عن الأعوانِ والشفعاء، وقيل: عن الأموالِ والخدَمِ والحشَم. ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: بهذه الصِّفة جئتُم، لا يَصحبكم ما كنتم تتكثَّرون به مِن الأعوان والأنصار والأموال، ولا معكم ما كنتم تعبدونَهُم وتزعمون أنَّهم شركاءُ للَّه شفعاء لكم. ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ التَّخويلُ: تَمليكُ الخَول؛ أي: الخدم والأتباع، أي: خلَّفتُم في الدُّنيا ذلك، وتَركتُموهم لا تَنظرون إليهم ولا تلتفتون، كالمنبوذِ وراءَ الظَّهر، إنَّما نظرُكم إلى أعمالِكم التي قدَّمتموها. ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾؛ أي: أصنامَكم التي قلتم: إنها شفعاءُ لكم وشركاءُ لي. ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: ما بينكم، أو: تقطَّعَ الودُّ بينكم، أو السَّببُ الذي بينكم. وقيل: تقطَّع وصلُكم. ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٦٩)، والنكت والعيون (٢/ ١٤٥)، والتفسير البسيط (٨/ ٢٩٠)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٥٣).

﴿تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: بَطَلَ ما قلتُم: إنَّها شفعاؤكم[(١)].

(٩٥) - ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾؛ أي: إنَّ اللَّهَ الذي أنتم أيُّها المشركونَ معترِفون به هو اللَّهُ الذي فلقَ الحبَّ؛ أي: شقَّ الحبَّ في الأرضِ، فأخرجَ منه النَّباتَ والزَّرع، وفلقَ النَّوى؛ أي: شقَّ النَّوى، فأخرجَ مِنهُ الغِراسَ والأشجار ﴿وَالنَّوَى﴾ يعني: كلّ ثمرةٍ لها نوى؛ الخوخُ والنَّبْقُ والمشمشُ. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: الإنسانِ من النُّطفة، وقال الحسن: أي: المؤمنِ مِن الكافر، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾؛ أي: هو مخرجُ الميِّت من الحيِّ؛ النُّطفةِ مِن الإنسان، والبيضةِ مِن الطير، والكافرِ مِن المؤمن، والعاصي من الطَّائع، والحبَّةِ مِن السُّنبلة، والنَّواةِ مِن الشَّجرة[(٢)]، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: القادرُ على هذه الأشياء، والمنعمُ بها هو اللَّهُ وحدَهُ، لا الأصنام. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: فإلى أين تُصرَفون عن هذا حتَّى تَعدِلوا به غيرَهُ؟.

(٩٦) - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾؛ أي: هو الآتي بالنَّهار معاشًا، والفَلْقُ: الشَّقُّ، و﴿الْإِصْبَاحِ﴾: الصُّبح. ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: أنَّهما يَسيرانِ في الفلَكِ بحسابٍ معلومٍ، لا يَختلِفُ على مرورِ الزَّمان، وقيل: أي: بحساب ما يَحتاجُ إليه العبادُ في معايشِهم ومعاملاتهم؛ أما الشَّمسُ فللثِّمار والحرثِ والنَّسل، وفي ذلك قِوَامُ العالم، وأمَّا القمرُ فلآجال الدُّيون، ومواقيتِ الأشياء،

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٤٥)، وجامع البيان (٩/ ٤١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٠).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٩٠)، تفسير مقاتل (١/ ٥٧٩)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٥٧).

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾؛ أي: هو تقديرُ ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يُغالَبُ، و﴿الْعَلِيمِ﴾ بمصالحِ العباد، وما يَعبدون مِن دونه عاجزٌ عن هذا كلِّه، وليس بعزيزٍ ولا عليم، فكيف يُعدَلُ بالله(١).

(٩٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ جُعِلَت النُّجومُ لثلاثة أشياء؛ ليُهتدَى بها في ظلماتِ البَرِّ والبحر، وجُعِلت زينةً للسَّماء، وليُرمى بها الشَّياطين. ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ أي: نورًا؛ لتَعرِفوا بها الطَّريق ليلًا إذا سرتُم ﴿فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، وقوله: ﴿لَكُمُ﴾ ليس للملكِ بل للانتفاع. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: قد بيَّنَّا العلاماتِ الدَّالَّات على انتفاءِ الأضداد والأندادِ لقومٍ يَفهمون(٢).

(٩٨-٩٩) - ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدمُ صلوات اللهِ عليه، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾، المستودعُ الصُّلب، والمستقر الرحم، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: يَفهمون(٣).

﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بالماء وهو المطر، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ يعني: نباتَ ما تُنبِتُهُ الأرضُ مِن كلِّ شيءٍ، وقيل: أي: غذاءَ كلِّ شيءٍ، وما يَنبتُ به ويَنمو كلُّ شيءٍ. ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾؛ أي: مِن النَّباتِ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٨٠ - ١٨١)، وجامع البيان (٩/ ٤٢٣ - ٤٢٤).

(٢) بحر العلوم (١/ ٥٠٣)، جامع البيان (٢٣/ ١٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩١٣)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٨٠).

(٣) البسيط (٨/ ٣١٣)، وجامع البيان(٩/ ٤٣٨ - ٤٣٩)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ١٨٥ - ١٨٦).

﴿خَضِرًا﴾؛ أي: زرعًا أخضرَ أوَّل ما يَظهر. ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾؛ أي: مِن الزَّرعِ الأخضر ﴿حَبًّا﴾؛ أي: حباتٍ كثيرةً متراكبةً بعضُها فوق بعضٍ؛ لالتفافها، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾؛ أي: ومِن طلعِ النَّخل، وطلعُها: أوَّلُ ما يطلُعُ من ثمرِها، والقنوان: جمعُ قِنو، وهو الكِباسَة، أي: العذق، وهو من التمر كالعنقود من العنب[1]، والدَّانية: المُتدلِّيةُ القريبةُ مِن المتناوَل، ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: أخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ وجناتٍ أيضًا. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ ﴿مُشْتَبِهًا﴾ ورقُه، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ ثمرُه، وقيل: يشبهُ ورقُ الزَّيتونِ ورقَ الرُّمان، وقيل: أي: يَتشاكلُ بعضُها في الخِلقةِ والصُّورةِ والطَّعمِ واللَّون، ويَختلفُ بعضُها، وقيل: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الألوان، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطُّعوم، أو على العكس[2]. ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ واليَنعُ: النُّضجُ والبلوغ، وقد يَنَع يَيْنَعُ وأينعَ، ويقال: ﴿وَيَنْعِهِ﴾ هو جمعُ يانع؛ أي: انظروا إلى اليانعِ منه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فيما ذكرنا دلالاتٌ على أنَّ لها صانعًا عليمًا حكيمًا حيًّا، قادرًا على تتابعِ نعمه على عبادِه، وعلى البعثِ بعد الموت؛ بما تَرونَ مِن إعادةِ النَّباتِ بعد التَّلاشي، وعلى وجوب الشكرِ له، وبطلانِ إشراكِ غيرِه به، وخصَّ المؤمنين بها؛ لأنَّهم هم المنتفعون بها[3].

---

(١) مختار الصحاح" (مادة: كبس).

(٢) جامع البيان (٩/ ٤٤٦ - ٤٤٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٧٥)، وتأويلات أهل (٤/ ١٨٨).

(٣) زاد المسير (٣/ ٩٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٧٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٦٩).

(١٠٠) - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾؛ أي: جعلَ المشركون الجنَّ شركاءَ للَّه، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؛ أي: هو خلقَ الكُلَّ. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾؛ أي: اختلقوا وافتروا عليه بنسبةِ البنين والبنات إليه، وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جهلًا. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أمرَ عبادَهُ بتنزيهِه عن ذلك، ﴿وَتَعَالَى﴾؛ أي: تنزَّهَ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: من الشَّريك والولد.

(١٠١) - ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: مبدِعُها، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾؛ أي: أبدعَ السَّماوات والأرض، ومن فيهما، وما فيهما من الملائكةِ والجنِّ، وكلَّ ما أشرك هؤلاء باللَّه، فلا يجوزُ أنْ يُسوَّى به شيءٌ مِن خلقِه في العبادة، ولا يجوزُ أن يكون له ولدٌ؛ لأنَّ الولدَ إنَّما يُحتاجُ إليه للاعتضاد به، أو للخدمة منه، أو للاستئناس به، أو لبقاءِ الذِّكرِ به بعد موت الوالد، واللَّهُ تعالى يَتعالى عن ذلك كلِّه علوًّا كبيرًا. ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾؛ أي: زوجة؛ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: الأشياء كلّها، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فله العِلمُ والقدرةُ على الكمالِ، فلا مثلَ له، ولا مثال[1].

(١٠٢) - ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾؛ أي: الموصوفُ بكمالِ القدرةِ والعلمِ والمُلكِ، والمنزَّهُ عن شبه المخلوقين، هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وحدَه، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يَستحِقُّ هذا، فإياه فاعبدوا. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ أي: حافظٌ مُدبِّر، مصرِّفٌ على إرادته، فلا يَستحِقُّ العبادةَ غيرُه.

(١٠٣) - ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ أي: لا تحيطُ به؛ لأنَّ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ١٨٦ - ١٨٩)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٩٢).

الإحاطةَ تكون بالمحدود والمتناهي، واللَّهُ يَتعالى عن ذلك، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ أي: تُحيطُ رؤيتُه وعِلمُه بالأشياءِ كلِّها، فله كمالُ العلمِ والصِّفات، والمخلوقاتُ كلُّها تحت قدرتِه وسلطانِه ومملكتِه. ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في فعالِه بالعباد، ﴿الْخَبِيرُ﴾ العالمُ بالعبادِ وأعمالِ العباد، ووقيل: ﴿اللَّطِيفُ﴾: العليمُ بخفيَّاتِ الأشياء، و﴿الْخَبِيرُ﴾: العليمُ بظواهرِ الأشياء.

(١٠٤) - ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: حُجَجٌ ظاهرات. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾؛ أي: فمَن تَدبَّر فيها منصِفًا لا معانِدًا ولا متعصِبًا، أبصرَ الرُّشدَ، وكان نفعُه له. ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: مَن تَعامى عنها فضررُ ذلك على نفسِه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾؛ أي: قل يا محمَّد ﷺ: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ﴾ في هذه الحالة برقيبٍ أقهرُكم على قَبولِه، بل ذاك إلى اللَّه سبحانَه[(١)].

(١٠٥) - ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: وكما صرَّفنا الآياتِ في هذه السُّورةِ، نُصرِّفُها بعد هذا في سائر السُّور. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أي: قرأتَ عليهم، وتعلَّمتَ منهم. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: المؤمنين العلماء؛ فإنَّ الآياتِ تقعُ بيانًا لهم، وزيادةَ علمٍ باللَّه وبدينِه[(٢)].

(١٠٦) - ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: دعا المشركون رسولَ اللَّه ﷺ إلى ملَّةِ آبائه، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ مِن القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإيَّاه فارْجُ، وإيَّاه فخَفْ. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٩٣)، تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٠٠).

(٢) التفسير البسيط (٨/ ٣٣٨، ٣٤٠)، ومعالم التنزيل (٣/ ١٧٥)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٢٠٤).

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تُعاقِبهم في الحال إلى أنْ يرِدَ الأمرُ بالقتال.

(١٠٧) - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ بيَّنَ أنَّهم لا يُشرِكون على خلاف مشيئة اللَّه قهرًا له، وأنَّه لو علم منهم اختيارَ الإيمان لهداهُم للإيمان، ولكن علمَ مِنهم اختيارَ الشِّرك، فشاءَ لهم الشِّركَ، فأشركوا بمشيئته. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: مراعيًا لأعمالِهم، مأخوذًا بإجرامهم. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بمسلَّطٍ على إكراهِهم على الإسلام، وليس عليك الآنَ إلَّا التَّبليغُ، إلى أنْ تؤمَرَ بِقتالِهم(١).

(١٠٨) - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ السَّبُّ: الشَّتم والعَيب والطَّعن، و﴿يَدْعُونَ﴾؛ أي: يَعبدونه ويَدعونه إلَهًا، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾؛ أي: تجاوزًا عن الحقِّ إلى الباطل، وهذه الآيةُ تحقيقُ قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قالوا: يا محمَّد ﷺ، لتَنتهينَّ عن سبِّ آلهتِنا، أو لنَهجوَنَّ ربَّك، فنهاهُم اللَّهُ أنْ يَسبُّوا أوثانَهم ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾؛ أي: كما زيَّنَّا لهؤلاء المشركينَ عنودهم وجحودَهم طبعًا، باختيارهم ذلك وإصرارهم على ذلك طوعًا، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ثمَّ يكونُ إلى جزاءِ اللَّه تعالى مصيرُهم يومَ القيامةِ، فيُخبِرُهم بما عمِلوا ويَجزيهم عليه(٢).

---

(١) بحر العلوم (١/ ٥٠٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٧٧).

(٢) جامع البيان (٩/ ٤٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٦)، تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٠٧ - ٢٠٨).

(١٠٩) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؛ أي: حلفَ هؤلاء المشركون باللَّهِ مجتهدين في الحَلِفِ، مظهِرينَ للوفاء به. ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾؛ أي: كالآياتِ الظَّاهرةِ التي كانت لموسى وعيسى وغيرِهما، ممَّا لا يمكنُ معارضتُه وإنكارُه. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: هي مِن عندِهِ تجيء، وهو يَأتي بها، لا أنا. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الكفَّار؛ لأنَّهم معاندون.

(١١٠) - ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن قَبولِ الحق ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عن رؤيةِ الحقِّ عند نزول الآية التي اقترحوها، فلا يؤمنون بها، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾؛ أي: باللَّه، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: حين انشقَّ القمرُ، وظهرَت الآياتُ المتقدِّمةُ على هذه الحالة. وقيل: أي: كما لم يُؤمن هؤلاء ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وهو عند مجيء النَّبيِّ ﷺ ووحي القرآن، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: ونتركُهم في تماديهم يتحيَّرون(١).

(١١١) - ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾؛ أي: إلى هؤلاء المقترحين كلَّ الملائكةِ، فشَهِدوا لك، وإن كانوا سألوا مَلَكًا واحدًا، بقولهم: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[الأنعام: ٨]، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾؛ أي: وأحيينا لهم كلَّ الأمواتِ، فشهِدوا لك، وإنْ كانوا سألوا منك إحياءَ اثنين من موتاهم؛ قصيِّ بنِ كلاب وجدعان بنِ عمرو، وكانا كبيرين فيهم، صدوقين منهم، قالوا: لو أحييتَهما، فشهدا لك بالنُّبوَّةِ لشهدنا نحن أيضًا. ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ أي: جمعنا لهم كلَّ النَّاس، ﴿قُبُلًا﴾ بضمِّ القاف والباء، وهو جمعُ القبيل والقبيلة؛ أي: قبائل، أي: فوجًا فوجًا، وقيل: جيلًا جيلًا. أي: جمعنا لهم كلَّ الناس ضمناءَ بصحَّةِ أمرِ نبوَّتِك، وبالوفاءِ بوعدِ

---

(١) النكت والعيون (٢/ ١٥٦)، وزاد المسير (٣/ ١٠٣).

الثَّواب. ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: لم يؤمنوا برؤيةِ هذه الآيات إلَّا أنْ يشاءَ اللَّه إيمانَهم فيؤمِنوا، فدلَّ على عنادِهم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أي: ولكنَّ أكثرَهم يجهلون أنَّه لو آتاهُم كلَّ آيةٍ يَقترِحُونها ما آمنوا طوعًا[١].

(١١٢) - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾؛ أي: وكما جعلنا لك يا محمَّد أعداءً مِن المشركين، مجتمعين على عداوتِك، يَسألونك الآياتِ المقترحةَ، ويصوِّرونَ عند أصحابِهم أنَّك عاجِزٌ عن الإتيان بها، فكذلك جعلنا لكلِّ نبي عدوًّا، وهذه تسليةٌ له وتعزية. ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ هم الخبثاءُ والبُعداءُ عن الخيرِ منهم، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾؛ أي: يوسوِس ويخطرُ بالبال بزخارفِ الأقوال، والزُّخرف: الزِّينة؛ أي: يُزيِّنون لهم الكفرَ والمقام على دين الآباء، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ فدلَّ أنَّ كلَّ ذلك بمشيئتِه ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: على اللَّه تعالى وعليكَ، فإنَّ اللَّهَ يَجزيك ويَنصرُك ويُخزيهم[٢].

(١١٣) - ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾؛ أي: ليُغروهم، وليَميلَ إلى زخرفِ القول الذين لا يُصدِّقون بالبعث. ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾؛ أي: وليُحِبُّوا ذلك. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾؛ أي: وليَكتَسبوا مِن المعاصي ما يُريدون أنْ يقترفوا، وقيل: أي: وليَجْتَهدوا في تكذيبِ الأنبياء، وصَدِّ النَّاس عنهم ما في

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٢١٨)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٩٥).

(٢) الكشف والبيان (٤/ ١٨١) / وجامع البيان(٩/ ٤٩٨)، والتفسير البسيط (٨/ ٣٧٢)، وزاد المسير (٣/ ١٠٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٨٧).

وسعِهم، فليس ذلك بضائرٍ لهم.

(١١٤) - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ استفهامٌ بمعنى الجَحْد، وبمعنى التوبيخ أيضًا، أي: قل لأهل مكَّة: أغيرَ اللَّه أبتغي ربًّا أعبدُه؟!. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾؛ أي: مبيَّنًا مفرَّقًا في ثلاث وعشرين سنة سورةً سورةً وآياتٍ آيات. ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ قيل: أي: أهلُ الكتاب الذين تَرجعون في كثيرٍ مِن أمورِكم إليهم، يَعلمون أنَّ القرآنَ منزَّلٌ مِن ربِّك بالحقِّ. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾؛ أي: الشَّاكِّين أنَّه مِن عند اللَّه، وقيل: أي: لا تكوننَّ مِن الشَّاكِّين أنَّهم قد غيَّروا ما في كتبِهم[١].

(١١٥) - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: ما أنزلتُه عليكَ مِن كلامي في الاحتجاج على المشركين قديمٌ في معاني الصِّدق والعدل، وزالَ عنه الكذبُ والجورُ في الاحتجاج، فلا أحدَ يَقدِرُ على تبديلِ شيءٍ منه، فيجعلَهُ جورًا أو كذبًا، ولزمَت به الحجَّةُ، واللَّه سميعٌ عليم؛ أي: سميعٌ لما يَقولونَه، عليمٌ بما يُريدونَه.

(١١٦) - ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: تمَّت كلماتي على هؤلاء المشركين، فلا تُطِعهُم وإنْ كثُر عددُهم؛ فإنَّهم ضالُّون، وإنْ أطعتَهم أضلُّوك عن دينِ اللَّه. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾؛ أي: ما يَتَّبعون إلَّا الشَّكَ، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ أي: وما هم إلَّا يكذِبون[٢].

---

(١) التفسير البسيط (٨/ ٣٨٤)، تفسير مقاتل (١/ ٥٨٥)، والكشف والبيان (٤/ ١٨٣).

(٢) التفسير البسيط (٨/ ٣٧٨)، وجامع البيان (٩/ ٥٠٨).

(١١٧) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ كان المشركون يقولون: نحن مهتدون وأنتم ضالُّون، فقال اللَّهُ تعالى هذا، وهو لطفٌ في الخطاب، وتحقيقُه: إنَّ اللَّه تعالى يَعلمُ أنَّ المشركين ضالُّون، وأنَّ المسلمين مهتدون، وهو كقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى﴾ الآية [سبأ: ٢٤]، وقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][1].

(١١٨) - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: كلوا مما أخلصتم ذبحه لله ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ترغيب في اعتقاد صحة الإذن في أكل المذكاة على اسم الله تعالى، وتأكيد أن ما أباحه الشرع فهو طيب يحل تناوله، ولا يجوز استقذاره حتى لو استقذره إنسان كان غير مؤمن بظاهر هذه الآية، فإن عافت نفسه شيئًا بعد صحة عقيدته بكونه مباحاً غير مستقذر لم يضره ذلك[2].

(١١٩) - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: وأيُّ عذرٍ لكم في ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؟؛ أي: عند الذَّبح. ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: وقد فصَّل اللَّهُ ذكرَ أجناسِ المحرَّمات؛ وهي الميتةُ والموقوذةُ والمنخنقةُ والمتردِّيةُ والنَّطيحةُ وما أكلَ السَّبُع، وأحلَّ المذكَّى. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: المجوسُ يَحتجُّون بقولِهم: تأكلون ما أمَتُّم، ولا تأكلون ما أماتَهُ اللَّهُ تعالى، وهذا قولٌ بالهوى،

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٤٩٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ١٩٤).

(٢) التفسير البسيط (٨/ ٣٩٢)، ومعاني الزجاج (٢/ ٢٨٦).

والحكمُ في التَّحليلِ والتَّحريم لمالك الأعيان، وهو اللَّهُ تعالى، فالحلالُ ما أحلَّهُ اللَّهُ، والحرامُ ما حرَّمَهُ اللَّه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: المعتدين مِن الحلالِ إلى الحرام.

(١٢٠) - ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أصلُ كلِّ الإثم: الشِّركُ، وظاهرُهُ: تكذيب اللِّسان، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ جحودُ القلبِ، والسُّورةُ في محاجَّةِ أهلِ الشِّرك. وقيل: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: سرُّه وعلانيتُه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾؛ أي: يَكتسبون[(١)].

(١٢١) - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: عند الذبح، ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾؛ أي: إنَّ متروكَ التَّسميةِ عند ذبحِه عمدًا حرامٌ، وسُمِّيَ به؛ لأنَّ متناوِلَهُ فاسقٌ، وقيل: أي: تناولُه فسقٌ؛ أي: خروج عن الطَّاعة. ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾؛ أي: يُوسوسُ الشَّياطينُ إلى المشركين ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ بقولهم: تأكلون ما أمتُّم، ولا تأكلون ما أماتَهُ اللَّهُ، وأنَّ الشياطينَ هم المجوس، يُلقِّنون المشركين ذلك في مُحاجَّةِ أهلِ الإسلام. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؛ أي: أطعتُم الكفَّار في استحلالِ ما حرَّم اللَّه، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مثلَهم.

(١٢٢) - ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الألفُ للاستفهام، والواو للعطف، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي، ومعناه: أو من كان كافرًا فهديناهُ؟ والموتُ هو الكفرُ، والحياةُ هي الإيمان. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ قيل: هو القرآنُ، وقيل: هو الإيمان، وقيل:

---

(١) جامع البيان (٩/ ٥١٧)، والكشف والبيان(٤/ ١٨٥)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٩٧).

هو نورُ يومِ القيامة. ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يَمضي به بين الناس، يُرشِدُهم إلى الهدى، أو يَمضي به على السَّلامة في العقبى. ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: مثلُه كمثلِ مَن كان في الظُّلمات. ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ليس بمؤمنٍ أبدًا، ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: زُيِّن لهؤلاء الكفرةِ عملُهم فعملوه، كما زُيِّنَ لسائرِ الكفَّار عملُهم[١].

(١٢٣) - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾؛ أي: جَعلنا في كلِّ بلدةٍ مجرميها أكابرَ ورؤساءَ للنَّاس. ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ أي: ليَقولوا الكذبَ، وليَتَجبَّروا على النَّاس فيها، ويَعملوا بالمعاصي. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: وما يَرجِعُ ضررُ ذلك إلَّا عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يَعلمون أنَّه واقعٌ بهم[٢].

(١٢٤) - ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: إذا أنزلت عليهم آيةٌ مِن السَّماء قال الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ مِن الآياتِ فنكونَ أنبياء، وقيل: أي: نؤتَى من الآياتِ مثلَ ما أوتوا، فيُعظمَنا النَّاسُ بها، وهذه غاية السَّفه؛ أن يُقالَ لرجلٍ: آمن، فيقول: لا أومن حتَّى يَجعلني اللَّهُ نبيًّا. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾؛ أي: ليس إعطاءُ النُّبوَّة بالشَّهوات، وإنَّما هو

(١) التفسير البسيط (٨/ ٤٠٧)، وبحر العلوم (١/ ٥١١)، وزاد المسير (٣/ ١١٦)، والكشف والبيان (٤/ ١٨٧).

(٢) تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠)، ولطائف الإشارات (١/ ٤٩٨)، وزاد المسير (٣/ ١١٨)، والتيسير في التفسير (/ ٢٠٤).

بتخصيصِ اللَّه بها مَن هو أهلًا لها، وهؤلاء الكفار محرومون، وعن صفاتِ الحمد مُتعَرُّون. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾؛ أي: سينالُهم ذِلَّةٌ وتَصغيرُ قدرٍ. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ قيل: أي: من عِند اللَّه، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ وقد أصابَهم ذلك يومَ بدر، وقيل: هو في المستهزئين به، وقد قُتِلَ كلُّ واحدٍ منهم بقتلٍ غيرِ قتل صاحبِه(١).

(١٢٥) - ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾؛ أي: فمَن يشاءُ اللَّهُ أنْ يُرشِدَهُ ويُثبِّتَ له صفةَ الاهتداء؛ يُوسِّع قلبَه للانقياد للحقِّ، والتأمُّلِ في الآيات للقَبول والأخذ، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾؛ أي: يَخذلَه، ويُثبِّتَ له صفةَ الضَّلالة. ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي: قلقًا، وقيل: ملتبسًا، وقيل: أي شاكًّا، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أصله: يتصعَّد؛ أي: يَتكلَّفُ الصُّعود، فأُدغِمت التَّاءُ في الصَّاد، أي: لا يَقدِرُ على الإيمانِ مَن أضلَّهُ اللَّهُ تعالى عن الهدى، كما لا يَقدِرُ المتكلِّفُ على الصُّعودِ إلى السَّماء. ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: العذاب، وقيل: الإثم، وقيل: اللَّعن، ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يعني الإسلام، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾؛ أي: يتذكرون، ومعناه: يتَّعِظون(٢).

---

(١) بحر العلوم (١/ ٥١١)، والبسيط (٨/ ٤١٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٨٨)، والكشف والبيان (٤/ ١٨٧).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٩٩ - ٥٠٠)، وجامع البيان (٩/ ٥٥٤)، والكشف والبيان (٤/ ١٨٩)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢١١).

(١٢٧) - ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: للمتذكِّرين الجنَّة، وقيل: السَّلام هو اللَّه تعالى، والدَّارُ أُضيفَت إليه، وقال الزجاج: أي: دارُ السَّلامة الدَّائمةِ مِن كلِّ آفةٍ وبليَّةٍ. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: مضمونةً عند ربِّهم، حتَّى يوصلَها إليهم. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾؛ أي: حبيبُهم، وقيل: ناصرُهم، وقيل: متولِّيهم، وقيل: حافظُهم. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: مِن الطَّاعات؛ أي: يتولَّاهم بكرمِه وفضلِه ونُصرتِه؛ جزاءً لهم بأعمالِهم الصالحة[١].

(١٢٨) - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: خوِّفهُم يومَ يبعثُهم فيه جميعًا. ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾؛ أي: يَقول يا معشرَ الشَّياطين، قد أضللتمُ الخلقَ الكثيرَ مِن الإنس، إشارةً ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾؛ أي: أولياءُ الجنِّ: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: انتفع الجنُّ بالإنسِ، والانسُ بالجنِّ، وكان استمتاعُ بعضهم ببعض: أنَّ الرَّجلَ مِن الإنسِ كان إذا سافرَ أو خرجَ، فصارَ بأرضٍ قفرةٍ، أو أصابَ صيدًا مِن صيدِهم، فخافَ على نفسه مِنهم، قال: أعوذُ بسيِّد هذا الوادي مِن سفهاءِ قومِه، فيَبيتُ في جوارٍ منهم، فهذا استمتاعُ الإنسِ بالجنِّ، واستمتاعُ الجنِّ بالإنس: أن قالوا: قد سُدْنا الإنسَ والجنَّ حين عاذَ الإنسُ بنا، فيَزدادون بذلك شرفًا في قومِهم، وعِظَمًا في أنفسِهم[٢]. ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي لَنَا﴾ قيل الموت، وقيل: البعثُ يومَ القيامة؛ لأنَّهم كانوا ينكرون ذلك، فأقرُّوا به

---

(١) جامع البيان (٩/ ٥٥٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٩١)، والكشف والبيان (٤/ ١٩٠).

(٢) الكشف والبيان(٤/ ١٩٠)، والتفسير البسيط (٨/ ٤٣٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢١٤).

حينئذٍ[١]. ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾؛ أي: قال اللَّه تعالى: جهنَّمُ مقامُكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في النَّار، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: إلَّا مقدارَ وقوفِكم خارجًا منها للعرضِ والحساب، فهم في هذا الوقت مستثنَون عن ذلك، وقيل: أي: معذَّبون بالنَّار إلَّا ما شاءَ اللَّهُ مِن تعذيبكم بغير النَّار. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ما يَفعلُ بأوليائِه وأعدائِه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمطيعين والعاصين، يَجزي كلًّا على وفقِ عملِه.

(١٢٩) - ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قيل: أي: نُوَلِّي ظلمةَ الإنسِ ظلمةَ الجِنِّ، وظلمةَ الجنِّ ظلمةَ الإنس في الآخرة؛ أي: نكِلُ بعضَهم إلى بعض، وقيل: ﴿نُوَلِّي﴾؛ أي: نُسَلِّطُ بعضَهم على بعضٍ، فيَلعنُ بعضُهم بعضًا، ويَتبرَّأُ بعضُهم مِن بعضٍ، ويَدعو بعضُهم بزيادةِ العذابِ على بعض[٢].

(١٣٠) - ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾؛ أي: يُقالُ لهم يوم يحشرون: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: ما عذرُكم في الكفر، وقد أتاكم رسلٌ منكم؟ وهذا خطابٌ للجنِّ والإنس. ﴿مِنْكُمْ﴾؛ أي: مِن أهل الأرض، والإنسُ والجنُّ مِن أهلِ الأرض بخلافِ الملائكة لأنهم من أهل السماء، وجائزٌ أنْ يكون الرُّسلُ وإن كانوا من الإنس، فإنَّ الجنَّ يَستمعون مِن الرُّسل، فلَزِمَتهمُ الحجَّةُ، والعملُ بها، والتَّبليغُ إلى قومِهم مِن غير أنْ يَعلمَ الرُّسلُ بذلك، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾؛ أي: يَتلونها عليكم في الأمرِ بالإيمانِ والطَّاعة، والنَّهي عن الكفرِ والمعصية، ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾؛ أي: يخوِّفونكم. ﴿قَالُوا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٥٧).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٥٠٣)، وجامع البيان (٩/ ٥٥٨ - ٥٥٩).

﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾؛ أي: أقررنا بذلك، كما قال -خبرًا عنه -: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾[غافر: ١١]، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بيّن أنَّ مخالفتَهم الرُّسلَ إنَّما كانت لأنَّهم اغترُّوا بالحياةِ الدُّنيا، وظنُّوا أنَّها تدومُ لهم، وتوهَّموا أنَّ ما أُعطوه لِكرامتِهم على اللَّه، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ بتكذيبِهم، فيقول للمشركين: احذروا أن تكون هذه حالُكم يومَ القيامة(١).

(١٣١-١٣٢) - ﴿ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؛ أي: ذلك الإرسالُ إلى الجنِّ والإنس؛ لأجلِ أنَّ ربَّك ليس مِن صفتِه أنْ يُهلِك القُرى بظلمٍ، أي: بشركٍ، ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؛ أي: لم يكن ليهلِكَهم مِن قبل أنْ يأتيَهم رسولٌ فينهاهم، فإنْ رجَعوا، وإلَّا أتاهمُ العذاب. ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾؛ أي: ولكلِّ عاملٍ بطاعةٍ أو معصيةٍ ﴿دَرَجَاتٌ﴾؛ أي: مراتبُ في الجزاء. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عن أعمالِهم التي يَعملونها مِن المعصية، ولكن يؤخِّرُ تَعذيبَهم.

(١٣٣-١٣٤) - ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ فلا يَنتفِعُ بالطَّاعةِ، ولا يَتضرَّرُ بالمعصية، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ فلا يُعاجِل بالعقوبة. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ أي: يُهلككم. ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ يجعل فيها مَنْ يَخلُفُكم مِن غيرِكم مِن النَّاس، أو مِن غيرِهم؛ فإنَّه قال: ﴿مَا يَشَاءُ﴾، ولم يقل: من يشاء، فلا يَختصُّ بالعُقلاء. ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾؛ أي: نسلِ قومٍ كانوا قبلَكم. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾؛ أي: مِن مجيء الساعة. وقيل: مِن العذابِ في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٥٩).

﴿لَآتٍ﴾؛ أي: لكائنٌ لا خُلفَ فيه. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: بفائتين؛ أي: يُدرِكُكم حيث كنتم[١].

(١٣٥) - ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ المكانةُ: الطَّريقةُ والجهة. وقيل: أي: النَّاحيةُ. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾؛ أي: قد أنذرتُكم ونصحتُ لكم، وأنتم مقيمون على تكذيبي، فاثبتُوا على ما أنتم عليه مِن الكفر والمعاصي، وأنا أثبتُ على الإيمانِ والطاعةِ، والصَّبرِ على إيذائكم. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبةُ المحمودةُ في دار السَّلام، ويَحتملُ عاقبةَ دارِ الدُّنيا؛ في النَّصرِ والظَّفر ووراثةِ الأرض. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وأنتم ظالمون لا تُفلِحون[٢].

(١٣٦) - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وهذا مِمَّا يُوحي شياطينُ الجنِّ والإنس مِن زخرف القول، ومِن ضلالات أهل الشِّرك وجهلِهم وافترائهم على اللَّه، وشرعِهم ما لم يأذن به اللَّه، يقول: سمَّوا للَّه ممَّا خلقَ مِن الزَّرع الذي يزرعونه، ومن الحيواناتِ التي يَقتنونها مِن البقر والإبل والغنم حظًّا. ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: بقولِهم الباطل، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾؛ أي: أصنامِنا، وكانوا يجعلونَها شركاءَ للَّه، وإنما أضافوها لأنفسِهم لاعتقادِهم إيَّاها كذلك. ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ ثمَّ كان من حكمِهم أنَّ ما جعلوهُ للَّه مِن

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ١٩٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٩٠)، وزاد المسير (٣/ ١٢٨).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٥٠٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٩٤).

حرثِهم، فاختلطَ منه شيءٌ بالذي عزلوهُ لآلهتهم قالوا هذا لآلهتنا، واللَّهُ غنيّ عنها، ولم يَردُّوه إلى ما عزلوه للَّه، وما اختلطَ منه شيءٌ ممَّا سمَّوه لآلهتِهم بالذي سمَّوه للَّه، أخذوهُ وردُّوه إلى نصيبِ آلهتِهم، وقالوا: هذا كان لها، فهي أحقُّ به، وكانوا إذا زرعوا خَطُّوا خطًّا، فقالوا: هذا للَّه، وهذا لآلهتنا، وإذا حصدوا ممَّا وقع منه فيما جعلوهُ للآلهةِ؛ بأن ذهبت به الريح أو غير ذلك، تركوه، وما وقع منه فيما جعلوه للَّه، أعادوه إلى موضعه، وكان إذا نما وحسُن ما للَّه، وانتقص ما لآلهتِهم، جعلوا ذلك النَّامي لآلهتهم، ولم يجعلوا ذلك في عكسه. هذا في الحرث، فأمَّا في الأنعام، فكانوا يُسمُّون بعضها للَّه، وبعضَها لآلهتهم، فكانت إذا ولدَت ما للَّه إناثُها ميتًا، أكلوه، وإذا جعلوا لآلهتهم، فولدَت ميتًا، عظَّموهُ فلم يأكلوه، وقيل: إنْ أصابَتهُم سنةٌ، أكلوا ما جعلوا للَّه، وتَركوا ما جَعَلوا لآلهتِهم، وقيل: ما سمَّوه للأصنام كانوا يُنفِقون عليها، وما سمَّوه، للَّه نحروه للأضياف والسُّؤَّال، وكذا من الحرث. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في شرعِ ما لم يَشرعِ اللَّه. وقيل: أي: في تفضيلِ الأصنامِ على اللَّه في هذه المعاملة[١].

(١٣٧) - ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾؛ أي: كما زيَّنوا لهم تحريمَ هذه الحروثِ والأنعام بخلافِ حكم اللَّه، كذلك زيَّن لكثيرٍ منهم شركاؤهم قتلَ أولادِهم بغير أمر اللَّه به، وإذنِه فيه. والشركاء: الشَّياطين هاهنا، لا الأوثان، فكانوا يُعظِّمون الشَّياطينَ ويَقبلون منهم، فصاروا شركاءَ لهم، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾؛ أي: ليهلكوهم، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: ليُشبِّهوا

(١) جامع البيان (٩/ ٥٧١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٢٧).

ويُخَلِّطوا؛ أي: يُدخِلوا الشُّبهات والتَّخاليطَ في الدِّين الذي شرعَهُ اللَّهُ لهم، فيَتركوه. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ فثبَتَ أنَّ الكائناتِ كلَّها بمشيئةِ اللَّهِ تعالى جلَّ جلالُه، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يَكذبون(١).

(١٣٨) - ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حرامٌ، مِن الحَجْرِ، وهو المنعُ، وهذه الأنعامُ والحرثُ هي التي ذُكرت قبل هذا في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾، وقوله: ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: قولِهم الباطل، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هذا في الحامي كان الفحلُ إذا رُكِبَ ولدُ ولدِه قالوا: حمى ظهره، فلا يُركَبُ، ولا يُحمَلُ عليه، ولا يُمنَع عن مرعًى ولا ماء. ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: هي أنعامٌ كانوا لا يُحرِّمونها، ويُبيحونَ الانتفاعَ بها، لكن كانوا لا يَذكرون اسمَ اللَّهِ عليها عند حملٍ أو ركوبٍ أو حَلْبٍ أو غيرِ ذلك، وقيل: لا يَنتفِعون بها ليَعرفوا نعمَ اللَّه، ويَشكروا لهُ عليها، ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾؛ أي: كذِبًا على اللَّه أنَّه أمرَهُم بذلك، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهذا وعيدٌ.

(١٣٩) - ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾ الخالصُ: الذي لا شوبَ فيه، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ﴾ البحيرة ونحوِها من الألبان، وقيل: من الأجِنَّة: مباحٌ لذكورِنا، فيتناولون مِنها، ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾؛ أي: إناثنا؛ لأنَّ الإناثَ هنَّ أزواجُ الرِّجال في الجملة، فلا يَحِلُّ لهنَّ شيءٌ مِن ذلك. ﴿وَإِنْ يَكُنْ

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ١٩٤)، والتفسير البسيط (٨/ ٤٦٢)،تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٦٦ - ٢٦٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٠٥).

مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ أي: وإن يكن ما في البطن ميتًا، فالذُّكورُ في حلِّ أكلِه والإناثُ سواءٌ. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ ما تَصِفُ ألسنتُهم مِن التَّحليل والتَّحريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ في جزائهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

(١٤٠) - ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: هَلَكوا وخابوا، والسَّفهُ: خفَّةُ الحِلم بالعَجلة إلى ما لا ينبغي له أن يَعجلَ إليه، ومِن السَّفهِ قتلُ النُّفوسِ المحرَّمةِ، خصوصًا من هو ولدُك وبعضٌ منك، ومَن لم يُذنب إليك ولا إلى غيرِك، ولا جنى جنايةً، وفيه قسوةُ قلبٍ، وقِلَّةُ رحمةٍ، وقطيعةُ رحمٍ، وإساءةٌ إلى بريءٍ، وجُرأةٌ على اللَّه. ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ انسدَّتْ عليهم طرقُ الثَّقةِ بخالقِ العباد، فحملَتهُم خشيةُ الفقرِ على قتلِ الأولاد، ومن حقائقِ اليقين: كثرةُ العِيال على قلَّة المال(١).

(١٤١) - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بيَّن تحريمَ المشركين بعضَ الحروثِ والأنعام، وبيَّن في هذه الآية أنَّها خُلِقَت لنا، وهي حلالٌ ليست بحرام. ﴿أَنْشَأَ﴾؛ أي: خلقَ وابتدأ، ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين. ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ هي ما عُرِشَ مِن الكُروم ونحوها، وهو رفعُ بعضِ أغصانِها على بعض. وقيل: هو ما رُفع له حِظارٌ كالحائط، وقيل: المعروش: ما يَقومُ على السَّاق، وغير المعروش: ما يَنبسِطُ على الأرض. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ الأكُل: الثَّمرُ؛ لأنَّه يُؤكَل، والنَّخل ألوانٌ كثيرةٌ، وكذلك الزَّرع، والهاء في ﴿أُكُلُهُ﴾ راجعةٌ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٠٦).

إلى ما ذُكِر. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ الاشتباهُ والتَّشابهُ واحدٌ، يُقال: اشتبهَتِ الأمورُ وتَشابهت، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾؛ أي: ثمرِ ما ذُكر، ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾؛ أي: استبيحوا أكلَهُ، ولا تحرِّموه كتحريمِ المشركين. ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾؛ أي: التزموا أداءَه، وحقُّه العشر، أو نصفه، ويومُ حصادِه: وقت بلوغِه وفصله. ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ يعني في العطية، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أسرفَ حتَّى لم يَترك لأهلِه شيئًا[١].

(١٤٢) - ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾؛ أي: وأنشأ مِن الأنعامِ حَمُولةً، وهي كبارُ الإبلِ التي تُطيقُ الحملَ، ﴿وَفَرْشًا﴾؛ أي: صِغارُها، وقيل: الحَمولة: ما حُمل عليه من الإبل والبقر، وأما الفرشُ فهي الغنم، وسُمِّي صغارُ الإبلِ فرشًا؛ لاستواء أسنانها في الصِّغر والانحطاط، كاستواءِ ما يُفترَش. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: استبيحوا كلَّ هذه الأنعام، وهي الإبلُ والبقرُ والغنم. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ أي: ولا تَسلكوا سبيلَ الشَّيطان، ولا تتَّبعوا آثارَهُ في تحريمِها. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوة. وقيل: أي: مظهِرها[٢].

(١٤٣) - ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ أي: أنشأ لكم ثمانيةَ أزواجٍ مِن الغنمِ ذكرًا وأنثى، ومن المعزِ ذكرًا وأنثى، ومن الإبل كذلك، ومن البقر

---

(١) جامع البيان (٩/ ٦٠٥)، والكشف والبيان(١٢/ ٢٣٧)، والبسيط (٨/ ٤٨١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٣٩).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٥٩٣)، والكشف والبيان (١٢/ ٢٣٨)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٠٠) (٧٩٧٣).

كذلك، كلُّ ذكرٍ زوجٌ للأنثى، وكلُّ أُنثى زوج للذَّكر، فهي ثمانية أزواجٍ، وهم كانوا يُحرِّمون مِن هذه الأصناف الأربعة، فأمرَ اللّهُ تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يُحاجَّهم، ويُبطِلَ وجهَ تحريمِهم، ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ الألفُ ألف الاستفهام. أي: الذَّكر من الضَّأنِ والذَّكرُ مِن المعز حرَّم؟ أم الأنثى مِن هذه والأنثى من هذه؟ أم حرَّم الأجنَّةَ التي اشتملَت عليها الأرحام دون الأصول كالذُّكور والإناث؟ فإنْ كان حرَّم الذُّكور، فيجبُ أن يكونَ كلُّ ذكرٍ حرامًا، وإنْ كان حرَّم الأُنثى، فيجبُ أن تكونَ كلُّ أنثى حرامًا، وإنْ كان حرَّم الجنينَ، فيجبُ أن يكونَ كلُّ جنينٍ حرامًا، وهم لا يقولون ذلك، فتناقضَت مقالاتُهم، وظهرَتْ محالاتهم. ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾؛ أي: حَوَتهُ وجمعَتهُ وانضمَّت عليه، والأرحام جمعُ رَحِم، وهي المشيمةُ، وهي موضعُ الولد. ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: أخبروني بحجَّةٍ ما تقولون مِن طريقِ العِلم، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.

(١٤٤) - ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: ذكرًا وأنثى أيضًا، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ كذلك. أي: وأنشأ لكم من الإبل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين هما الجاموس والبقرة، ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾؛ كرره هنا مبالغة في التقريع والتوبيخ، والمقصود إنكار أن الله سبحانه حرّم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة، وإناثها تارة، وأولادها تارة أخرى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ زيادة في التوبيخ أي هل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم؟ وهذا من باب التهكم، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ

﴿النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فنسب إليه تحريم ما لم يحرّم بغير دليلٍ ولا برهان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ عمومٌ في كل ظالم(١).

(١٤٥) - ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ دليلٌ على أنَّ المحرَّمَ من الميتةِ أكلُها، فلا يَحرُمُ شعرُها وعظمُها وقرنُها، والجلدُ قبل الدِّباغِ يَحرمُ؛ لأنَّه قد يُشوى فيؤكل، فإذا دُبغ خرج عن الأكل، وجاز الانتفاعُ به. ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾؛ أي: مصبوبًا، وعنى به السَّائلَ، فلا يَحرم الدَّمُ الذي في اللَّحم، ولا الكبد، ولا الطِّحال. ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾؛ أي: نجسٌ، والهاءُ تَرجِعُ إلى الخنزير، فدلَّ على أنَّه نَجِسُ العين. ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾؛ أي: مفسوقًا به، وهو المذبوحُ للصَّنم. ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: اضطرَّ إلى شيءٍ من هذه المحرَّمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ بمجاوزة قدرِ الحاجة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بالتَّزوُّد، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يَغفِرُ له الأكلَ عند الضَّرورة، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإثباتِ الرُّخصةِ.

(١٤٦) - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ أخبرَ أنَّه حرَّمَ على اليهودِ أشياءَ ببغيِهم على أنبيائِهم وتَحاسُدهم فيما بينهم، كما قال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]؛ منها أكلُ كلِّ ذي ظفر، وهو كلُّ ما ليس بمفرَّجِ الأصابع، كالإبلِ والنَّعامِ والوزِّ والبطّ ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ ومحرَّمٌ آخرُ عليهم شحومُ البقر والغنم، واستثنى من ذلك شحمَ الظُّهور والحوايا أنَّه لم يُحرَّم عليهم، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٩٧)، التيسير في التفسير (٦/ ٢٤٤)، وصفوة التفاسير (١/ ٣٩٤).

﴿ظُهُورُهُمَا﴾ جمعَ الظَّهر لأنه فردٌ مِن اثنين أضيف إليهما، ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أي: المباعر. وقيل: هي ما تَحَوَّى في البطن، فاجتمعَ واستدار. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو كلُّ وَدَكٍ اتَّصلَ بعظمٍ كالألْيَة، وما في القوائم والجُنوب والرؤوس والعيون والآذان والمخ، فإنَّه مستثنًى أيضًا. ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخْبَرْنا به، لا أنتم فيما قلتُم، وليس بنا إلى معرفةِ ذلك حاجةٌ؛ لأنَّ تلك شريعةٌ قد نُسِخَت، ولكن بنا أن نَعرفَ أنَّ ذلك التَّحريمَ كان بِبغيِهم، وبطل بذلك دعواهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، فإنَّ الأبَ والحبيبَ لا يُحَرِّمُ الحلالَ على الابن والحبيبِ بأدنى ظلمٍ، ودلَّت الآيةُ على صدقِ رسالة النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّه أخبرَ عمَّا كانوا يُخفونَهُ، ولم يكن ذلك ظاهرًا عند أحدٍ مِن غيرِهم، فدلَّ أنَّه باللَّه علمَ ذلك بوحيٍ منه إليه(١).

(١٤٧) - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾؛ أي: فيما أوحيتُ إليك مِن هذا، ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: بالمصدِّقين وبها يُمهِل المكذِّبين، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وقيل: ذكر قولَهُ: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ بعد التَّكذيبِ؛ دعاءً لهم إلى ترك التَّكذيب، وبيان أنَّهم إذا تركوه رحِمَهم وأكرمَهم(٢)، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: إنَّ عذابَهُ وإن تأخَّر، فإذا جاء لم يُرَدَّ عن المجرمين؛ أي: لا يمكنُ ردُّه.

(١٤٨) - ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: يَتعلَّقون بمثلِ هذا الكلام في تكذيبِك، وثبوتِهم على

---

(١) جامع البيان (٩/ ٦٤٤ - ٦٤٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٤٧)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٤٨).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٥٠٩).

شركِهم، وتحريمِهم ما لم يُحرِّمهُ اللَّه. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كتكذيبهم إيَّاك كان تكذيبُ المتقدِّمينَ رسلَهم، وتعلُّقُهم بمثلِ هذا، فلم يَنفعهم ذلك، إذ لم يَقولوا ذلك عن اعتقادٍ، بل قالوه استهزاءً. ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾؛ أي: لاقوا عذابَنا، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾؛ أي: مِن حُجَّةٍ في هذا تُعدُّ عِلمًا في أنَّ مشيئتَه شرككم تُبيحُ لكمُ المقامَ عليه، وفي أنَّه رضيَ بِه، وفي أنَّه أمرَ به؛ أي: فلا حجَّة لكم مِن جهةِ العلم بوجهٍ يَصِحُّ التَّعلُّقُ به. ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبعون إلَّا الظَّنَّ، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾؛ أي: وما أنتم إلَّا تكذِبون، وظنُّهم: وهمُهم أنَّ مشيئةَ اللَّه تعالى عذرٌ لهم[(١)].

(١٤٩-١٥٠) - ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ حجته البالغة تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون أجمعون فلله الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هذا يدل على أنه ما شاء إيمان الكافر، ولو شاء لهداه، وهي دامغةُ المعتزلين المبطِلين[(٢)]. ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أي: قرِّبوا وأحضِروا الذين يَشهدون لكم ولا يَجِدون مَن يَشهَدُ لهم بذلك الَّا أنفسُهم، وقيل: أرادَ به الأصنام فإنهم كانوا يسمُّونها شهداء، قال اللَّه تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ ولا يُتصوَّرُ منها الشهادة، ولكنَّ هذا مبالغةٌ في

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٣٠٥)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٥٠).

(٢) البسيط(٨/٥١٦)، ومعاني القرآن للزجاج(٢/ ٣٠٣)، وجامع البيان(٨/ ٧٩)، ومعاني القرآن للنحاس(٢/ ٥١٤)، وبحر العلوم(١/ ٥٢٢)، ومعالم التنزيل(٣/ ٢٠٢).

النَّفي، كما قال: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[فاطر: ١٤]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: دعاويهم المبنيَّة على الأهواء. ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: يشركون بعبادتهم الأصنامَ[١].

(١٥١) - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذه الآيةُ وآيتان بعدَها آياتٌ محكماتٌ، كانت أحكامُها ثابتةً في كلِّ الأُمم، لم تُنسَخ، ولا تُنسَخ، وهنَّ جوامعُ أصولِ الدِّين ومعالي الأخلاق، وفيها مصالحُ الدَّارين، يقول: قل للمشركينَ: احْضُروا أقرأ عليكم ما حرَّم ربُّكم عليكم، فهي المحرَّمة دون ما تُحرِّمون يعني البحيرةَ ونحوها، ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أي: وصَّى ألَّا تشركوا به شيئًا[٢] ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: مِن خوفِ فقرٍ. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ أي: رزقُكم ورزقُهم منَّا لا منكم، فما يَحمِلُكم على قتلِهم؟ ذكرَ حقوقَ الأولادِ بعد حقوقِ الوالدين. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: اجتنبوا القبائحَ كلَّها، ظاهرَها وباطنَها؛ فإنَّ اللَّهَ مطَّلِعٌ على جميعِها، وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كان من الكفَّار مَن لا يرى بأسًا بالزِّنا سرًّا، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الزِّنا، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ منها المخالَّةُ. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بما يحقُّ به قتلُها، ومن ذلك ما قال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلَّا بأحدِ

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٣)، معاني القرآن للأخفش (١/ ٣١٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٥١٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٠٤).

معانٍ ثلاثة؛ كفرٍ بعد إيمان، وزِنًا بعد إحصان، وقتلِ نفسٍ بغيرِ حقٍّ"(١). ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: هذه الأشياءُ أكَّدَ اللَّهُ الأمرَ بها؛ لتعقِلوا عظمَها عند اللَّه، فتمتثلوا أمرَهُ فيها(٢).

(١٥٢) - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل: هو جمعُ شَدّ، بفتح الشين، وهو القوَّة، وقيل: هو حين يُكتَبُ عليه عملُه، وقيل: أوانُه هو بلوغُ خمس عشرةَ سنة، وهذا خطابٌ للقضاةِ والأوصياء في حقِّ الصِّغار والصغائرِ الذين لا آباءَ لهم، ألَّا يتصرَّفوا في أموالِهم إلَّا بالعقود التي هي أحسن؛ أي: أنفعُ وأنظرُ لهم، إلى وقت البلوغ، ثمَّ تَنقطعُ ولايتهم عنهم. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: أتِمُّوا الكيلَ في المكيلات، والوزنَ في الموزونات، إذا أدَّيتم ما عليكم مِنها، والقِسْطُ: العدلُ، وهو التَّسويةُ في الإيفاء والاستيفاء، دون الازديادِ في الاستيفاء، والنُّقصان في الإيفاء؛ فإنَّه جورٌ، وفيه وعيدٌ بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ الآية [المطففين: ١]. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: طاقتَها، فلا يُؤاخِذُها بتقصيرٍ يَقعُ في الكيلِ والوزنِ مِن غير قصدٍ، مع الاجتهادِ في مراعاة العدل. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ وهذا في الشَّهادة، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المشهودُ له أو المشهودُ عليه ذا قرابةٍ، فما يَنبغي لكم أنْ تَميلوا وتَتركوا العدلَ. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾؛ أي: بأوامرِه ونواهيهِ، وبأيمانِكم ونذورِكم. ﴿ذَٰلِكُمْ

---

(١) رواه أبو داود في "سننه" (٤٥٠٢)، والترمذي في "سننه" (٢١٥٨)، والنسائي في "سننه" (٤٠١٩)، وابن ماجه (٢٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه.

(٢) جامع البيان (٩/ ٦٦٩ - ٦٦٠)، تأويلات أهل السنة (٤/ ٣١٤)، التيسير في التفسير (٦/ ٢٥٤).

﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: أمرَكُم به، وأكَّد الأمرَ لتتَّعظوا، وأصلُه: تتذكرون، فأُدغِمت التَّاءُ الثَّانيةُ في الذَّال[١].

(١٥٣) - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اسلكوهُ ولا تَزيغوا عنه. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ أي: ما سواه من الطُّرقِ الجائرة، وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ أرادَ به دينَ الإسلام، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾؛ أي: قائمًا، وهو الطريقُ الأعظم، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ أي: اليهوديَّة والنَّصرانيَّة والمجوسيَّة وعبادةَ الأوثان، وقيل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ أي: البدعَ والشُّبهات ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؛ أي: تتفرَّق بكم عن هذا السَّبيل المستقيمِ بجعلكم مفارقيه. وقيل: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾؛ أي: تُفرِّقُ بعضَكم عن بعضٍ بالاختلاف، ومعنى ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾؛ أي: بعد الاجتماع في سبيلِه، وروى ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّه خطَّ بأصبعِه خطًّا مستقيمًا، وقال: "هذا صراطُ اللَّه مستقيمًا"، ثمَّ خطَّ خطوطًا يمينًا وشمالًا، ثم قال: "هذه السُّبل مشتركةٌ، وليس مِن هذه السُّبل سبيلٌ إلَّا وعليه شيطانٌ يَدعو إليه"، ثمَّ قرأ هذه الآية[٢]. ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لأنَّهم إذا عقَلوا تَفكَّروا فتذكَّروا؛ أي: اتَّعظوا، فاتَّقوا المحارمَ والمهالك، فمن قابلَ هذه الأوامرَ بجميل الاعتناق، سَعِدَ في داريه، وحَظيَ بعظائم منزلتيه[٣].

(١٥٤) - ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؛ أي: ثمَّ نخبِرُكم أنَّا آتينا موسى

---

(١) جامع البيان (٩/ ٦٦٤)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٥٦).

(٢) رواه النسائي في "السنن الكبرى" (١١١٠٩)، والطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧١).

(٣) لطائف الإشارات (١/ ٥١١)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٣١٨)،التفسير البسيط (٨/ ٥٣٦).

الكتابَ كما آتيناك، وهو ما تتلو عليهم، ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ﴾ أي: على إحسانِه وإنعامِه، وقيل: تمامًا على إحسان موسى بطاعاته، وقيل: تمامًا على المحسنين؛ أي: تمامًا للنِّعمة على المحسنين الذين هو أحدُهم. ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ عطفًا على ﴿تَمَامًا﴾، ومعناه: إتمامًا منَّا لكرامته، وبيانًا لهم في كلِّ ما يحتاجون إليه. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾؛ أي: لعلَّ قومَه ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بالقيامة يُصدِّقون[1].

(١٥٥-١٥٦) - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾؛ أي: وهذا القرآنُ كتابٌ مباركٌ، كثيرُ الخيرِ لمن اتَّبعَه، أنزلناهُ إليك كما أنزلنا التَّوراةَ إلى موسى، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اعملوا به، ﴿وَاتَّقُوا﴾؛ أي: مخالفتَه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: لِترحموا، و"لعلَّ" كلمةُ ترجٍّ؛ أي: اتَّقوا على رجاءِ الرَّحمة. ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾؛ أي: لئلَّا تقولوا، ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾؛ أي: اليهود والنَّصارى، ودلَّ هذا على أنَّ المجوسَ ليسوا من أهل الكتاب؛ إذ لو كانوا كذلك، لكانوا ثلاثَ طوائف. ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾؛ أي: وما كنَّا عن قراءتِهم الكتابَ إلَّا غافلين، لا علمَ لنا بشيءٍ من ذلك.

(١٥٧) - ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾؛ أي: أرشدَ وأطوعَ مِن اليهودِ والنَّصارى، وإنما جمع ﴿مِنْهُمْ﴾ وهما طائفتان؛ لأنَّهما جمعان. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: بيانٌ وقيل هي القرآن، وقيل: محمَّدٌ ﷺ. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ صفتان للقرآن أو للنَّبيِّ ﷺ. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

---

(١) جامع البيان (٩/ ٦٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٦٥).

﴿كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أظلمَ لنفسِه، أو لا أحدَ أوضعُ للشَّيءِ غيرَ موضعه ممَّن كذَّب بالقرآن، وقيل: بحجج اللَّه. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾؛ أي: أعرض، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: العذابَ السَّيء، وهو الموصوف بنهايةِ النِّكاية(١).

(١٥٨) - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: أقمنا حُجَجَ الوحدانيَّة وثبوتِ الرِّسالة، وأبطلنا ما يَعتقدون مِن الضَّلالات، ويَذكرون مِن المقالات، فما ينتظرون مِن ترك الإيمان إلَّا أحدَ هذه الأشياءِ الثَّلاثة، وهي: إتيانُ الملائكةِ لقبض الأرواح، وذلك عند الموت، أو: إتيانُ ربِّك؛ أي: أو إتيانُ أمرِ ربِّك كما صرَّحَ به في آيةٍ أخرى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾؛ أي: بإقامةِ القيامة، فإنَّها تقومُ بأمره، أو: إتيانُ بعضِ آياتِ ربِّك مِن أشراطِ السَّاعة، وقيل: هي طلوعُ الشَّمسِ من مغربِها؛ أي: يَنتظرون ارتفاعَ الغيبِ بأحد هذه الأشياء، ووقوع العيان، ولا قَبولَ للإيمان إلَّا بالغيب. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ فيه تقديمٌ وتأخير، وتقديرُه: لا يَنفعُ نفسًا لم تكنْ آمنت مِن قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرًا إيمانُها، ﴿خَيْرًا﴾ أي: طاعةً، وقيل: أي: إخلاصًا؛ أي: كما لا يُقبل إيمانُ الكافر بعد طلوعِ الشَّمسِ مِن مغربها، لا يُقبلُ إخلاصُ المنافقِ أيضًا. ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾؛ أي: إحدى هذه الثَّلاث، وليس هذا أمرَ تكليفٍ، بل هو تعريفٌ أنَّ العذابَ نازلٌ بهم كالمنتظَر له. ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾؛ أي: مستيقنون أنَّه نازلٌ بكم.

---

(١) التيسير في التفسير - (٦/ ٢٦٤).

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ أي: شتَّتوا. ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ جمع شيعة، وهي الفرقةُ المتابعةُ بعضُها بعضًا، وقد شايعَهُ؛ أي: تابعَه، وشيَّعهُ؛ أي: اتَّبعَه، وقيل: هم اليهود، وقيل: هم اليهودُ والنَّصارى، تَركوا دينَهم وكانوا فرقًا، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: لم تُؤمَر بقتالِهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ إن شاءَ عاجلَهم بالعقوبة، وإن شاءَ أخَّرها إلى الآخرة، وإن شاءَ وفَّقهم للرُّجوع عنها، فعفا عنهم. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: في الآخرة، ويُجازيهم على ذلك(١).

(١٦٠ -١٦١) - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشرُ حسناتٍ أمثالها، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالفعلةِ القبيحةِ، وهي المعصية، ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾؛ أي: واحدةً بواحدة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يُنقَصون مِن حسناتِهم، ولا يُزادون في سيِّئاتهم. ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لمَّا بيَّنَ الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيعًا، أمرَه أن يقول: أرْشَدَني اللَّهُ إلى الدِّين المستقيم. ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ أي: مستقيمًا. ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو بدلٌ عن ﴿دِينًا﴾، وبيانُ أنَّ الدِّينَ القيِّم هذا، وإنَّما ذكرَ ذلك حثًّا لهم على اتِّباعه؛ لأنَّه دينُ أبيهم. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: هداني وعرفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ باللَّه(٢).

(١٦٢ -١٦٣) - ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: صلاتي كلُّها باللَّيل والنَّهار. ﴿وَنُسُكِي﴾؛ أي: حجِّي وعمرتي، وقيل: أي: قراءتي، وقيل: أي عبادتي، وقيل: أي: ديني. ﴿وَمَحْيَايَ﴾؛ أي: ما أعملُه في حياتي. ﴿وَمَمَاتِي﴾؛ أي: ما أوصي به بعد موتي أنْ يُعمَلَ به. ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: هو

---

(١) البسيط (٨/ ٥٥٢)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٣٢٦ - ٣٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٠).

(٢) البسيط (٨/ ٥٦٠)، ولطائف الإشارات (١/ ٥١٣ - ٥١٤).

خالصٌ له. ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في شيءٍ مِن ذلك، ولا أشركُ به غيرَه. ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾؛ أي: به أمرَني اللَّه. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: أوَّل المنقادِينَ لأمرِه مِن أهلِ هذا الزَّمان.

(١٦٤) - ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا يجوزُ في العقل السَّليم أنْ أطلبَ لي مُدَبِّرًا وحافظًا ومصرِّفًا غيرَ اللَّه، وهو مصرِّفُ كلِّ شيءٍ، وهو ربُّ أصنامِكم وربُّكم. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾؛ أي: لا يكون جنايةُ نفسٍ إلَّا عليها. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؛ أي: لا تُحمَّلُ نفسٌ حاملةٌ حِمْلَ نفسٍ أخرى. ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن الأديان التي فرَّقتموها، وإذا كان الأمرُ بدءًا وعَوْدًا راجعًا إلى اللَّه وحدَه، فلا عذرَ في ابتغاءِ ربٍّ سواه.

(١٦٥) - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ أي: وهو الذي جعلَكُم يا أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ خلائفَ الأممِ الماضية في الأرض. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾؛ أي: في الرِّزقِ، والحالِ، والعُمر، والخِلقة، وكلِّ شيء. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾؛ أي: ليختبرَكم فيما أعطاكُم مِن النِّعم بالشُّكر، وفيما ابتلاكم به من المِحَن بالصَّبر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾؛ أي: لأعدائه، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: لأوليائِه[1].

(انتهى تفسير سورة الأنعام).

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٣٤٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨٢)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٧٦)، ولطائف الإشارات (١/ ٥١٥).

(٧) سورة الأعراف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

هذه السُّورةُ مكيَّةٌ سميت بسورة الأعراف وهذا هو الاسم الذي عرفت به هذه السورة، من عهد النبي ﷺ، ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الأعراف، ولم يذكر في غيرها من سور بلا خلاف؛ ولأنها ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ، وهي من السبع الطوال التي جعلت في أول القرآن لطولها، وهي أطول سورة مكية في القرآن الكريم، وكان نزولها بعد سورة «ص»، وقبل سورة «الجن»، وهي معدودة التاسعة والثلاثين في ترتيب نزول السور، القرآن؛ وعدد آياتها ست ومائتا آية، وكلماتُها ثلاثةُ آلاف وثلاثُ مئة وتسعَ عشرةَ، وحروفُها أربعةَ عَشَرَ ألفًا ومئةٌ وأربعة وثلاثون.

مقاصدها ومميزاتها:

وقد اشتملت سورة الأعراف على المقاصد الإجمالية التي اشتملت عليها السور المكية، كإقامة الأدلة على وحدانية الله، وعلى صدق رسوله محمد ﷺ وعلى أن يوم القيامة حق، والذي يتأمل هذه السورة الكريمة يراها تهتم بعرض الحقائق في أسلوبين بارزين فيها، أحدهما أسلوب التذكير بالنعم، والآخر أسلوب التخويف من العذاب والنقم. أما أسلوب التذكير بالنعم فتراه واضحًا في لفتها لأنظار الناس إلى ما يلمسونه ويحسونه من نعمة تمكينهم في الأرض، ونعمة خلقهم وتصويرهم في أحسن تقويم، ونعمة تمتع الإنسان بما في هذا الكون من خيرات سخرها الله له،

وأما أسلوب التخويف بالعذاب فالسورة الكريمة زاخرة به، تلمس ذلك في قصص نوح، وهود، وصالح. ولوط، وشعيب، وموسى -عليهم السلام- مع أقوامهم، وقد استغرق هذا القصص أكثر من نصفها، وقد ساقت لنا السورة الكريمة ما دار بين الأنبياء وبين أقوامهم، وما آل إليه أمر أولئك الأقوام الذين لم يستجيبوا لنصائح المرسلين إليهم، ثم ختمت بوصف حال أهل الضلالة ووصف تكذيبهم بما جاء به الرسول ووصف آلهتهم بما ينافي الإلاهية وأن لله الصفات الحسنى صفات الكمال، ثم أمر الله رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والمسلمين بسعة الصدر والمداومة على الدعوة وحذرهم من مداخل الشيطان بمراقبة الله بذكره سرًا وجهرًا والإقبال على عبادته(١).

مناسبتها لسورة الأنعام:

أن سورة الأعراف تعتبر كالتفصيل لها، فإن سورة الأنعام قد تكلمت عن أصول العقائد وكليات الدين كلامًا إجماليًا، ثم جاءت سورة الأعراف فكانت كالشرح والتفصيل لذلك الإجمال، خصوصًا فيما يتعلق بقصص الأنبياء مع أقوامهم وبعثة النبي ﷺ، ووجهُ انتظامِ أوّل السُّورة بآخر تلك السُّورة أن القرآن أنزل إنذارًا لينذرَ به النبي ﷺ الأعداء أنَّه سريع العقاب، وتذكيرًا للأولياء أنَّه غفور رحيم وهَّاب.

(١-٣) - ﴿المص﴾ الله أعلم بمراده. ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أي: هذا كتابٌ، ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ أي: ضِيق؛ أي: لا يضيق صدرك

(١) التيسير في التفسير (٦/ ٢٨٢)، والتحرير والتنوير(٨/٥)، والتفسير الوسيط لطنطاوي(٥/ ٢٣٧).

لتشعُّب الفكر بك خوفًا؛ أي: ألَّا تقومَ بحقِّه. ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾؛ أي: بالقرآن. ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أُنزل لإنذار الكافرين، ولتذكير المؤمنين. ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: قيل: هو ابتداءُ خطابٍ للمشركين، وقيل: فيه إضمار: قل يا محمَّد للمشركين: اتَّبعوا ما أنزل إليكم؛ أي: إلى نبيِّكم لنَفْعكم. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أي: أربابًا وهم الأصنام. ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: قليلًا ما يتَّعظون بتذكير هذا الكتاب؛ أي: قليلٌ مَن يؤمنُ منكم(١).

(٤-٥) - ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وهذا من الإنذار والتَّذْكار بما نزل بالماضين من الكفَّار، ومعناه: وكم من أهل قرية، أُضمر الأهلُ فيه، ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾: أي: عذابنا المهلِكُ. ﴿بَيَاتًا﴾؛ أي: في حال بيتوتتهم بالليل. ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: أي: حال قيلولتهم بالنَّهار. وهما حالتا غفلةٍ. ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: أي: دعاؤهم؛ يعني: لَمَّا جاءهم أوائل العذاب اعترفوا على أنفسهم بالشِّرك والظُّلم، ولم ينفعهم ذلك، وقيل: ﴿دَعْوَاهُمْ﴾: دعاؤهم على أنفسهم بالويل(٢).

(٦-٩) - ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾. أي: الأممَ الذين أتاهم الرُّسل: هل بلَّغكم الرسل ما أُرسلوا به إليكم؟ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: الأنبياءَ: هل بلَّغتُم قومكم ما أُرسلتُم به؟ وماذا أجابكم قومُكم، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نسألُ

---

(١) النكت والعيون (٢/ ١٩٨)، والبسيط (٢/ ٢١)، والكشف والبيان (٤/ ٢١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣١٣).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٥١٩)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٨٨).

الناس جميعًا عما أجابوا المرسَلين، ونسأل المرسَلين عمَّا بلَّغوا. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾: أي: فلنُخبرنَّهم بما كان منهم بعلمٍ منَّا بجميعهم، إذ لم نكن عنها غائبين فتخفى علينا، بل كنَّا شاهدِين ذلك كلَّه. ﴿بِعِلْمٍ﴾ فيه إثبات العلم لله تعالى[١]. ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أي: وزن الأعمال هو الحقُّ الكائن المتحقِّق. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ قال: حَسَنَاتُهُ. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أي: الفائزون بما أمَّلوا، والآمنون مما خافوا. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: هم الكفار لا إيمان لهم يُعتبَر معه عملُ خيرٍ، فلا يكون في ميزانهم خيرٌ فتَخِفَّ موازينُهم، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: غَبنوا، يعني: أهلكوها وباعوها بعَرَضٍ من الدنيا يسيرٍ، ووقعوا بذلك في عذابٍ مقيم. ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: أي: بالكتاب والرسولِ يكفرون، والظلم اسم للكفر.

(١٠-١١) - ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: جعلنا لكم في الأرض أمكنةً تستقرُّون عليها وفيها، وقيل: أي: مكَّنَّاكم يا أمةَ محمد، وهو بيانُ الإنعام عليهم. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: أي: هيَّأنا لكم أسبابَ العيش، جمعُ معيشةٍ من المكاسب. ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾: أي: قد لزمكم الشكرُ بذلك ولا تشكرون. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: أي: ولقد خلقنا أباكم آدم؛ أي: أوجدناه ثم صوَّرناه، والصورة: البِنْيةُ المخصوصة على هيئةٍ ظاهرة، وهي أحسنُ الصور، فإن الإنسان خُلق في أحسن تقويم. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ والخطاب للأولاد بإنعامٍ كان على أبيهم، وقال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ولقد خلقنا

---

(١) جامع البيان (١٠/ ٦٤)، والوسيط (٢/ ٣٤٩)، والدر المنثور (٣/ ٤١٤)، وفتح القدير (٢/ ١٨٩).

أباكم آدم ثم صوَّرناكم في ظهره، ثم نخبرُكم أنَّا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: لاستكباره وعناده[١].

(١٢-١٣) - ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: أي: ما منعك مِن أنْ تسجدَ، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾: أي: النار لها علوٌّ والطينُ له هبوطٌ، فلي عليه العلوُّ. تَوهَّم عدوُّ اللَّه أن الجواهر تتفاضلُ بأعيانها، ولم يعلم أن اللَّه تعالى هو الذي يفضِّل ما يشاء بما يشاء، فهو المالك والملك، وله الخلقُ والأمر، ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: أي: من الجنة، وقيل: أي: من السماء؛ لأنَّه كان فيها. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ أي: في السماء؛ لأنها مكانُ المتواضِعين. وقيل: ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض إلى جزائر البحور، والأرض مقرُّ بني آدم، والجزائر ليست بموضعِ قرارٍ، قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض على بني آدم، بل تكون في الجزائر على خوفٍ وذلٍّ، ولا تدخل في مساكن الإنسِ إلا كالمتلصِّص. ﴿فَاخْرُجْ﴾ أي: مِن صورتك التي أنت فيها، وقيل: أي: من صورة الملائكة إلى صورة الأبالسة، ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾: أي: من الأذلَّاء، وهذه المخاطبات لم تكن من اللَّه له بغيرِ واسطة، فإنه لا يستحق ذلك، بل كان على لسان ملَك أو ما شاء اللَّه -عز وجل-[٢].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٢١)، وجامع البيان (١٠/ ٧٥ - ٧٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٢٠ - ٥٢١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٢٩٦)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٣٦٧).

(٢) الكشف والبيان (٤/ ٢١٩)، والوسيط (٢/ ٣٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٧)، وجامع البيان(١٠/ ٨٧).

(١٤-١٥) - ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أي: أَمْهِلْني إلى يوم القيامة، أراد الخبيث أن لا يذوقَ الموت، فلم يُعطه الله ذلك لكنْ أمهَله إلى آخر الدنيا، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾، لم يعيِّنْه له وأبهَمَه، وقيل: أُنْظِر إلى النفخة الأولى، وقيل: معناه: أخِّر عقوبتي إلى يوم القيامة، لمَّا خاف تعجيلَ العقوبة، فأُنظر بها.

(١٦) - ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: أي: بسبب ما أغوَيْتَني. ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: أضلَلْتني. وقيل: أفسَدْتَني، وقيل: أي: خيَّبتني، أي: ومَن يَخِبْ، لمَّا رأى غواية نفسه جهد في إغواء غيره؛ كما قال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[النساء: ٨٩]. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: لأصدَّنَّهم عن دِينك دينِ الإسلام.

(١٧) - ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: لآتينَّهم من حيث يُبصِرون ومن حيث لا يُبصِرون، وقيل: أي: من كلِّ جهةٍ يمكنُ الاحتيالُ عليهم بها، ولم يقل: من فوقهم؛ لأن رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ فأخبرُهم أنه لا بعثَ ولا جنةَ ولا نار، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من أمرِ الدنيا فأزيِّنها لهم وأدعوهم إليها وأخوِّفهم الفقر على أنفسهم وعلى مَن يَخْلُفهم مِن بعدهم، فلا يَصِلون رَحِمًا ولا يؤدُّون زكاةً ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: من قِبَل حسناتهم فأثبِّطهم عنها ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾: فأزيِّنُ لهم السيئات وآمرُهم بها. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ قال ذلك ظنًّا ثم تحقَّق ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠][(١)].

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٢٢)، والكشاف (٢/ ٩٣)، وجامع البيان (١٠/ ١٠٤).

(١٨-٢١) - ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا﴾: أي: من الجنة، وقيل: من السماء، وقيل: من الصورة الملكيَّة. ﴿مَذْءُومًا﴾ أي: مَقيتًا. ﴿مَدْحُورًا﴾ أي: مطرودًا، ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: اللام للقسَم. أي: من أطاعك من المشركين والمنافقين والكافرين وقرنائهم من الشياطين. ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: وقلنا: يا آدم، وقد فسرت الآية في سورة البقرة. ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: أي: أورد عليهما الخواطر المزيِّنة لهما أكلَ الشجرة، وأصل الوسوسة: الصوت الخفيُّ، فهي دعاءٌ على خفاءٍ؛ ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾: الإبداء: الإظهار، والمواراة: الستر، والسوءة: العورة مجازًا؛ لأنَّه يسوءُ صاحبَها ظهورُها؛ أي: قصد بذلك إظهارَ عوراتهما. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: إلا أن تكونا طويلَي العمر مع الملائكة، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: فلا تموتان أبدًا[(١)]. ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾: أي: حلف لهما، وقيل: خدَعهما بالله فانخدعا، وكذلك المؤمن.

(٢٢) - ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾: أي: أوقعهما في المكروه بغروره بهذا القسَم، والغُرور: إظهارُ النُّصح مع إبطانِ الغش. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾: أي: أكَلا منها، وهو ينبئ عن القليل منه. ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾: أي: ظهرت لهما لا لغيرهما، وكانا لا يَريَان من أنفُسهما ذلك، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: أي:

---

(١) الكشف والبيان (١٢/ ٣١٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٨٥)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٣)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٢٤)، وزاد المسير (٢/ ١٠٨).

ابتدآ يَلزقان على أنفسهما ورق التين فلا يلتزق، وقيل: الخصف: الترقيع، وقيل: الضم. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾: أي: عن قُربانها استفهام بمعنى الإثبات. ﴿وَأَقُلْ لَكُمَا﴾: أي: ألم أقل لكما: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي: بيَّن العداوة مظهرها.

(٢٣) - ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾: لـمَّا قال الله تعالى لآدم وحواء: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ الآيةَ اعترفا بالخطيئة وتسارَعا إلى التوبة، وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾: نَقَصْناها ثوابَ الطاعة وعرَّضناها للعقوبة. ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾: أي: وإن لم تَستُر علينا ذنبنا ولم ترحمنا بقبول توبتنا. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: أي: الهالكين الذين باعوا حظَّهم من الآخرة بقضاءِ شهوةِ ساعة.

(٢٤) - ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾: الخطاب لآدم وحواء -صلوات الله عليهما- والحية، وقيل: لآدم وحواء وإبليس، ﴿اهْبِطُوا﴾ أي: انزلوا إلى الأرض. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: فيه تحذيرُ آدم وحواءَ عليهما السلام عند كيدِ إبليسَ - لعنه الله- في الأرض كما كادهما في الجنة. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه آجالكم، وأراد به أنهم لا يخلدون في الأرض[(١)].

(٢٥-٢٦) - ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: أي: في الأرض تبقَون أحياءً، وفيها تموتون فتبقون في القبور إلى أن تُبعثوا منها، يُعْلمهم أنهم لا يعودون إلى الجنة إلى أنْ يحشروا من قبورهم، ثم يصيرَ السعداء إلى الجنة والأشقياء إلى النار. ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ

---

(١) جامع البيان (١٠/ ١١٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٢٧)، والتيسير في التفسير (٦/ ٣١٣).

وَرِيشًا﴾: أي: أنزلنا المطر الَّذي يُنبت القطنَ ويقيم البهائمَ التي منها الأصوافُ والأوبار والأشعار، ﴿وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب، ومنه ريشُ الطائر، وقيل: اللباس: ما وارَى العورة، والريش: ما وراء ذلك مما يجمِّل الهيئة. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أي: العمل الصالح، والسمت الحسن. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: أي: هذا أنفعُ لكم ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: تحصيلُ اللباس من الذي يَنبت بالماء من آيات وحدانية اللَّه تعالى ودلالات على كمال قدرته، واتِّصالُ منافع السماء بالأرض مع بُعْدِ ما بينَهما دليل على أن مُنشئهما ومدبِّرهما واحد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: يتَّعظون بالتفكُّر في هذه الآيات[١].

(٢٧) - ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: لا يُضلَّنكم ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾: أي: سبَّب ذلك بالاستزلال، فيُسبِّب أيضًا لكم الوقوعَ في المخاوف بالاستزلال إنْ لم تتحرَّزوا عن ذلك. ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: أي: نَزَع بطريق التسبُّب، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾: أي: قصَد ذلك. ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: أي: نَسْلُه، وقيل: أمَّته، وقيل: جموعه. وقيل: أشياعه، وقيل: أعوانه. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صَدْرُ الإنسان له مسكنٌ، ويجري منه مجرى الدم. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: خذَلْنا الكفار فاتَّخذوا الشياطين أولياء يطيعونهم ويتَّبعونهم ويجعلونهم بمنزلةِ

---

(١) البسيط (٩/ ٨٢)، والدر المنثور (١/ ١٣٨)، والكشف والبيان (٤/ ٢٢٦)، والنكت والعيون (٢/ ٢١٣).

مَن يتولَّى مصالحهم(١).

(٢٨) - ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: الفاحشة: ما عظُم قُبْحُه. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أي: قالوا: لو كَره اللَّه ما نحن فيه لنَقَلنا عنه، فهو أمرٌ منه لنا به وقيل: توهَّموا أن آباءهم كانوا عليه بأمرِ اللَّه تعالى. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: أتدَّعون أن اللَّه أمَر بها، وأمرُ اللَّه تعالى يُعرف ببيان رسله أو الذِّكرِ في كتابه، وأنتم لا تُقرُّون برسولٍ ولا كتاب؟، فكان هذا دعوَى بجهلٍ، وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ(٢).

(٢٩-٣٠) - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: أي: بالعدل، وهو التوحيدُ، لا بما قلتُم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، ولمَّا كان الشركُ ظلمًا بالنصِّ كان التوحيد عدلًا. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: أي: وجِّهوها إلى اللَّه تعالى دون الأصنام، ومنه قول المصلِّي: إني وجَّهتُ وجهي للذي فطَر السماوات والأرضَ حنيفًا. ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؛ أي: موضعِ سجودٍ. ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي: واعبدوه، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: أي: خلقكم. ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كما بدأكم تعودون سعيدًا وشقيًّا، وقيل: تعودون ضُلَّالًا ومهتدين. ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٣٩٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٨٣)، وجامع البيان (١٠/ ١٣٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٣)، والبسيط (٩/ ٨٥)، والتيسير في التفسير (٦/ ٣١٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٨٩ - ١٩٠)، والكشاف (٢/ ٩٩)، والنكت والعيون (٢/ ٢١٦)، والكشف والبيان (٤/ ٢٢٧).

يطيعونهم ويتولَّونهم، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: هم عند أنفسهم مهتدون، وليسوا كذلك وذُمُّوا بذلك،

(٣١) - ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: أي: لباسَكم، في المساجد كلِّها مع المسجد الحرام، وكانوا يتعرَّون عنده في الطواف، فنُهوا عن ذلك وأُمروا بأخذ اللباس للصلاة في المواضع كلِّها. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾: أي: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما أَحلَّ اللَّه ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: ولا تجاوزوا حدَّ الشرع بتحريمِ ما أَحلَّ اللَّه. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: لأنه لا يحب الإسراف، فإنْ حُمل هذا على إسراف المسلم فإن اللَّه لا يحبُّه لإسرافه ويحبُّه لإسلامه، وإنْ حُمل على الشرك فإنه لا يحبُّ المشرك مطلَقًا بل يبغضه مطلقًا[١].

(٣٢) - ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: استفهام بمعنى الجحدِ، ثم أمَر رسولَ اللَّه ﷺ أن يوبِّخهم على الإسراف الذي نَهى عنه في الآية الأولى، وهو تحريم ما أحَلَّ اللَّه من الطعام واللباس، والزينةُ بمعنى: المزيَّن، كالشهوة تذكر ويراد بها المشتهى. ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾: ما جعله زينةً لعباده وأباحهُ في شرعه. ﴿أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾؛ أي: أَوجَد، وقيل: أَظهر. وقيل: هو على حقيقته؛ لأنَّه كان في السماء أو في الأرض فأخرجه منهما لهم. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: هي للمؤمنين على الأصالة، وللكفار بطريق التبَعيَّة، كما قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، ثم هي في الجنة على الخلوص للمؤمنين لا يَشْركهم فيها

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٢٩ - ٥٣٠)، والوسيط (٢/ ٣٦٣)، وجامع البيان (١٠/ والتيسير في التفسير (٦/ ٣٢٧)، والكشف والبيان (٤/ ٢٢٩).

غيرُهم وذلك قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: المؤمنون في الدنيا لهم الطيباتُ على الخلوص في العُقبى، يقول للمشركين: استَبيحوا ما أخرجتُ لكم من ذلك في الدنيا واشكروا لي على النعم ولا تحرِّموها، فإنْ خالفتم أمري استباحها المؤمنون في الدنيا ثم يَخْلص ذلك لهم في العُقبى ولا شركة لكم معهم فيها. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: كما نبيِّن لكم هذه الأحكامَ في الحلال والحرام، نبين لكم جميعَ ما بكم حاجةٌ إليه من شرائع الإسلام[١].

(٣٣) - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي: لم يحرِّم الزينةَ والطيبات، وإنما حرَّم القبائح كلَّها ظاهرَها وباطنها. ﴿وَالْإِثْمَ﴾: أي: الذنبَ بينك وبين اللَّه تعالى فيما دون الزنا مما لا يُوجب الحدَّ. ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أي: الاستطالةَ على الناس بغيرِ انتصافٍ يكون من الظالم. ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أي: حجةً؛ أي: الشركُ يكون بهذه الصفةِ بكلِّ حالٍ -إلا أنْ يكون من الشرك ما به سلطانٌ؛ أي: حجةٌ، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من تحريم هذه الأشياء التي تحرِّمونها من الحرث والأنعام[٢].

(٣٤-٣٥) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أي: ولكلِّ أمةٍ مكذِّبةٍ للرسل مشركةٍ باللَّه مدةٌ معلومة عند اللَّه يوقِع بها العقوبة عندها. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٠٤ - ٤٠٥)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٣٠)، التيسير في التفسير (٦/ ٣٣١).

(٢) معالم التنزيل (٣/ ٢٢٦)، والبسيط (٩/ ١٠٩)، وجامع البيان (٩/ ٦٦٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٨).

﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون، فكذلك أهلُ عصرك يا محمدُ ﷺ. ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾: قيل: هذا معنى قوله لآدم ومَن معه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]؛ لأن خطابه يومئذٍ كان خطابًا لآدم وذريته، ولذلك جمعهم في الذكر. وقيل: هذا كان خطابًا لهم حين أَخْذ الميثاق.

وقيل: ﴿يَابَنِي آدَمَ﴾ هذا خطاب لمشركي العرب ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ وحده، وسماه باسم الرسل تشريفًا له، وقوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾؛ أي: يتلون عليكم القرآن. ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ معناه: وإن يأتكم ومتى يأتكم أنبياءُ من جنسكم ومن عشيرتكم -وهو أدعى إلى الألفة، وأبلغ في الثقة- وهم يحدِّثونكم بآياتي التي أوحيتُ إليهم.

﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾: أي: اتَّقى الشركَ والمعاصيَ وأصلحَ العمل في الإسلام.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: من الوقوع في العقوبات ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفواتِ الثواب، وهذا لا يبطل مخافات القيامة لأن المراد به العاقبة[1].

(٣٦-٣٧) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: خلافَ مَن اتَّقى وأصلح ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: أي: تعاظَموا عن قبولها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وهذا وعيدُ المخالفين، والأول وعدُ الموافقين، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ثم أخبر عن هؤلاء الذين يخلَّدون في النار أنهم هم الذين أَوردوا أنفسهم النار بظُلمهم. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أظلمُ

(١) التيسير في التفسير (٦/٣٣٨).

ممن افترى -أي: اختلق- على الله كذبًا. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: بمحمدٍ ﷺ والقرآن. ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي: هؤلاء مع نهايةِ ظلمهم لا يَحرِمُهم في الدنيا ما كتب لهم في الكتاب، بل يَصلُ إليهم حظُّهم بما كتب لهم من الرزق، فيمتَّعون في الدنيا بما كُتب لهم في الكتاب السابق، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: حتى إذا انقضت آجالهم وحضَرهم ملائكة قبض الأرواح، ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾؛ أي: يقبضون أرواحهم ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: تعبدون من الأصنام ترجون شفاعتهم ومعونتَهم. ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: أي: افتقدناهم فما نرى لهم أعيانًا، ولا نرجو منهم مودة ولا أعوانًا. ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: أي: اعترفوا بكفرهم بلفظة الشهادة التي هي لتحقيق الخبر[(١)].

(٣٨) - ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾: أي: يقول الله تعالى لهم على ألسنة ملائكته يوم القيامة مُعْلِمين لهم بما يقعون فيه: ادخلوا في جملةِ مَن كان قبلَكم من كفَّار الجن والإنس الذين هم في النار. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: أي: دخلت النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ أي: الأمَّةَ التي هي مثلُها في الدين ممن سبق إليها، وقيل: يلعن المشركون المشركين، واليهودُ اليهودَ، والنصارى النصارى، ويَلعن الأتباعُ القادة. ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾: أصله: تدَاركوا، وتفسيره: تلاحَقوا، ومعناه: اجتمعوا. ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ

(١) البسيط (٩/ ١١٤)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٢٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

﴿لِأُولَاهُمْ﴾: أي: المتأخِّرون للمتقدمين: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾؛ أي: هم كذَّبوا الأنبياء فاتَّبعناهم في ذلك، فلو صدَّقوهم لصدَّقناهم. ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾: أي: يا ربنا أضعِفْ لهم العذاب؛ أي: عذِّبهم عذابًا مكرَّرًا زائدًا على عذابنا بضلالهم وإضلالهم. ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: أي: لكلٍّ منكم ومنهم عذابٌ مضاعَفٌ مكرَّر لا ينقطع؛ لاشتراككم في الكفر. ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: لا علم لكم به في الحال، وقيل: لا علمَ لكم به في الدنيا حتى يَحِلَّ بكم ذلك في الآخرة[١].

(٣٩-٤٠) - ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: أي: في عقلٍ وتدبُّرٍ، فإنكم سمعتُم ما نزل من المثُلات فلم تعتبِروا. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: من الكفر كما نحن نذوقه بكَسْبنا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: أي: تكبروا ولم يؤمنوا بها. ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ التفتيح وهو التكريرُ والتكثير، ومعناه: لا تفتَّح لهم أبواب السماء المعروفةِ لأرواحهم إذا ماتوا. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ أي: لا تفتح لهم أبوابها ولا يدخلونها. ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ قال ابن عباس: أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: وهكذا نُعاقِبُ المشركين.

(٤١-٤٢) - ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أي: فِراشٌ، ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ ﴿غَوَاشٍ﴾: ظُلَلٌ، جمعُ غاشيةٍ وهي المغطِّيَةُ، وهو كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٤١٧)، وتفسير مقاتل (٢/ ٣٦)، والبسيط (٩/ ١٢١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٣٤٢).

ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[الزمر: ١٦] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أي: الظالمين أنفسَهم بالشرك بالله ووضعِهم الشيءَ غيرَ موضعه[1]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ذكر ثواب المصدِّقين بعد عقابِ المكذِّبين، أي: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسًا منهم إلا طاقتها من الأعمال الصالحات في الدنيا وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون في العقبى.

(٤٣) - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾: أي: حقد؛ أي: لا حقد لهم ولا حسد ولا تنافُس. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: أي: هم في مواضعَ في غاية النزاهة والطِّيب، وقد زال عنهم الحسدُ فلا يتنافسون بتفاوت المنازل، ولم يبقَ ما كان بينهم في الدنيا من خشونةٍ وأذًى. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾أي: لعملٍ هذا ثوابُه، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدق، وقيل: أي: بما هو حقٌّ في العقول وصوابٌ، وقيل: أي: بالدِّين الحقِّ الذي يستحقُّه على عباده، وهذا بيانٌ منهم لاعتقادهم، وشكرٌ لله تعالى على إرشادهم. ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: تناديهم الملائكة: أنْ تلك الجنة التي أُخبرتم عنها في الدنيا هي هذه أَوْرَثَكُموها الله؛ أي: أعطاكم بأعمالكم، وهي إيمانُهم وطاعاتهم.

(٤٤) - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾أي: أن أهل الجنة ينادُون

---

(١) جامع البيان(١٠/ ١٩٢)، والنكت والعيون (٢/ ٢٢٣)، والتيسير في التفسير (٦/ ٣٤٧).

يومئذ أهلَ النار -لأنهم مشرِفون عليهم، فإن الجنة عالية وجهنمَ متسفِّلة- فيقولون لهم: إنَّا وجدنا ما وَعدنا اللَّه من الثواب حقًّا، فهل وجدتُم ما وَعد ربكم من العقاب حقًّا؟ قالوا: نعم، ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾: أي: نادى منادٍ، وهو ملك أو مَن شاء اللَّه: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: حصَلت على الكافرين دون المؤمنين، وهو إخبارٌ.

(٤٥) - ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يمنعون عن دِين اللَّه بالنهي وإدخال الشُّبَه. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أي: يطلبون لها تغييرًا وإمالةً إلى الباطل. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾: أي: كانوا بها جاحدِين.

(٤٦) - ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: قال بعض أهل التفسير: هو السورُ المذكور في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الآية [الحديد: ١٣].

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾: هي جمع عُرف، وهو المكان المرتفع، ومنه: عُرف الديك، وذلك لأنه بظهوره أَعْرفُ مما انخفض منه. وقيل: سمي بذلك لأن أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة من أهل النار، ومعنى الآية: أي: وعلى أعالي الحجاب -وهو السورُ- رجال. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾: أي: الكفارَ بسوادِ الوجوه وزُرقة العيون، والمؤمنين بنَضرة النعيم ونورِ الوجوه. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: يبشِّرونهم بالسلامة من كلِّ مَخوف، وبسلامِ التحية في الجنة. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾: أي: أهلُ الجنة بَعْدُ ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؛ أي: يرجُون، وهو طمع اليقين كما في قول الخليل: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

(٤٧) - ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾: أي: أبصار هؤلاء الملائكةِ ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾؛ أي: حِذاءَهم، وهي جهة اللقاء. ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: قال هؤلاء الملائكةُ هذا بطريق الدعاء حين أَشرفوا على حال أهل النار، وهم متعبَّدون مكلَّفون كبني آدم، فلا يُنْكر أن يدعوا اللّهَ لأنفسهم بالأمن.

(٤٨) - ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي: رجالًا من الكفار يعرفونهم بسوادِ الوجوه ونحوِه: ما نَفَعكم جماعاتكم؟ وقيل: جَمْعُكم الأموالَ، وتكبُّركم عن الإيمان، أو تعَظُّمكم على الناس بالرياسة ونحوها، وهذا توبيخ للكفار[(١)].

(٤٩-٥١) - ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾: وهم ضعفاءُ المسلمين كان الكفار يستخفُّون بهم، فيقول أصحاب الأعراف: أهؤلاء الذين حلَفتم ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾؛ أي: لا يصيبهم اللّه بكرامة؟ فانظروا إلى حالهم. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: أي: يقول أصحاب الأعراف للضعفاء من المؤمنين ردًا على الكافرين ما أقسموا به: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ حين يخاف أهل النار ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ حين يحزن أهل النار. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾: فلا صبر لنا على العطش ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام فلا قرار لنا على الجوع. ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي: الطعامُ والشرابُ هاهنا كثير، ولكن اللّه تعالى حرَّمها في هذه الدار على الكافرين،

---

(١) بحر العلوم(١/ ٥٣٢)، والكشف والبيان (٤/ ٢٣٤)، والبسيط (٩/ ١٤٠)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٣٤).

وهو تحريم منعٍ لا تحريمُ تكليفٍ. ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾: أي: على متابعةِ أهوائهم يحرِّمون ما شاؤوا ويُحِلُّون ما شاؤوا، غيرَ دائنين لله ولا متَّبِعين أمره. ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: خدعهم ما كانوا فيه من عزِّ الدنيا وسَعتها، وظنُّوا أن ذلك من كرامتهم على الله تعالى، وأن لهم مثلَ ذلك في الآخرة. ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾: يقول الله تعالى: فهذا اليومُ الذي يستغيثون بأهل الجنة نتركهم في النار كالمنسيِّين؛ ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾؛ أي: كما تركوا التفكُّر في الآخرة والجزاءِ على الأعمال كالمتناسِين لها. ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: أي: وما كانوا يجحدون بآياتنا فلا يصدِّقون أنها مِن عندنا(١).

(٥٢) - ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: نسُوا أمرنا وجحدوا بآياتنا، ولقد كنَّا آتيناهم كتابًا فصَّلناه؛ أي: جعلناه فصولًا: أمرًا ونهيًا، وتحريمًا وتحليلًا، ووعظًا وضربَ أمثالٍ، بلسانٍ عربيٍّ مُبين، على علمٍ منا بإيضاحه وتقريبه إلى الأفهام، وعلى علمٍ منا بما أَوْدعْناه، وعلى علمٍ منا بمَن يتَّبعه وبمن لا يتَّبعه، وجعلناه هدى ورحمة لمن صدَّقه وعمل به.

(٥٣) - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: ما ينتظرون إلا عاقبتَه وما يؤول إليه الأمر. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: يرجع إلى الكتاب؛ أي: عاقبةُ تصديقه وتكذيبِه، وهو يومُ القيامة. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾:أي: تركوا العملَ بالكتاب في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالصدق في الدنيا. ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾: حُذف النونُ للنصب بالفاء جوابًا

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٠٩)، والتيسير في التفسير (٦/ ٣٦٢).

للتمنِّي ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ بالرفع؛ لأن معناه: وهل نردُّ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ﴾ نصبٌ بالفاء جوابًا للتمني أيضًا ﴿غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فنصدِّقَ ونتَّبع. فآيسهم الله تعالى من هذا التمنِّي فقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: قد غُبنوا وصاروا إلى النار ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: ما كانوا يكذِبون، وهو قولهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]، وقيل: أي: بطَل عنهم ما كانوا يعبدونه من الأصنام ثم يرجون الانتفاع بها بالشفاعة والتقريب إلى الله زلفى(١).

(٥٤) - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي: ليس ربُّكم ومالكُكم وخالقُكم ومدبِّرُكم وحافظُكم الأصنامَ ولا الملائكةَ ولا الجنَّ ولا الذين تزعمون، بل كلُّ ذلك مربوب مخلوق، بل ربُّكم وخالقُكم ومالكُكم ومدبِّرُكم وحافظُكم اللهُ الَّذي خلَق السماوات والأرض وما بينهما ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قيل: من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، وقيل: هي كأيام الدنيا، وقيل: هي كأيام الآخرة كلُّ يوم ألفُ سنة، وكان قادرًا أن يخلقها كلَّها في أقلَّ من لحظة فـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: أي: الملك، يقال: ثُلَّ عرش فلان؛ أي: زال ملكه، والاستواء: ظهور التمام، ﴿يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: ويغشي النهارَ الليل؛ أي: يُلبس النهارَ الليلَ بنوره فيُذهب ظلمته، وهو كقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ﴾

---

(١) جامع البيان (١٠/ ٢٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٤)، التيسير في التفسير (٦/ ٣٦٤).

[الحج: ٦١] وقوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]. ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾: أي: يَتْبعه سريعًا على ذلك، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾: أي: ذلَّل هذه الأشياءَ لِمَا خُلِقْن له. ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي: بتسخيره، وقيل: أي: بأمر اللَّه يجرِيْنَ وينفعن الخَلْق. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: له الخلائق ملكًا، وله أن يأمرهم بما شاء قطعًا. ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾؛ أي: تعالى اللَّه. وقيل: تعظَّمَ اللَّه[١].

(٥٥) - ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾: أي: اعبدوه علانيةً وسرًا، وارفعوا إليه حوائجكم ﴿تَضَرُّعًا﴾؛ أي: تذلُّلًا وتخشُّعًا، والضَّراعة: الذِّلة، من حدِّ عَلِم ﴿وَخُفْيَةً﴾؛ أي: إخلاصًا؛ لأن الخفيَّ لا يدخله رياءٌ؛ قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: أي: المشركين؛ إذا جُعل الدعاء بمعنى العبادة، فأما على الدعوة والسؤال فمعناه: أي: المجاوِزين الحدَّ في الدعاء وفي غيره، وهو نهيٌ عن الجهر في غير موضعه.

(٥٦) - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الإفساد في الأرض قتل المؤمنين والاعتداءُ على الخلق، وقيل: هو العملُ فيها بالمعاصي، والإصلاحُ فيها: العمل بالطاعات. وقيل: أي: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بتكذيب الأنبياء ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾؛ أي: بعد أن أصلحها اللَّه بانبعاثهم. ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ادعوه خوفًا منه وطمعًا

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٤٠)، والكشف والبيان (٤/ ٢٣٨)، والبسيط (٩/ ١٦٧)، التنزيل (٣/ ٢٣٥).

فيه، إن إجابة اللَّه سريعٌ إلى المطيعين. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المؤمنين[(١)].

(٥٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نشرًا﴾: أي: مبشِّراتٍ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: أي: قدَّام مطرِه. ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾: أي: حملت سحابًا، جمع سحابة ﴿ثِقَالًا﴾: جمع ثقيلة؛ أي: بالماء. ﴿سُقْنَاهُ﴾: أي: ما حملته السحاب من الماء، وقيل: أي: سُقنا السحاب، ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾: أي: إلى أرضٍ هَمدتْ فلا تتحرَّك بنبات. ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾: أي: بالسحاب، وقيل: أي: بالبلد. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: أي: بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾؛ أي: الحبوبِ والفواكه، فإنها مما تُثمره الأرض ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾: أي: نُحييهم فنبعثُهم، كما أحيينا الأرض فأخرجنا الثمرات. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: تتذكرون البعثَ بما تشاهدونه من إحياءِ الأرض.

(٥٨) - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: أي: الأرض الحُرَّةُ الطين؛ أي: الخالصةُ الطين، ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: أي: بحُكم ربِّه، وقيل: بعِلْم ربِّه، وقيل: بتيسير ربِّه. وقيل: هو مَثَلُ المؤمنِ سمع كتاب اللَّه فعقَلَه ووعاه وانتفَع به كمَثَل هذه الأرضِ أصابها الغيثُ فأنبتت وانتُفع بها. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قال: هو مَثَلُ الكافر يسمعُ القرآن، فلم يَعْقِله ولم يَفهمه ولم يَنتفِعْ به، وقوله: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾؛ أي: عسِرًا، وقيل: أي: قليلًا لا يُنتفَع به. ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

(١) جامع البيان (١٠/ ٢٤٨)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٤٦٢)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٤١)، والنكت والعيون (٢/ ٢٣١).

﴿يَشْكُرُونَ﴾: أي: كما بيَّنَّا المَثَل في المؤمن والكافر نبيِّن سائرَ ما بالناس حاجةٌ إليه، وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾؛ أي: يَنتفع به الشاكرون للَّه بالإيمان والطاعات على ما رزقهم من العقول وسائر النعم[١].

(٥٩) - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾: أي: كما أرسلناك إلى قومك، ﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: وحِّدوه وأفرِدوه بالعبادة لتفرُّده بالإلهية. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: أي: ما لكم إلهٌ غيرُه، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: أخاف عليكم من الإصرار على الشرك عذابًا من اللَّه يأتيكم في يومٍ من أيام دنياكم عظيمِ الشأن يُذكر خبرُه في الآخِرين، وهو يوم تُستأصَلون فيه.

(٦٠) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾: أي: الأشراف، وهم الذين يملؤون المحافل، وقيل: يملؤون الصدور مهابة. ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: من رؤية القلب وهي العلم، وقيل: من رؤية البصر، وقيل: من الرأي، وهو غالبُ الظنِّ. والضلال: الخطأ والميل عن الصواب. أي: تدعُونا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ وهو خطأٌ بيِّن؛ لأنَّا وَجدنا آباءنا يعبدون آلهةً فقد ضلَلْت أنت عن هذا الطريق.

(٦١-٦٤) - ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾: أي: عدولٌ عن طريق الحق، ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: خالقِ الخلائق أجمعين، أسلُك طريقَه الذي هداني له. ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾: الرسالة: جملةٌ من البيان يحملُها القائم ليؤدِّيها إلى غيره. ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهيُ عما فيه الفساد، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: قيل: من

---

(١) جامع البيان(١٠/ ٢٥٩)، والبسيط (٩/ ١٩٣)، التيسير في التفسير (٦/ ٣٧٨).

نزول العذاب بكم إذا دُمتم على ما أنتم عليه. ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: الألِف للاستفهام بمعنى التوبيخ، أي: أتعجَّبتم أنْ جاءكم وعظٌ من ربِّكم وتذكير؟. ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾؛ أي: من جملتكم. ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: ليخوِّفكم العذابَ، ولتَحذروا أنتم فتتَّقوا الشرك والمعصية، ولتُرحموا إذا اتَّقيتم، وليس هذا مما يُتعجَّب منه. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾: أي: السفينةِ، وسُميت السفينة فُلكًا لأنها تدور على الماء كيف أدارها صاحبها. أي: فداموُا على تكذيب نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخلَّصنا نوحًا والذين آمنوا معه إذ حملناهم في السفينة.: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾؛ أي: جاهلين[(١)].

(٦٥-٦٨) - ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: أي: وأرسلنا إلى عاد -وهم قومٌ سُمُّوا باسم أبيهم، وهو: عادُ ابنُ عَوْصِ بنِ إرم بن سامِ بن نوحٍ النَّبيِّ ﷺ أخاهم؛ أي: نسيبَهم هودًا ترجمة له وهو هود بن عبد اللّه بن رباح بن الخلود بن عاد بن عَوْص بن إِرَم بن سام بن نوحٍ. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ تخافونه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اتَّقوا اللّه. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾: أي: في جَهالةٍ، وقيل: أي: في حُمق، وفي اللغة: هي خفَّة العقل. ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾ كان تكذيبهم على الظن لا على اليقين، أي: وإنَّا لنَعْلَمُك، ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: في ادِّعائك النبوة، وقيل: أي: فيما تقول من

(١) الدر المنثور (٤/ ٤١٩)، وزاد المسير (٤/ ١٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٣٠).

نزول العذاب بنا(١). ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: هو كجواب نوح وقد مر تفسيره. ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: أي: ناصحٌ لكم أمينٌ على وحي اللَّه تعالى، ومعنى الأمين على الوحي: أن لا يغيِّره ولا يَكذِب فيه؛ كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

(٦٩) - ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: تذكير من الله وعِظة، يذكركم بما أنزل ربكم ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: مع رجل منكم ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ أي: لينذركم بأس الله ويخوِّفكم عقابه على كفركم به ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أي: سكانَ الأرض بعدَهم، ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾: قيل: هي بسطةُ اليدين بالتصرُّف، وقيل: بالمال، وقيل: هي بسطةُ الجسم في الخِلقة. ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾: أي: نِعَمَ اللَّه، والمعنى: اذكروا بألسنتكم وقلوبكم آلاء اللَّه؛ أي: إنعام اللَّه باستخلافكم في الأرض بعد إهلاك قوم نوح، وبإعطائكم عظَم الأجسام وكثرةَ الأموال، فاذكروا نِعَم اللَّه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتفوزوا بكلِّ مأمولٍ، وتُوَقَّوا كلَّ محذور(٢).

(٧٠-٧١) - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾: أي: على توحُّده. ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: أي: نتركَ ما عبده آباؤنا من الأصنام. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٧٣)، وتفسير مقاتل (٢/ ٤٥)، والبسيط (٩/ ٢٠٤)، والتيسير في التفسير (٦/ ٣٨٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥)، والكشف والبيان (٤/ ٢٤٦)، والبسيط (٩/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

﴿كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: بما تُوْعِدنا به من العذاب إن كنت صادقًا في هذه الأخبار. ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾: أي: قال هود: قد وجَب عليكم من ربكم عذاب وجوبًا لا خُلف فيه، فكأنه قد وقع، والرِّجس أصله: النَّجَس، وهو المستقذَر، فالرجس عذابٌ يتجنَّبه أولو الألباب. والغضب: السخط، وقيل: هو إرادة الانتقام، وقيل: هو إحلال العقوبة بمن يستحقُّها. ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أي: أصنامٍ هي جماداتٌ سمَّيتُموها بأسماءٍ لم يَجعل اللَّه لها شيئًا من معاني تلك الأسماء، ولم يُنزل حجةً من استحقاقها تلك الأسماء لا عقلًا ولا شرعًا. ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: مواعيدَ الشيطان ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾؛ أي: مواعيدَ اللَّه.

(٧٢) - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: أي: برحمةٍ منا هديناهم، ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: استأصلناهم، يقال: دبَر فلانٌ القومَ يَدْبُرهم فهو دابِرُهم؛ أي: الجائي بعدهم، وقطعُ ذلك يكون باستئصالِ الكل. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ لم يبيِّن آياته التي أعطاها هودًا. ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكونوا ليؤمنوا وإنْ تأخَّر عنهم العذاب.

(٧٣) - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أي: أرسلنا صالحًا إلى قومه ثمودَ، وهو صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود بن جابر بن سام بن نوحٍ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: تعبدونه، ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: علامةٌ تفصِل بين الحقِّ والباطل. ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾: هي الأنثى

من الإبل، وإضافتُها إلى الله تشريفٌ لها؛ لأنَّها لم تخرج من ناقةٍ بل من صخرةٍ بإخراج الله تعالى معجزةً لصالح. ﴿لَكُمْ آيَةً﴾: أي: علامةً ظاهرةً على رسالتي، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: أي: ذروها ترع في أرض الله لا مؤنة عليكم في رعيها وسقيها. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: أي: لا تصيبوها بمكروهٍ من عَقر ونحوه. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: وجيعٌ، وهو في الدنيا.

(٧٤) - ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾: أي: سكانَ الأرض بدلًا عن عاد ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: مكَّنكم من منازلَ تأوون إليها. ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾: السهلة: الأرض الليِّنة، والأرض هي الحِجْر، وهو ما بين الحجاز والشام. ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: أي: تجعلون في الجبال بيوتًا بخرقها ونقبها، وكانوا يتخذون القصورَ للصيف وبيوتَ الجبال للشتاء. ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ أي: نعمه ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ أي: لا تُبالِغوا في الإفساد فيها بالكفر، وقيل: بالمعاصي.

(٧٥-٧٦) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه؛ لأن من المستضعَفين مَن لم يؤمن بالله. ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: سألوهم عن العلم فأجابوهم عن الإيمان، وهو خلافُ جوابهم في الظاهر. والمعنى: أتعلمون ذلك بقلوبكم وتعتقدونه وتُقِرُّون به؟، فأجابوا بالإيمان لأن السؤال كان عنه معنًى، وقيل: إنَّا عالمون بذلك ومؤمنون به. ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: أَخبروا أنهم مخالفون لهم.

(٧٧-٨٠) - ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: عقرُ الناقة: هو قطعُ العرقوب، والمراد به القتل. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ العتوُّ: الغلوُّ في الباطل، وقيل: هي مجاوزةُ الحدِّ في الفساد. ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: بالعذاب الَّذي تهدِّدُنا به، والوعد يذكر في الخير والشر ويُعرف بالقرينة، وإذا أُطلق فهو في الخير. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي: الصيحة، وقيل: الرجفة هي الزلزلة المحرِّكة، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾: أي: بكرةَ يوم السبت ﴿فِي دَارِهِمْ﴾؛ أي: في بلدهم، وقيل: أي: منازلهم، ﴿جَاثِمِينَ﴾: قيل: باركِين على ركبهم موتى. ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي: أَعرَضَ عنهم وفارقهم لمَّا أُوحي إليه أنه يَنزل بهم العذابُ بعد ثلاثٍ. ﴿وَقَالَ﴾ عند فراقهم ﴿يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ ويَثقل النُّصح على مَن اتَّبع الهَوى واجتنَب الهُدى. ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أي: وأرسلنا لوطًا، وهو ابن أخي إبراهيم الخليلِ صلواتُ اللّه عليهما. ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ استفهامٌ بمعنى التوبيخ، والفاحشةُ: الفعلة القبيحة، وأراد بها اللِّواطة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾؛ أي: لم يفعلها أحد قبلكم، ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: من الخلائق[(١)].

(٨١-٨٣) - ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾: أَتبع التوبيخ الأولَ بمثله مبالغةً وتفسيرًا للأول. ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾؛ أي: أدبارَ الرجال ﴿شَهْوَةً﴾؛ أي: اشتهاءً؛ أي: أدبارُ الرجال أشهَى عندكم من فروجِ النساء. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ أي: مشركون يتعدَّون الحلالَ إلى الحرام. ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(١) الكشف والبيان(٤/ ٢٥٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٥٥)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٢٠).

﴿قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لوطًا ومَن يَدِينُ بدينه، ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أي: بلدتِكم، وهي من القَرْي وهو الجمعُ، وسميت بها لأنها مجتمَع الناس في الإقامة. ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: أي: يتنزَّهون عن مثلِ عملنا، ومعنى الآية: أنهم اعترفوا بكونها فاحشةً مبتدَعة، وقال بعضُهم لبعضٍ -أو الأشراف للأتباع-: أخرِجوا هؤلاء من هذه البلدة فإنهم يرون هذا نجاسةً ويستعملون في اجتنابه طهارةً. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾: أي: خلَّصناه وأهلَ بيته وأهلَ دينه، ومنهم ابنتاه. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾: أي: زوجتَه، ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: من الباقين في عذاب الله[(١)].

(٨٤-٨٥)- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: أي: حجارةً، ﴿فَانْظُرْ﴾؛ أي: بعين قلبك يا محمد ﷺ، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المجرمون: المشركون.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى أهل مدين شعيبًا، ومدينُ في الأصل اسمُ رجل وهؤلاء أولاده، ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: تعبدونه، ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي شرائعُ ظاهرةُ المصالح؛ من التوحيد والإخلاص وإيفاء حقوق الناس. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾: أمرهم بإيفاء الحقوق التي عليهم. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: أي: لا تَنْقُصوا الناس الحقوقَ التي تصير لهم عليكم بالعقود، وقيل: أي: لا تظلموا. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: لا تَنْقُصوا الكيل والوزن فإنه فساد في

---

(١) بحر العلوم (٢/ ٢٥٩)، وجامع البيان (١٢/ ٤٩٦)، والبسيط (٩/ ٢٢٣)، معاني القرآن" للزجاج (٢/ ٣٥٣).

الأرض. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: الإيفاءُ خيرٌ لكم من البَخْس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم ممَّن همُّه وقصدُه الإيمانُ بالحق؛ إذ ورد البيان وقام البرهان[(١)].

(٨٦) - ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾: أي: لا تجلسوا في كلِّ طريقٍ، و﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾؛ أي: تهدِّدون، وقيل: كانوا يقعدون على طريق مَن قصد شعيبًا للإيمان به فيخوِّفونه بالقتل. ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: تَصْرِفون عن طريق الإسلام ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾؛ أي: مَن أراد أن يؤمن بالله عز وجل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: تطلبون للسبيل تعويجًا وتحريفًا؛ أي: يقولون: هي سبيلٌ باطلٌ لا حقٌّ. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي: كثَّرَ عددكم، وقيل: كثَّركم بالغنى بعد الفقر، وقيل: كثَّركم بالمقدرة بعد الضعف، فإن الفقراء والضعفاء بمنزلة القليل في كثرة الغنى؛ أي: اذكروا نعمة الله تَشكروا. ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: العصاةِ الذين كانوا قبلكم[(٢)].

(٨٧) - ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾: يقول لقومه: لا يمنعكم عن الإيمانِ بي اختلافُ الناس عليَّ وكثرةُ مَن لم يؤمِن بي، فإن العاقبة المحمودةَ للحق وأهله وإنْ قلَّ عددهم. ﴿فَاصْبِرُوا﴾: ليس هذا أمرًا لهم بالمقام على الكفر، لكن معناه: فانتظروا العاقبةَ حتى يحكم الله بيننا

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٦٠)، والبسيط (٩/ ٢٢٥)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٥٦)، والتيسير التفسير (٦/ ٤٢٧).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٣١٣ - ٣١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٥٤).

بنصرنا وإهلاككم. ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ في القيامة ﴿بَيْنَنَا﴾ فيتبيَّنَ الحق من الباطل، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: خيرُ مَن حكَم بين العباد؛ لأنَّه يحكم بالحق والعدل(١).

(٨٨) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ ولما نهاهم عن التطفيف والبَخس أَرسل إليه ملكُهم وقال له: ما تقول فيما أَمرتُ أنا الناسَ به من الاحتكار ونقصِ المكيال والميزان لمصلحة الناس؟ فقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن في كتاب اللَّه المنزل: أن الملِك إذا كان بمنزلتك وصنع مثلَ ما صنعتَ يقال له: ملك تاجر ملعون فاجر، فقال الملك: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾؛ أي: آمنوا باللَّه مع إيمانك ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾؛ أي: ديننا. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الألفُ للاستفهام، وهو بمعنى الاستنكارِ، والواو للعطف؛ أي: أتخرجوننا من قريتنا ونحن كارهون لمفارقة الأوطان من غيرِ ذنبٍ منَّا، وهو أمرٌ منكر.

(٨٩) - ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ العودُ هو الصيرورةُ دون الرجوع، والمِلَّة: الديانة التي يتكرَّر العمل بشرائعها، والمعنى: فإنْ دخلنا في دِينكم بعدما خلَّصنا اللَّه تعالى منه إلى حِفظنا عنه بإقامة البراهين وإراءة الحق، فقد افترينا على اللَّه الكذب حيث قلنا من حيث الدلالةُ إنَّه لم يبصِّرْنا الحق ولم يُقِم لنا الدليل، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾: أي: ولا يكون منَّا دخول في ملتكم إلا أن يكون اللَّه تعالى شاء ذلك منا، خاف شعيب أن يكون سبق منه زلةٌ أو تقصيرٌ يقع منه الاختيار لذلك

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٥٠٠)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٣٢).

فشاء اللَّه تعالى له ذلك، وكذا الأنبياء كلُّهم خافوا ذلك، وكان خوفهم أكثر من خوف غيرهم. ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: ونحن لا نعلم إلى ماذا يصير أمرنا. ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: أي: اعتمدنا في دفع شرِّكم وكفايةِ أمركم. ثم دعَوا ربهم، وذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾: أي: اقضِ بيننا ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بحُكمك الذي هو الحقُّ، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: أي: القاضِين، فلا محاباةَ في حُكمك، ولا ميلَ ولا زللَ ولا رشوةَ ولا شفاعة، والقضاءُ بالحق يفتح الأمرَ المنغلِق، ولذلك سمي فتحًا(١).

(٩٠-٩٢) - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾: أي: في الأمر بإيفاء الكيل والوزن ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾؛ أي: حينئذ ﴿لَخَاسِرُونَ﴾ الأموالَ. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: أي: الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي: ميتين لا حركة لهم. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: أي: لم يقيموا، وقد غَنِيَ بالمكان؛ أي: أقام، والمغاني: المنازل. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ كرَّر لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعيبًا. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾: لا المؤمنون بشعيب الذين قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ فإنهم خسروا أنفسَهم وأموالَهم ودينَهم ودنياهم وآخرتَهم.

(٩٣-٩٤) - ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي: أعرَضَ إعراض يأس عن إيمانهم، ﴿وَقَالَ﴾ عند الإعراض: ﴿يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾؛ أي: فلم تقبلوا، ثم قال: ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾؛ أي: أحزنُ ﴿عَلَى قَوْمٍ

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٥٠٤)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٣٥).

﴿كَافِرِينَ﴾ إذ كيف أُظهِر الحزنَ على هلاك قومٍ انقطعت بيني وبينهم الولاية لكفرهم بالله[١]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: لم نرسل في قريةٍ من هذه القرى التي قصَصْنا أخبارها وذكَرْنا إهلاكها نبيًّا ينذرهم إلا ضمَمنا إلى إنذارهم بالعذاب المستأصِل ما دون ذلك من الامتحان بالبأساء وهي الجوع والضراءِ وهي المرض. وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: البأساء: الفقر، والضرَّاء: السَّقَم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: ليتضرعوا إلى الله وينقادوا لشرعه، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ليستكينوا فيتوبوا.

(٩٥) - ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾: أي: مكان الجَدْبِ الخِصْبَ، ومكان المحنه النعمةَ ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾؛ أي: كثروا وكثرت أموالهم، ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾: أي: أصاب أسلافَنا الأحوالُ الضارَّة والأحوال السارة؛ أي: هذا من الاتفاقات التي تقع للناس من تلوُّن الأحوال، ولم يحملوه على التنبيه فلم يتنبهوا ولم ينتهوا. ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: بوقته، وقيل: بنزوله، وقد كان أنذرهم به رسلُهم[٢].

(٩٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: خيراتٍ ناميةً من الأمطار والنبات. ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾: أي: الأنبياءَ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يعني: ولو أن القرى وحَّدوا الله واتَّقوا الشرك والمعاصي لأنزلنا عليهم بركات من السماء

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٥١)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٣٧).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٢٢٤)، والبسيط (٩/ ٢٤٣)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٥٣).

بالرزق والمطر والنبات والثمار والخصب، ولكن كذَّبوا الرسل فعاقبناهم بالقحط وغلاء السعر بأعمالهم.

(٩٧-٩٩) - ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: استفهام بمعنى الاستنكار أي: عذابنا ليلًا وقتَ مبيتهم. ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ الواو للحال، وأكثر ما يكون نزولُ المحنة في حالة الغفلة، ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: نهارًا وهم في شغلِ الدنيا فإنه لعبٌ.

والضحى: وقتُ ابتداءِ الأعمال التي يُطلب بها الانتفاعُ ويُرجى بها الاستمتاع. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: أي: أَخْذَهم بغتةً، والمكر أصلُه: إظهارُ المحبوب وإخفاءُ المكروه، وإذا بَسط اللَّه تعالى نعمةً على عبدٍ استدعاءً للشكر فلم يفعل، ثم أخذه بغتةً، فقد ظهرت له نعمة وكانت خفيتْ له محنة. ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: لا يأمن أَخْذَ اللَّه بغتةً إلا الخاسرون. أي: إلا الكافرون الذين خسروا أنفسَهم حتى صاروا إلى النار[١].

(١٠٠) - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾: أي: أولم يُبيِّن، استفهام بمعنى الإثبات، أي: أولم يبيِّن ما نزل بالأولين من مكر اللَّه بهم، وقيل: الفاعل هو اللَّه عز وجل؛ أي أولم يبين اللَّه تعالى. ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: لعذبناهم بذنوبهم كما عذبنا الأولين. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي:

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٥١١ - ٥١٢)، والوسيط (٢/ ٣٨٩)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٤٠).

ونختم على قلوب هؤلاء ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ؛ لعِلمنا بأنهم يختارون الإصرار على الكفر والاستكبار. وقيل: أي: لا يجيبون، كما في قوله: سمع اللَّه لمن حمده؛ أي: أجاب اللَّه مَن حمده[١].

(١٠١-١٠٢) - ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾: أي: قصَصنا عليك أخبارَها فيما كان منا إليهم من الإعذار، وما كان منهم من الإصرار. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: المعجزات التي اقترحوها. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: فما كان من صفتهم الإيمانُ بها، وكانوا كذَّبوا بمثلها من قبل ذلك، وكانوا إنما التمسوها عنادًا لا استرشادًا. ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾: لمَّا علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر. ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾: أي: من وفاءٍ فيما أُمروا به، وهو العهد الأول الَّذي أخذ عليهم يوم الميثاق. ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: أي: ما وجدنا أكثرهم إلا متهتِّكين مجاهِرين بالمعاصي مع كفرهم وشركهم[٢].

(١٠٣-١٠٤) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أي: أرسلنا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: بعد الأنبياء الذين مرت قصصُهم ﴿مُوسَى﴾ هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿بِآيَاتِنَا﴾: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أولها العصا وآخرُها الطَّمس، وهو تسعٌ: العصا واليدُ البيضاء والسِّنون

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٦١)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٦).

(٢) البسيط (٩/ ٢٥٨)، وجامع البيان (١٠/ ٣٤٠).

والطُّوفان والجرادُ والقمَّل والضفادعُ والدمُ والطَّمس. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ﴾: أي: الأشرافِ من قومه، وكان مبعوثًا إلى غير فرعون وملئه من أهل زمانهم، لكنهم كانوا أتباعًا لهم. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: فجحدوا بالآيات، وقيل: ظلموا أنفسَهم بجحدها. ﴿فَانْظُرْ﴾: أي: بعين قلبك يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: كيف كان آخرُ أمر الذين أَفسدوا في الأرض ببثِّ الكفر فيها. ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: مُرسَلٌ إليك من ربِّ الخلائق.

(١٠٥) - ﴿حَقِيقٌ عَلَىَّ﴾ أي: واجبٌ عليَّ، من قولك: حقَّ الشيءُ يَحِقُّ حقًّا فهو حاقٌّ وحَقيقٌ؛ أي: وجَب. ﴿أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: بما يبيِّن وحدانية اللّه وألوهيته، ويحتمِلُ بيِّنة الرسالة؛ أي: ما يبيِّن أني رسولٌ من ربِّ العالمين غيرُ كاذبٍ عليه. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: أطلِقْهم ودَعِ استعبادهم وخلِّهم معي لأخرجَ بهم إلى أرض الشام التي وعدَها اللّه لهم، وقيل: إلى فلسطين.

(١٠٦-١٠٨) - ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: قال فرعون: إن كنت صادقًا في قولك: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فهات بيِّنتك. ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: (إذا) كلمةُ مفاجأةٍ، وقيل: معناه: ظهَر، الثعبان: الحية، وهي أعظمُ الحيات. ﴿مُبِينٌ﴾؛ أي: يبين أنه حيةٌ لا لبسَ فيه. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ أي: أخرجها من جيبه فإذا هي منيرةٌ لها شعاعٌ كشعاع الشمس تَكلُّ منها الأبصار، يسطع نورها

في السماء، قد أضاء ما حولها ودخل نُورها البيوتَ، وأضاءت منها المدينة[١].

(١٠٩ - ١١٠) - ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. أي: قال الأشراف من قوم فرعون الذين كانوا حضورًا: إن موسى هذا لساحرٌ حاذقٌ في سحره، وإنما قصدُه إخراجُكم من أرضكم، وأنْ يَغلبكم على بلادكم بقومه من بني إسرائيل إذا نَفذت هذه الحيلة، فماذا تأمرون أيها الوزراء؟، وقيل: قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ خطاب من الملأ لفرعون بصيغة الجمع تعظيمًا له، وكذا خطاب الملوك.

(١١١ - ١١٢) - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: احْبِسه، يعني: موسى ﴿وَأَخَاهُ﴾ يعني: هارون، وكان معه، وقيل: أي: أَخِّره، هذا يدلُّ على تقدُّم شيء، فكأنه همَّ بقتله فقالوا: أخِّر قتله واحبِسه ولا تقتله؛ ليتبيَّن سحره عند الخلق جميعًا، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [غافر: ٢٦]. ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ والمدائن: جمع مدينة، والحاشر: الجامع. قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يعني: وابعث الشُّرَط ليجمعوا السحرةَ من المدائن، وكان له مدائن فيها السحرةُ عُدَّةً للأشياء إذا حزبه أمر. والساحر: الفاعل للسحر، والسحَّار: الدوَّام على ذلك، وقيل: الساحر: العالم به، والسحَّار: العالم المعلِّم.

(١١٣-١١٤) - ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ وها هنا مضمَرٌ: فأرسلَ الحاشرين فجمَعوهم وجاء السحرة فرعون. ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ وجامع البيان (١٠/ ٣٧٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٧).

﴿الْغَالِبِينَ﴾ أي: إن لنا لمَالًا تعطينا إن غلبْنا موسى. ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: أي: في المجالس عندي، أجابهم إلى ما الْتمسوا وزادهم في الميعاد، وقال: أنتم مقرَّبون عندي في المنزلة، فتكونون أولَ مَن يدخل وآخِرَ مَن يخرج[(١)].

(١١٥) - ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾:

(إمَّا) للتخيير، وتقديره: إمَّا أن تلقيَ أنت أولًا وإمَّا أن نُلقي نحن أولًا، دليلُه ما قال في سورة طه: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: ٦٥]. قيل: أظهَروا الاقتدار وقالوا: إن بدأت أنت أو بدأنا فلا خوف علينا ولا حِذارَ.

(١١٦) - ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾: أي: فسترون ما يحُلّ بكم من الخِزْي، ولم يكن هذا أمرًا بتنفيذ السحر ورضًا به، ولكنه تهديد. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: أي: قلبوا أعين الناس عن صحة الإدراك. وقيل: حيَّروا الأعين. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾؛ أي: حملوهم على الرهبة وخاف مَن حضر أن بعضها يسعى إليهم فرَهِبوا فهَرَبوا ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ إذ كان سحرًا عظيمًا؛ أي: هائلًا كثيرَ العدد والملقين.

(١١٧-١١٨) - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: وأضمر ها هنا: فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: أي: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ تقديره: ما يأفكون به، أو: فيه. أي: يكذبون فيقولون: هي حياتٌ حقيقةً، أو: هي غالبةٌ معجزةَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل: ﴿يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: يصرفونه عن حقيقته بالتخييل، من

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٦٤)، والتفسير الكبير (١٤/ ٣٣٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٠٠).

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: يُصرفون. ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾: أي: ظهر، وقيل: أي: ثبتت الحجة، وقيل: أي: جاء الحق. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: تلاشَى ما عملوه من العصيِّ والحبال، وقيل: أي: بطل عملُهم[(١)].

(١١٩-١٢٢) - ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ﴾: أي: غُلب السحرة في ذلك الموضع ﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾؛ أي: رجعوا أذلَّاء مقهورين. ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: أي: ألقاهم ما رأوا من الآية العظيمة ساجدين؛ أي: دعاهم إلى السجود للَّه تعالى والخضوعِ له. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تبرَّؤوا من كفرهم وآمَنوا بربّهم، ولـمَّا سمعوا من موسى وهارون حين أتيا فرعون ما قالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حفظوا هذا الاسم فنفعهم يوم إلقاء العصا فتكلَّموا به، وكذا ينبغي لمن سمع علمًا أن يحفظه وإن كان لا يعمل به للحال لأنه ينفعه في المآل، ولـمَّا قالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال فرعون: أنا رب العالمين، فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ فبُهت فرعون لردهم عليه.

(١٢٣) - ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾: أي: بغيرِ أمري وإذني. ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: تواطأتُم عليه لتَدخلوا في دينه، وتجتمعوا على إخراج بني إسرائيل من المدينة ليكونوا عبيدًا لكم وخدمًا وتبعًا. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: هذا وعيد، وهو أبلغ تهديد.

(١٢٤-١٢٦) - ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ التقطيع:

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٢٤٦)، وجامع البيان (١٠/ ٣٦٠ - ٣٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٦٦).

تكثير القَطْع بكثرة المحالِّ، والخلاف: أن يكون في اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هو تكثيرُ الصَّلْب، وهو للتشهير. ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: أي: إلى جزائه، استسلَموا لذلك، وطيَّبوا أنفسهم، وقالوا: إذا كان المصير إلى الله طاب المسيرُ إلى الله تعالى. وقيل: أي: إذا كان المصير إلى الله فهو أحقُّ أن يُتَّقى عذابُه منك بما تهدِّدنا به. ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾: أي: ما تَعيب منَّا ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ وهذا مما لا يُعاب، بل ثبت له الإيجاب، ولا يجوز لنا عنه الانقلاب، فلا سبيل إلى إرضائك فقد استسلمنا، ثم دعَوا ربهم أن يصبِّرهم على ما ينالهم من فرعون، وذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أي: صبَّه علينا؛ أي: وفِّره لنا. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: أي: على دينِ موسى وهارون -عليهما السلام-(١).

(١٢٧) - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: أي: أتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا في أرضك بإيقاع الفُرقة والصدِّ عن دينك والدعاء إلى مخالَفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾؛ أي: يعتزلَك فلا يخدمَك ولا يعبدَك ولا يعبدَ آلهتك التي تعبدُها. ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: لمَّا أغرَوه على موسى وقومه، وخوَّفوه غلَبتهم وازديادهم، قال: لن يكون ما تخافون من قهرهم لنا بازدياد عددهم؛ لأني أعيدُ عليهم قتل الأبناء واسترقاقَ النساء والاستخدامَ، فيشغلهم ذلك عن المناكح فلا

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٥٨)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٥٣٣ - ٥٣٤)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٧١).

يزدادون، والقائمون يهلكون، فهم المقهورون ونحن القاهرون(١).

(١٢٨-١٢٩) - ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. أي: استعينوا باللَّه على رفع هذا البلاء، واصبروا على الدِّين الحقِّ، إن أرض مصر وكلَّ الشام للَّه يُوْرثها مَن يشاء من عباده والعاقبةُ للموحِّدين. ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: كنا نُطعَم إذا استعملونا من قبلِ أن تجيئنا، فلما جئتنا استعملونا ولم يُطعمونا. ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: و(عسى) إطماعٌ، وهو من الكريم إيجابٌ؛ أي: اطمعوا في أن اللَّه يهلكُهم ويجعلُكم سكانَ أرضهم. ثم أخبر أن اللَّه عز وجل إذا أعطاهم ذلك استأداهم شكره بطاعته، وذلك قوله تعالى: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: كيف تشكرون نعمه(٢).

(١٣٠) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: أي: ابتَلينا قومَ فرعون بالقحط، جمع سنةٍ، ويطلق على الجَدْب ولا يطلق على الخِصب، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: هذا في حق الأشجار والأولُ في الزروع. وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: السِّنونَ لأهل البوادي، ونقصُ الثمرات لأهل القرى، وهما آيتان. ﴿لَعَلَّهُمْ

---

(١) بحر العلوم (٢/ ١٢٧)، والكشف والبيان (٤/ ٢٧١)، والبسيط (٩/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٤).

(٢) الكشف والبيان(٤/ ٢٧٢)، ومعالم التنزيل (١/ ٩١)، وتفسير الخازن (١/ ٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٢٣)، وروح البيان (١/ ١٢٩).

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: ليذَّكَّروا؛ أي: ليتَّعِظوا ويرجعوا إلى الحق فيخلصوا.

(١٣١-١٣٢) - ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: أي: النعمةُ والخِصب والسَّعة والعافية ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾؛ أي: هذه التي نستحقُّها وقد تعوَّدْناها ولم تزل كانت لنا، ولم يروا ذلك من اللَّه عز وجل ولم يشكروا له عليه. ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي: جَدْبٌ وضِيقٌ وبَليَّةٌ ومرض ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: يتشاءموا بهم. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: اللَّه هو الذي يأتي بالخير والشرِّ والنَّفع والضُّرّ، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ بمعنى: من عند اللَّه لا من جهةِ موسى ومَن معه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا علمَ لهم أنها من اللَّه، وأنه يمتحنُ عباده بالمحن ردعًا عن المعاصي وحثًّا على الطاعات. ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أيَّ شيءٍ أتيتَنا به من آيةٍ تدَّعي أنها من عند اللَّه فإنما هي سحرٌ تريد أن تخدعَنا به. ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: فلا تشتغلْ بإيرادها فما نحن بمصدِّقينَ لك أنها من عند اللَّه[(١)].

(١٣٣) - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾: قيل: هو السيل الشديد، وقيل: هو المطر المتتابع المُضِرُّ. ﴿وَالْجَرَادَ﴾: وهو معروف ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ هي دوابُّ سودٌ صغارٌ، واحدتها: قُمَّلة. ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾: جمع ضِفْدِع بكسر الضاد والدال، وهو معروف. ﴿وَالدَّمَ﴾: معروفٌ أيضًا، ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ أي: أعلامًا مبيَّنات، يُفصَل بها الحقُّ من الباطل، أو تنفصِل عما يقدر عليه الآدميون. وقيل: مميَّزاتٍ بعضها من بعضٍ، بين كلِّ آيتين فصلٌ ومدةٌ ليُتأمل في كلِّ واحدةٍ حقَّ التأمل.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٥٤٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٦٠)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٨٢).

﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: أي: فتعاظَموا عن الانقياد للحق والإيمان بموسى، وكانوا قد اعتادوا الآثام والإجرام، واكتسابَ أنفسِهم العذابَ اللِّزام[١].

(١٣٤-١٣٥) - ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: أي: العذاب، وقيل: أي: الطاعون، فمات من القِبط سبعون ألفَ إنسان. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: قيل: هذا العهدُ أنه وعده الإجابة إذا دعاه. وقيل: هو أن يكشف عنهم العذاب إذا آمنوا. وقيل: هو بعثُه بالرسالة، ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: لئن دعوتَ الله فكشف عنا بدعائك لنصدِّقنَّك. ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: لنطلقنَّهم ولنُخلِّينَّ عنهم. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾: أي: إلى الوقت الذي جعلَه أجلًا لهلاكهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾: أي: ينقضون العهد فلا يؤمنون.

(١٣٦) - ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أي: من الناكثين ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: أهلكناهم بالماء في البحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: بسببِ تكذيبهم بهذه الآيات بعد تتابُعها. ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: معرضين عنها كالغافلين، أو متغافلين غيرَ متأمِّلين، أو غافلين عن النعمة، أو غافلين عن وقت نزول العذاب.

(١٣٧) - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: أي: لمَّا أهلكنا فرعون وقومه أسكنَّا قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذين كانوا يُستضعفون -أي: يُقهرون بقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفِ الأعمال الشاقة- أرضَ مصر. وقيل: أرض الشام مشارقها ومغاربها؛ أي:

(١) معالم التنزيل (٣/ ٣٦٩)، وجامع البيان (١٠/ ٣٨٣ - ٣٨٤)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٦).

نواحيها الشرقية والغربية، وهي الأرض التي باركَ اللّه فيها بكثرة الماء والشجر وفنون النِّعم. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾: أي: نَجز وعدُ اللّه، وهي الكلمة الحسنى -تأنيث الأحسن- على بني إسرائيل بإهلاك عدوِّهم واستخلافهم في الأرض، وسميت حسنى لأنها وعدٌ بما يحبون. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: بصبرهم على أذى فرعونَ وقومه، وعلى أمر اللّه، وثباتهم على الإيمان والطاعة، ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: أي: أهلكنا ما كانوا يصنعونه من الأبنية والمزارع والكروم. ومعنى: يَعْرِشون الكروم؛ أي: يرفعون عرائشها.

(١٣٨) - ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾: أي: الذي غرق فيه فرعونُ وقومه، فصاروا إلى البر ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾؛ أي: يقيمون على عبادتها. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾: أي: قالوا لفرط غباوتهم وفسادِ طبائعهم بطول العبودية لفرعون: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾؛ أي: انْصِبْ لنا شيئًا نعبده كما نصب هؤلاء لأنفسهم أصنامًا يعبدونها. ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: أي: الإلهية والعبادة، ولا تعلمون ما تقولون.

(١٣٩ -١٤٠) - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: أي: هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ﴿مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾؛ أي: مهلَكٌ مدمَّرٌ، والتَّبار: الهلاك والدمار. ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: تبطُل عبادتُهم هذه الأصنامَ فيذهب تعبُهم هدرًا. ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: استفهام بمعنى الإنكار، وتقديره: أَأَطلب لكم غيرَ اللّه معبودًا!؟ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي: على عالمَي زمانكم، وقيل: أي: جعَل فيكم

النبوَّة والكتابَ والحكمةَ والملكَ، والآياتِ التي لم يكن مثلُها لغيركم.

(١٤١) - ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي: يُذيقونكم. وقيل: يكلِّفونكم سوء العذاب؛ أي: أشدَّه وأشقَّه. ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: أي: يَسْتَبْقون إناثكم ويتركونهنَّ حيَّاتٍ. وقيل: يسترِقُّونهنَّ؛ أي: يفتِّشون في حيائهنَّ -أي: فروجِهنَّ- هل بهنَّ حبَلٌ. ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: قيل: وفي هذا الإنجاءِ نعمةٌ عظيمةٌ، وقيل: أي: في التَّقتيل والاستحياء محنة عظيمة، واسم البلاء يقع على كلِّ واحدٍ منهما، لأنه من الابتلاء وهو الاختبار، وهو يقع بكلِّ واحد منهما[(١)].

(١٤٢) - ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾: أي: لإتيان الطور وإنزالِ الكتاب ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾؛ أي: زدناها عليها ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ أي: الميقاتُ الذي وقَّته له ربُّه، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: أي: كُنْ خليفتي عليهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾: أي: سِرْ فيهم بالسيرة الصالحة التي لا فساد فيها، وثبِّتهم على ما أخلِّفهم عليه من الإيمان به وإخلاصِ العبادة له. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: ولا تسلك طريقةَ مَن يُفسد في الأرض بإظهار المعاصي من نفسه، أو الرضا من غيره بإظهارها، وتقريرِهم على ذلك، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مُرْهم بالصلاح ولا تتَّبع طريق العاصين[(٢)].

---

(١) البسيط (٩/ ٣٢٧)، وتأويلات أهل السنة (٤/ ٥٥٥ - ٥٥٦)، والتيسير في التفسير (٦/ ٤٩٤).

(٢) تأويلات أهل السنة" (٥/ ٤)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٦٣)، والتيسير في التفسير (٦/ ٥٠٤).

(١٤٣) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: أي: لميعادنا الأربعين، واللام لبيان الوقت، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾: بلا واسطةٍ بغيرِ كيفيةٍ، فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلَبَة شوقه، فسأل ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾: وهو حجةُ أهل السنَّة والجماعة على جواز رؤية اللَّه تعالى، فإن موسى صلوات اللَّه عليه اعتقد جوازها حتى سألها، ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾: ولم يقل: لن أُرى، ليكون نفيًا لجواز الرؤية، بل قال: لن تراني؛ أي: لن تُطيق أنت في الدنيا أن تراني، والدليل على أنه ليس لنفي جوازِ الرؤية بل هو نفيُ طاقة موسى ما ذُكر بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾: علَّق الرؤيةَ باستقرار الجبل، وهو أمرٌ متصوَّرٌ، فدل على تصوُّر ما عُلِّق به. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: أي: ظهَر، ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ ومعناه: مدكوكًا؛ أي: مدقوقًا، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صار ترابًا. ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾: أي: سقط مغشيًّا عليه؛ أي: لِهَيبةِ تلاشي الجبلِ بظهور آثار القدرة عليه. ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾: أي: من غشيته ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾. خرج هذا الكلام منه مخرج العادة عند رؤية الأفزاع حسَبَ ما يجري على ألسنة الناس عند الأخطار، لا عن ذنبٍ يتذكَّرونه فيتوبون عنه. وقيل: أي: تبتُ إليك من سؤال الرؤية في الدنيا، فإنك إنما وَعدْتَها في الآخرة. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المصدِّقين بأن رؤيتك في الآخرة بالوعد، ولا وعد في الدنيا(١).

(١٤٤) - ﴿قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾: أي: يا موسى، إني استخلصتُك على أهل عصرك. ﴿بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾: يعني: بأنْ أرسلتُك بها

(١) البسيط (٩/ ٣٣٧)، والنكت والعيون (٢/ ٢٥٨)، وجامع البيان (١٠/ ٤٢٨).

أوحيتُ إليك من الأوامر والنواهي، والوعدِ والوعيد، والأحكام والمواعظ، وبأنْ كلَّمتُك بلا واسطةٍ، وهذا يردُّ قولَ مَن يقول: إن السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام اللَّه تعالى؛ لأن في الآية بيانَ الاصطفاء، وهو تنصيص على التخصيص.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾: أي: التزِمْ ما أَلْزمْتُك، وقيل: أي: أَقبِلْ على ما أنزلتُه عليك، وقيل: أي: اعمَلْ به. ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: إنعامي بهذه الأشياء وغيرِها، بالاجتهاد في الطاعة، وتبليغِ الرسالة، والنصيحةِ للأمة، والصبرِ على أعباء هذه الأمانة. وقيل: أي: دُمْ على شكرك فقد كان الأنبياءُ كلُّهم شاكرين صابرين.

(١٤٥) - ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: هي جمعُ لوحٍ، وهو الصحيفةُ المهيَّأة للكتابة فيها؛ أي: أنزلنا عليه مع ذلك ألواحًا كُتب له فيها كلُّ شيء، ولأمَّته ما الحاجةُ إليه في مصالح الدِّين والدنيا، ويراد بـ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا، ويراد به أيضًا تعظيمُ قَدْرِه وتفخيمُ شأنه، ﴿مَوْعِظَةً﴾: هي مفعولٌ له؛ أي: ليكون تحذيرًا عمَّا لا ينبغي أن يُفعل. ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: تبيينًا. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: أي: وقُلنا له: ﴿خذها بقوة﴾ أي: نشاطٍ وجِدٍّ. ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: أي: بالفرائض. ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: سأُورِدكم يوم القيامة مأوَى الخارجين من الطاعة وهو جهنم، فتحمَدون اللَّه على ما أنزلكم من الجنة. وقيل: أي: سأريكم أرضَ الشام التي كانت للجبابرة الفاسقين وأُوْرِثكموها[١].

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٨٣) والبحر المحيط (١٠/ ٣٠٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٨٢)، والنكت والعيون (٢/ ٢٦٠).

(١٤٦) - ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾: سأمنع عنها المتكبِّرين، فلا تتكبَّروا لئلا تُصرفوا عنها فتضيِّعوها، ويصحُّ ذلك في حق آيات موسى وآيات محمد عليهما السلام، وهي القرآن، وقيل: أي: سأَصرفهم عن أن يفعلوا ما يَمنع عن إبلاغها، ويصحُّ ذلك في حقِّ موسى ومحمد عليهما السلام، قال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]؛ أي: لا تُظهر من نفسك ضعفًا. ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: يتعظَّمون عن الانقياد للأنبياء طلبًا للعلوِّ والرياسة. ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي: بغير الاستحقاق، وقيل: أي: بغير عملٍ بالحق. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: أي: عنادًا، ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: أي: لأنفسهم يسلكونه ويَدينون به، وهو صفة المعاندين والمتكبِّرين المذكورِين في أولها. ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ أي: وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلّوا وهلكوا ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي: يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقًا، ﴿ذلكَ بأنهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: ذلك الصرفُ عن قبول الحق والانقيادِ له بتكذيبهم بآياتنا. ﴿وكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي: غفلةَ إعراض وعنادٍ، لا غفلةَ جهلٍ وسهو(١).

(١٤٧) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: أصل اللقاء: رؤيةُ العين، وهؤلاء كذَّبوا برؤية الآخرة؛ أي: الدارِ الآخرة استبعادًا لها وإحالةً لوجودها، و﴿حَبِطَتْ﴾؛ أي: بطَلت وتلاشَتْ. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا يُجزون إلا بما عملوا من الكفر والمعاصي.

(١٤٨) - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: من بعد انطلاقه إلى الطُّور

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٨٤)، وجامع البيان (١٠/ ٤٤٣)، وتفسير مقاتل (٢/ ٦٣).

عجلًا؛ أي: أعَدُّوه ليعبدوه، والعجل: ولدُ البقرة. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: جمع حَلْيٍ بفتح الحاء وتسكين اللام، وهي الحِلْيَةُ، وهي ما يُتَّخذ من الذهب والفضة للتنزيين به، ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾: أي: جسمًا. وقيل: جسدًا مجسَّدًا ليس فيه روحٌ وله لحمٌ ودمٌ وشعر. ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: أي: صوتٌ، وهو صوت البقر على الخصوص. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: وهذا تعجيبٌ من اللَّه تعالى عبادَه من سفَههم، يقول: مَن لا يكون له كلام يخاطِب به، ولا منه هدايةٌ يرشِد بها، كيف يكون إلهًا؟ ثم ليس فيه أنه لو كلَّمهم أو هداهم يجوز أن يعبد، ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: أي: اتَّخذوه معبودًا، وكانوا ظالمين أنفسَهم وضارِّين لها بذلك، وواضعين العبادةَ غيرَ موضعها، والظلم يفسَّر بذلك كله.

(١٤٩) - ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: أي: ندموا، وأصله: أن مَن ندِم وَضع ذقنَه في يده، فالذقن ساقطٌ واليد مسقوطٌ فيها، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾: أي: علِموا، وهو من رؤية القلب. ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: أي: تابوا ودَعوا ربهم فقالوا: يا ربنا إن لم ترحمنا وتغفر لنا. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: أي: الهالكين المغبونين في الدنيا والآخرة.

(١٥٠) - ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى﴾: أي: من الطور ﴿إِلَى﴾ بني إسرائيل الذين استخلَف عليهم هارونَ وقد أخبره اللَّه تعالى بما كان من ﴿قَوْمِهِ﴾ من عبادة العجل رجع ﴿غَضْبَانَ﴾ من ذلك ﴿أَسِفًا﴾ متأسِّفًا على ما كان منهم. وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: حزينًا. وقيل: شديد الغضب. ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾: هي كلمة ذمٍّ؛ أي: ساء ما عملتُم خَلْفي بعد غيبتي، وقيل: بئسما اخترتُم من

عبادتكم العجلَ على عبادة اللّه تعالى. ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: أي: أسبَقتم أمرَ ربِّكم؟؛ أي: عبدتُم العجل قبل أن يأتيَ به أمر من اللّه تعالى؛ أي: لو كان هذا مما يجوز أن يُفعل تقرُّبًا إلى اللّه لأمَر اللّه عز وجل به، فلِمَ فعَلْتُموه قبل أن يأتي به أمر. وقيل: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: وعْدَ ربِّكم بالثواب على عبادته حتى عدَلتُم إلى عبادة غيره. ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: أي: فطرحها على الأرض غضبًا، فرُفع منها كذا وبقي كذا. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾: قيل: فعَل ذلك ليناجيَه وليسأله عن السبب الذي وقعوا في ذلك لأجله، وعن الذي منعه عن زجرهم وقتالهم عليه، فتصوَّر عند هارون أنه لغضبه ومؤاخَذته عليه يأخذ لحيته ورأسه يعاقبُه به، ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾: أي: يا أخي، وكان أخاه لأبيه وأمِّه وإنما خصَّ الأمَّ استعطافًا؛ لأن ذكر الأمِّ يوجب ذلك. ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾: أي: لم يَهابوني ولم يَستحُوا مني ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾: لكثرتهم وغلبتهم. ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: أي: لا تَسُرَّ المخالفين بما يَسوؤني؛ إذ لا شكَّ أنهم كفروا بعبادة العجل، والكافرُ يفرح بمَساءة المؤمنين، خصوصًا بوقوع التشاجُر بين أخوين رسولين؛ لِمَا في التبايُن من وقوع الوهن في الأمر. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: في عدادِ هؤلاء القومِ الذين ظلموا أنفسَهم بعبادةِ العجل ووَضْعِ العبادة في غيرِ موضعها، فأكونَ مثلهم في موجِدتك وغضبك علينا.

(١٥١) - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾: أي: ربِّ اغفر لي بما فعلتُه بأخي مما أَوهم ظاهرُه كثيرًا من الناس أنه كان موجدةً مني عليه وعقوبةً له، واغفر لأخي تقصيرَه إن كان منه شيءٌ من ذلك، وإن كان قد بذل جهده في الوعظ والإرشاد

للقوم، وكذا ينبغي للكامل الموقَّر أن يستقصِر نفسَه فيما يجب للَّه عليه، فأولى الناس بهذه الحالة الأنبياء عليهم السلام. ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾: أي: أدخلنا في جملةِ مَن ترحمهم وتُدخلهم الجنة. ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ترضَى بيَسير الشكر عن عظيم النِّعَم، وتقبلُ العذر الواحد في حق ذنوبٍ كثيرة.

(١٥٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: أي: معبودًا ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾؛ أي: سيصيبُهم ﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: إرادةُ عقوبةٍ لا عفوَ معها. قيل: قال اللَّه تعالى ذلك لموسى قبل أن يتوب القومُ بقتلهم أنفسَهم. ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: قتلُهم أنفسَهم بأيديهم فإنه هوانٌ وقُبلت به توبتُهم. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: أي: الكاذبينَ[(١)].

(١٥٣-١٥٤) - ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يتناول عبادةَ العجل وغيرَ ذلك. ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: أي: بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهم. ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾: أي: سكَن، ولما كان الغضبُ بفَورته دالًّا على ما في النفس للمغضوب عليه، كان بمنزلة الناطق بذلك، فإذا سكنَت تلك الفَورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلِّمًا به. ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾: وقد كان وضَعها ليتفرَّغ لِما قصَد له لا رغبةً عنها، فلما فرغ عاد إليها فأخذها. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: أي: وفيما نُسخ له فيها من اللوح المحفوظ، والنسخ: النقل، ومنه: نسخُ الحُكم، ونسخ الشمسِ الظلَّ، فيقتضي نقلَ مكتوبٍ من أصلٍ إلى

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٨٦)، والبسيط (٩/ ٣٧٩)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٧٣).

آخر، وقد يُطلق على الكتابة وإن لم يكن من أصلٍ آخرَ، ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: أي: يخشَون اللَّه تعالى، فيأخذون بهداه ويَقبلون ما فيه لينالوا رحمته.

(١٥٥) - ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾: أي: من قومه، ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ في هذه الآية: إن اللَّه تعالى وقَّت لموسى وقتًا يأتيه فيه بسبعين رجلًا من خيَار بني إسرائيل ليَعتذروا مما كان من القوم من عبادة العجل، وهذا في غير الميقات المذكور في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلمَّا خرج موسى معهم وكانوا في أسفل الجبل كان ما ذُكر في هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: أي: زلزلةُ الجبل، وقيل: زلزلةُ أبدانهم فماتوا. ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾: قيل: بقي موسى يبكي ويقول: يا رب! ما أقولُ لبني إسرائيل إذا رجعتُ إليهم وقد أهلكتَ خيارَهم؟ لو شئتَ أمتَّهم وإياي معهم من قبلِ أن يَصْحَبوني. وقيل -وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ بما كان منهم وإياي بقتلِ القِبْطي. ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ أي: عقوبةً ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؛ أي: الجهَّال، وهم أصحاب العجل، ظنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم إنما عذِّبوا باتخاذ بني إسرائيلَ العجلَ. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: أي: ما هي إلا فتنتُك، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: بليَّتُك، وقيل: عذابُك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾: أي: مَن قال: اختارهم ثم أهلكهم. ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾؛ أي: مَن قال: إن اللَّه لا يعذِّب أحدًا من غيرِ ذنب. وقيل: ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾: بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾: مَن علمتَ منهم اختيارَ الضلال، وقوله: ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾: مَن علمتَ منهم اختيارَ الهدى. ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾: أي: متولِّي مصالحِ دِيننا ودُنيانا.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: تُمهِلُ ولا تعاجِل، وتغفر الذنب الكثير بالعُذر اليسير، ثم تجود بالعطاء الجزيل الكثير (١).

(١٥٦) - ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: أَثْبت لنا نعمةً، وذكر الكتابة لأنها أدوم. وقيل: أي: وفِّقْنا في الدنيا للحسنات التي تكتبُها لنا الحفظة.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: أي: فيها حسنةً أيضًا؛ كما قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: تُبنا إليك، وأصله الرجوع. وقيل: أي: مِلنا إليك، ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ ومعناه: أصيبُ بالعذاب مَن أشاء أن أصيبَه به، وهو الذي أشاء منه الكفرَ والمعصية، وهو الذي أَعلمُ منه اختيارَ ذلك. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: ما من مسلم ولا كافرٍ إلا وعليه من آثار رحمته في الدنيا، وبها يتعيَّشون، وبها يتوادُّون، وفيها يتقلَّبون، لكنها للمؤمنين خاصة في الآخرة، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: أي: سأجعلُها في الآخرة للَّذين يتقون الشرك والمعاصيَ، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: يحتمِل الزكاة المعروفة، ويحتمِل تزكيةَ النفوس؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]؛ أي: طهرها بالتوحيد والطاعة والدِّين. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بما أنزلناه على الأنبياء قبلك وعليك وعلى الأنبياء بعدك.

(١٥٧) - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾: وخُصَّ من بينهم رسولُنا محمدٌ ﷺ،

---

(١) البسيط (٩/ ٣٩٠)، وزاد المسير (٣/ ٢٦٩). وجامع البيان (١٠/ ٤٧٧ - ٤٧٨)، وتفسير مقاتل (٢/ ٦٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢١).

وهو بشارةٌ له بمجيئه. ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾: بغير همزٍ من النَّبْوة وهي الرِّفعةُ، والأميُّ: قيل: هو العربيُّ؛ لأن الأميين هم العرب. وقيل: لأنه كان لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسُب، ﴿الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ أنه خاتم الأنبياء، ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: بالتوحيد وشرائعِ الإسلام. ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: ما لا يُعرف في شريعته ولا سنَّته، وقيل: كان مكتوبًا عندهم أنه يَأمر بما أَمر اللَّهُ ويَنهَى عما نهَى اللَّه. ويحتمِل: يأمرهم بما هو معروف في العقل وشهادةِ الخلقة وهو التوحيد، وينهاهم عما هو منكرٌ في العقل وشهادة الخلقة وهو الكفر والمعاصي. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ هو ما أَحلَّ اللَّه تعالى من اللحوم والشحوم وكلِّ ذي ظُفُرٍ. ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: المَيْتةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزير ونحوَ ذلك. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ الإصر: الثِّقْل، وهو العهدُ أيضًا، وقيل: هو ما وُضع عليهم من الأمور الشديدة، وقيل: هو ما جعَلوه على أنفسهم، ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: قال الحسن رحمه اللَّه: قالت اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أي: محبوسةٌ عن عقوبتنا، فقال اللَّه تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أي: غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم في النار، فأَخبر أنَّ أمة محمدٍ ﷺ لَمَّا آمنوا به وصدَّقوه رفَع تلك الأغلال عنهم، وقيل: هي الشرائعُ الشاقَّة والأحكام الغليظة، كانت الأغلالُ في أعناقهم تمنعُهم عن تخطِّيها. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾: قيل: عظَّموه، وقيل: أعانوه، وقيل: حَموه، وقيل: مدَحوه وأثنَوا عليه. ﴿وَنَصَرُوهُ﴾: أي: على عدوِّه، وقيل: نصروا دِينه. ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ﴾: أي: القرآنَ، فعملوا به ولم يخالِفوه. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أي:

الفائزون بكلِّ خير، والناجُون من كلِّ شرٍّ(١).

(١٥٨-١٥٩) - ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: أي: قل يا محمد ﷺ: يأيها الناس من العرب وأهلِ الكتابين وغيرِهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقد قال ذلك للناس كلِّهم، بعضِهم مشافهةً، وبعضِهم برسله، وبعضِهم بكتبه، وبعضِهم بنشر الدعوة حتى بلَّغ ذلك بعضُهم بعضًا، ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ذكر إيمانَه بالله، وأمره بأن يأمرَ الخلق بالإيمان بالله وبه. ﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾ قيل: القرآن، وقيل: أي: الأمرُ والنهيُ والوعدُ والوعيد والأحكام؛ لأنَّها بالكلمات. وقيل: بالكتب المنزَلة على سائر الأنبياء قبلَه، وهو صفةُ النبيِّ ﷺ أنه يؤمن بذلك كلِّه، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: وصفَ متَّبعيه في الآية الأولى ووعدهم بالفلاح، وأمرهم باتِّباعه في هذه الآية ليهتدوا، ثم ذكر جماعةً مهتدين من أمة موسى، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: أي: يدعون الناس إلى الحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وهم يعملون بالحق والعدل أيضًا؛ أي: وأمة منهم على خلافِ ذلك، وهو تسليةٌ للنبي ﷺ في إجابة البعض دون البعض؛ أي: قوم موسى كانوا كذلك(٢).

(١٦٠) - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أي: فرَّقناهم اثنتي

(١) البسيط (٩/ ٤٠٢)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٥٩)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٦).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٥٠١)، والكشف والبيان (٤/ ٢٩٤)، والبسيط (٩/ ٤٠٣)، وروح المعاني (٩/ ٤١٤).

عشرة فرقةً. ﴿أُمَمًا﴾: جمعُ أمَّة؛ أي: جماعاتٍ، وهو بدلٌ عن قوله: ﴿أَسْبَاطًا﴾ وترجمةٌ له، والآيةُ في بيان إنعامه على بني إسرائيل، يقول: لـمَّا أخرجناهم من أرض مصر وأدخلناهم البرَّ جعلناهم اثنتي عشرةَ فرقةً قبائلَ شتَّى؛ ليكون أمرُ كلِّ سبطٍ متصرِّفًا من جهةِ رئيسهم فيخفَّ الأمر على موسى فيما يَحتاج إليه من تعريف أحوالهم، ويَسهل عليه جمعُهم إذا أراد جمعَهم، ويَعلم كلُّ فريق مرجعَهم في أمورهم. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: وكان ذلك في التِّيه، والانبجاس: خروج الماء الجاري بقلةٍ، والانفجار: خروجه بكثرة، وكان البدءُ بقلةٍ ثم يَكثر بالاتساع. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: مر تفسيره في سورة البقرة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا، ومرَّ كلُّ ذلك في سورة البقرة.

(١٦١ - ١٦٢) - ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: أي: قال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمرنا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مر ذلك في سورة البقرة. لكن وقع هنا بعض الاختلاف في السياق، ولا شك أن لذلك حكمة وغاية، لأن القرآن هو كلام اللّه المعجز، فلكل حرف فيه غاية، وأي اختلاف بين لفظين فيه فسيكون بلا شك لحكمة، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ مرَّ أيضًا في سورة البقرة.

(١٦٣) - ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: أي: سَلِ

اليهودَ يا محمدُ عن القرية التي كانت قريبةً من البحر وعلى شاطئه، وهي أَيْلَةُ، وقيل: مدينُ، وقيل: طبرية، ومعنى سلهم؛ أي: قل لهم: ألم يكن كذا؟ فإنهم يصدقونك.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: أي: يتعدَّون حدَّ الشرع في دينهم مِن ترك الاصطياد في يوم السبت، وكانوا يكتمون هذه القصة لِمَا فيها من الشُّبه عليهم، فأَطْلَع اللَّه نبيَّه ﷺ على ما كتَموه وقصَّ ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ أي: ظاهرةً على وجه الماء. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: كانت لا تظهر لهم في غير يوم السبت، وكانوا يحتاجون إلى استخراجها عن مكامنها ومغائصها بالحِيَل. ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: امتحنَّاهم به تغليظًا للمحنة عليهم بفسقهم ومجاهَرتهم بالمعاصي عقوبةً لهم.

(١٦٤) - ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أخبر أن أمةً منهم -أي: جماعةً- وهم الصالحون وعَظوهم، فقال لهم جماعةٌ أخرى: لِمَ تَعِظون هؤلاء مع إعراضهم عن القبول منكم واستخفافِهم بوعظكم، وقد أشرفوا على أن يُهلكَهم اللَّه تعالى فيَصطَلِمَهم، أو يعذِّبَهم عذابًا شديدًا غيرَ مصطَلِم، ويحتمِل: يهلكُهم في الدنيا ويعذبُهم في الآخرة. ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾: أي: إعذارًا إلى اللَّه، وقيل: موعظتُنا معذرةٌ إلى اللَّه تعالى. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي: قالوا: نكرِّر الوعظَ إعذارًا إلى اللَّه فيما يلزمُنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأميلًا لرجوعهم واتِّقائهم وانتهائهم.

(١٦٥) - ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أي: تركوا ما وُعظوا به تَرْكَ الناسي له، يعني: الذين أخذوا الصيد في السبت ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾

خلَّصنا الذين كانوا ينهونهم عن هذا الفعل السوء. ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد، والبأس: الشدة وكذلك البؤس. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: بخروجهم عن الطاعة(١).

(١٦٦ -١٦٧) - ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾: أي: أبوا أن يرجعوا عن المعصية. وقيل: أي: تمرَّدوا. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: أي: جعلناهم قردةً أذلَّاءَ مُبْعدينَ عن الناس، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: أعلمَ، وقيل: أَسْمعَ وأَقْسمَ. ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي: ليسلِّطنَّ عليهم؛ أي: اذكر يا محمد إذ أَعْلَمَ اللَّه أسلافهم على ألسنة أنبيائهم أنهم إن غيَّروا وبدَّلوا ولم يؤمنوا بالنبيِّ الأميِّ سلَّط اللَّه عليهم العرب يقاتلونهم إلى أن يُسلموا أو يُعطوا الجزية صاغرين، وهو من سوء العذاب؛ أي: أشدِّه وأشقِّه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: لا يحتاج إلى إحضارِ أسبابه وإعداد آلاته. ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: مع هذا لمن تاب وأناب، وقد حقَّق اللَّه ذلك بما كان من رسول اللَّه ﷺ من إجلائهم عن أوطانهم، وقتلِهم وسبي نسائهم وولدانهم، ثم إنهم إلى الآن مقموعون، وكذا يكونون إلى يوم القيامة(٢).

(١٦٨) - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: أي: فرَّقناهم في البلاد فِرقًا.

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٣٧١)، والكشف والبيان (٤/ ٢٩٨)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٩٤)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٤).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٥٨١)، والنكت والعيون (٢/ ٢٧٣)، والبسيط (٩/ ٤٢٢ - ٤٢٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٨٧).

﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: دون الصالح. ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾: أي: اختبَرْناهم، ومعناه: عامَلْناهم معاملةَ المختبِر، وإن كان لا يَخفى على اللَّه شيء لكن ليُظهر للناس ما كان عَلِمَه منهم. ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾: أي: الأحوالِ الحسنة من السَّعةِ والخِصب، والأحوال السيئة من الضِّيق والجَدْب؛ أي: صرَّفناهم على أحوال شتى. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: ليرجعوا عن الباطل إلى الحق؛ أي: فلم يرجعوا.

(١٦٩) - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا﴾: أي: قومُ سوءٍ يَخْلُفون الأوَّلينَ، ويستعمل الساكن في الذَّم، والخَلَف بفتح اللام: قوم أخيارٌ يخلُفون الأوَّلينَ، ويستعمل هذا في المدح. ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: أي: التوراةَ، وهم علماء اليهود ورِثوه من أسلافهم، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾: العَرَض: حطام الدنيا، وما يصيبُ الإنسانَ منها فهو شيءٌ يَعرِضُ فيزول ولا يبقى، والمعنى يأخذون الرُّشا لتغيير الأحكام وتعطيلِ الحدود من العِلْية والسِّفلة. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: أي: إذا عوتبوا على ذلك اعتذروا بما يرجونه من سعة رحمة اللَّه، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾: أي: يصرُّون على ذلك ولا يمتنعون، بل إذا وجدوا شيئًا مثلَه لم يتركوه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد أُخذ عليهم الميثاقُ في كتابهم أن لا يقولوا على اللَّه إلا الحق؛ أي: الصدق وقرُّوا ذلك، واللَّه تعالى ما وعدهم في التوراة المغفرةَ مع الإصرار. ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: أي: خير من أخذِ العَرَض للَّذين يتقون

الشركَ والمعاصيَ. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: بما في كتابهم أنه كذلك.

(١٧٠) - ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ الاستمساك: الاعتصام والتعلُّق بالشيء. أي: والذين يعتصمون بالتوراة، وهم مؤمنو أهل الكتاب: عبدُ اللَّه بن سلام وأصحابه، أحلُّوا حلالَه وحرَّموا حرامه، ولم يتخذوه مأكلةً ولم يحرِّفوه ولم يكتُموه، وقيل: هم أمة محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، والكتابُ: القرآن. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: ويقيمون الصلاة التي تنهَى عن الفحشاء والمنكر. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي: نوفيهم أجورهم لأنَّا لا نُضيع أجرَ المحسنين(١).

(١٧١) - ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: أي: وإذ قلعْنا الجبلَ من الأصل وحرَّكناه ورفعناه فوق رؤوسهم، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: أي: علموا أنه واقع عليهم إن لم يقبَلوا ما في التوراة، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: أي: قُلنا لهم: اقبلوا، وذلك حين جاء موسى بالتوراة وفيها أحكامٌ شاقَّة فامتنعوا عن قبولها، ووعَظهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يقبلوا، فأمر اللَّه تعالى برفع الطور عليهم. وقيل: هو الطورُ الذي سمع موسى وهو عليه كلامَ اللَّه تعالى وأُعطي الألواح. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: عذابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١٧٢) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أخبر بهذه الآية عن سابق عهده وصادق وعده، وتأكيدِ ودِّه بتعريف عبده، وذلك عندما خلَق آدم أَخرج مَن يكون من ذرِّيته مثلَ الذرِّ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أي: ذريةَ بني آدم، وهم ذريةُ آدم،

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٢٩٠)، ومعالم التنزيل (٣/ ٢٩٥). وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٣)، والبسيط (٩/ ٤٢٧)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٩).

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أنت ربُّنا، بما ظهر عليهم من آثار الصنعة، ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فعلنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ عن أنَّ لنا ربًا وصانعًا إذا حُوسبتم يوم القيامة على التوحيد، وعامةُ المفسرين وجمهورُ الصحابة والتابعين على إخراج ذريةِ آدمَ من ظهره وأخذِه الميثاقَ عليهم في عصره.

(١٧٣-١٧٤) - ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي: لئلا تقولوا يا معشر المشركين من العرب: إنما أشرك آباؤنا من قبلِ خَلْقِنا وكنَّا أولادًا صغارًا من بعدهم فاتَّبعناهم، ولم يكن لنا علمٌ بهم بأنهم على الباطل وأن الحق في غيره. ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾: أي: آباؤنا والعيبُ لهم لا لنا، يقول: سدَدْتُ عليهم هذا البابَ بأَخْذ هذا الميثاق، على قول عامة المفسرين، وبنصب الدلائل العقلية والسمعية على قولِ القائلين[١]. ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: أي: كما بينَّا هذا نبيِّن جميعَ ما يحتاجون إليه قطعًا لعذرهم. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: وليرجعوا عن الشرك إلى التوحيد.

(١٧٥) - ﴿وَاتْلُ﴾ أي: يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿نَبَأَ﴾ أي: خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: ترك الآيات وفارقها، فكان كالمنسلِخ الخارج من الشيء، فخرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره: اتِّصالُها بما قبلها أنه ذكر إيمان الكلِّ يومَ

(١) التيسير في التفسير (٧/ ٦٣).

الميثاق، ثم ذكَّر اليوم بكفر بعضهم، فبيَّن أن ذلك الإيمان ليس بمبقٍ على الإيمان، فإن إيمان بلعم مع الآيات لم يكن مُبْقيًا له على الإيمان. ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: لَحِقه فغرَّه. ﴿فَكَانَ﴾؛ أي: فصار، ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي: الهالكين،

(١٧٦) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾: أي: لأَعْلَينا درجتَه في الناس بتلك الآيات. ﴿بِهَا﴾ أي: بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ أي: سَكَنَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أَيْ الدُّنْيَا وَمَالَ إِلَيْهَا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فِي دُعَائِهِ إِلَيْهَا فَوَضَعْنَاهُ ﴿فَمَثَلُهُ﴾ صِفَته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بِالطَّرْدِ وَالزَّجْر ﴿يَلْهَثْ﴾ يَدْلَع لِسَانه ﴿أَوْ﴾ إِنْ ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وَلَيْس غَيْره مِنْ الْحَيَوَان كَذَلِكَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الْمَثَل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ عَلَى الْيَهُود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يَتَدَبَّرُونَ فِيهَا فيؤمنون[1].

(١٧٧) - ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: أي: وما أسوأ هذا المثَلَ الذي ضربناه للَّذين كذَّبوا بآياتنا، وإنما استوجبوا هذا المثل لتقبيحِ الحال بتكذيبهم بآياتنا، وظلمِهم أنفسَهم إذ جَنَوا عليها بما يوجبُ الذمَّ في الدنيا والعقوبةَ في العُقبى. وقيل: لا سوء في المثل، إنما السوء في الممثَّل، ومعناه: ساء القومُ الذين مثَلُهم كمثَل الكلب[2].

(١٧٨) - ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾: أي: مَن يهدِه اللَّهُ ﴿وَمَنْ

---

(١) تفسير الجلالين(١/ ٢٢١).

(٢) الكشف والبيان(٤/ ٣٠٧)،وجامع البيان (١٠/ ٥٨٧)، والبسيط (٩/ ٤٦٩)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٠٤).

﴿يُضْلِلْ﴾؛ أي: ومَن يضلِلْهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ كهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا وانسلخوا عنها، والآية نصٌّ على إثبات الهداية والإضلال من اللَّه تعالى، وهو فيمَن عَلِم أنه يختار ذلك.

(١٧٩) - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾: أي: خلَقْنا ﴿كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وهم الكفار المعرِضون عن تدبُّر آيات اللَّه، واللَّهُ تعالى عَلِم منهم اختيارَ ذلك فشاء منهم ذلك، وخلق منهم ذلك، وجعل مصيرَهم إلى جهنم لذلك. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: أي: لا يفهمون بها الحقَّ ولا يتفكَّرون فيه. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: أي: الحقَّ، ولا ينظرون إلى الآيات في الآفاق والأنفُسِ نظرَ اعتبارٍ واستدلال. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: أي: لا يُصغون إلى ما يُتلى عليهم من آيات اللَّه والمواعظِ، فهم لتركهم استعمالَ هذه الآلات فيما خُلقت لها كأنهم عُدِموها. ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾: أي: كالبهائم في أنها لا تعقِلُ ولا تميِّز. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: عن الطريق المستقيم منها؛ لأنَّها مع عدم العقول تجتنِب مَضارَّها، والكفارُ لا يجتنِبون مضارَّهم بل يقفون على الكفر مع علمهم بأنه يُوردهم النار. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: أي: المتغافلون عمَّا أَعَدَّ اللَّه لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب[١].

(١٨٠) - ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: سموه ﴿وَذَرُوا﴾ أي: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥/ ٩٨)، لطائف الإشارات (١/ ٥٨٩ - ٥٩٠).

منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال[(١)].

(١٨١) - ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: أي: وممن خلقْنا للجنة، في مقابَلة الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾. وقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ قال النبي ﷺ فيما روى ابن جريج: "هذه أمَّتي بالحقِّ يأخذون ويعطون"[(٢)]، لـمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ تمنَّى أصحاب رسول ﷺ مدحًا في حقِّ هذه الأمة، فنزلت هذه الآية[(٣)].

(١٨٢) - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: سنطوي عمرهم في اغترار منهم، وقيل: كلما جدَّدوا لنا معصيةً جدَّدْنا لهم نعمة.

(١٨٣) - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: قال الكلبي: أي: أُمْهِلهم، أي: أؤخِّر عنهم العذابَ مدةً وهم يتوهَّمون أنه توسعةٌ عليهم وإكرامٌ لهم. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: إن أخذي شديد، والكيدُ: الأخذ على خفاءٍ أو مجازاة كيدهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. والمتين: القويُّ، والمتانة: القوة[(٤)].

(١٨٤) - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾: وهذا تعجيبٌ من اللَّه تعالى

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٢٢٢)، والتيسير في التفسير (٧/ ٨٣).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٦٠٠)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٠٨).

(٣) لطائف الإشارات (١/ ٥٩١ - ٥٩٢)، والتيسير في التفسير (٧/ ٨٦).

(٤) الكشف والبيان (٤/ ٣١٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٩٤)، والبسيط (٩/ ٤٨٦)،

عبادَه من مقام الكفار على التكذيب بالنبيِّ ﷺ، وتسميتِهم إياه مجنونًا مع علمهم ما الجنون ووجودِهم إياه منزَّهًا عنه، وسماه صاحبَهم لأنه نبيُّهم يصحبهم ويخالطهم. ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾؛ أي: جنونٍ، من مسِّ الجنِّ. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: أي: ما هو إلا مخوِّفٌ ظاهر.

(١٨٥-١٨٦) - ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: هو نظرُ القلب بالتفكُّر. والملكوتُ: الملكُ الأعظم. ومعناه: في جميع مخلوقات اللَّه تعالى من الأشياء. ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: أي: وفي أن يكون أجلُهم لعله اقترب. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بأي كلامٍ بعد أجَلهم يؤمنون؛ أي: ليس بعد الموت مستعتَبٌ، ولا إيمانٌ نافعٌ دافعٌ للعذاب، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ بعد القرآن يصدِّقون، يعني: أنه كلام اللَّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفِه، ولو اجتمعت الخلائقُ لم يأتوا بمثله، فإذا لم يقبلوا هذا فماذا يقبلون؟ ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ أي: لا يَهده أحد ويذره اللَّه في طُغيانه، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: أي: في إفراط ترفُّعهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: أي: يتردَّدون متحيِّرين(١).

(١٨٧) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: أي: متى ثبوتُها وقيامُها؟، وكان النبيُّ ﷺ يدعوهم إلى الإيمان والطاعة، وينهاهم عن الكفر والمعصية، ويحذِّرُهم قيامَ الساعة، فقالوا: متى هي؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾: أي: لا يكشفها ولا يُظهرها إلا هو، فهو الذي يُقيمها

(١) تأويلات أهل السنة (٥/ ١٠٣)، ولطائف الإشارات (١/ ٥٩٣)، والتيسير في التفسير (٧/ ٩١).

وعنده عِلمُها. ﴿ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: خَفِيَ علمُها على كلِّ أهل السماوات والأرض، وكلُّ ما خفيَ علمه ثقُل على الفؤاد، وقيل: أي: عظُم وصفُها على أهل السماوات والأرض. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: أي: فجأة. ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾: أي: كأنك ألححْتَ في طلب علمِها واستقصيتَ السؤال عنها فعَلِمْتَها، وقد أَحْفَى فلانٌ؛ أي: ألحَّ في المسألة، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: أنها كائنة، أو: لا يعلمون أنك لا تعلم متى تكون، أو: لا يعلمون ما لهم وما عليهم فيها.

(١٨٨) - ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أي: إنما يعلمُ الغيب من قيامِ الساعة وغيرِها مَن يملك النفع والضرَّ على الإطلاق، وهو اللَّه تعالى، وأنا لا أملك الأمرين إلا ما ملَّكني اللَّه تعالى منهما. ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ أي: ولو كنت أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من معرفته حتى لا يخفَى عليَّ شيء ﴿وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ﴾: أي: التكذيب، وقيل: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: متى أموتُ ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾؛ أي: العمل الصالح. ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: هم المنتفِعون بإنذاري وتبشيري، واتصال هذا بما قبله: أني لستُ بعالِمِ الغيب بل أنا رسولُ عالِمِ الغيب أرسلني نذيرًا وبشيرًا[(١)].

(١٨٩) - ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: بيَّن الإنذار وهو للمشركين، وذكر في آخر هذه الآية شركَ الكافرين. ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾؛ أي: من

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٩٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٩٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٠٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٦).

آدم. ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: أي: حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾؛ أي: ليستأنس بها. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: أي: وَطِئها، وأصله: التغطية، والرجلُ لباسٌ للمرأة والمرأةُ لباسٌ للرجل، فكان اجتماعهما تغشّيًا. ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: أي: حين كان نطفةً ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾؛ أي: مضت بالماء على الخفة، أو بالحمل تقوم وتقعد وتمشي على سهولةٍ. ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾: أي: صارت ذات ثقلٍ بكبر الولد في البطن ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾؛ أي: سألا الله وقالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾؛ أي: ولدًا سوي الأعضاء. وقيل: صالحًا في الدين. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لك على نعمائك[(١)].

(١٩٠-١٩٣) - ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾: أي: ولدًا سويًّا ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أي: نصيبًا؛ كما في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾؛ أي: نصيب. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: تَنَزَّه الله تعالى عن الشريك. ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أي: الأصنامَ، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ أي: ولا تقدر الأصنام منعَ السوء إذا نزل بعبَدتها، ولا تمتنعُ الأصنام ممن أراد بها سوءًا مِن كسرٍ ونحوِه، فكيف يعبدون مَن هذا حالُه ويتركون عبادةَ الله. وهو عطفٌ على قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ. ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: أي: وإن تدعوا أنتم هؤلاء المشركين إلى الهدى لم يتابعوكم عليه. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾: أي: ساكتون، وهو في قوم معاندين علِم الله منهم ذلك[(٢)].

---

(١) الكشاف (٢/ ١٨٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٦)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٤٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٨٠)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٠٢).

(١٩٤) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: أي: الأصنام التي تَدْعونها آلهةً عبادٌ للّه أمثالكم، وإنما جعلها عبادًا له وهي جمادٌ؛ لأنَّها مخلوقة للّه تعالى، وكلُّ مخلوقٍ للّه فهو ذليلٌ للّه تعالى كالعبد. ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ أي: سَلُوا حوائجَكم هذه الأصنام. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: فليُجيبوكم إن كنتم صادقين أنها آلهة، وهو على وجه التوبيخ والإنكار.

(١٩٥) - ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: استفهام إنكاري أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالًا منهم، ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: أي: أصنامَكم، فإنهم جعلوها شركاءَ للّه، وأضافها إليهم لادِّعائهم ذلك. وقيل: أي: الذين شاركوكم في الكفر. ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾: أي: قد ذَمَمْتُ أصنامكم، وسفَّهْتُ عقولكم وأحلامكم، فاقْصِدوني بما شئتُم من الكيد ولا تمهلونِ، فإني لا أخافكم في اللّه، وهذا مِن صِدْق توكُّله على اللّه، وهكذا كان سائرُ رسل اللّه -صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين-.

(١٩٦-١٩٧) - ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: يقول: كيدوني فلا تنظرون، فإنَّ ناصريْ وحافظيْ اللّهُ الذي أكرمني بإنزال القرآن عليَّ. ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: أي: يكفي مُهمّات جميعِ الصالحين أيضًا. ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: كرر هذا لأن الأول للتقريع والثاني للتقرير؛ أي: وليي اللّه الذي ينصرني ومعبودُكم لا ينصركم(١).

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٥٩٧)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٠٥).

(١٩٨) - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾: قيل: أي: الأصنام، وقيل: أي: عبدة الأصنام، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: أي: كأنهم ينظرون إليك وليست لهم أعينٌ باصرة، وقيل: ينظرون إلى صورتك وهم لا يبصرونك على صفاتك بحقيقتك، ولو رأوك كما أنت لآمنوا بك واتَّبعوك.

(١٩٩ -٢٠٠) - ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: أَمرَ محمدًا ﷺ بعد تعريف المشركين أن كيدهم لا يضرُّه - بمكارم الأخلاق الداعيةِ إلى الألفة والاتفاق فقال: خذ من الناس -أي: اقبَلْ منهم- ما عفا لك من أخلاقهم؛ أي: تيسَّر وسهُل، ولا تكلِّفهم الجهد، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾؛ أي: خذ فضلَ أموال الناس، ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: أي: بالمعروف، وهو ما عرفه العقل والشرع، وهو كالنُّكْر بمعنى المنكَر، وقالوا: من العُرف تقوى اللّهِ، وصلةُ الأرحام، وصونُ اللسان عن الكذب ونحوِه، وغضُّ البصر عن المحارم، وكفُّ الجوارح عن المآثم. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: هو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وهو تحمُّل الأذى، والعفوُ عمَّن جنَى، والحِلمُ عمَّن جفا. ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: إن اعترض لك الشيطان بإفسادِ شيء من هذه الأخلاق التي أمرتك بها ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: فاستعصِم به من الشيطان الرجيم يَعصِمْك ويثبِّتك، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: سميعٌ لكلامك عليمٌ بمرادك[١].

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٣١٨)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣١٦)، والبسيط (٩/ ٥٤٤)، وتفسير مقاتل (٢/ ٨١).

(٢٠١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: إن المؤمنين المتقين اللَّهَ إذا نالهم طيفٌ من الشيطان؛ أي: وسوسةٌ بإغراء وتنفيذِ غضبٍ ﴿تَذَكَّرُوا﴾؛ أي: مواعظَ الله ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾: قيل: أبصروا قبحَ ذلك، وقيل: أي: أبصروا الرُّشدَ فسلكوا طريقَه فسلِموا من نَزْغه، وإن ارتكبوا مأثمًا ثم تذكَّروا وتابوا فغفر لهم؛ أي: يا محمد ﷺ فكذلك فكنْ[1].

(٢٠٢-٢٠٣) - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: أي: وإخوانُ الشيطان، وهم الغُواة. ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾: أي: الشياطين يُديمونهم في الغي. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: أي: لا يَكفُّون بعدما مدَّهم الشياطينُ في غيِّهم. ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾: أي: إن الشياطين ليَمدُّونهم في الغيِّ، ومن ذلك أنهم يحملونهم على أن يطالبوك بالآيات المقترَحة، فإذا سألوك إحياءَ ميت يكلمهم ونحوَ ذلك فلم تأت به، قالوا لك: هلا اخترتَ هذا الذي سألناك وأتيتَ به وأنت رسولُ اللَّه بزعمك، وللرسول معجزةٌ، فهلا تأتينا بالمعجزة التي نطلبها منك. وقيل: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾؛ أي: هلا ابتدَعْتَها. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ ولا أَختلِقُه من عند نفسي. ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: هذا القرآن حججٌ ظاهرةٌ يبصَرُ بها الحقُّ، وهادي إلى الطريق المستقيم، ويرحمُ اللَّه مَن عمل به فيدخلُهم الجنة، وهذا نفعٌ يختصُّ به المؤمنون.

(٢٠٤-٢٠٦) - ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: ويتصل بقوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ يعني: القرآن. وقيل: كانوا يرفعون

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٩٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٠٩).

أصواتهم حين يسمعون ذكرَ الجنة والنار، فنزلت هذه الآية. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عنَى بالذكر القراءةَ في الصلاة، ﴿تَضَرُّعًا﴾: جهرًا باللسان ﴿وَخِيفَةً﴾: سرًّا في القلب ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾؛ أي: لا جهرًا مفرطًا. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: أي: العشيات، وهي جمع أصيل، وهي ما بين العصر والمغرب، وقيل: التضرُّعُ: الاستكانة، والخيفة: الخوف، والذكر: هو ذكر اللسان، والغدوُّ والآصال في حق الصلاة تخصيصٌ لهذين الوقتين بالذكر، كما في قوله تعالى: ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، وسائرُها ثبتت بغيرها من الآيات، وقيل: الغدوُّ والآصال عبارةٌ عن الليل والنهار، وأراد به الذكرَ على الدوام. ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ خاطبه وأراد به أمته؛ أي: لا تقتدوا بالغافلين، لكنْ بالملائكة الذين لا يغفلون، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: هم الملائكة، و﴿عِنْدَ﴾ بيان قربِ الكرامة دون المكان، فإن اللَّه تعالى يتعالى عن ذلك، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ بل يؤدونها حسبما أمروا به بخضوع وطاعة ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله على أبلغ وجه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يخصونه وحده بغاية العبودية والتذلل والخضوع، ولا يشركون معه أحدًا في عبادة من عباداتهم، فكونوا أنتم كذلك(١).

(انتهى تفسير سورة الأعراف).

---

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣١٨)،جامع البيان (١٠/ ٦٥٦)، والكشف والبيان (٤/ ٣٢٠)، وزاد المسير (٣/ ٣١٢)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٦٨)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ١٢٧).

(٨) سورة الأنفال مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة الأنفال مدنية، وقد سميت سورة الأنفال بهذا الاسم، لحديثها عن الأنفال أي: الغنائم في أكثر من موضع، وقد أطلق عليها بعض الصحابة سورة بدر، وقد عدت السورة التاسعة والثمانين في عداد نزول سور القرآن، وإنها نزلت بعد سورة آل عمران وقبل سورة الأحزاب[١]، وهي خمسٌ وسبعون آية، وقيل: ستٌّ وسبعون آية، وقيل: سبع وسبعون آية، وكلماتُها ألفٌ ومئتان وأربعٌ وثلاثون، وحروفُها خمسةُ آلاف ومئتان وأحدٌ وتسعون، **وسورة الأنفال عند ما نتأمل ما اشتملت عليه من آيات**، نراها تحدثنا -في مجموعها- عن غزوة بدر، فتعرض أحداثها الظاهرة، كما تعرض بشارات النصر فيها، وتكشف عن قدرة الله وتدبيره في وقائع هذه الغزوة الحاسمة، وتبين كثيرًا من الإرشادات والتشريعات الحربية التي يجب على المؤمنين اتباعها حتى ينالوا النجاح والفلاح، ونرى أن السورة الكريمة قد اهتمت بأمور من أبرزها ما يلي:

(أ) تربية المؤمنين على العقيدة السليمة، وعلى الطاعة لله ولرسوله. وإصلاح ذات بينهم، والثبات في وجه أعدائهم، والإكثار من التقرب إلى خالقهم، والمداومة على مراقبته وخشيته وشكره، فهو الذي هداهم للإيمان، وهو الذي آواهم وأيدهم بنصره ورزقهم من الطيبات، بعد أن كانوا ضالين ومستضعفين في الأرض، ولقد

(١) التحرير والتنوير(٩/٢٤٦).

أفاضت السورة في غرس هذه المعاني في نفوس المؤمنين لأنها نزلت كما سبق أن بينا في أعقاب اللقاء الأول بينهم وبين أعدائهم فكان من المناسب أن تكرر غرس هذه المعاني في القلوب حتى تستمر على طاعة الله ورسوله، تلك الطاعة التي من ثمارها الظفر الدائم والخير الباقي.

(ب) تذكير المؤمنين بما عليه أعداؤهم من جحود وعناد، وبما كان منهم من مكر برسولهم ﷺ ومن استهزائهم بدينهم وقرآنهم ومن عداوة شديدة للحق وأهله، ومن صفات ذميمة جعلتهم أهلًا لاستحواذ الشيطان عليهم، وهذا التذكير قد تكرر كثيرًا في سورتنا هذه، لكي يستمر المؤمنون على حسن استعدادهم، ولكي لا تنسيهم نشوة النصر في بدر ما يضمره لهم أعداؤهم من كراهية وبغضاء، وما يبيتونه لهم من سوء وشر.

(ج) إرشاد المؤمنين إلى المنهاج الذي يجب أن يسيروا عليه في حالتي حربهم وسلمهم، لأنه متى ساروا عليه حالفهم النصر، وصاحبهم التوفيق، ففي حالة الحرب: أمرتهم السورة الكريمة بأن يعدوا لأعدائهم كل ما يستطيعون من قوة، وأن يبذلوا أموالهم بسخاء من أجل نصرة الحق، وأن يقاتلوا خصومهم بشجاعة وإقدام، أما في حالة سلمهم: فقد أمرتهم السورة الكريمة بالتآخي والتناصر والتواد والتراحم والتصالح، ونبذ التنازع والتخاصم والاختلاف والبطر، كما أمرتهم بتقوى الله وبإيثار ما عنده من ثواب وأجر على الأموال والأولاد.

وهناك موضوعات أخرى تعرضت لها السورة: كحديثها عن الغنائم، وعن الأسرى، وعن المعاهدات، وعن أحداث غزوة بدر، وعن المشاعر التي تحركت في

نفوس بعض المشتركين فيها قبل أن تبدأ المعركة وخلالها وبعدها، وقد ساقت السورة الكريمة كل ذلك بأسلوب يهدى القلوب، ويشرح الصدور، ويرشد الناس إلى مواطن عزهم وسعادتهم(١)، وانتظامُ أولِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أن تعالى ختم تلك السورةَ بذكر عظماءِ السماء، وهم الملائكةُ الذين وصفَهم اللَّه تعالى بأنهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وافتتَح هذه السورة بذكر عظماءِ الأرض، وهم المؤمنون ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ووجهٌ آخر: ذكر هناك الاستماعَ للقرآن والإنصاتَ، وذكر هنا ما زاد في يقين المؤمنين إذا تُليت عليهم تلك الآياتُ، وانتظام هذه السورة بتلك السورة: أن سورة الأعراف في بيان نصر المؤمنين ونجاتهم، وإهلاكِ الكافرين وعقوباتهم في أزمنةِ سائرِ المرسَلين، وهذه السورة في نصر المؤمنين ونجاتهم وإهلاكِ الكافرين في زمنِ خاتم النبيين، وما وقع ببدرٍ بصناديد المشركين(٢).

(١) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: الأنفال: جمع نَفَلٍ، وهو الغنيمةُ، والمراد به هنا: ما كان ينفِّلُه رسولُ اللَّه ﷺ بعضَ الغُزاة على الخصوص من سَلَب المقتول ونحوِه. ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: أي: يسألُك أصحابُك يا محمدُ

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٩).

(٢) جامع البيان، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٦٤)، والكشف والبيان (٤/ ٣٢٤)، التيسير في التفسير (٧/ ١٢٤).

ﷺ عن الغنائم التي غنِمْتَها أنت وأصحابُك يوم بدرٍ: لمن هي؟ قل: لله ولرسوله، أي: جعَل اللَّه الأمرَ فيه إلى اللَّه ورسوله، لا حقَّ لأحد منكم في شيءٍ منها إلا بإعطاء الرسول، وله البدل والحرمان والزيادة والنقصان، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: ولا تنازعوا ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؛ أي: تآلَفوا على الحق، وقيل: افعلوا فيما بينكم ما يعودُ بصلاح أحوالكم. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: أطيعوا الرسول فيما يأمر في الغنيمة وغيرها، فإن طاعته طاعةُ اللَّه فإنها بأمر اللَّه. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي: الإيمانُ يوجب ذلك(١).

(٢-٤) - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: خافت خوفًا شديدًا تعظيمًا للَّه تعالى وهيبة منه. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: أي: قُرئت عليهم بالأمر والنهي والحُكم، قبِلوا هذا الأمر والنهيَ والحكم، وصدَّقوا بالوعد والوعيد، وازدادوا إيمانًا إلى إيمانهم بما كان قبل ذلك، وإنْ حُملت على أنهم كانوا آمنوا بها قبل ذلك وهذا على زيادة اليقين أو على الثبات على إيمانهم الكاملِ السابق، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي: يعتمدون، وبه يثقون. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا﴾: أي: يُجْرون الصلاة على الاستقامة اللازمة فيها ويديمونها في أوقاتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: ينفقون الحلال من رزقهم في أداء الزكوات ونوافل الصَّدَقات، وفي مصالح الجهاد وسائر الطاعات(٢). ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: أي: إيمانًا حقًّا، وقيل: المصدِّقون إلهًا حقًّا، ﴿لَهُمْ

(١) البسيط (١٠/ ١٣)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ١٤٢).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٦٠٢)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٢٨).

﴿دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: درجاتٌ في الجنة، وقيل: أي: مراتبُ في الآخرة: من إعطاء الكتب بالأيمان، وتلقِّي الملائكة بالبشارة بالجِنان، وتبييضِ الوجوه بالفضل والإحسان. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: سترٌ للذنوب فلا يُفتضحون. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي: جليلُ القَدْر في الجنة، لا يَفنى ولا يَنتقِص، ولا يتكدَّر ولا يتنغَّص.

(٥) - ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل بك كذا، وهو صلةُ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾؛ أي: يجادلونك في الأنفال كما جادلوك إذ أخرجك ربُّك من بيتك، ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالحق الذي للَّهِ عليهم من الأمر بالخروج والقتال، ويحتمِل: بالوعد الذي وعَد من النصر والظفر، وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالقرآن؛ أي: بالأمر في القرآن. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ أي: فريقًا من المؤمنين في الظاهر وهم المنافقون كرهوا ذلك اعتقادًا(١).

(٦) - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾: قيل: أي: في القتال، وقيل: أي: في الحق الذي وجب عليهم من ذلك. ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: أي: ظهر بقول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقولُه كان بأمر اللَّه تعالى. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: كراهة للقاء القوم، يريد أنهم لشدة كراهتهم للقتال كأنهم يساقون إلى الموت عيانًا، أي: يعلمون أنه واقع بهم(٢).

(٧) - ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: الطائفتان:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥/ ١٥٥ - ١٥٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٣١).

(٢) التفسير البسيط (١٠/ ٣٥).

الجماعتان، وهما عيرُ قريش تَغنمونها أو الجيشُ تقتلونهم. ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي: تحبُّون بالطباع الطائفةَ غيرَ ذاتِ الشوكة، وهي السلاحُ، وإنما كان كذلك لخروجهم من غير عِدَّةٍ فخافوا الطائفةَ ذاتَ الشوكة. ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: أي: يُظهِر الدِّينَ الحقَّ بمواعيده في نصرته ونصرةِ أهله. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: يستأصلَهم، ودابرُ القوم: آخرُهم والآتي بعدهم، وإذا قطعَ آخرَهم لم يبقَ منهم أحدٌ.

(٨) - ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾: أي: يأمرُهم بالقتال ليُحقَّ الحقَّ. ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: عطف عليه، ومعناه: ليُظهر حقِّيَّة الحقِّ وبطلانَ الباطل. وقيل: أي: ليُثبت الحقَّ ويزيلَ الباطل. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: أي: كفار مكة.

(٩) - ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: أي: واذكروا إذ كنتم تَستصرِخون ربَّكم وتسألونه تفريجَ ما بكم من الخوف عند التيقُّن بوقوع القتال ولا عُدَّةَ لكم، وتدعونه أن ينصركم عليهم. ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: أي: مردِفٌ كلُّ ملَكٍ ملكًا، فعلى هذا هم ألفان، وقيل: متتابِعين وقيل: أي: مُمِدِّين للمؤمنين[١].

(١٠) - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾: ولم يجعل الله إمدادَكم بالملائكة إلا بشارةً لكم وطمأنينةً لقلوبكم. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ أي: إلا بشرى لكم وطمأنينةً لقلوبكم، أو: إلا ليبشِّركم ولتطمئنَّ به قلوبكم. ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٢٩٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٦٠٥)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٥٤).

﴿عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: ليس ذلك بالملائكة بأنفسهم. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: منيعٌ لا يغالَب ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله، ينصر أولياءه ويقهر أعداءه(١).

(١١) - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ أي: اطمأنَنْتُم إذا أتاكم النومُ وغطَّى عيونكم، فأَمِنْتُم تلك الليلةَ مع علمكم بقتال العدو. ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أي: أمانًا من اللَّه تعالى مما خفتُم. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾؛ أي: من الحدث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: وسوستَه، وحقيقة اللفظ: إيذاءه وتعذيبَه، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: أي: يشدِّدَها ويقوِّيَها بالسكون، وحسنِ الظنِّ، وزوالِ الاضطراب والارتياب. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: أي: في مواقف الالتقاء للقتال.

(١٢) - ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾: أي: كان غشيانُ النعاس وما بعده حين يُوحي اللَّه تعالى إلى الملائكة أني حافظُكم وناصرُكم ومُعِينكم. ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: احملوهم على الثبات بحسنِ الكلام، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: أي: ثبِّتوا أنتم بالكلام قلوبَ المؤمنين، وأنا أخوِّف قلوبَ المشركين. والرعب: الخوف الذي يقطع القلب، ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: جمع بَنَانةٍ، وهي أطراف اليدين والرجلين، ومعناه: أنه أمَرَ الملائكة بأن يقتلوهم أو يخرجوهم على وجهٍ لا يمتنعون على مَن قَصَد أسرهم(٢).

---

(١) جامع البيان (١١/ ٥٥)، ولطائف الإشارات" (١/ ٦٠٥ - ٦٠٦).

(٢) جامع البيان (١١/ ٧٢ -٧٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٠٥)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٠٢).

(١٣-١٤) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: ذلك الذي تقدَّم ذكرُه من الضرب فوق الأعناق وضربِ كلّ بنانٍ بأنهم خالَفوا وعادَوا اللَّهَ ورسوله. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: أي: هذا حُكمي على العموم في حقِّ مَن خالفني وعاداني، وأنا شديد العقاب. ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾: أي: قاسُوا ذلك، وقيل: أي: ذلكم حكمُ اللَّه، أو: ذلكم عذابُ اللَّه فذوقوه. ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾: أي: هذا الذي أعددْتُ لكم في الدنيا من القتل والجرح والأسر على أيدي أوليائي، ثم لكم في الآخرة مع سائر الكفار عذابُ النار الذي لا ينقطع.

(١٥) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾: أي: إذا وقع الالتقاءُ مع الكفار في حين المزاحَفة، وهي إذا سوِّيت الصفوفُ، وزحف بعضهم إلى بعض؛ أي: سار سيرًا ثقيلًا يدنو به قليلًا قليلًا على زحمةٍ من الجانبين. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: أي: فلا تجعلوا أدباركم تلي أعداءكم وذاك يكون بتحويل الوجوه عنهم، وهو كنايةٌ عن الانهزام(١).

(١٦) - ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾: أي: ومَن ارتكَبَ هذا النهيَ حينئذٍ، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾: أي: مائلًا، أي: ينتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ آخر للقتال أيضًا. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أي: منضمًّا إلى جماعة، يعني: إذا كثُر العدوُّ ولم يكن له بهم طاقةٌ، فانصرف إلى إمامه أو إلى جماعةٍ منهم يمتنعُ بهم ثم يقاتل هو وهم العدوَّ، لم يكن من أهل الوعيد. ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: استوجبه ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ

(١) لطائف الإشارات (١/ ٦٠٨)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٦٢).

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المسكنُ والملجأُ؛ أي: لا ملجأ له إلا النار وبئسَ الملجأُ[١].

(١٧) - ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: أي: فلا تولُّوهم الأدبار شكرًا لِمَا أنعم اللَّه عليكم من إظفاركم عليهم، فإنكم لم تقتلوهم ولكن اللَّه قتلهم.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: رمى رسول اللَّه ﷺ كفًّا من ترابٍ إليهم، فما وقع منها شيءٌ إلا في عين رجل، فانهزموا بتلك الرمية، والمعنى: ما بَلَّغْتَ ذلك إلى حيث بَلَغ، بل اللَّه تعالى بلَّغه ذلك، وفائدته: قطعُ دعواها، والإعجابِ بها، والنظرِ إليها، والاعتمادِ عليها، والتفاخُرِ بها، وإثباتُ النظر إلى إنعامِ اللَّه تعالى بها، ويحتمِل أنه جعَل قَتْلَهم قتْلًا من نفسه، ورميَ النبيِّ ﷺ رميًا من عند نفسه؛ تشريفًا لأفعالهم بإضافتها إلى نفسه؛ لوقوعها له على الخلوص منهم في ابتغاء وجهه.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾: أي: وفعل ذلك ليُنْعِمَ على المؤمنين إنعامًا حسنًا بذلك، والبلاء يقع على النعمة وعلى المحنة؛ لأن أصله الاختبارُ، وذلك يقع بالمحنة لإظهار الصبر، وبالنعمة لإظهار الشكر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: لدعواتكم ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بحاجاتكم[٢].

(١٨-١٩) - ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: اعلموا ذلكم، وقيل: أي: اشكروا ذلكم. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ معطوفٌ على ﴿ذَلِكُمْ﴾ ﴿مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ الوَهْن هو الضعفُ، وإيهانُ كيدهم بأمور؛ منها: الاطْلاعُ على عوراتهم، ومنها: إبطالُ حيَلهم، ومنها: إلقاءُ الرعب في قلوبهم، ومنها: تفريقُ كلمتهم، ومنها: نقضُ ما أَبرموا من

---

(١) جامع البيان (١١/ ٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٠)، والبحر المحيط (١١/ ٤٨).

(٢) تأويلات أهل السنة (٥/ ١٧٠ - ١٧١)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٦٧).

عزائمهم. ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾: أي: إن تستنصِروا فقد جاءكم النصر. ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: عن الكفر، فهو خيرٌ لكم في الدارين. ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾: قيل: وإن تعودوا إلى الكفر والتكذيب نَعُدْ إلى الانتقام والتعذيب، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: وإن تعودوا لقتالِ محمدٍ نَعُدْ عليكم بالقتل والأخذِ والأسرِ كما في يوم بدر. ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا﴾: أي: لن تنفعَكم جماعتُكم وكثرتُكم شيئًا ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ في العدد. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: في النصر لهم.

(٢٠-٢١) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: دعا في الآية الأولى الكفارَ إلى الإيمان، ودعا في هذه الآية المؤمنين عامةً إلى ما يُبقيهم على الإيمان، وهو طاعةُ اللَّه وطاعةُ رسوله. ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: أصله: ولا تتولَّوا عنه، فحُذفت إحدى التاءين تخفيفًا؛ أي: ولا تُعرِضوا عنه، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: أي: أمره ونهيه. وقيل: تلاوتَه كتابَ اللَّه عليكم. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أي: كالذين قالوا سمعنا القرآنَ وأمرَ اللَّه والرسول، ثم هم لا يَعلمون به كأنهم لم يكن لهم إسماع، أو لم يقعْ لهم سماعٌ. وقيل: أي: لم ينتفعوا بما سمعوا فكأنهم لم يسمعوا.

(٢٢) - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: هي جمعُ دابَّة، وهي كلُّ حيوانٍ دبَّ على وجه الأرض؛ أي: شرُّ الخَلقِ عند اللَّه منزلةً هم الذين لا ينتفِعون بما يسمعون ولا يعملون به، كأنهم صمٌّ بُكمٌ لا عقولَ لهم يتأمَّلون بها ما يسمعون، والمراد بهم، مشركو قريش، فإن السورة في ذكرهم.

(٢٣) - ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾: أي: لو كان في علمِ اللَّه

منهم اختيارُ فهمٍ لكلام اللَّه تعالى لأسمعهم إسماعَ تفهيم. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: أي: إسماعَ تفهيمٍ دون توفيقٍ ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه فلم يعملوا به؛ إذ لم يوفِّقهم اللَّه لِمَا علِم من اختيارهم تركَ العمل به. ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي: للحال، فلا تكرار في الكلمتين؛ إذ قوله: ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ هو عند الإسماع، ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ للحال، وقيل: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ جوابَ كلِّ ما يسألونه، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ ذلك لم يعملوا به ولأَعرضوا عنه[١].

(٢٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: ﴿دَعَاكُمْ﴾ فعلُ رسول اللَّه ﷺ، وهو موحَّدٌ ولم يُثَنَّ مع سَبْقِ ذكرِ اللَّه ورسوله؛ لأن دعاء الرسول بأمرِ اللَّه، فهو دعاءُ اللَّه تعالى، ودل الموحَّد لذلك على المثنَّى. ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: إلى ما يفيدُكم الحياةَ الأبدية، وهو دعاءٌ إلى الجهاد فإنه سببُ الشهادة، والشهداءُ أحياءٌ غيرُ أموات، واتصالها من هذا الوجه بما قبلها: لا تخرجوا إلى الجهاد كارهين، وأَجيبوا اللَّهَ ورسوله في الدعوة إلى قتال المشركين، فإنه حياةٌ لكم أبدَ الآبِدِين. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: أي: القلوبُ بيدِ اللَّه، فيمنعُ المرء عن تقليبِ قلبه فيما يشاء، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أي: تُبعثون وتُجْمعون إليه للجزاء[٢].

---

(١) جامع البيان (١١/ ١٠١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٦١٤)، والتيسير في التفسير (٧/ ١٧٣).

(٢) تأويلات أهل السنة (٥/ ١٧٧)، وجامع البيان (١١/ ١١٢)، والنكت والعيون (٢/ ٣٠٨)، والبسيط (١٠/ ٨٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٠٩).

(٢٥-٢٦) - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾: أي: واحذروا عذابًا يَنزل بكم بظُلمكم -وهو ترككم الإجابةَ إلى الجهاد وغيرُ ذلك- لا يصيب الظَّلَمة خاصةً، بل يعمُّ الكلَّ ثم يكون للظَّلَمة عقوبةً ولغير الظَّلمة كفَّارةً. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: أي: إذا نزل عقابُه فهو شديدٌ لا يطاق، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾: أي: وتذكَّروا وأَخطِروا ببالكم أولَ حالكم يا معشر المهاجرين إذ أنتم قليلٌ في العدد. ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: مقهورون في أرض مكة. ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾: التخطُّف: الأخذُ والانتزاع بسرعة؛ أي: يأخذونكم ليتحكَّموا فيكم بما شاؤوا من القتل والأسر، وهم أهلُ مكة، ﴿فَآوَاكُمْ﴾: أي: في المدينة بالهجرة ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾؛ أي: بأيدي الأنصار ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾؛ أي: بما وسَّع بها من المطاعم. وقيل: أي: بما أحلَّ من الغنائم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: لتشكروا نعمة الله عليكم، فتبذلوا أنفسكم في إحياء دينه والجهاد مع رسوله، والخروج إلى القتال من غير كراهةٍ ولا استثقال[١].

(٢٧) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾. الخيانة: خلاف الأمانة، وقيل: هي منع حقٍّ ضُمِن أداؤه، أي: لا تُظهروا للرسول ما يُرضيه منكم ثم تخالفوه في السر. ومن ذلك: إظهارُ الطاعة في كلِّ شيء ثم المجادلةُ في أمر الغنيمة، أو الخروجُ إلى القتال المأمورِ به مع الكراهةِ أو تسخُّطِ قَدْرِ ما يعطي عند

---

(١) زاد المسير (١١/ ١١٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥١٦)، والبحر المحيط (١١/ ٧٣ - ٧٤)، والكشاف (٢/ ٢١٢). ولطائف الإشارات (١/ ٦١٥ - ٦١٦).

القسمة. ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾: أي: ولا تخونوا أماناتكم، وقيل: أي: إذا ختنتُم الرسول فقد ختنتُم أماناتكم ومعناه: أن حقوق الشرع أماناتٌ عنده قد قبِلها وضمِن أداءها، فإذا خان الرسول فقد خان هذه الأمانات. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أنها أمانةٌ، وما فعلتُم خيانةٌ؛ أي: وأنتم تعلمون إثم الخيانة وعقوبةَ الخيانة.

(٢٨-٢٩) - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: محنةٌ يَظهر بها مُؤْثِرُ حقِّ اللَّه من مُؤْثِر حقِّ نفسِه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن تركها ولم يَخُن لأجلها، وراعَى الأمانة بشرطها. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾: فخرجتُم إلى الجهاد كما أمركم ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾: نصرًا يفرِّق به بين الحق والباطل، والمحِقِّ والمبطِل، كما وعد: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال: ٨]. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: وهذا في الآخرة، والأولُ في الدنيا. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: يجزي بالعمل المنقطِع ثوابًا غيرَ منقطِعٍ[(١)].

(٣٠) - ﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكرْ ﴿يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: كفارُ قريش، ومكرُهم: تدبيرهم في إهلاكه أو إفساد أمره على جهة الاستسرار، بحيث لا يُعلم إلا عند وقوعه. ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أي: ليُوْثِقوك بوثاق، وقيل: أي: ليحبسوك، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: أي: من مكة. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: أي: يجازيهم جزاءَ مكرهم، ويصنعُ بهم ما هو وَفْقَ قَصْدهم ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

---

(١) الكشف والبيان (٤/ ٣٤٦)، والكشاف (٢/ ٢١٣ - ٢١٤)، والبسيط (١٠/ ١١٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ١١٤)

لأنه بحقٍّ، ولأنه ماضٍ لا محالة(١).

(٣١) - ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: وإذا يُقرأ عليهم القرآن المعجِزُ الذي لا يخفى إعجازه على عاقلٍ متأمِّل قالوا: قد سمعنا ما تلوتُم ولو شئنا لقلنا مثلَ هذا، إنما هو حديث كأحاديث كسرى وقيصرَ والملوك الماضين، هذه غايةُ جرأتهم على اللَّه ونهايةُ وقاحةِ وجوههم ومكابرتهم.

(٣٢-٣٣) - ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾: أي: واذكر إذ قال النضر بن الحارث، وإنما جُمع لأنه أراده وأتباعَه، اللّهم إن كان ما أتى به محمد حقًّا من عندك وقد جحَدْناه ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ كما أَمْطرتَها على قوم لوط ﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أو ببعضِ ما عذَّبت به الأمم.

(٣٣) - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ أي: هذا الطاغي وأشياعه، أَخبر أن تأخير العذاب عنهم مع استيجابهم ذلك أنَّ اللَّه تعالى لا يُنزل عذاب الاستئصال بقومٍ إلا بعد خروج نبيِّهم من بينهم، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: أي: يتوبون من كفرهم ويستغفرون منه.

(٣٤) - ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: وأيُّ سبب يوجبُ تَرْكَ تعذيبهم بالسيف، وهو حُكم اللَّه في المشركين حتى يسلِموا، وهم غيرُ مستغفرين بل يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام إذا أتوه

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٨)، والنكت والعيون (٢/ ٣١١)، وجامع البيان (١١/ ١٣٣).

حاجِّين أو معتمِرين أو مصلِّين، مع إظهار المشركين تعظيمَه وتعزُّزَهم به، وهذا تعجيبٌ منهم في تعظيم المسجد الحرام وهم يمنعون المؤمنين عن الحج إليه والصلاة فيه. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي: وليسوا أولياء اللَّه، وتأخير العذاب عنهم ليس لولائهم. ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: أي: ما أولياءُ اللَّه سوى المتقين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك(١).

(٣٥-٣٦) - ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾: أي: إلا صفيرًا بالأفواه كصفيرِ الأطيار، ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: أي: تصفيقًا بالأيدي كفعلِ الصبيان، وإظهارًا للصَّدَى؛ أي: للصوت، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: قيل: قالت الملائكة لهم ذلك يوم بدر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: نزلت الآية في إنفاق الكفار يومَ بدر. والمعنى: إن الذين كفروا باللَّه ورسوله ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل اللَّه؛ أي: دينِ اللَّه لأنه طريقُ ثوابه والخلودِ في جنته لمن سلكه على ما أمر به. ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: أي: فسيقع إنفاقهم حسرة؛ أي: ندامةً وغيظًا. ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾؛ أي: يوم بدر. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يبعثون ويجمعون بعد القتل(٢).

(٣٧) - ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: أي: يجعلَ نفقاتهم حسراتٍ عليهم، ويغلبَهم وإلى جهنم يحشرَهم؛ ليفترق الكافر الخبيث الذي نَجست عقيدته وأعماله من المؤمن الطيِّب الذي طابت عقيدته وأعماله. وقيل: لِيَمِيزَ اللَّه أهل

---

(١) جامع البيان (١١/ ١٥١)، التيسير في التفسير (٧/ ١٩٧)، والكشف والبيان (٤/ ٣٥٤).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٦٢٢)، والنكت والعيون (٢/ ٣١٧)، وأسباب النزول (ص: ٢٣٧).

الشقاوة من أهل السعادة، ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾: ركَم الشيءَ: راكَبَ بعضَه على بعضٍ، ومنه: السحاب المركوم. أي: يركمَهم مع ما أنفقوا. ويحتمِل هذا أن يكون معناه: يجعلهم في دركاتٍ بعضُها أسفلَ من بعض، ويحتمِلُ جَعْلَ بعضِهم على بعضٍ مقرَّنين في الأصفاد، ويحتمل جَعْلَ بعضهم على بعض على التضييق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: ١٣]. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: المغبونون، والآيةُ في الذين قُتلوا يوم بدر، وما بعدها في حقِّ مَن بقي منهم[(١)].

(٣٨-٤٠) - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: أي: قلْ يا محمد ﷺ لمن بقيَ من كفار قريش بعد قَتلِ مَن قُتل منهم يومَ بدر: إنْ تُقلِعوا عمَّا أنتم عليه من الشرك غَفَرَ اللّه لكم ما مضى من الشرك والمعاصي. ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: وإن يرجعوا إلى قتال المؤمنين فإنَّ اللّه يفعل بهم ما هو سنَّةٌ في الأوَّلين بنصرِ الأولياء وقهرِ الأعداء، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي: شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾؛ أي: حتى يخلُص دينُ الإسلام فلا يعبدَ إلا اللّه، ويجتمعَ الناس كلُّهم على الطاعة والعبادة للّه تعالى. ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾: أي: عن الفتنة والشرك وصاروا إلى دين الحق معكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني: بما يعملون من تركِ الكفر والمعصية وفعلِ الإيمان والطاعة، يرى أعمالهم فيجزيهم على وفق أعمالهم. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: أعرَضوا عما أنذرتَهم فلم يتدبَّروا فيه ولم يَقبلوه. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾: متولِّي أمورِكم ونصرِكم

---

(١) البسيط (١٠/ ١٤٦)، وجامع البيان (١١/ ١٧٥)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٠٤).

وإعلائكم فقاتلوهم. ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: على العدوِّ فثِقُوا به[١].

(٤١) - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: إذا قاتلتم المشركين وقهرتُموهم وأخذتُم أموالهم، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ سهمُ اللَّه وسهمُ الرسول سهمٌ واحد، وهو سهم الرسول، وأضافه إلى نفسه تشريفًا له، فإنه ﷺ كان باللَّه وللَّه، فكان سهمُه سهمَ اللَّه وهو خُمسُ الخمس. ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾: هو القريب، وأجمعت الأمة أنه أريد به قريبُ رسول اللَّه ﷺ، من بني هاشم وبني المطَّلب ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: وسهمٌ كان لليتامى، وهو جمع يتيمٍ، وهو الصغيرُ الذي مات أبوه، وسهمٌ كان للمساكين، وهو جمعُ مسكين، وهو الذي أسكنَتْه الحاجة، وسهمٌ كان لابن السبيل، وهو الغريب البعيد عن ماله، وأربعة أخماسه يقسم بين الغزاة: للفارسِ سهمان وللراجل سهمٌ، وهو قول أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾: يعني: فاعملوا به وارضَوا بهذه القسمة إنْ آمنتُم باللَّه، فإن الإيمان يوجب الرضا بالحكم والعملَ بالعلم. ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾: أي: وصدَّقتُم بما أنزلنا على عبدنا ورسولنا محمدٍ ﷺ من الملائكة. ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يومَ حربِ بدر، وهو يومُ النصر، ويومُ وقوعِ الفرقان بين الحق والباطل. ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المؤمنون والمشركون ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إدامة علوِّكم ونصرِكم ما دمتُم على طاعاتكم وبِرِّكم.

(٤٢) - ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ أي: واذكروا إذ كنتم أنتم يا معشرَ

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٦٢٤)، جامع البيان (١١/ ١٧٨ - ١٨٠)، والكشف والبيان (٤/ ٣٥٦)، والبسيط (١٠/ ١٥١)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٠٧).

المؤمنين من جانبِ شفير الوادي الأدنى إلى المدينة، ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾؛ أي: الكفارُ بالجانب الأقصى منها إلى جهة مكة. ﴿وَالرَّكْبُ﴾: أي: العيرُ، ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: بقربِ ساحل البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾: أي: ولو كان بينكم وبينهم تواعُدٌ لاجتماعكم في موضع معيَّنٍ ثم علمتُم بكثرة عددهم وقوتهم وقلةِ عددكم وضعفِكم لدعاكم الضعفُ إلى التخلُّف. ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: أي: ولكن وقع ذلك من غير ميعاد ليُتِمَّ اللَّه أمرًا كان قد أراده، وما أراد كونَه فهو مفعولٌ لا محالة، وهو عزُّ الإسلام وعلوُّ أهله، وذلُّ الكفر وقهرُ أهله. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: أي: صار الأمر فيما أراده إلى أن اتَّضح العذر ولزمت الحجةُ، وظهر الحق والباطل، فيَضلُّ مَن ضلَّ عن تمام البيان ويَهتدي مَن اهتدَى على كمالِ البرهان، فالهلاكُ الكفرُ والحياةُ الإيمان، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: قولَ الفريقين ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: قصدَ الفريقين.

(٤٣) - ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾: أي: وإنَّ اللَّه سميعٌ عليمٌ بما قالوا وأضمَروا فأراك يا محمد ﷺ في نومك قلةَ عدد المشركين. ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: أي: ولو رأيتَ في منامك ما يكونُ تأويله قوةَ أمرهم ثم أَخبرتَ أصحابك بذلك لفشلوا؛ أي: جبُنوا وانصرفوا. ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي: ولاختلفْتُم فلم تتَّفقوا على قتالهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: أي: من الفشل والتنازُع بما أراك. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بسرائر القلوب؛ أي: فعَل ذلك لِمَا علِم من حُسن نيَّاتكم[١].

---

(١) التيسير في التفسير (٧/ ٢١٥)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٦٤).

(٤٤) - ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: وهذا لطفٌ آخرُ؛ قلَّل المشركين في أعينِ المؤمنين حين التقَوا حتى قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد قلِّلوا في أعيننا يومَ بدرٍ حتى قلتُ لصاحبٍ لي إلى جنبي: كم تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، حتى أخذنا رجلًا منهم فسألناه، قال: كنَّا ألفًا، وقلَّل المؤمنين في أعينِ المشركين، فهان أمرُهم عليهم حتى قال أبو جهل لعنه اللَّه: خذوهم بالأيدي أخذًا ولا تقاتلوهم بالسلاح(١)، وكان ذلك سببًا لحرص الفريقين على الملاقاة، واستقلَّ المؤمنون المشركين والمشركون المؤمنين؛ ليجترئَ بعضُهم على بعض. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كائنًا في علمه بنصرِ الإسلام وأهلِه وذلِّ الشرك وأهله. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيَحكم فيها بما يريد.

(٤٥-٤٦) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾: أي: لاقيتُم جماعةً من المشركين يقصدونكم فاثبتوا ولا تنهزموا. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: ادعوا في تلك الحالة ربَّكم، واسألوه الثباتَ والصبر والعلوَّ والنصر؛ كالذين قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فإنكم إذا فعلتُم ذلك كان فيه فلاحُكُم وهو الظَّفرُ بالعدو. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: في التآلُف على نصرة الدين. وقيل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في الأمر بالقتال ﴿وَرَسُولَهُ﴾ فيما يأمركم به حالةَ الالتقاء مِن تقدُّمٍ أو تأخُّرٍ أو كفٍّ أو إقدام، أو نحوِ هذا مما يُوجبه تدبير قادة الجيوش. ﴿وَلَا

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٨٣٣)، والطبري في جامع البيان (١١/ ٢١١).

﴿تَنَازَعُوا﴾: أي: لا تختلفوا، والتنازع: طلَبُ كلِّ واحدٍ من صاحبه أن يَنزِع عما هو عليه. ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: أي: فتَجْبُنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: هي ريحُ النصرة، قال ﷺ: "نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبور"(١). ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: أي: هو مُعينُهم وحافظُهم(٢).

(٤٧) - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾:

أي: اشتغالًا عن شكر النعمة بإظهار التطاوُل على الناس بإسرافِ نفقةٍ في غيرِ رضا اللَّهِ عز وجل ونحوه، وقيل: البَطَر: سوءُ احتمال الغِنَى، وهو قريب من الطغيان، ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾؛ أي: مرآةً لهم؛ أي: اخرجوا إلى الجهاد محتسِبين، لا بَطِرين ولا مُرائين كالمشركين، فإنهم خرجوا يفعلون ذلك. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: دين اللَّه ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؛ أي: عالم، وهو وعيدٌ وتهديد.

(٤٨) - ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ﴾: أي: محيطٌ بهم إذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم؛ أي: حسَّن في قلوبهم ثباتَهم على قتال المسلمين، وأوهمهم القوةَ والغلبة وانتشارَ الصيت في العرب بالجَلادة والمنَعة، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ أي: من جيش محمد ﷺ ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾؛ أي: مجيرٌ لكم وضامنٌ لكم السلامة من اعتراض المعترِضين. ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾: أي: تلاقت ورأى بعضهم بعضًا، و﴿الْفِئَتَانِ﴾: جماعة المؤمنين وجماعة المشركين. ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾: النكوص: رجوعُ القَهْقَرى خوفًا مما يَرى؛ أي: ولَّى مدبرًا

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تأويلات أهل السنة (٥/ ٢٢٩)، ولطائف الإشارات (١/ ٦٢٨)، والبسيط (١٠/ ١٨٢).

حين نظر إلى الملائكة مردِفين زائدين على عدد المشركين ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾؛ أي: رجعتُ عما كنتُ ضمنتُ لكم من الأمان ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾؛ أي: لأني أرى الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾؛ أي: أخاف عقابه على أيدي مَن أراهم ولا ترونهم أنتم ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يردُّ عقابه بشيء ولا يقاوَم.

(٤٩-٥١) - ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: أي: واذكروا إذ كان يقول المنافقون، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ممن دخل في الإسلام حديثًا وفي قلبه بقيةُ شكٍّ لا يعادي المسلمين ولا يُعِين عليهم: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ توهَّموا أن دينهم يَقيهم ونبيَّهم يحميهم وهم بهذه القلة والمشركون بهذه الكثرة والعدة. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: يثقْ بالله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالَبُ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يسوِّي بين وليِّه وعدوِّه. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾. أي: ولو ترى يا محمد ﷺ إذ كان يتوفَّى الملائكةُ أرواحَ الكفار ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: أي: يضربون بآلات الحرب كلَّ أجسادهم ما أَقبل منها وما أدبر، لرأيتَ أمرًا عظيمًا، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ هذا في الآخرة؛ أي: يقول الملائكة لهم: ذوقوا عذاب الإحراق[1]. ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: أي: وتقول الملائكة لهم في النار: ذلك الإحراقُ والتعذيب جزاؤكم بما قدمتُم من الكفر والمعاصي بأنفسكم مباشرة. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لا يعاقبُهم بغير ذنب منهم.

---

(١) جامع البيان (١١/ ٢٢٣)، والكشف والبيان (٤/ ٣٦٥)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٦٦)، وتفسير مقاتل (٢/ ١٢٠ - ١٢١)، والتيسير في التفسير (/ ٢٢٣).

(٥٢) - ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي: عادة هؤلاء المشركين بالنبيِّ ﷺ كعادةِ فرعون وآلِهِ بالنبيِّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: بما أنزل على نبيِّه ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: عاقبهم بها، فأهلكهم ببدرٍ كما أهلك أولئك بالإغراق في البحر. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: لا يغلبه شيء ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يطاق عقابه ولا يردُّه شيء.

(٥٣) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: إن اللَّه جلَّ جلالُه بكرمه لا يَبتدِئ قومًا بإنزال هذا العذاب عليهم حتى يَسبق منهم ما يستحقّون به العذاب، فيوقَعُ بهم حينئذ، كذا كانت سنَّته في الأمم الماضية كما هي الآن في مشركي العرب، غيَّروا ما أَنعم اللَّه عليهم من ابتعاث محمدٍ ﷺ فكذَّبوه وأخرجوه، فغيَّرنا نعمَنا عليهم فأنزلنا بأسنا بهم. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: وبأن اللَّه سميعٌ لا يخفى عليه من كلام خلقه شيء، عليمٌ بما في صدورهم.

(٥٤) - ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي: صنيعُ هؤلاء بك كصنيعِ آل فرعون بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم الذين كذبوا بآياتنا، فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من اللَّه شيئًا حين جاءهم بأسنا ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ حين جاءتهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾أي: كل بحسب جرمه ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ﴾ من المهلكين المعذبين ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسهم، ساعين في هلاكها، لم يظلمهم اللَّه، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه، فليحذر المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل

الله بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين.

(٥٥-٥٧) - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: شرَّ الخلائق الدابِّين على وجه الأرض هم أهل الكتاب الذين أَلِفوا الكفر، فهم لإلفهم ذلك لا يؤمنون بك. ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أي: أخذتَ العهد منهم، وقيل: أي: الذي عاهدتَهم منهم؛ أي: من الذين كفروا من أهل الكتاب. ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾؛ أي: في كلِّ حينٍ وعامٍ، ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: الثَّقف: الأخذ بسرعة، يقول: فإن أظهروا نقضَ عهدك وكاشَفوك وبادَوك بالمحاربة فظَفِرْتَ بهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾: أي: نكِّل هؤلاء تنكيلًا يكون سببًا لشرود مَن خلفهم؛ أي: نُفورهم وهربهم وخوفهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: يتَّعِظون فيمتنِعون لهذا الخوف عن نقض العهد[١].

(٥٨-٥٩) - ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾: الخوف: العلم؛ أي: وإنْ علمت ﴿مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ وهمًّا بنقض العهد ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾؛ أي: أَلْقِ إليهم الخبرَ أنك نقضتَ العهد الذي بينك وبينهم لتكونوا أنتم وهم في العلم بالنقض على سواء؛ أي: على استواء؛ أي: مستوِين فيه، ولا تحاربْهم قبل الإعلام لأنه خيانة والله لا يحب ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي: يا محمد ﷺ لا تظنَّنَّ الكافرين السابقين. ﴿سَبَقُوا﴾ أي: فاتوا فلا يلحقهم عذاب الله. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: أي: لا يفوتون، وقيل:

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٣٦٩)، وجامع البيان (١١/ ٢٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٩)، والبسيط (١٠/ ٢٠٧).

لا يعجزون اللَّه؛ أي: لا يفوتونه حتى لا يبعثُهم اللَّه يوم القيامة، وقيل: أي: لا يعجزونك يا محمد حتى يُظْفِرَكَ اللَّه بهم[١].

(٦٠) - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: أي: هيِّئوا للكفار ما قدرتُم عليه، ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾؛ أي: من الأشياء التي تكون قوةً لكم عليهم من الرجال والكراع والسلاح. ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: هو أن يَربط المسلمون خيولهم في الثَّغر بمقابلةِ ربطِ الكفار خيولَهم لقصد المسلمين، أي: وأعدُّوا ما قدرتُم عليه من رميٍ ورباطِ الخيل. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾: أي: تخيفون بسبب الرباط الكفار، وهم ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهم الكفار من المشركين واليهودِ الذين هم بقرب المسلمين ويعرفونهم. ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: أي: وتُرهبون أعداءً آخَرين من دونهم؛ أي: سوَى هؤلاء، قيل: هم بنو قريظة. وقيل: هم أهل فارسَ. وقيل: كلُّ عدوٍّ خافٍ. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: أي: وكلُّ نفقةٍ قلَّتْ أو كثُرتْ تنفقونها في طاعة اللَّه وخصوصًا في الجهاد فأجرُه موفَّرٌ عليكم بالواحد سبعُ مئة إلى ما فوق ذلك، وأنتم لا تُنقَصون من أجورِ أعمالكم شيئًا[٢].

(٦١-٦٣) - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾: أي: مالوا إلى الصلح فمِلْ إليها، وقيل: أي: استعدَّ لقتالهم وقاتِلْهم، وإذا مالوا إلى الصلح فصالحهم. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: في خيانةٍ يُضْمرونها، أو كيدٍ يريدونه. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لِمَا

---

(١) لطائف الإشارات (١/ ٦٣٥)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٣٣)، والكشف والبيان (٤/ ٣٦٨).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٦٣٥)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٢٤٧).

يجري بينك وبينهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرونه من كيد وهو كافيك. ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: أي: إن يريدوا بجنوحهم للسَّلم أن يخدعوك لضعفٍ يكون فيهم في ذلك الوقتِ فيلتمسوا السَّلْم ليَسلَموا إلى أن يَقْوَوا ويُمكنَهم انتهازُ الفرصة منك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾؛ أي: كافيَكَ خداعَهم وناصرَك عليهم. ﴿هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾: بمددِ الملائكة يومَ بدر ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين ألَّف بين قلوبهم على نصرتك، ومجاهدةِ الكفار على طاعتك، بعد تبايُنٍ وتباغُضٍ كان بينهم.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: هم الأوس والخزرج، ما كان يطمع في تألُّفهم بإنفاق الكثير من الأموال. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾: بفضله ولطفه ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يُرَدُّ ما يفعله ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَنتقِض تدبيره ولا يختلُّ سلطانه. ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: يا أيها النبي حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين، إنّ حسبك أنت وهم، الله.

(٦٤) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾: أي: حُثَّهم ورغِّبْهم في القتال بذكر ثواب الآخرة، ووجودِ النصر والظَّفرِ في العاقبة. ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾: أي: إن يَحضر منكم القتالَ عشرون، وقوله: ﴿صَابِرُونَ﴾ نعتٌ للعشرين، أي: ليَثبُتِ العشرون للمئتين ولا يُولُّوا، فأمر بمقاومة الواحد العشرةَ، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هو كذلك؛ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كتب عليهم ألا يَفِرَّ الواحد من العشرة ثم خفِّف عنهم وأُمروا ألا يَفِرَّ الواحد من الاثنين، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

﴿يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: هو إخراج ما لم يُذكر مما ذُكر، يعني: أن الكفار إنما يقاتلون على الدنيا لا علم لهم بما وعد اللَّه عليه إذا كان على الحق من الجزاء والعطاء، وأنتم أيها المؤمنون تفقهون وقد سمعتُم أَثنية المجاهدين وأجزيَة المقاتلين، فهذا يشجعكم ويثبِّتكم ويصبِّر قليلَكم على قتال كثير المشركين.

(٦٦) - ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾أي: كان اللَّه عَلِم منكم في الأزل أنكم تَضعفون في هذه الحالة عن مقاومة الواحد العشرةَ، وكان في أول الأمر لخواصِّ أصحاب النبيِّ ﷺ زيادةُ استبصارٍ وقوةُ قلب، فلما اختلط بهم سائر الناس وفيهم مَن يكون به حبُّ الأهل والولد والمال، وأنه يضعف القلبُ عن مقاومة الكثير من الكفار، خفَّف عنهم وفرَض أن يقاوم الواحد الاثنين. ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾: هذا تقرير مقاومة الواحد الاثنين. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: بحُكم اللَّه وعِلم اللَّه. ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: أي: وإنما يقاوم الواحد الاثنين إذا صبر، واللَّهُ مُعِين الصابرين وحافظُهم.

(٦٧-٦٩) - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: أي: تختارون المال الذي هو شيءٌ قليلٌ عارضٌ يزول. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: أي: يختار لكم ثواب الآخرة دون عرَض الدنيا. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: أي: فأَريدوا الآخرةَ يعزَّكم، ولا تخافوا العدو فإن اللَّه يَقهرهم، وهو حكيمٌ فيما يَأمر به ويختاره[1]. ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ

(١) تفسير الجلالين(١/ ٢٣٨)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٢٦٠)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٤٨).

﴿سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: قيل: لولا حكمُ الله في المجتهِدِين أنه لا يعاقبُهم فيما يجوز فيه الاجتهادُ لأصابكم فيما أخذتُم من الفداء عذاب عظيم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: أي: فقد أحلَلْتُ لكم الغنائم التي كانت محرَّمةً على الأمم قبلكم فكلوها حلالًا طيبًا؛ أي: محلَّلةً قد زالت عنكم التَبِعة والإثم فيه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في الائتمارِ بأوامره والانتهاءِ بنواهيه. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لِمَا كان منكم قبل هذا ﴿رَحِيمٌ﴾ لم يعاجِلْكم بالعقوبة، ولا يعذِّبُكم بعد التوبة[(١)].

(٧٠) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ أُمر النبي ﷺ باستمالة الأسارى الذين أخذ منهم الفداء ترغيبًا لهم في الإسلام، فقال: قل يا محمد ﷺ للأسارى الذين في أيديكم: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾: أي: إن يعلم اعتقادَ الإيمان والتصديقِ في قلوبكم موجودًا كما علِمه قبل وجوده أنه يوجدُ ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: يُعطِكم في الدنيا والآخرة أكثرَ مما أُخذ منكم، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور لذنوبكم رحيم بكم.

(٧١) - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وإن يريدوا خيانتَك مرةً أخرى فيرجعوا إلى الكفر بعدما مَنَنْتَ عليهم وأطلقتَهم من أسرهم، فخانوك بالقتال لك والعونِ عليك ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: خانوا أولياءه ونقضوا العهدَ وقاتلوك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: أَمْكَنك الله منهم؛ أي: أَقْدَرَك عليهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخَلْقه ما يستحقُّونه من عقابه ﴿حَكِيمٌ﴾ في حكمه وأمره.

---

(١) جامع البيان (١١/ ٢٧٧)، والبسيط (١٠/ ٢٥٨).

(٧٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: لـمَّا ذمَّ الخائنين الناقِضِين العهدَ مدح بعدهم المهاجرين والأنصار الموفِينَ بالعهد فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ مع رسول اللَّه ﷺ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُوا﴾ بعد ذلك الكفارَ ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ مخلِصين طالبين رضا اللَّهِ، ﴿و﴾ أهلَ المدينة ﴿الَّذِينَ آوَوْا﴾ رسولَ اللَّه ﷺ وأصحابَه ونصروهم على أعداء اللَّه، فهم طبقةٌ واحدةٌ يجب على كلِّ واحد من الصنفين موالاةُ الآخر ومواساته ومؤاخاته، وكذا فعل رسول اللَّه ﷺ حين قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكلِّ مهاجريٍّ أخًا أنصاريًّا، فجَرَوا على ذلك حتى شاطروا المهاجرين أموالَهم ودُورهم، وكان يكون لرجل من الأنصار داران فيعرضُهما على أخيه من المهاجرين على أن ينزل له عن أيَّتِهما شاء. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾: أي: لا يلزمُكم موالاتُهم، ولا يجري التوارُث بينكم وبينهم. ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾: أي: الذين آمنوا وأقاموا في بلدهم أو باديتهم ولم يهاجروا إليكم فقصَدهم عدوٌّ من الكفار فطلبوا منكم النصرَ فانصروهم. ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: أي: قومٍ من الكفار بينكم وبينهم موادَعةٌ، فعليكم في هؤلاء الوفاءُ بالعهد وتركُ الحرب، ولم يَلزَمْكم نصرةُ الذين آمنوا ولم يهاجروا على هؤلاء. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي: بما تعملون مِن موالاة مَن يجب موالاتُه وتركِ موالاة مَن لا يجوز موالاته، وهو تحذير عن تعدِّي حدِّ الشرع في الموالاة وتركِها(١).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٧)، والكشف والبيان (٤/ ٣٧٤)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٧٨).

(٧٣) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أي: لا تتولَّوا الكفار فليسوا بأوليائكم بل بعضُهم أولياء بعضٍ، وليس معناه أنه يلزمُهم أن يتولَّى بعضُهم بعضًا كما في المسلمين، لكنْ أريد به نفيُ الولاية بين الكفار والمسلمين. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كفرٌ ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: تسافُكُ دماءٍ؛ لأن ترك التناصُر في الدِّين يُورث ذلك.

(٧٤-٧٥) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ أعاد ذكر وصفِهم ليبنيَ عليه بيانَ مدحهم وجزاءَ فعلهم، وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: الذين حقَّقوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذلِ الأموال في دين اللَّه. ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: كما بيَّن في أول هذه السورة الثناءَ والجزاءَ لهذه الطائفة، ثم بيَّن الذين يؤمنون ويهاجرون من بعدُ، وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾: أي: اللاحِقين بحكم السابقين، وهم من جملتكم وداخلون في ولايتكم. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾: أي: بالتوارُثِ، وانتَسخ به ما كان من المؤاخاة بين الذين هاجروا والذين آوَوا ونصروا، وهو نصٌّ على توريث ذوي الأرحام عند عدم أصحاب الفرائض والعصبات، وهو حجةٌ على الشافعي رحمه اللَّه فإنه لا يورِّثهم. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي: في حُكم اللَّه، وقيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: أي: في القرآن. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه[١].

(انتهى تفسير سورة الأنفال).

---

(١) البسيط (١٠/ ٢٧٢)، والتيسير في التفسير - (٧/ ٢٥٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٦٤١).

(٩) سورة التوبة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالسورة:

سورة التوبة مدنية، سميت هذه السورة، في أكثر المصاحف، وفي كلام السلف: سورة براءة، ووجه التسمية: أنها وردت فيها توبة الله تعالى على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهو حدث عظيم، ومن أسمائها أيضًا: المبعثِرة؛ أي: المظهِرةُ لأسرار المنافقين، والفاضحة، والمنكِّلة، والمشرِّدة، والمخزِيَة، والمدمدِمة وهي المهلِكة[(١)]، وآياتُها مئة وتسعٌ وعشرون آيةً، وقيل: مئةٌ وثلاثون آية، وكلماتها ألفان وأربعُ مئة وثمانٍ وتسعون، وحروفها عشرةُ آلاف وتسعُ مئة وسبعةَ عشر، وهذه السورة آخر السور نزولًا عند الجميع، نزلت بعد سورة الفتح، فهي السورة الرابعة عشرة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن.

من أغراضها:

أنها افتتحت بتحديد مدة العهود التي بين النبي ﷺ وبين المشركين وما يتبع ذلك من حالة حرب وأمن وفي خلال مدة الحرب مدة تمكينهم من تلقي دعوة الدين وسماع القرآن، وأتبع بأحكام الوفاء والنكث وموالاتهم، ومنع المشركين من دخول المسجد الحرام وحضور مناسك الحج، وإبطال مناصب الجاهلية التي كانوا يعتزون بأنهم أهلها، وإعلان حالة الحرب بين المسلمين وبينهم، وإعلان الحرب على أهل الكتاب من العرب حتى يعطوا الجزية، وأنهم ليسوا بعيدًا من أهل الشرك

(١) البسيط (١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٠)، والتيسير في التفسير ٧/ ٢٦٤).

وأن الجميع لا تنفعهم قوتهم ولا أموالهم، وحرمة الأشهر الحرم، وضبط السنة الشرعية وإبطال النسيء الذي كان عند الجاهلية، وتحريض المسلمين على المبادرة بالإجابة إلى النفير للقتال في سبيل الله، ونصر النبي ﷺ وأن الله ناصر نبيه وناصر الذين ينصرونه، وتذكيرهم بنصر الله رسوله يوم حنين، وبنصره إذ أنجاه من كيد المشركين بما هيأ له من الهجرة إلى المدينة، والإشارة إلى التجهيز بغزوة تبوك، وذم المنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلف بلا عذر. وصفات أهل النفاق من جبن وبخل وحرص على أخذ الصدقات مع أنهم ليسوا بمستحقيها، وذكر أذاهم الرسول ﷺ بالقول. وأيمانهم الكاذبة وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وكذبهم في عهودهم وسخريتهم بضعفاء المؤمنين، والأمر بضرب الجزية على أهل الكتاب. ومذمة ما أدخله الأحبار والرهبان في دينهم من العقائد الباطلة، ومن التكالب على الأموال، وأمر الله بجهاد الكفار والمنافقين، ونهي المؤمنين عن الاستعانة بهم في جهادهم والاستغفار لهم، ونهي نبيه ﷺ عن الصلاة على موتاهم، وضرب المثل بالأمم الماضية، وذكر الذين اتخذوا مسجد الضرار عن سوء نية، وفضل مسجد قباء ومسجد الرسول بالمدينة، وانتقل إلى وصف حالة الأعراب من محسنهم ومسيئهم ومهاجرهم ومتخلفهم، وقوبلت صفات أهل الكفر والنفاق بأضدادها صفات المسلمين، وذكر ما أعد لهم من الخير، وذكر في خلال ذلك فضل أبي بكر وفضل المهاجرين والأنصار، والتحريض على الصدقة والتوبة والعمل الصالح، والجهاد وأنه فرض على الكفاية، والتذكير بنصر الله المؤمنين يوم حنين بعد يأسهم، والتنويه بغزوة تبوك وجيشها، والذين تاب الله عليهم من المتخلفين

عنها، والامتنان على المسلمين بأن أرسل فيهم رسولا منهم جبله على صفات فيها كل خير لهم[١]، **ووجه انتظام أول هذه السورة بآخر تلك أن هذه السورة** بدأت بالأمر بنبذ أناس بأعيانهم نقضوا أو خيف منهم ذلك وذلك تصريح بما أفهمته آيات الموالاة في التي قبلها من أن إحدى الفرقتين لا تصلح لموالاة الأخرى، ووجه انتظام السورتين أن في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نبذ العهود[٢].

(١-٢) - ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: هذه براءةٌ؛ أي: انقطاعُ عصمةٍ من الله ورسوله ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: ملقاةٌ إلى المشركين الذين عاهَدْتُموهم. ﴿فَسِيحُوا﴾: أي: سيروا على مهلٍ على الأمان من القتال أربعةَ أشهرٍ من هذا الوقت إلى تمامِ هذه المدة، ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ نزلت في شوال، فهي أربعة الأشهر: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: أي: فائتي الله؛ أي: لا تقدرون أن تفوتوا فتخرجوا عن قبضة قدرته تعالى. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾: أي: واعلموا أن الله يخزيكم فيذلُّكم ويفضحُكم.

(٣) - ﴿وَأَذَانٌ﴾: أي: إعلامٌ من الله لكم يا معشرَ المسلمين، فليُؤْذِن به بعضُكم بعضًا فقد أمرتُ رسولي بإعلامكم. ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ أي: يَوْم النَّحْر، وقيل يوم عرفة، ﴿أَنَّ﴾ أَيْ بِأَنَّ ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَعُهُودهمْ ﴿وَرَسُوله﴾ بَرِيء أَيْضًا، ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾: أي: رجعتُم يا أهل مكة من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، تنجُون به من السيف في

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠١).

(٢) روح البيان (١٠ / ٣٦).

الدنيا ومن العذاب في العُقبى، ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: أبيتُم إلا عبادةَ الأوثان، وأعرضتُم عن الإيمان، ودمتُم على هذا التولِّي والخذلان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: أي: غيرُ فائتِيه. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: أَعْلِمهم بذلك، فكان بشارةً للمؤمنين والمطيعين بالثواب، والكافرين بالعذاب[١].

(٤) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى: لكن، والبراءةُ والإنذار بالعذاب في حقِّ كلِّ الكفار، وتقديره: لكن الذين عاهدتم من المشركين ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾؛ أي: لم يطعنوا في دينكم ولم يدلُّوا على عوراتكم ولم يَسْعَوا في نقيصةِ أمركم ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: لم يعاونوا عليكم عدوًا ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ فإنَّ حفظ العهد تقوى، قال اللَّه تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: الحافظين العهدَ[٢]، والآية نزلت في بني ضَمْرةَ وبني كنانة، وكان بقي لهم من مدتهم تسعةُ أشهر، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مدةُ مَن كان له عهدٌ من المشركين قبل أن تنزل براءةٌ أربعةُ أشهر من يوم أُذِّن بالبراءة إلى العاشر من شهر ربيعٍ الآخِر، فذلك أربعةُ أشهر، فإنْ نقَض المشركون عهدهم وظاهروا عدوًّا فلا عهدَ لهم، وإنْ وفَوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يظاهروا عليه عدوًّا فقد أُمر بأنْ يفيَ عهدَهم[٣].

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١١)، ولطائف الإشارات (٢/ ٧)، وجامع البيان (١١/ ٣٢٤ - ٣٣٥).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٣/ ١٨٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٢)، ومعاني القرآن" للزجاج (٢/ ٤٣٠).

(٣) جامع البيان (١١/ ٣٤٢).

(٥) - ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أي: خرجت ومضت هذه أربعة الأشهر وسميت حرمًا لأنهم حرُم قتلُهم فيها بحكم الأمان، وهي: رجبٌ وذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: أي: في الحلِّ والحرم. ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾: أي: ضيِّقوا عليهم المسالك، ولا تَدَعوهم يضربون في البلاد بالتجارة وغيرها. ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: أي: على كلِّ مرصدٍ، وفي كلِّ مرصدٍ؛ أي: مَرْقَبٍ، والمرصد: الطريق الذي يُرقب فيه العدوُّ؛ أي: في كلِّ طريق يُظنُّ مرورُهم فيه ليأخذوهم. ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾: أي: رجعوا عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾؛ أي: التزَموهما ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾؛ أي: لا تقتلوهم ولا تأسروهم ولا تضيِّقوا عليهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفر لهم كفرَهم ومعاصيَهم بالإيمان به، ويرحمهم فلا يعذِّبهم.

(٦) - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾: تقديره: وإن استجارك أحدٌ من المشركين حتى يسمعَ كلام اللَّه ﴿فَأَجِرْهُ﴾؛ أي: إن جاءك أحد من المشركين الذين لا عهد لهم يسألُك أن تُؤمِّنه وتكونَ جارًا له من وثوبِ المؤمنين عليه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ويتأمَّلَه، فأَجِبْه إلى ذلك وأَجِره، وإن جاء وسمع وتدبَّر ولم يؤمِن فلا تقتلْه فقد أمَّنْته، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ﴾ أي: أَوْصِله إلى حيث يأمَنُ على نفسه، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الكفارُ جاهلون مقلِّدون جارُون على الإلْف، فإذا الْتَمَس سماعَ كلام اللَّه فأَجِبْه فقد يكون مسترشِدًا، فإذا سمع وتأمَّلَ زالت عنه الشبهةُ فأسلمَ، فإنْ لم يفعل ورجع إلى موضعه فلكُم بعد ذلك إذا وجدتُموهم قَتْلهم وأخذهم لأنكم قد أَعْذَرتُم إليهم.

(٧-٨) - ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ كيف استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا يكون للمشركين عهد عند اللَّه يأمنون به من عذابه في الآخرة وعهد عند رسوله يأمنون به على أنفسهم عذاب الدنيا من القتل والأخذ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يجوز أن يكون استثناءً من المشركين الذين لا عهد لهم، وتقديره: إلا الذين عاهدتم، ويجوز أن يكون بمعنى: لكن؛ أي: لكن الذين عاهدتُم عند المسجد الحرام فلا تنقُضوا عهدهم ولا تتعرَّضوا لهم.

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾: أي: على عهدهم ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾؛ أي: على عهدكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: الذين لا ينقضون العهد. ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: فيه إضمارٌ؛ أي: كيف يكونُ لهم عهدٌ وهم إنْ يَظفروا بكم يغلِبوكم، وهو كقوله عز وجل: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: أي: لا يحفظوا ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الإلُّ: القرابة، والذمَّة: العهد. ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بحُسنِ القول ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ التصديقَ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: عاصون ناقضون العهد[(١)].

(٩-١٠) - ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: قال عطاء: كان أبو سفيان يعطي الناقة والطعامَ ليصدَّ الناس بذلك عن متابعةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: أعمالُهم هذه في نهاية السوء. ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الأولُ في صفة ناقضي العهد، والثاني في صفة

---

(١) البسيط (١٠/ ٢٩٩)، ولطائف الإشارات (٢/ ٩)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٧٦)، والنكت والعيون (٢/ ٣٤٢)، وتفسير مقاتل (٢/ ١٥٨).

المشترِين بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾: أي: المجاوِزون حدودَ اللَّه تعالى، وهذا حثٌّ على قتالهم لسوء أعمالهم.

(١١-١٢) - ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾: أي: مِن الشرك ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾؛ أي: قبلوهما ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾؛ أي: فهم إخوانكم في الإسلام، وقد زالت المعاداة، وارتفعت المقاتَلة والمباراة. ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: نبيِّنها للَّذين يعملون بعلومهم.

(١٢) - ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾: أي: نقضوا ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾؛ أي: عابوه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ونقضُ العهد كافٍ لإباحة القتل، ولكن ذُكر الطعنُ في الدِّين لزيادة تحريكِ المؤمنين على قتالهم، وقيل: معناه: وإنْ نكثوا أيمانهم بطعنهم في دِينكم. ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾: أي: قاتلوهم فإنهم أئمة الكفر؛ أي: المقتدَى بهم والمتبعون؛ لأنَّه قيل: أريد به بنو بكر الذين عدَوا على خزاعة فأعانتْهم قريش فانتقَض عهدهم وغزاهم لذلك رسول اللَّه ﷺ، وهم كلُّهم قريش وأشياعهم، وبهم كان يقتدي سائر المشركين. ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود لهم ولا أقسام. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾: أي: قاتِلوهم لينتهوا عن الطعن في دينكم، و(لعل) كلمةُ تَرَجٍّ؛ أي: قاتِلوهم مؤمِّلين انتهاءَهم، ناوين بقتالكم ردَّهم عن الكفر. وقيل: أي: لا تستنكروا نكثَهم فلا ثقةَ بأيمانهم[١].

(١٣) - ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾: وهذا تحريك لهم على قتال

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٢٥)، وجامع البيان (١١/ ٣٦٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦١)، والبحر المحيط (١١/ ٢٠٧)، وزاد المسير (٣/ ٤٠٠).

هؤلاء، وهو استفهام بمعنى الإغراء، وهؤلاء القوم هم قريش؛ أي: نقضوا أيمانهم التي كانت بالحديبية وأعانوا أعداءكم بني بكر على حلفائكم خزاعة. ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]. ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: نقضوا العهد فكانوا هم البادئين. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: استفهام بمعنى النهي ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الإيمان يوجبُ الخشية من اللَّه تعالى في مخالفةِ أمره، فلا مَدفع لحكمه ولا مَرَدَّ لقضائه، وأنتم مؤمنون فحقِّقوا شرط إيمانكم، وهذا أبلغ تحريكٍ وتشجيع.

(١٤ - ١٥) - ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: أمرهم بقتال المشركين، ووعَد عليه هذه الأشياء، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: ومن فوائد القتال أنه يتوب بسببه بعضُ مَن تأمَّل فيه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: لا يكون عليه خفاء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَلحقه خطأ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما كان منهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر فيهم.

(١٦) - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾: أي: أظننتُم أن تُتركوا على ما أظهرتُم من الإيمان باللسان ولا تُبْتَلَوا بالقتال. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: أي: لم يوجد منكم جهادُ المشركين، ولو وُجد لعَلِمه اللَّه تعالى موجودًا، لأن اللَّه يعلم في الأزل ما يوجد أنه يوجد، ويعلمه موجودًا حين يوجد، لأنه جل وعلا يعلم كلَّ شيء على ما هو به، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أي: ولم يعلمِ اللَّه الذين جاهدوا منكم ووالَوا اللَّه ورسولَه والمؤمنين ولم

يتولَّوا غيرَ اللَّه ورسولِهِ والمؤمنين ولم يتَّخذوا من دون اللَّه أولياء وخواصَّ، والوليجة: البطانةُ الخاصة، من الولوج وهو الدخول، وَلِيجتُك: صديقُك الذي تُطْلعه على ما في داخل قلبك، وصفة المؤمن المخلِص ألا يتَّخذ بطانةً من الكفار، ولا يتولَّى غيرَ الرسول والمؤمنين الأبرار. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الموافَقة والمخالَفة، وهو وعد ووعيد.

(١٧) - ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾: واتِّصالها بما قبلها: أن اللَّه عزَّ وعلا حرَّض على قتال المشركين من وجوهٍ، وهذا وجهٌ آخرُ من ذلك، وهو أن مكة مولدُكم ومنشؤكم، وفيها قبلتكم، وبها مفاخرتُكم، وقد استولى المشركون عليها وأخرجوكم منها، وقاموا بعمارة المسجد الحرام الذي فيها وليسوا بأهل ذلك، فقاتلوهم وأخرجوا ذلك من أيديهم، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾؛ أي: أن يلُوا عمارتها. ومعنى الآية على هذا: ليس في حكم اللَّه تعالى أن يعمُر المشركون مساجد اللَّه بالصلاة فيها وحجِّها والطواف بها وعمارتها وهم غيرُ مؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾: وقيل: هو اعترافهم بعبادة الأوثان وإن لم يصرِّحوا بالاعتراف بلفظ الكفر والشرك. ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: ما ذكروه من محاسنهم بطَل ثوابُها لشركهم. ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: لكفرهم؛ لأنهم مشركون حبِطت أعمالهم واستحقُّوا الخلود في النار[1].

---

(١) الكشف والبيان (١٣/ ٢٢٨) والبسيط (١٠/ ٣٣١)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٠)، وجامع البيان (١١/ ٣٧٤ و٣٧٥)، التيسير في التفسير (٧/ ٢٨٧).

(١٨) - ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: أي: إنما يستحقُّ القيام بعمارتها مَن كان بهذه الصفة، فهو يعظِّم البيت حقَّ تعظيمه. ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾؛ أي: لم يعمل ذلك كلَّه إلا لخشية اللَّه. ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ أي: المستكمِلون هذه الخصالَ ثابتون على الهداية خارجون عن الضلالة.

(١٩) - ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الحاجُّ أريد به الجمعُ لأنه جنس، وتقدير الآية: أجعلتُم صاحب سقاية الحاجِّ وعمار المسجد الحرام كمَن آمن باللَّه واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله؟، ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: في الدرجة. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: المشركين إلى الحجة، وقيل: إلى الإسلام مع اختيارهم الكفرَ[1].

(٢٠) - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: مِن سقاية الحاجِّ وعمارةِ المسجد الحرام بلا إيمانٍ، وليس لأولئك درجةٌ في الفضل، لكن معناه: أنهم يعتقدون لأنفسهم درجةً، فقال: هؤلاء أعظمُ درجةً على الحقيقة من أولئك على ما يتوهَّمونه لأنفسهم. وقيل: معناه: أعظمُ درجةً من المؤمنين الذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: أي: الناجُون.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٦٣)، وجامع البيان (١١/ ٣٨٠)، والتيسير في التفسير (٧/ ٢٩١).

(٢١-٢٢) - ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾: أي: عند الموت على ألسنة الملائكة، وفي الجنة بلا واسطةٍ. ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾؛ أي: في جنات. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لا يعلم مقداره إلا الله -عز وجل-.

بشارةُ العُصاة بالرحمة، وبشارةُ المطيعين بالجنة والنعمة، وبشارةُ العصاة بالنجاة، وبشارةُ المطيعين بالدرجات، وبشارة العصاة بالخلاص، وبشارة المطيعين بالاختصاص[(١)].

(٢٣) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ولمَّا أَمر النبيُّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته وقَرابته: إنَّا قد أُمرنا بالهجرة إلى المدينة فاخرجوا معنا، فمنهم مَن يعجبه ذلك ويتسارع فيه، ومنهم مَن يأبى ذلك، ومنهم مَن يتعلق به زوجته وعيالُه وولده فيقولون له: نَنْشُدُك اللَّه ألا تضيِّعنا، فيَرِقُّ ويجلس وَيدَعُ الهجرة، فنزل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ الذين بمكة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ في الدين والعون والنصرة ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾؛ أي: اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ بعد نزول هذه الآية في الإقامة ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ على الكفر ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون.

(٢٤) - ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: أي: اكتسبتُموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ١٦ - ١٧).

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: قل يا محمد ﷺ للمتخلِّفين عن الهجرة: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتِكم، وأموالٍ اكتسبتُموها، وتجارةٍ ترجُون حصولَ أرباحها وتخشَون كسادها، ومساكنَ رضيتُموها، أحبَّ إليكم من الهجرة إلى اللّه ورسوله ومن جهادٍ في نصرة دينه فانتظروا حتى يأتي اللّه بأمره بفتح مكة، وقيل: ﴿بِأَمْرِهِ﴾؛ أي: بقضائه. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجون عن طاعة الله ﷻ(١).

(٢٥) - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: هو وادٍ بين مكة والطائف، والمعنى: لقد نصركم اللّه في مواطنَ كثيرةٍ مثلَ بدرٍ والأحزاب، وأعلاكم على عدوِّكم مع ضعفِكم وقلةِ عددكم في مقامات كثيرة من بين غزوةٍ وسرية، ويومَ حنين، فليَهُنْ عليكم أمرُ الآباء والأبناء والإخوان والعشيرةِ والأموال، وأسباب المَنَعة الدنيوية، ولا تظنُّوا النصر بها، فانقطِعوا إلى اللّه بالكلية واطلبوا من عنده النصرَ والمعونة. ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: أي: أعجبكم كثرة عَددكم ووفورُ عُددكم ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثرة ﴿شَيْئًا﴾؛ أي: لم تنفعكم الكثرة شيئًا. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: (ما) مع الفعل مصدر، وتقديره: برُحْبها؛ أي: مع رُحْبها؛ أي: سَعتَها؛ لطلب العدو إياكم، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: أي: منهزِمين.

(٢٦-٢٧) - ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي:

(١) الكشف والبيان (٥/ ٢١)، والبسيط (١٠/ ٣٤٠) ومعالم التنزيل (٤/ ٢٤)، وتفسير مقاتل (٢/ ١٦٤).

الرحمةَ التي يسكن إليها القلب. ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾: أي: من الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالهزيمة والقتل والسبي. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: إذا لاقَوا المؤمنين أن يكون الدَّبرة على الكافرين والنصرة للمؤمنين. ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ثم يوفِّق اللَّه عز وجل للإيمان بعد ذلك مَن يشاء فيَقبله ويغفر له، وهو الغفور للمؤمنين الرحيم بهم أجمعين.

(٢٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: أي: أنجاس، ومعناه: أنهم أنجاس في اعتقادهم وأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم؛ لأنهم يشركون باللَّه غيرَه ويريدون بأعمالهم سواه، فهم مستقذَرون يجب اجتنابهم. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ أي: فامنعوهم من الحج بعد هذا العام، وكذا من دخول الحرم للتجارة وغير ذلك. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: أي: فقرًا ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ أغناهم اللَّه من فضله فأسلم أهلُ صنعاء وغيرهم، وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الدَّوابِّ، فكفاهم ما كانوا يتخوَّفون. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: أي: بمصالح العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكَم وأراد[(١)].

(٢٩) - ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: بيَّن في الآي الأُوَل قتالَ المشركين، وبيَّن في هذه الآية قتال اليهود والنصارى، ولو قال: (قاتِلوا أهل الكتاب) لكفى، وإنما جمَع هذه الأوصافَ الذميمة تحريضًا للمؤمنين على قتالهم؛ لأنَّها صفاتٌ توجب البراءة منهم والعداوةَ لهم، وإنما قال لهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ

(١) جامع البيان (١١/ ٤٠٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ١٩)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣١٢).

﴿بِاللَّهِ﴾ وهم يدَّعون الإيمان بالله؛ لأنَّهم يؤمنون بالله الذي له الولد وهو شبيهٌ بالخَلق، وهذا ليس بإيمانٍ بالله، وكذا يصدِّقون الله بإرسال بعض الأنبياء ولا يصدقونه في إرسال بعض وهو يبطل الإيمان بالله، وكذا قال: ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهم يدَّعون الإيمان به؛ لأنَّهم لا يصدقون بما فيه من الوعد والوعيد، فيقولون: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً، ويقولون: ليس في الجنة مطاعمُ ومشاربُ ومناكح، ولا يكون هذا إيمانًا باليوم الآخر. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: من الخمر والخنزير، وتحريف الكتاب، وكتمانِ نعت النبي ﷺ. ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ وهو الإسلام؛ فإن اليهودية والنصرانية دينٌ باطل، فإنه نسخَ بعضَ أحكام التوراة والإنجيل، وهم قد حرَّفوا البعض، ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: أي: إلى أن يُعطوا الجزية، ﴿عَنْ يَدٍ﴾: قيل: عن نقدٍ، فلا تؤخَّر عن وقتها، من قوله: يدًا بيدٍ، وقيل: عن انقياد، يقال: أعطى فلان بيده، إذا استسلَم وانقاد. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أي: أذلَّاءَ مقهورين(١).

(٣٠) - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: هو قول يقولونه بألسنتهم لا حجةَ لهم على صحته.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: شابَهوا عبدة الأوثان في هذا القول. وقيل: أي: في تقليدهم أسلافَهم في هذا القول. وقيل: أي: المشركين في إثبات الشركاء لله. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: أي: لعنهم الله، وقيل: أي: قتَلهم الله، وقيل: أي: عاداهم الله، وقيل؛ أي: أهلكهم الله. ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: أي: من

(١) التيسير في التفسير (٧/ ٣١٥).

أين يصرفون عن الحق، والصرفُ عن الحق ضلال[(١)].

(٣١) - ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: أطاعوا علماءهم وعُبَّادهم فيما أمروهم به من الاعتقاد والعمل طاعةَ العبيد الأرباب.

﴿أَرْبَابًا﴾؛ أي: كالأرباب، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: أي: اتَّخذوه إلهًا معبودًا. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾: أي: إلا أن يعبدوا إلهًا واحدًا، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: تنزيهًا له عن إشراكهم به غيرَه.

(٣٢) - ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: يريد أهل الكتاب أن يُبطلوا حججَ اللَّه جلَّ جلالُه بجدالٍ منهم بألسنتهم من غيرِ حجة. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾: أي: لا يريد اللَّه إلا تمامَ هذا النور، وهو إبقاءُ الإسلام والإيمان والقرآن، وإيضاحُ الحجة والبرهان، وفيه تخييبُهم وقطعُ أطماعهم. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: أي: على كراهيةِ اليهود والنصارى؛ إذلالًا لهم وكبتًا وغيظًا.

(٣٣) - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾: أي: محمدًا ﷺ ﴿بِالْهُدَى﴾؛ أي: بالتوحيد، وقيل: بفرائض اللَّه على خلقه، وقيل: أي: بالقرآن الذي يهدي إلى الرشد. ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: أي: الإسلام؛ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: أي: ليُعْليَه على الأديان كلِّها على كراهةِ المشركين الظهورَ والعلوَّ والغلبةَ[(٢)].

(٣٤) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ

(١) جامع البيان (١١/ ٤١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٣)، والبسيط (١٠/ ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٤/ ٣٨).

(٢) جامع البيان (١١/ ٤٢٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٢٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٢١).

﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وصَفَ الأحبار والرهبان الذين اتَّخذهم أهلُ الكتاب أربابًا فقال: لا تتوهَّموا في كثير من الأحبار والرهبان صلاحًا، ولا تغترُّوا بظاهر زيِّهم وسكونهم، فإن ذلك كلَّه مصائدُ للمَطامع، واستجلابٌ للرِّياسة، ومكائدُ للصدِّ عن سبيل اللَّه، والجرِّ إلى الضلالة، وذلك بأخذِهم الرِّشا من الأشراف والعامة، وتحريفِ الكتاب، وكتمانِ نعت النبيِّ ﷺ وحقِّيَّة الإسلام، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: أي: يجمعون ويحتازون. ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: لا يُخرجونها في طاعة اللَّه، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: ضعِ الوعيدَ بالعذاب الأليم موضعَ البشرى بالنعيم في حقِّهم على التعميم.

(٣٥) - ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: يوقَد على هذه الأموال، ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: أي: فتُوْسَمُ بالكنوز المحمَّاة بالنار جباهُ الكافرين، وهي جمعُ جبهة، وهي صفيحةُ أعلى الوجه فوق الحاجبين، ﴿وَجُنُوبُهُمْ﴾ وهي جمع جَنْبٍ، ﴿وَظُهُورُهُمْ﴾ وهو جمع ظَهرٍ، وخُصَّت بالكيِّ هذه المواضعُ لأن الكيَّ على الجبهة يظهر للعيون فيكون أبلغَ في التشهير والتعذيب، والجنوب مقاتل فكيُّها أشد إيجاعًا، والظهور فيها القوة، وفيه إزالةُ القوة بالكلية، ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: هذا الذي ترونه هو الذي كنَزْتُم في الدنيا؛ أي: جمعتُم فلم تؤدُّوا حقَّه ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾؛ أي: هذا بذاك(١).

(٣٦) - ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾: وبه يتمُّ الحول،

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥/ ٣٦٣)، ولطائف الإشارات (٢/ ٢٣)،الكشف والبيان (٥/ وزاد المسير (٣/ ٤٣١)، والتيسير في التفسير (٧/٣٢٨).

وبتمام الحول تجب الزكاةُ في النصاب، وهو وجه اتصالها بالآية الأولى، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾: أي: شهورِ السَّنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في قضاء الله وإيجابِ الله على خلقه من أحكامها. ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ولم تزل الأمم تتناسخُه إلى أن غَيَّرت العرب في شِركها ما غَيَّرتْ منها. ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: أي: من الاثني عشر شهرًا أربعةُ أشهر حُرم: جمعُ حرام، وهي: رجبٌ وهو فرد، وذو القعدة وذو الحجة والمحرمُ وهي سردٌ، ومعنى الحرام: أنه يحرم فيها القتال والقتل، وكانت العرب تعظِّمها، حتى لو لقي الرجل منهم فيها قاتلَ أبيه لم يَهِجْه. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: أي: الحساب المستقيم، ومعناه: إن الشهور على حساب مستقيم فلا تغيِّروها بالنسيء. وقيل: الأخذ به الدِّينُ المستقيم. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: في جميع الشهور، لأنها شهودٌ عليكم بما تعملون، وقيل: في الأربعة الحرم، وظلمُ النفس هو المعصيةُ؛ لأنَّه يَضرُّ بها نفسَه وينقص بها حظَّه. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالبداءة بالقتال، ولا بأس بقتالِ مَن بدأكم له فيها. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾: أي: جميعًا، وقيل: أي: لا تظلموا فيهن أنفسكم إذا قوتلتُم فيهن بأنْ تتركوا القتال، لكنْ قاتلوهم في هذه الحالة. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: لا مع المشركين؛ أي: حافظُ المتقين وناصرُهم، وهم الذين يتقون الشرك.

(٣٧) - ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾: أي: التأخير. ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾؛ أي: تأخيرُ حرمةِ المحرَّم إلى صفر بدعةٌ زائدة على بِدَع سائر الكفار. ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾: أي: الأتباع يَضِلون به بإضلال الرؤساء، وقيل: يُضِلُّ الرؤساء به الأتباعَ. ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾: أي: يُحِلُّون القتالَ في هذا الشهر مرةً ويحرِّمونه مرةً، ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أي: ليُوافقوا عدةَ ما حرَّم اللَّه، والمواطَأة: الموافَقة، وتواطأَ القوم على كذا؛ أي: توافَقوا؛ أي: يحرِّمون صفرًا مكان المحرَّم، ويُحلُّون المحرَّم ويقولون: الأشهر الحرم أربعةٌ، وقد حرَّمنا أربعةَ أشهر. ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أي: ليتوصَّلوا بهذه الحيلة إلى إحلالِ الشهر الذي حرَّم اللَّه. ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾: أي: الشيطان زيَّن لهم ذلك، وقيل: أنفسُهم زينت لهم ذلك، وقيل: اللَّه عز وجل زيَّنها بالتخليق امتحانًا. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: إلى الحقِّ حالَ اختيارهم الثباتَ على الباطل، وقيل: لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة(١).

(٣٨) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ﴾: هو حرف استفهامٍ بمعنى التوبيخ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: اخرجوا إلى الغزو، وسبيل اللَّه: طريق طلب رضَا اللَّه، وسمِّي به لأنه يُفضي بسالكه إلى الجنة. ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾: أي: تثاقلتُم، ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾: أي: بدلًا عن الآخرة ونعيمِها الخالد الذي لا يَبيد. ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: لأن هذا منقطِعٌ وذاك باقٍ، وهذا كلُّه تقريعٌ وتعجيبٌ من سوء الاختيار.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٣٥)، والكشف والبيان (١٣/ ٣٦٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ٤٦ - ٤٧)، وزاد المسير" (٣/ ٤٣٥)، ومعاني القرآن" للفراء (١/ ٤٣٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٣).

(٣٩) - ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: إن لم تخرجوا إلى الغزو يعذِّبكم عذابًا وجيعًا لأبدانكم وقلوبكم في الدنيا والآخرة. ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي: يُنشئُ قومًا آخرين، ويأت بهم بدلًا عنكم، يحضون على أمره، ويحرِّضون على مجاهدة عدوِّه. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: أي: لا يضرُّ اللَّه شيئًا ولا يَنقصُ من ملكه شيئًا. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: هو على نصرِ رسوله بغيركم وإفناءِ الكفارِ بغيرِ قتالِ أحدٍ قدير؛ إذ هو القادرُ على كلِّ شيء.

(٤٠) - ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ أي: إنْ لم تنصروا محمدًا ﷺ في هذه الحالةِ فما هو ممن يُضيَّع، فقد نصره اللَّه أضعفَ ما كان فلن يخذله الآن. ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: حين مكرِ قريشٍ فاضطُرَّ إلى أن خرج ليلًا مستخفيًا إلى المدينة مهاجرًا خائفًا مشفِقًا من لحوق الطلب، لا أنيسَ معه ولا أليف إلا رجلٌ واحد وهو أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ وهو محمد المصطفى ﷺ وأبو بكر الصدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أي: هو أحدُ اثنين ليس معهما ثالثٌ. ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: وهو الثَّقْبُ العظيم في الجبل، وهو في جبلٍ بمكة يقال له: ثور، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: أي: النبيُّ ﷺ ﴿لِصَاحِبِهِ﴾؛ أي: أبي بكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾؛ أي: لا تهتمَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾؛ أي: حافظُنا وناصرُنا ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي: على النبيِّ ﷺ، كما قال في هذه السورة: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [الفتح: ٢٦]، وقيل: على أبي بكر؛ لأنَّه هو الخائف المحتاجُ إلى الأمن، وأما النبيُّ ﷺ فقد كان ساكنًا بما وُعد له من النصرة. ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي: وقوَّى محمدًا ﷺ، والجنود: الملائكة أيَّده بهم في حرب بدرٍ وحُنينٍ. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ

﴿كَفَرُوا السُّفْلَى﴾: هي الشرك، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ وهي: لا إله إلا اللَّه، علَتْ هذه الكلمة إلى قيام الساعة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: أي: في انتقامه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وأحكامه(١).

(٤١) - ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: هو نصب على الحال، والخِفَاف: جمع خفيف، والثِّقال: جمع ثقيل، أي: شبَّانًا وشيوخًا، وقيل: أي: أغنياء وفقراء، وقيل: ركبانًا ومشاة. ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: مِن تَرْكه، وقيل: ليس هذا للتفضيل، بل لإثبات أصل الخير؛ أي: ذلكم صلاحٌ وخيرٌ لكم، وتركُه فساد وشرٌّ لكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: الخير والشر، وقيل: أي: إن كنتم تعلمون صدقَ الوعد على فعله وصدقَ الوعيد على تركه(٢).

(٤٢) - ﴿لَوْ كَانَ﴾: أي: لو كان المدعوُّ إليه ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾؛ أي: شيئًا من متاع الدنيا قليلًا لا بقاء له. ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: أي: سهلًا وسطًا من الأسفار ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾، أي: هؤلاء المنافقون المعتلُّون بعللٍ لاتبعوك إلى حيث قصدت. ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: أي: المسافة. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: أي: لو كان لنا زادٌ وراحلةٌ لخرجنا على موافقتكم، ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: يُورِدونها نارَ جهنم بكذبهم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: أنه لا استطاعة لهم، أي: فلا تَقبلوا لهم عذرًا.

(٤٣) - ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ هذا من لطيف المعاتَبة، ولو لم يفتتح الخطاب

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٤٩)، والبسيط (١٠/ ٤٤٤)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٤٦).

(٢) الكشف والبيان (٥/ ٤٩)، لطائف الإشارات" (٢/ ٢٩)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٥٦).

بالعفو لَمَّا كان يقوم بقوله: ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾، فطيَّب اللَّه نفسه بتصدير العفو. ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾: أي: في التخلف عن الغزو ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: حتى يُطلعكَ اللَّه على نفاقهم فيكونَ ذلك آيةً من آيات النبوة إن لم تأذن لهم بالتخلُّف، أو إنْ لم تأذن لهم يتبيَّن لك نفاقهم؛ لأنَّهم يتخلَّفون عنك ويفارقونك وإن لم تأذن لهم، والذين صدَقوا لا يفارقونك، فيتبيَّن لك هؤلاء من هؤلاء، ويظهر كذب المنافقين من صدق المؤمنين.

(٤٤-٤٥) - ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي: لا يستأذنك في التخلُّف بغير عذرٍ مَن كان يؤمن باللَّه فيطيعه بالأمر بالجهاد، وباليوم الآخر فيرجو فيه ثواب الجهاد، واللَّه عليم بمن يتَّقيهِ ولا يخالف أمرَه بالجهاد ولا يتخلَّف عنه. ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾: بالتخلُّف من غير عذرٍ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فلا يَرَون للَّه طاعةً، ولا يرجون في القيامة مثوبة ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: شكَّت في حقيقة الإسلام. ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: أي: يتقلَّبون(١).

(٤٦) - ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾: أي: معكم للغزو ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ﴾؛ أي: هيَّؤوا للخروج ﴿عُدَّةً﴾؛ أي: أُهبةً، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾؛ أي: لم يرضَ اللَّه تعالى بخروجهم وانبعاثهم، وهو الانطلاق بسرعة. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: أي: ثقَّلهم عن الخروج وحبَسهم، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: أي: العجزةِ المتخلِّفين من

---

(١) جامع البيان (١١/ ٤٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٦)، وتفسير مقاتل (٢/ ١٧٢)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٣٧٩)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٦٠).

الزَّمْنَى والنساء والصبيان والمجانين.

(٤٧) - ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: أي: فسادًا، وليس معناه أنهم كانوا في فساد والمنافقون زادوا في فسادهم، لكن معناه: لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوةً، ولكن أوقعوا فسادًا بالتجبين والتهويل من الكفار، وترديدِ الرأي، وتزيينِ الأمر لفريق وتقبيحِه عند فريق ليختلفوا بتفرق كلمتهم لا ينتظم أمرهم. ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: لحثُّوا الإبل مسرعين فيما بينكم في النميمة وإفساد ذاتِ البَين والتخليط. ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: أي: يطلبونكم، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾: أي: وفي عسكركم مَن يسمع قولَهم اغترارًا بظاهر أحوالهم في التنصُّح للمسلمين، فينصرفُ عن القتال فيقتدي به غيرُه فيرجع، وقيل: وفيكم جواسيسُ للمنافقين ينقلون إليهم منكم ما يسمعون فيكم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: أي: المنافقين، فيكشف لكم عن مكنون سرائرهم لتحذَروهم.

(٤٨-٤٩) - ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الوقائع، منها في حرب الخندق، وفي حرب أحدٍ بانصراف ابن أُبيٍّ بأصحابه وهم ثلاثُ مئة، وبقي النبيُّ ﷺ في أصحابه وهم سبعُ مئة، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي: صرَّفوا فيك الآراء والحِيَل. ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾: أي: الإسلام ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾؛ أي: كثُر المؤمنون، وقيل: أي: نَصَرهم الله ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾؛ أي: المنافقون كارهون ظهورَ الدِّين ونصرَ المسلمين. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ﴾؛ أي: ومن المنافقين مَن يقول: ﴿ائْذَنْ لِي﴾ في التخلُّف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾؛ أي: ولا تُوْقِعني في الفتنة؛ أي: الكفر. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: أي: قد وقعوا في الكفر قبل هذا. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:

مشتمِلةٌ عليهم لا يخرجون منها(١).

(٥٠) - ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾: أي: إنْ تَنَلْك غنيمةٌ ونصرٌ وعافية كما كانت يوم بدر يحزُنهم ذلك؛ أي: هؤلاء المنافقين. ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: أي: نكبةٌ وهزيمةٌ، وقيل: كما كانت يوم أحد. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قد كنَّا أخذنا حِذْرنا واحتَطْنا لأنفسنا بالتخلُّف عنهم، وأخذنا أمرنا بالوثيقة. ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون بما أصاب المسلمين.

(٥١) - ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المنافقين: لن يصيبنا إلا ما كتب اللّه لنا في اللوح المحفوظ، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾؛ أي: مالكُنا ونحن عبيدُه. وقيل هو متولِّي أمورنا وكافينا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: فلْيَثِقْ به الموحِّدون(٢).

(٥٢) - ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: ﴿هَلْ﴾ استفهامٌ بمعنى النفي، والتربُّص: الانتظار، و﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾: تثنيةُ الحُسنى، والحُسنى تأنيثُ الأحسن، والأحسنُ تفضيلُ الحسَن، وأريد به نعتُ الحالتين أو الخصلتين، ومعناه: قل يا محمد ﷺ: ما تنتظِرون يا معشر المنافقين بنا إلا واحدةً من خَصلتين، وكلُّ واحدة منهما نهايةٌ في الحُسن غايةٌ فيما يُحمد في العاقبة، وهي الغنيمة أو الشهادة، فليس مما يجري علينا من جهتكم موضعُ شماتة. وقيل: ﴿إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: النصر أو الشهادة، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾:

---

(١) جامع البيان (١١/ ٤٩٢)، والكشف والبيان (٣/ ٢٠٧)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٦٩).
(٢) البسيط (١٠/ ٤٨٠)، تأويلات أهل السنة" (٥/ ٣٨٦)، والكشف والبيان (٥/ ٥٣).

أي: مما أصاب الأممَ الخالية، وبما شاء الله من العذاب والنقمة ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أي: بالسيف. وقيل: ﴿بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيعاقبَكم في الدنيا في أنفسكم وفي الآخرة بالنار ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم، ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ أي: انتظِروا هلاكنا فإنا ننتظر هلاككم، وقيل: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ مواعيد الشيطان، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ مواعيدَ الله من إظهار دينه واستئصال مَن خالفه.

(٥٣) - ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: ﴿أَنْفِقُوا﴾ أمرٌ صيغةً ومعناه الشرط؛ أي: إن أنفقتُم طوعًا بالاختيار أو كرهًا بالإجبار لن يُتقبل منكم؛ لأنكم كنتم في القِدَم فاسقين منافقين خارجين عن الطاعة والإخلاص، وإنما يتقبل الله من المتقين، وطوعُ المنافق لا يكون لرجاء ثواب الله ولطلب رضا الله، لكن ما يفعله بطبعه فهو من طوعه، وكرهُه ما يُطلب منه ويُجبر عليه[1].

(٥٤) - ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾: أي: وما منع المنافقين قبولَ نفقاتهم في سفرهم معك وفي غير ذلك طوعًا أو كرهًا إلا كفرُهم بالله وبرسوله، ثم ذمُّهم على الكسل مع أنه لا صلاةَ لهم ذمٌّ على النفاق الذي يَبعث على الكسل، وفَقْدِ الإيمان الذي يَبعث على النشاط.

(٥٥-٥٦) - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: فلا تعجبْك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد

---

(١) جامع البيان (١١/ ٥٠٤)، والكشف والبيان (٥/ ٥٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ٥٩).

اللَّه ليعذبهم بها أي: بالمصائب، في الآخرة، ومعناه: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكَوات منهم بغيرِ طيبةِ نفسٍ منهم، والإنفاق في سبيل اللَّه كذلك. ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: تخرجَ أرواحهم ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾؛ أي: حالَ الكفر. ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾: أي: على دينكم وطريقتكم ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾؛ أي: على دينكم الإسلام ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾؛ أي: يخافونكم على أنفسهم إن صرَّحوا لكم بما في قلوبهم، فلذلك يحلفون إنهم لمنكم.

(٥٧) - ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: حِرزًا. وقيل: أي: حِصنًا، وقيل: مَهْربًا ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾: جمع مغارة، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: غيرانًا، جمع غارٍ، والغار: الثَّقب الواسع في الجبل. وقيل: المغارة: المدخلُ الساتر، وقيل: المغارات: المكامِن التي يُتوارى فيها. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ هو موضع الدخول، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: سَرَبًا، وقيل: مأوًى، ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾: أي: وجوههم ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي: يُسرعون لا يردُّهم شيءٌ، من الفَرَس الجَموح الذي لا يردُّه اللِّجام، والمعنى: يحلفون لكم إنهم لمنكم كاذبين خوفًا من القتل؛ لتعذُّر خروجهم من بلادكم، ولو استطاعوا ترك دورهم وأموالِهم والالتجاءَ إلى بعض الحصون أو الغِيران -أي: المواضع التي تسترهم عن رؤيتكم- لفعلوه استثقالًا لكم وتكرُّهًا للقائكم[١].

(٥٨) - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: ومن المنافقين مَن يعيبك

---

(١) الكشف والبيان (١٣/ ٤١١)، والبسيط (١٠/ ٤٩٧)، ولطائف الإشارات (٢/ ٣٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٧٩).

في إعطاء الصدقات أهلَها، فيقول: إن محمدًا ﷺ يفرِّق الصدقات على شهوته، فيعطي مرة ويَحْرِم مرة أخرى، ويعطي واحدًا ويَحْرِم آخر، ويعطي الأغنياء المؤلَّفةَ قلوبهم ويمنع الفقراء، فيَلمزك لجهله بمواضع الأحكام. ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: أي: إن أعطاهم النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ منها ما أرادوا رضُوا وذكروه بالجميل وأثنوا عليه، وإن لم يعطهم منها غضبوا منه وطعنوا عليه.

(٥٩) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: أي: ما آتاهم رسول الله فإنه يؤتَى بأمر الله، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "اللَّه المعطِي وأنا القاسمُ"(١)، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئًا ولا أمنعُكم، إنما أنا خازن". ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: أي: كافينا ورازقُنا من حيث شاء، فيعطينا كفايتَنا وإن تأخَّرت. ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: فما آتاه فهو فضلٌ منه سواءٌ كان بكسب العبد أو بغير كسبه. ﴿وَرَسُولُهُ﴾؛ أي: سيؤتينا رسوله بأمره. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾: أي: في توسعة أرزاقنا علينا من حيث نشاءُ، وفي آخره مضمرٌ؛ أي: لكان خيرًا لهم، وهو أبلغ من الذكر؛ لأن النفْس تذهب فيه كلَّ مذهبٍ والذِّكر يَقصُره على ما ذُكر دون غيره.

(٦٠) - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾: بيَّن مصارفَ الصَّدقات في هذه الآية، وردَّ على مَن عاب النبيَّ ﷺ في صرف الصدقات إلى حيث كان يصرف وأعلم أن اللَّه عزَّ وعلا أمره بذلك، وأن الذين كانوا يطمعون فيها لم يكونوا مستحقِّيها فإنهم كانوا أغنياء، واللَّه تعالى جعل مصارفها للفقراء، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ الفقرُ هو شدةُ الحاجة، والمسكنةُ في معناه، والفقير:

---

(١) رواه البخاري (٣١١٦) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الذي لا يَسأل؛ لأن عنده ما يكفيه للحال، والمسكين أضعفُ حالًا منه، وهو الذي يَسأل لأنه لا يجد شيئًا، قال اللَّه تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]؛ أي: لَصِق بالتراب لقُربه، وقيل: الفقير أضعف حالًا، وأما المسكين فهو الذي يَسكن قلبه إلى شيءٍ وهو معه، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ﴾ [الكهف: ٧٩]. ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾: هم عمالُ الصدقات يُصرَف إليهم منها ما يكفيهم وأعوانَهم كَفافًا لا إسرافًا. ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: هم قومٌ من رؤساء العرب أسلموا، وكان رسول اللَّه ﷺ يتألَّفُهم على الإسلام ويستدنيهم عليه، ويستدعي به إليه أتباعهم. ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: أي: المكاتَبين، يُعطَون شيئًا من الصدقات فيؤدُّون بها بدلَ الكتابة فينالون به العِتق. ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾: أي: المدينينَ الذين ليس لهم بعد قضاءِ الدَّين ما يقع به الغنى. ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: الغزاةِ المحتاجين، وإن كانوا أغنياءَ بأموالهم خلَّفوها في بلدهم. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: أي: الغريبِ البعيد عن ماله. ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾: أي: إيجابًا من اللَّه؛ أي: يُصرف إليهم ولا يصرف إلى غيرهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: أي: بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾؛ أي: في أحكامه.

(٦١) - ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾: أي: ومن المنافقين قومٌ يؤذون النبيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ هو الذي مَن قال له شيئًا سمعه، ومَن حدَّثه بشيء صدَّقه، والأُذن التي هي جارحة السماع كذلك، وكان النبيُّ ﷺ يستمع إلى كلام كلِّ مَن حدَّثه بشيء؛ لكرمه وشرفه ومجده وحُسن خلقه. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾: أي: أنا أذن خير لكم، وهو إضافةُ الشيء إلى صفته كقوله: هو رجلُ

خيرٍ؛ أي: قل يا محمد ﷺ: إن الذي يقبل العذر خيرٌ ممن لا يقبله، فكيف تؤذونه وتعيبونه؟! وقيل: إنه يسمع الخير ويَقبله دون الشر. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: أي: يصدِّقه ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ويصدِّق المؤمنين بما شهدوا به عنده، فلا يَقبل إلا ما ثبتَ صدقُه بإخبار اللَّه عز وجل عنهم فيما قالوا وليس عندهم أحد من المسلمين، أو بشهادة المؤمنين إذا قالوا ذلك بحضرتهم. ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: أي: وأنا رحمةٌ لمن آمن منكم مع أنكم إذا أذَيْتُموني فيلزمُكم العذاب، فإذا آمنتُم بي فلكم الرحمةُ والثواب. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدارين[1].

(٦٢-٦٣) - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾: أي: يعتذر هؤلاء ويحلفون باللَّه كاذبين ليُزيلوا سَخطكم. ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: أي: يحقُّ عليهم في إزالة سَخَطكم أن يُخلصوا، فإذا فعلوا ذلك أرضَوا اللَّه ورسوله فيرضى المؤمنون به؛ لأن اللَّه تعالى إذا رضي عن العبد أرضى عنه الناس. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾: استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنه مَن يُعادِ اللَّه ورسوله. ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وتكرار (أنَّ) للمبالغة في التأكيد، و﴿خَالِدًا فِيهَا﴾: دائمًا فيها بكفره، ﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ أي: ومَن صار كذلك فقد عظُم خِزْيه؛ أي: افتَضَح أبلغَ الافتضاح، وبلغ غايةَ الهوان، والخزيُ: الهوان بما يُستحيَى مِن مثله.

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٦٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٠)، والتيسير في التفسير (٧/ ٣٩٣).

(٦٤) - ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ أي: ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم؛ أي: على النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيخبرهم به، والمنزلُ على الرسول منزلٌ على الأمَّة معنًى، لأنه خطاب لهم بما فيه، ﴿تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: تخبرهم بذلك، ولم يكن ذلك لإعلامهم فقد علموا به، لكن بإخبارهم أنه لا يخفَى على اللَّه ولا يُخفيه عن رسوله، وليَهْتكَ أستارهم للمؤمنين ليعلموا به. ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾: وصيغته أمرٌ وهو للتهديد؛ كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ودليله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾؛ أي: مظهرٌ لما تخافون، وقد أظهر أحوالهم في هذه السورة، ولذلك سميت فاضحةً مبعثِرة[(١)].

(٦٥) - ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾: أي: ولئن قلت لهم: لم قلتُم كذا، حين أطلعك اللَّه على ذلك، قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾؛ أي: لم يكن ذلك عن اعتقادٍ وشكٍّ في الدِّين، لكن على العادة من الناس إذا اجتمعوا لم تخلُ أحاديثهم عن أن يجريَ فيها القول على سبيل المساعدة والاستئناس من الهزل، ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: فقل يا محمد ﷺ إنكارًا عليهم: أباللَّه وآياته ورسله تفعلون هذا؟ وهو لا يحتمِل إلا الجِدَّ والصدق دون الهزل واللعب.

(٦٦) - ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: أي: لا تتكلَّموا بالعذر الباطل ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾: فقد صرَّحتم بما يوجب الكفر ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: بعد إظهاركم الإيمانَ باللسان. ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ أي: إن تركنا العقوبة في الحال في

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٧٨)، ومعالم التنزيل (٤/ ٦٨)، والبسيط (١٠/ ٥٢٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٥٩)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤١٩).

حقِّ بعضهم وهم العامةُ والأتباع الذين لا ضرر منهم على المسلمين لنعاقبهم في الآخرة، نعذبْ طائفة منهم من الكبراء المعلِنين بالأراجيف الساعين بين المسلمين بالفساد بالقتل. ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ وهو اسمٌ نهاية الذم؛ لأنَّه يدل على انقطاعه عن كلِّ الخيرات، من الجَرْم: وهو القطع.

(٦٧-٦٨) - ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: أي: مجتمعون على النِّفاق، مطابقون على إيذاء الرسول والمؤمنين على اتِّفاق. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: بما يُنكره الشرع والعقل ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: ما يرضاه الشرع والعقل. ومن المنكرات: تركُ الجهاد، وهم به يَأمرون، ومن المعروف: الجهاد، وهم عنه يَنْهَون. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: أي: عن الإنفاق في الجهاد وسُبُل الطاعات من الزكوات ونوافلِ الصدقات. ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: أي: تركوا ذكر اللَّه وطاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾؛ أي: خذلهم. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: أي: هم الخارجون عن قبول أمر اللَّه والعملِ به. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾: أي: الذين يُظهِرون الإيمان ويضمِرون الكفر. ﴿وَالْكُفَّارَ﴾: أي: المجاهرين به. ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: أي: واقعةٌ موقعَ ما استَحَقُّوه من الجزاء على كفرهم. ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: طردهم من رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي: دائم[(١)].

(٦٩) - ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: خطابٌ للمنافقين، وفي أوله مضمَرٌ، وتقديره: وأنتم في معاملتكم كالذين من قبلكم، وقيل: أي فِعْلي بكم في الدنيا والآخرةِ كفِعْلي بالذين مِن قبلكم. ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾: قال ابن عباس

---

(١) لطائف الإشارات (٢/ ٤٣)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٠٥).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أي: منعةً وبطشًا. ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾: يتكثَّرون بالأولاد ويعتضِدون بالأموال، فلم يعتصِموا بقوة أنفسهم ومعونةِ أولادهم وأنصارهم وكثرةِ أموالهم حين كذبوا رسلي واستحقُّوا إنزال بأسي. ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾: أي: صَرَفوا إلى التمتُّع الحاليِّ نصيبَهم من الدنيا ولم يقدِّموا إلى الآخرة. ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾: فعلتُم أنتم في الدنيا فِعلَهم. ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾: أي: في آيات اللَّه بالباطل، فإذا كنتم في سوء المعاملة مثلَهم، وفي القوة والمنعة دونهم، فما يؤمِّنكم أن يصيبَكم من العقوبة مثلُ ما أصابهم. ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: الذين رضُوا من آخرتهم بدنياهم بَطَلَتْ أعمالهم في الدارين فلا ينتفعون بها: أمَّا في الدنيا فقد قصدوا بذلك توهينَ الإسلام وقهرَ أهله وعلوَّ أنفسهم، فأبطل اللَّه تعالى كيدَهم وخيَّب أملهم، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: ذهبت أموالهم فيما ضرَّهم ولم ينفعهم، ولو ذهبت فيما لا ينفعُهم ولا يضرُّهم كانت خسرانًا، فكيف وقد ذهبت فيما يضرُّهم ولا ينفعهم[(١)]؟

(٧٠) - ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: هي قَرْيَاتُ لوطٍ، ومعناها: المنقلِبات، حيث جعَل اللَّه عاليَها سافلَها، و﴿أَلَمْ﴾ استفهام بمعنى التقرير. أي: قد أتاهم خبرُ الأمم السالفة، سمعوا ذلك وعرَفوه، وشاهدوا آثار إيقاع اللَّه بهم بما جعلهم نكالًا وعبرةً لغيرهم؛ كما فعل بقوم نوحٍ صلوات اللَّه عليه حين أُهلكوا بالغرق، وعادٍ بالريح الصَّرصَر العاتية، وثمودَ بالرجفة والصاعقة، وقومِ إبراهيم بالتشتيت

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٦٦).

وسلب الملك والنعمة؛ أي: من نمرود، وأصحابِ مدين بعذابِ يوم الظلة، وقومِ لوط بانقلاب الأرض، وكلُّ ذلك كان عدلًا من اللَّه تعالى وحكمةً وعقابًا لمن ظلم نفسه وعصى ربَّه وكذَّب رسلَه واستحقَّ عقابه، فليحذر المنافقون أن يُفعل بهم ما فُعل بأولئك. ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: يرجعُ هذا إلى كلِّ هذه الأمم، وإنْ صُرف إلى ما يليه وهي المؤتفكات -ورسولُ أهلها واحد وهو لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ- فقد قيل: كان في كلِّ قرية رسولٌ من جهة لوط، فلذلك جُمع. ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ليس من صفة اللَّه تعالى ظلمُ العباد بتعذيبهم من غير ذنبٍ. ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بإيقاعها فيما يوجب العقوبة.

(٧١) - ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ذكر بمقابلةِ المنافقين والمنافقات: المخلِصين والمخلصات، وتغاير صفات الفريقين، فالمخلصون ذكورهم وإناثهم يتوالون على الدين ويتناصرون ويتعاونون حتى إن الرجل ليخرج إلى الجهاد وامرأته تهيئ أسبابه وتخرج النساء مع الرجال أيضًا فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء وكذا كل الخيرات في الدين. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: مر تفسيره، وهو خلاف صفات المنافقين. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: وهو خلافُ صفة المنافقين، هؤلاء يصلُّون وفي الصلاة ذكرُ اللَّه، وأولئك داوَموا على نسيان اللَّه. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: وهو خلاف صِفة المنافقين، فإنهم يقبضون أيديهم. ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في كلِّ الأوامر والنواهي، فهو خلاف صفة المنافقين ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: بخلاف المنافقين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ منيعٌ قادرٌ على

مجازاة المطيعين والعاصين ﴿حَكِيمٌ﴾ في توفيق المؤمنين وخذلان المنافقين [(١)].

(٧٢) - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾: أي: جزاءً عمَّا احتمَلوه من أذى الحر وسوءِ المنازل في أسفارهم للغزوات وتركِهم مواطن الراحات. ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: أي: إقامةٍ، أي: هي مواضع إقامةٍ وثباتٍ لا يبغون عنها حِوَلًا، وليس هذا بتكرارٍ لقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ لأن قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إخبارٌ بدوام مُقامهم فيما أُعدَّ لهم من المساكن، وقولَه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إخبارٌ بدوام النعيم لهم في الجنان، فهما معنيَان مختلفان. ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أي: أعظمُ من هذه النعم قَدْرًا وأشرفُ منها ذكرًا رضوانُ اللَّه تعالى عن هؤلاء، ومن رضوانه قبولُ أعمالهم اليسيرةِ، وتيسيرُ الحساب عليهم، وإثابتُهم على الأعمال المنقطِعة نعمًا لا تَنقطع وكلَّ كرامةٍ في الدنيا والآخرة. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: أي: الرضوان الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه؛ لأنَّه دركُ كلِّ مطلوب، ووصولٌ إلى كلِّ مأمول، وأمانٌ من كلِّ محذور [(٢)].

(٧٣) - ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: لمَّا وصف اللَّه المنافقين والكفار، وكشف له أحوال المتستِّرين منهم بالإظهار، أمَره بجهادهم الذي هو الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٨١)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤٢١ - ٤٢٢)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٠٩).

(٢) جامع البيان (١١/ ٥٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٠)، وتفسير مقاتل (٢/ ١٨١ - ١٨٢).

عن المنكر، وهو من صفات المؤمنين، وخلافُ ذلك من صفات المنافقين. ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾؛ أي: بالسلاح في وقته وباللسان في وقته. ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: باللسان. ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ولا تداهِنْهم وآيِسْهم من نفسك، وقرِّرْ عندهم أنه لا موادَّة بينك وبينهم، وإنما هو الإسلام أو السيف. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ غلبوا في الجهاد أو غلبوا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم(١).

(٧٤) - ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أَيْ الْمُنَافِقُونَ ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ مَا بَلَغَك عَنْهُمْ مِنْ السَّبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أَظْهَرُوا الْكُفْر بَعْد إظْهَار الْإِسْلَام ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ مِنْ الْفَتْك بِالنَّبِيِّ لَيْلَة الْعَقَبَة عِنْد عَوْده مِنْ تَبُوك وَهُمْ بَضْعَة عَشَرَ رَجُلًا فَضَرَبَ عَمَّار بْن يَاسِر وُجُوه الرَّوَاحِل لَمَّا غَشُوهُ فَرُدُّوا، ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: ما عابوا، وقيل: أي: ما طعنوا، ومعناه: أي: ليس للمؤمنين عندهم ذنبٌ يَعيبونهم به ويغتاظون به عليهم إلا أنْ أغناهم اللَّه من فضله بالغنائم والصدقات، ورسولُه كان سببًا لذلك وموصِلًا إليهم، وهذا ليس مما يُنقم به. ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾: أي: إنْ يُخْلِص هؤلاء المنافقون فهو خيرٌ لهم في الدنيا والآخرة؛ لنجاتهم من العقاب ووصولِهم إلى الثواب في العُقبى، وأمنِهم وعزِّهم وحُسنِ ذكرِهم في الدنيا. ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾: أي: عن التوبة عن النفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ باللعن وهتك السِّتر والجلاء والسَّبي والقتل ﴿وَ﴾ في ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعذابِ النار أبدًا، ﴿وَمَا

---

(١) الكشف والبيان (١٣/ ٤٧٨)، والبسيط (١٠/ ٥٥٣)، ومعالم التنويل (٤/ ٧٤)، ولطائف الإشارات (٢/ ٤٥ - ٤٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤١٣).

﴿لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: في الدنيا ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي: مَن يتولَّى الذبَّ عنهم إذا نزل عذابُ الدنيا، ولا مَن ينصرُهم فيمنعُ اللَّه عن تعذيبهم، ولم يذكر الآخرة لأن الملكَ يومئذ للَّه فلا وليَّ ولا نصير يومئذ لأحد، فأما في الدنيا فقد يكون للإنسان وليٌّ ونصير، وهؤلاء ليس لهم في الدنيا ذلك(١).

(٧٥-٧٦) - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: ومن هؤلاء المنافقين مَن عاهد اللَّه، هو ثعلبةُ بن حاطب، سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: وسَّع علينا المالَ ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾؛ أي: لنتصدَّقن، أُدغمت التاء في الصاد وشُدِّدت؛ أي: لنصرفنَّ في وجوه الخير من الجهاد وغيره ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مِثْلَ عثمان بنِ عفان وعبدِ الرحمن بن عوف في البذل والسخاء. ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: ووسَّع اللَّه عليهم الدنيا ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾؛ أي: بالفضل، فمنعوا حقوقه ﴿وَتَوَلَّوْا﴾؛ أي: عن طاعة اللَّه وطاعة رسوله في أداء حقوق الأموال ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: عن الإسلام وأحكامه.

(٧٧) - ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾: فأعقبهم اللَّهُ نفاقًا؛ أي: جعل عاقبةَ ذلك نفاقًا. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: ترديدًا واضطرابًا في العقيدة، وشكًّا في الإسلام، وهذا من اللَّه تعالى جزاءٌ لهم على بخلهم. ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: أي: إلى يوم القيامة، وهو

---

(١) تفسير الجلالين(١/٢٥٣)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤٣٠)، جامع البيان (١١/ ٥٧٣ - ٥٧٤)، والنكت والعيون" (٢/ ٣٨٣) ومعالم التنزيل (٤/ ٦٩).

لتأبيدِ نفاقهم، فمَن بقي منافقًا إلى يومِ القيامة لم يثبت له حكمُ الإسلام أبدًا. ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: فوَعْدُهم: عهدُهم المذكور في أول الآية، وكذبُهم: قولُهم: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ودلَّ على أنَّ مَن قال: لأفعلنَّ كذا، وهو ينوي ألا يفعله كان كاذبًا(١).

(٧٨-٧٩) - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: يعلم ما أَسرُّوه في أنفسهم يومَ عاهدوه وما يتناجَون فيما بينهم مما لا يَشْرَكُهم في العلم به غيرُهم من الطعن على شرائع الإسلام من الصدقات ووجوهِ الطاعات، وهو علَّامُ الغيوب لا يخفى عليه من الغائبات شيءٌ. ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾: أي: هم الذين يَعيبون المتطوِّعين، أُدغمت التاء في الطاء وشدِّدت، وقوله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: من المخلِصين في الصدقات الزائدة على الزكَوات اللازمة، فيقولون: يراؤون بما يفعلون. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: أي: ويَعيبون الفقراء الذين يأتون بما لا يَفي حالهم بأكثرَ منه، والجُهْد بالضم: الطاقة، والجَهْد بالفتح: المشقَّة. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: أي: يهزؤون. ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: أي: جزاهم جزاءَ سُخريتهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة(٢).

(٨٠) - ﴿اسْتَغْفِرْ﴾ أي: يَا مُحَمَّد ﷺ ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تَخْيِير لَهُ فِي الِاسْتِغْفَار وَتَرْكه قَالَ ﷺ إني خيرت اخترت يَعْنِي الِاسْتِغْفَار رَوَاهُ الْبُخَارِيّ

---

(١) البسيط (١٠/ ٥٦٤)، تأويلات أهل السنة (٥/ ٤٣٣)، التيسير في التفسير (٧/ ٤٢٣).

(٢) الكشف والبيان (٥/ ٧٣)، وزاد المسير (٣/ ٤٧٥)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤٣٤).

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرِ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قِيلَ الْمُرَاد بِالسَّبْعِينَ الْمُبَالَغَة فِي كَثْرَة الِاسْتِغْفَار وَقِيلَ الْمُرَاد العدد المخصوص ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لهم أم لم تستغفر لهم﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعته(١).

(٨١) - ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾: المخلَّفون: الذين لم يخرجوا مع رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى غزوة تبوك، وسموا بذلك؛ لأن النبيَّ ﷺ والمؤمنين لم يَعبؤوا بهم، ولا عَدُّوهم في جملةِ مَن يُتكثَّر بمثلهم في العسكر أو يُعتضَد بهم في رأيٍ ومشورةٍ لَمَّا علموا بتثاقلهم عن الجهاد. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم، ويجوز أن يكون موضعًا ومعناه: فرحوا بالمدينة وبمنازلهم وحوائطهم لِمَا نالوا من الدَّعة والراحة. ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾؛ أي: على مخالفته. ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: استثقلوا ذلك لكفرهم. ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾: أي: قال بعضهم لبعضٍ -وقيل: قالوا للمؤمنين-: لا تخرجوا للغزو، فإنه وقع في شدة حرٍّ لا يؤمَن معها قلةُ المياه وكَلالُ الظهور والضعفُ عن المشي، فعاب الله عز وجل هذا من قولهم وهدَّدهم عليه بالنار، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: أي: أخبِرهم يا محمدُ ﷺ أن لهم على تخلُّفهم وتثبيطهم غيرَهم نارَ جهنم إليها مصيرُهم، وتأذِّيهم بحرِّها أشدُّ من تأذِّيهم بحرِّ الشمس والهواء. ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: لو تدبَّروا وتفكَّروا كما يفعل ذلك مَن فَهِم وفَقِه، ولو فَقِهوا وفهموا لاحتملوا قليل التعب والأذى في طاعة الله لِيُفضيَ

---

(١) تفسير الجلالين (١/ ٢٥٤).

بهم ذلك إلى النعيم المقيم(١).

(٨٢) - ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾: أمرٌ بمعنى التهديد؛ كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ومعناه: يضحكون على فرحهم بتخلُّفهم، وهذا في الدنيا قليل ثم يكون في الآخرة بكاءً كثيرًا دائمًا لا ينقطع. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الكفر والنفاق والمعاصي.

(٨٣) - ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: أي: رجعك الله من غزوةِ تبوك إلى المدينة، وقد بقي من المنافقين طائفةٌ وهلكت طائفةٌ. ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: أي: معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾؛ أي: فامنعهم عن الخروج معك للقتال، عاقِبْهم بأنْ لا تستصحِبَهم استخفافًا بهم، ودلالةً على سقوط محلِّهم والاستغناء في الأمور عنهم. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلم تخرجوا إلى تبوك ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾: أي: مع النسوان والصبيان، وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أي: مع مَن تخلَّف من المنافقين بغيرِ عذرٍ(٢).

(٨٤-٨٥) - ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: هذه فضيحةٌ لهم بعد الوفاة، وما ذُكر قبلها خزيٌ لهم في حالة الحياة، دخل رسول الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ على عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلولَ في مرض موته وكان دعاه، فسأله أن يصليَ عليه ويقومَ على قبره ويكفنَه في قميصه، ففعل ذلك، فنزلت الآية، وفي الآية

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٦)، والبسيط (١٠/ ٥٦٨) وجامع البيان (١١/ ٦٠١)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٢٧)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤٣٦).

(٢) النكت والعيون (٢/ ٣٨٨). وجامع البيان (١١/ ٦٠٩)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٣٣).

تقديم وتأخير، وتقديره: ولا تصلِّ أبدًا على أحدٍ منهم مات ولا تَقُمْ على قبره. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي: قد كفروا وأصرُّوا وعليه ماتوا، فليسوا أهلًا في إجلالك. ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾؛ أي: مُعلِنون للمعاصي.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: مر تفسيرها، ومعنى التكرير: المبالغةُ في التأكيد والتقرير، أو لأن كلَّ آيةٍ في فرقةٍ غيرِ الأخرى، ومعنى اتصالها بالأولى: أَمْضِ في المنافقين هذه الأحكامَ ولا يَهولنَّك ما يتكثَّرون به من الأموال والأولاد.

(٨٦-٨٧) - ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ﴾: هو الأمر بابتداء الإيمان في حقِّ الكافرين، وبالدوام على الإيمان في حقِّ المؤمنين، وأمرٌ بالإخلاص في حق المنافقين. ﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾: أي: جاهدوا الكفار مبايِعينَ لرسوله. ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي: أولو الغنى، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: أي: دعنا نقعدْ مع المتخلِّفين. ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: أي: النساءِ المتخلِّفات، ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي: خُتم عليها فخُذلوا لاختيارهم الكفر والنفاق. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: قيل: لا يعلمون(١).

(٨٨-٨٩) - ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: وهو صفةُ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والمخلِصين الذين معه، بخلافِ صفة أولئك المنافقين. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: أي: المنافعُ والمحاسن في

(١) جامع البيان (١١/ ٦١٦) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٨)، والبسيط (١٠/ ٥٨٥)، وتفسير مقاتل (٢/ ١٨٨).

الدارين: من الأمن، والثناء الحسن، والصحبةِ مع رسول اللَّه ﷺ في المغازي وإصابة المغنم، وصلاةِ النبيِّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عليهم، والقيام على قبورهم، وفي الآخرة بالكرامات الموعودة في الجنة. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بكلِّ مطلوب والبالغون في أنفسهم وأعدائهم كلَّ مأمول. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: لا يعلم مقداره إلا الله -عز وجل-.

(٩٠-٩١) - ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاء فِي الْأَصْل فِي الدَّال أَيْ الْمُعْتَذِرُونَ بِمَعْنَى الْمَعْذُورِينَ ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إِلَى النَّبِيّ ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فِي الْقُعُود لِعُذْرِهِمْ فَأَذِنَ لَهُمْ ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: أظهروا الإيمان باللَّه ورسوله وهم كافرون في الباطن، فقد كذَبوا بذلك اللَّه ورسولَه. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة بكفرهم وكذبهم، ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ الضعفاء: هم الذين لا قوةَ لهم بسبب كِبرِ سنٍّ أو زَمانةٍ أو عَرَجٍ أو عمًى، والمرضى: الذين بهم علةٌ يرجى زوالها إلا أنه في الحال لا طاقةَ بهم، والذين لا يجدون ما ينفقون: هم الفقراء، فهؤلاء لا حرج عليهم؛ أي: لم يضيِّق اللَّه تعالى عليهم بالقعود بل وسَّعه عليهم. ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: لم يثبِّطوا غيرَهم من الموسِرين والأصحَّاءِ عن الخروج، ولم يوهِموهم أن قعودهم كان لجواز التخلُّف لكلِّ مَن أراده، بل بيَّنوا سبب تخلُّفهم، وحرضوا القادرين عليهم، وقاموا بأسبابهم عند خروجهم وأسبابِ مَن خلَّفوهم بالمعونة. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾: وهم هؤلاء ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر لهم تخلُّفهم، ويرحمُهم بإزالة الحرج عنهم.

(٩٢) - ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾: أي: ولا حرجَ أيضًا على الأصحاء الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون إلى المركب، وجاؤوك يا محمد ﷺ وسألوك أن تعطيَهم مراكب تحملُهم عليها، وقد حمل الأمير فلانًا؛ أي: أعطاه مركبًا. ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: قد فرَّقت ما كان عندي على الناس فلم يبقَ شيء أهيِّئُ به مراكبكم. ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾: أي: انصرفوا من عندك وهم يبكون تأسُّفًا على فَوتِ صحبتك وتخلُّفِهم عنك، وهذه أمارةُ إخلاصهم وقعودهم بالعُذر، وشدةِ شوقهم إلى لقاء رسول اللَّه ﷺ وتحسُّرِهم على فَوت ثواب الجهاد(١).

(٩٣-٩٤) - ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾: أي: سبيلُ اللوم والعتاب والعقاب ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾: ومعنى التكرير المبالغة في التقرير. ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئًا لجهلهم. ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: يعتذر إليك هؤلاء المنافقون المتخلِّفون إذا رجعتُم إلى المدينة التي فيها مساكنكم ومساكنهم. ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: أي: لا تقبلوا عذرَهم وقولوا لهم: لا تتكلَّموا بالعذر ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾؛ أي: فإنَّا لا نصدِّقكم. ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أي: قد عرَّفنا اللَّه إضمارَكم عداوتَنا وكذبَكم في معاذيركم. ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: إنْ عملتُم خيرًا وتبتُم إلى اللَّه

---

(١) التيسير في التفسير (٧/ ٤٤١)، وجامع البيان (١١/ ٦٢٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٣٣)، وتفسير الجلالين(١/ ٢٥٦).

مِن تخلُّفكم فسيرى اللَّه عملكم ورسولُه فيما تستأنِفون، ثم ترجعون ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إلى جزاء اللَّه لا يخفى عليه شيءٌ، فيخبركم بما عملتُم ويَجزيكم على ذلك(١).

(٩٥) - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: أي: إعراضَ صفحٍ ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾؛ أي: إعراضَ مقتٍ، وأظهِروا لهم الاستخفافَ بهم، وعرِّفوهم أن إقرارهم أوضعُ من أن يصلحوا الصحبة رسول اللَّه ﷺ والمؤمنين. ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: أي: أنجاسٌ نجاسةَ كفرٍ ونفاق. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: وإن لم تُجازِهم في الدنيا وصفَحْتَ عنهم.

(٩٦) - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: يلتمِس هؤلاء المنافقون المتخلِّفون بحَلِفهم أن يُرضوكم وتَطيبَ قلوبُكم لهم، فلا ترضَوا عنهم، وإنْ أعرضتَ عن عقوبتهم على تخلُّفهم، ولكن أبغِضوهم بقلوبكم ساخطين معاملاتِهم إياكم، فإن اللَّه لا يرضى عنهم لعلمه بكذبهم وفسقهم، ومأوى الفاسقين النار، قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠](٢).

(٩٧) - ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٩ - ١٩٠)، والبسيط (١٠/ ٥٩٥)، والكشف والبيان (٥/ ٨١)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٤٣).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٥٦)، والكشف والبيان (٥/ ٨٢)، ومعالم التنزيل (٤/ ٨٥)، والبسيط (١١/ ٧)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٤٥).

﴿اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ أي: سكان البوادي إذا كانوا كفارًا أو منافقين فهم أشدُّ كفرًا ونفاقًا؛ لبعدهم عن رسول اللَّه ﷺ، وغيبتهم عن مجالسته، وقلةِ ما يَرِدُ عليهم من مواعظ القرآن، فهم بذلك أحرى أن يَجهلوا حدود العبادات والشرائع المنزلة من اللَّه على رسوله، وقيل: الحدود: الأوامر والنواهي، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بسرائر المؤمنين والكفارِ والمنافقين ﴿حَكِيمٌ﴾ في تعريف أوليائه ذلك ليميِّزوا بين الأولياء والأعداء، وحكيم أيضًا في كلِّ ما يأمر به في حقِّ كلِّ طبقة[١].

(٩٨) - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾: أي: ومن هؤلاء الأعراب من يَعُدُّ ما أنفق في نائبةٍ أو وجهِ برٍّ وصدقةٍ -كان النبيُّ ﷺ يبعث الناس عليها - أو في تجهيز غازٍ غرامةً، ولا يفعله حسبةً؛ لأنه لا يؤمن باللَّه ولا يصدِّق بالبعث والجزاء، ولا ينال به عوضًا في الدنيا، ولا يخاف عقوبةً في الإمساك.
﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: أي: يَنتظر بكم الحوادث. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: أي: عليهم يدور البلاء والخزيُ، فلا يَرون في محمد ﷺ ودِينه إلا ما يسوءهم.
﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أي: لمقالاتهم ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بنيَّاتهم[٢].

(٩٩) - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: ومن هؤلاء الأعراب مَن يخالفُهم في الصفة، و﴿مَنْ﴾ للجمع هاهنا لأنه جنس؛ أي: ليسوا بكفارٍ ولا منافقين، بل هم مؤمنون باللَّه واليوم الآخر مصدِّقون بالبعث والجزاء.
﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: أي: ينفقون في سبيل اللَّه

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٩١)، والبسيط (١١/ ١٠). الدر المنثور (٤/ ٢٦٦).
(٢) البسيط (١١/ ١٦)، ومعالم التنزيل (٤/ ٨٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ٥٧).

ببعثِ رسول اللَّه ويرونه قربةً؛ أي: طاعةً مقرِّبةً إلى رحمة اللَّه، يرجع إليهم ثوابها، وينالون بها الدرجات في الآخرة، ويكتسبون بها صلواتِ الرسول: وهو دعاؤه المتبرَّكُ به، واستغفارُه المرجوُّ إجابتُه. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾: أي: لهم ما نوَوا ورجَوا. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أي: في جنته. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: يغفر ذنوبهم ويكفِّرها بهذه النفقات، ويرحمهم ولا يجزيهم بالعقوبات.

(١٠٠) - ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾وَهُمْ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا أَوْ جَمِيع الصَّحَابَة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ هم جميع متَّبِعيهم بالإحسان في كل عصر وزمان إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ﴿بِإِحْسَانٍ﴾فِي الْعَمَل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾بِثَوَابِهِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: هذا ظاهرُ التفسير[(١)].

(١٠١) - ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾.ثم ذكر بعد ذكر الأنصار -وهم المخلصون من أهل المدينة- المنافقين، وذلك قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾؛ أي: حول مدينتكم، وهو المحيط بها. ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: هؤلاء سكَّانها، ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾ سكانُ أطرافها، والذين سبق ذكرهم في قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ سكانُ البادية. ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ صفةُ مَن في المدينة ومَن حولها؛ أي: عتَوا وطغَوا وثبَتوا عليه، وأعيوا خبثًا. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: أي: لا تعرف نِفاقَهم ﴿نَحْنُ

(١) تفسير الجلالين(١/ ٢٥٨)، والتيسير في التفسير(٧/ ٤٥٦).

﴿نَعْلَمُهُمْ﴾: نحن نعلم نفاقهم ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ عند الموت بضرب الملائكة وجوهَهم وأدبارهم، وفي القبر بمنكرٍ ونكير ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة، وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أول العذابين: بدر، والثاني: عذاب القبر، والثالث: عذاب جهنم(١).

(١٠٢) - ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: أقرُّوا، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هذا في أقوام كانوا تخلَّفوا عن غزوة تبوك لا على اعتقاد الخلاف، لكنْ لتأخُّرهم الاستعداد إلى أن فاتهم اللُّحوق بالنبيِّ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وكان ذلك منهم ذنبًا لا نفاقًا منهم، فندموا على ذلك واعترفوا فتاب اللَّه عليهم. ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾: يقال: خلَطْتُ الشيءَ بالشيءِ: إذا امتزجا، وخلَطْتُ الشيءَ والشيءَ -من غير باءٍ-: إذا جمعتَ بينهما فلم يمتزجا، يقال: خلطتُ الماء باللبن، وخلطتُ الدراهم والدنانير، ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾: التوبةَ ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾: تقاعُدَهم عن القتال. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فحلهم لما نزلت(٢).

(١٠٣) - ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾. التاء لخطاب النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ أي: تطهِّر نفوسهم من الذنوب بها. ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾: أي: يحصُل لهم الثناء الحسن والرفعة

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٩٣)، والكشف والبيان (٥/ ٨٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٩٣)، وجامع البيان (١١/ ٦٤٥).

(٢) تفسير الجلالين(١/ ٢٥٨).

بها، والإضافة إلى النبي ﷺ بطريق التسبيب، وقيل: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الآثام ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ من البخل والمنع وأخلاق اللئام. و﴿مِنْ﴾ للتبعيض، وقد روَي أنه أخذ الثلث. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ادعُ لهم واستغفِرْ. ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أي: دعاءَك ﴿عَلِيمٌ﴾ شفقتَك. وقيل: ﴿سَمِيعٌ﴾ لما أظهَروه لك من التوبة ﴿عَلِيمٌ﴾ بصدق نيَّاتهم فيه، ومعنى السكن: طمأنينةُ القلب.

(١٠٤) - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: يجوز أن يكون هذا الاستفهامُ بمعنى الإثبات، ويجوز أن يكون بمعنى الأمر، ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾: أي: عن عباده كلِّهم إذا أخلصوا، ويأخذُ كلَّ الصدقات؛ أي: يقبلها ويُثيب عليها. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: أي: كثير قبول التوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بترك العقوبة، وهذا وعدٌ لهؤلاء أنه قبِل توبتهم ورضي صدقتَهم.

(١٠٥) - ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾: أي: قل لهؤلاء التائبين اعملوا الطاعات بعد قبول التوبة وأخذِ الصدقة ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ فيثيبُكم عليه ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فيعلمون بصدق توبتكم، فيخالطونكم ولا يهاجرونكم كما يفعلون بالمنافقين. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: تُرجَعون في القيامة إلى جزاءِ مَن يعلم الظاهر والباطن. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: يخبركم به ويجزيكم عليه.

(١٠٦) - ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: مؤخَّرون موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم. ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأَنْ يُميتهُمْ بِلَا تَوْبَة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعه بِهِمْ وَهُمْ الثَّلَاثَة الْآتُونَ بَعْد مَرَارَة بْن الرَّبِيع

وَكَعْب بْن مَالِك وَهِلَال بْن أُمَيَّة تَخَلَّفُوا كَسَلًا وَمَيْلًا إلَى الدَّعَة لَا نِفَاقًا وَلَمْ يَعْتَذِرُوا إلَى النَّبِيّ ﷺ كَغَيْرِهِمْ فَوَقَفَ أَمْرهمْ خَمْسِينَ لَيْلَة وَهَجَرَهُمْ النَّاس حَتَّى نَزَلَتْ توبتهم بعد(١).

(١٠٧) - ﴿وَ﴾ مِنْهُمْ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿ضِرَارًا﴾ مُضَارَّةً لِأَهْلِ مَسْجِد قُبَاءَ ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: كفرًا منهم بالله؛ لِأَنَّهُمْ بَنَوْهُ بِأَمْرِ أَبِي عَامِر الرَّاهِب لِيَكُونَ مَعْقِلًا لَهُ يَقْدُم فِيهِ مَنْ يَأْتِي مِنْ عِنْده وَكَانَ ذَهَبَ لِيَأْتِيَ بِجُنُودٍ مِنْ قَيْصَر لِقِتَالِ النَّبِيّ ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ليصليَ بعضهم فيه جاهلًا بالحال، فيتفرَّقَ الناس عن رسول الله ﷺ ولا يتوفَّروا في مسجده. ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي: تَرَقُّبًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: أعدَّ المسجد لأبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبلُ؛ أي: من قبلِ بناء هذا المسجد، يعني: يوم الخندق. ﴿ ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ مَا ﴿أَرَدْنَا﴾ بِبِنَائِهِ ﴿إِلَّا﴾ الْفِعْلَة ﴿الْحُسْنَى﴾ مِنْ الرِّفْق بِالْمِسْكِينِ فِي الْمَطَر وَالْحَرّ وَالتَّوْسِعَة عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي ذَلِكَ وَكَانُوا سَأَلُوا النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُصَلِّي فِيهِ فَنَزَلَتْ الْآيَة(٢).

(١٠٨) - ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي: لا تقُمْ في مسجد الضرار للصلاة ما عشتَ، ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾: قيل: هو مسجدُ رسول الله ﷺ أُسِّس لإحياء دين الله وإظهار معالم شريعته التي لا يقومُ بها إلا مَن اتَّقى الله تعالى. ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: أي: أولِ الأيام، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾: للصلاة من مسجد أُسس على

---

(١) البسيط (١١/ ٤٣)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٦٨)، وتفسير الجلالين(١/ ٢٥٩).

(٢) التيسير في التفسير (٧/ ٤٧١)، وتفسير الجلالين(١/ ٢٥٩).

غير التقوى، بل ضرارًا وكفرًا وتفريقًا وإرصادًا، وذلك ليس بحقٍّ فكيف يكون هذا أحقَّ؟ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾: أي: مخلصون يحبُّون أن يصلُّوا لله عز وجل متطهِّرين بأبلغ الطهارة، لا كأهل مسجد الضِّرار الذين يصلُّون صورةً لا حقيقةً وهم مدنَّسون بالنفاق. وقيل: هو التطهُّر عن الذنوب بالإخلاص لله تعالى. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾: أي: يحبُّ هؤلاء ومَن فعَل مثلَ فِعلهم.

(١٠٩) - ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾، والألفُ استفهام بمعنى الإنكار، والبنيان: البناء، والمعنى: أفمن أسس بناءه ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾ أي: على خوف منه ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ أي: رجاء رضوان الله، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الشَّفا: الطَّرَفُ، والجُرُف: الوادي الذي تجرَّف بالماء أصلُه فيبقى واهيًا، وهو من الجَرْف والاجتراف: وهو اقتلاع الشيء من أصله، والهاري: الساقط الواقع الذي يتداعَى بعضُه على إثر بعضٍ كما ينهار الرمل الرقيقُ والشيء الرِّخْوُ، ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: أي: تساقَطَ وتناثَرَ به؛ أي: بصاحبه فسقطا معًا فيها، ومعنى الآية: أيُّ الفريقين أولى بالخيرية: مَن أسَّس بناء المسجد يريدُ به تقوى اللَّهِ وطاعتَه وهم أهلُ مسجد قُباء أو مسجدِ المدينة، أم مَن أسَّس بناءه على النِّفاق والشِّقاق والكفر والتفريق وانتظارِ الكفار أن يأتوه فيَقصدوا به كيدَ المسلمين، ويتدبَّروا في الاحتيال لتوهين الدِّين، فلا يَلبثُ احتيالُهم أن يَبطُلَ وظنونُهم أن تخيبَ، فينهدِمُ البناء وينهارُ الأساس، ثم تكون عاقبة أهله دخولَ جهنم؟ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: لا يهديهم للرشد ولِمَا يتمُّ به تدبيرُهم الفاسد[١].

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٩٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٩٥)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٧٧).

(١١٠) - ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: أي: شكًّا وشبهة؛ أي: كان ألقَى إليهم أبو عامر أنه يأتي مسجدَهم فيصلِّي فيهم، ويكون له ولهم الظهور على المسلمين، فلا يزال ذلك في قلوبهم. ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: بفتح التاء، وأصله: تتقطَّع، فحذفت إحداهما تخفيفًا، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الموت. وقيل: أي: لا يزال هدمُ بنيانهم غيظًا في قلوبهم إلى الموت، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: أي: بضمائر العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ في التمييز بين أهل الصلاح وأهل الفساد.

(١١١) - ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾: بدأ السورة بالبراءة من الكافرين، ثم بالأمر بقتال المشركين، ثم بالحثِّ على الخروج إلى غزوٍ عظيم اختلَفت فيه أحوال المنافقين، وذمَّ فيه المتخلِّفين، ثم مدَح في هذه الآية المجاهدين، وذكَر كرامتهم يوم الدِّين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ أخبر عزَّ وجلَّ أنه تاجَرَ عبادَه المؤمنين على أبدانهم وأموالهم بما أَعدَّ لهم من جناتِ النعيم عنده -مع أن الأشياء كلَّها مِلكُه- لطفًا منه بعباده؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠]، وهو كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ﴿يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يبذلون أنفسهم وأموالهم في طاعة اللَّه والجهاد لأعدائه على إعلاء كلمته. ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: أي: تارةً هم يقتلون العدوَّ وتارةً يقتلهم العدو، فإذا فعلوا ذلك فقد سلَّموا ما باعوا واستحقُّوا بوعد اللَّه ثمنَ ما أَعطوا وهو الجنة، وهذا مستعارٌ من الكلام تشبيهًا بالبيع المعروف الذي حقيقتُه إعطاء شيء وأخذُ بدلٍ عنه. ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ

﴿وَالْقُرْآنِ﴾: أي: عهدًا عليه لازمًا أَوحى به إلى أنبيائه وأثبته في كتبه. ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي، وهو بيانٌ أن المراد من الوعد المذكور قبله هو العهد، وقيل: بل المراد من هذا العهدِ هو الوعد، وهو بيانٌ أن الشراء ليس على حقيقته، وهو مبادلةٌ صورةً ومواعدةٌ معنًى. ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ﴾: أي: فافرحوا به فإنكم تبيعون فانيًا بباقٍ، وتأخذون ثمنًا من مشترٍ هو المالك، وبمبيعٍ هو ملكُه وحقُّه، ثم لا يَخرج من أيديكم بهذا البيع إلا حياةٌ منغَّصةٌ فانيةٌ، ومالٌ قليلٌ تافةٌ تعتاضون منه حياةً مهنَّأةً دائمةً، ونعمًا في جناتِ الخلد باقيةً. ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: وهذا الشراء على هذا الوجه لكم فيه ربحٌ عظيم[١].

(١١٢) - ﴿التَّائِبُونَ﴾: أي: من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام، وقيل: الراجعون عن المعاصي. ﴿الْعَابِدُونَ﴾: أهل العبادة والعبودية. وقيل: أي: المطيعون المخلصون. ﴿الْحَامِدُونَ﴾: أي: المُثْنُون عليه بآلائه، الشاكرون له على نعمائه، المادحون له بصفاته وأسمائه. ﴿السَّائِحُونَ﴾: أي: الصائمون، وقيل: ﴿السَّائِحُونَ﴾: السائرون في الأرض على جهة الاعتبار طلبًا للاستبصار، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾: أي: المحافظون على الصلوات فرضِها ونفلِها تذلُّلًا إليه وخضوعًا. ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي: الإيمان والطاعة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: أي: الكفر والمعصية. ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: هم أهل الوفاء ببيعة اللَّه، وقيل: حدود اللَّه: أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

(١) جامع البيان (١٢/ ٦ - ٧) الكشف والبيان (٥/ ٩٧)،، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٦)، ولطائف الإشارات (٢/ ٦٤).

تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة: ٢٢٩]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة: ١٨٧]، وقيل: هي معالمُ الشرع. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: الذين بايَعهم الله ليستبشروا، وقال بنفسه: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ وقال لنبيِّه: ﴿وَبَشِّرِ﴾ ليتضاعَفَ الاستبشار(١).

(١١٣) - ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ اتصالها بما قبلها: أنها حثٌّ للنبي ﷺ والمؤمنين على قطعِ موالاة المشركين أحيائِهم وأمواتهم، قريبهم وبعيدهم؛ تأكيدًا لِمَا أمرهم به من الجهاد؛ إذ لا يَتهيَّأ ذلك مع الأقارب خصوصًا إلا بقطع الموالاة والوداد. ﴿مَا كَانَ﴾ تأكيدُ نفيٍ، والمعنى: يَبعُد من أخلاقهم أن يسألوا اللَّه تعالى مغفرةَ المشركين وإن كانوا أقرباءهم بعد أن عرفوا أنهم أعداءُ اللَّه، والمستوجِبون سخطَ اللَّه، والمستحِقُّون عذابَ اللَّه تعالى. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: ظهر لهم شركُهم وقيل: أي: بعد ما ماتوا على شركهم فقد انقطع رجاءُ صيرورتهم وكونِهم أهلًا للمغفرة، وسبب نزول الآية: لمَّا حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ دخل عليه رسول اللَّه ﷺ وعنده أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية فقال: "يا عم، قل: لا إلهَ إلا اللَّهُ، كلمةً أحاجُّ لك بها عند اللَّه" فقالا له: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة آبائك، فلم يزالا به حتى قال آخرَ ما كلَّمهم به: هو على ملَّة عبد المطلب، فقام رسول اللَّه ﷺ من عنده باكيًا وقال: "لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك" فنزلت هذه الآية(٢).

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٩٨ - ٩٩)، ومعالم التنزيل (٤/ ٩٩)، وجامع البيان(١٢/ ١٨)، ولطائف الإشارات (٢/ ٦٨)، والتيسير في التفسير (٧/ ٤٨٩).

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١٤) - ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾:

لمَّا ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال الناس: إن إبراهيم استغفر لأبيه المشرك، فنزلت هذه الآية[١]، ومعناها: ولم يكن سؤالُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهَ أن يغفر لأبيه المشركِ إلا بسببِ أنه كان وعَد لأبيه لقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾[مريم: ٤٧] فوفَى بذلك الوعد وسأل اللَّه أن يغفر له. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: أي: لمَّا مات على الكفر تبرَّأ منه، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾: (الأواه) في اللغة: المتأسِّف، وهو المتوجِّع والمتحزِّن، ﴿حَلِيمٌ﴾ (الحليم): هو الذي لا يغضَبُ ولا يَسفه عند سَفَهِ السَّفيه، والمعنى: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كثير التضرع والدعاء، صبور على الأذى.

(١١٥-١١٦) - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ لِلإِسْلَامِ ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ مِنَ الْعَمَل فَلَا يَتَّقُوهُ فَيَسْتَحِقُّوا الْإِضْلَال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَمِنْهُ مُسْتَحِقّ الْإِضْلَال والهداية، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

ينتظِم بما مرَّ من الحثِّ على الجهاد أن له الخَلْقَ كلَّهم يصرِّفهم كيف يشاء يُبقي ويُفني، فامضوا على بيعتكم ولا يَهُولنَّكم كثرةُ الأعداء، وتوكَّلوا عليَّ فأَوْفوا بالمبايعةِ أنصرْكم، فإن لم تُوفوا بها خذلْتُكم ثم لا يكون لكم وليٌّ ولا نصير[٢].

---

(١) رواه ابن سعد في "الطبقات" (١/ ١٢٤) عن عمرو بن دينار مرسلًا، ورواه بنحوه النسائي (٢٠٣٦)، والترمذي (٣١٠١) وحسنه، من حديث علي رضي اللَّه عنه.

(٢) الكشف والبيان (٥/ ١٠٢)، ومعالم التنزيل (٤/ ١٠٢)، وجامع البيان (١٢/ ٤٣ - ٤٤)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٤٩٤).

(١١٧) - ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أَيْ أَدَامَ تَوْبَته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أَيْ وَقْتهَا وَهِيَ حَالهمْ فِي غَزْوَة تَبُوك كَانَ الرَّجُلَانِ يَقْتَسِمَانِ تَمْرَة وَالْعَشَرَة يَعْتَقِبُونَ الْبَعِير الْوَاحِد وَاشْتَدَّ الْحَرّ حَتَّى شَرِبُوا الْفَرْث ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ أي: تَمِيل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عَنْ اتِّبَاعه إلَى التَّخَلُّف لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ الشِّدَّة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: والجمع بين الاثنين للمبالغة والتأكيد(١).

(١١٨) - ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾: أي: وتاب أيضًا على الثلاثة الذي خلِّفوا عن غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي: اتَّسعت، و(ما) مع الفعل مصدر تقديره: برُحبها؛ أي: بلغ منهم الغمُّ والتأسُّف والندمُ مبلغًا لا يجدون منه مخرجًا ولا يهتدون لحيلة، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: اشتدَّ غمُّهم وضِيقُ صدورهم وحياؤهم فصاروا كأنهم لا يجدون موضعًا يُخفونها فيه. ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾: أي: أيقنوا أنه لا معتصَم من الله إلا بالله، ولا مخلِّص من عقاب الله إلا عفوُ الله. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾: أي: وفَّقهم للتوبة فتابوا. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: وهذا ظاهرٌ، والآية نزلت في كعب بن مالكٍ من بني سَلِمةَ، وهلال بن أمية الواقفيِّ، ومُرارةَ بنِ الربيع الزبيدي.

(١١٩) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: القائلين بالحقِّ العاملِين به، و: ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في معنى: من الصادقين، أو: في

---

(١) التيسير في التفسير (٧/ ٤٩٧)، وتفسير الجلالين (١/ ٢٦٢).

الصادقين؛ لأن (مع) هو للمصاحبة، و(في) للوعاء، و(من) للتبعيض، فإذا كانوا في جملتهم فهم على المعاني الثلاثة.

(١٢٠) - ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾: ثم حثَّ جلَّ جلالُه ساكني المدينةِ من غير المهاجرين والأنصارِ ومَن حولهم من الأعراب -مُزينةَ وأشجعَ وأسلمَ وجهينةَ وغِفار- على ما حثَّ عليه الأنصار، فقال: ما ينبغي لهؤلاء أن يتخلَّفوا عن رسول الله ﷺ إذا استَنفرهم واستَنهضهم إلى غزوٍ، ولا أنْ يَضِنُّوا بأنفسهم حتى ينفرد هو بتحمُّل المشقَّة دونهم، بل يلزمُهم جميعًا أن يخرجوا معه. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي: ولا أن يرغبوا، والرغبة: طلب المغفرة، ومعنى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾؛ أي: يطلبوا المنفعة بتوقيَةِ أنفسهم دون نفسِ رسول الله ﷺ. وقيل: أي: لا يكرهوا لأنفسهم ما يَرضاه الرسولُ لنفسه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: ذلك الحثُّ والترغيب بأنهم لا ينالهم عطشٌ ولا تعبٌ ولا مجاعة في طريق الجهاد. ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾: أي: ولا يطؤون بأقدامهم أو خيولهم أرضًا، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾: أي: لا يجدون، ومعناه: لا يصيبون من أحدٍ منهم شيئًا من جَرحٍ أو قتلٍ أو ضربٍ أو تشديدٍ أو أخذِ مالٍ ونحوِ ذلك. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾: أي: حَصَل لهم بكلِّ واحدٍ من هذه الآثار حسنةٌ مقبولة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هم محسِنون، والله لا يُبطِل ثوابَهم.

(١٢١) - ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: قال ابن عباس

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قليلةً ولا كثيرةً. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: مُقبِلين ومُدْبرين. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: أي: عملٌ صالحٌ، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: يأمر بكتابةِ هذه الأشياء في كتبهم ليُخرجها لهم يوم القيامة، فيجزيَهم على كلِّ واحد منها جزاءَ أحسنِ عملٍ كان لهم، فيُلحق ما دونه به شكرًا لسعيهم وتوفيرًا لأجرهم(١).

(١٢٢) - ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: لمَّا أنزل اللَّه تعالى عيوبَ المنافقين وبيَّن نفاقهم في غزوة تبوك، قال المؤمنون: واللَّه لا نتخلَّف عن غزوةٍ يغزوها رسول اللَّه ﷺ ولا سريةٍ أبدًا، فلما قدم رسول اللَّه ﷺ وأمر بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين- جميعًا، وتركوا رسول اللَّه ﷺ وحده بالمدينة، فنزلت الآية الكريمة الشريفة عليه ﷺ، فعلى هذا تفسيرُ الآية: ليس من حُكم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن ينفروا جميعًا ويتركوا رسول اللَّه ﷺ بغيرِ أصحابٍ ويضيِّعوا أهاليَهم وأموالَهم، فهلَّا خرج من كلِّ قبيلةٍ جماعةٌ منهم للغزو، وقعد طائفةٌ ليتعلَّموا من رسول اللَّه ﷺ القرآن والأحكام. فذلك قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي: حتى يعلموا ما أنزل اللَّه على نبيِّهم ويعلِّموه السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون.

(١٢٣) - ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾: أي:

---

(١) البسيط (١١/ ٩٢)، وجامع البيان (١٢/ ٧٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٩)، ولطائف الإشارات (٢/ ٧٢)، التيسير في التفسير (٧/ ٥١٧).

يَقْربون منكم، أي: جاهِدوا الأقربَ فالأقربَ إليكم، ولا تدَعوا الأقربَ وتقصِدوا الأبعد فيَقصدَ الأقربُ بلادَكم وأهاليَكم وأموالكم وأولادَكم. ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: أي: عنفًا، وقيل: أي: شدة، وقيل: أي: شجاعة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: معكم إن اتَّقيتُموه في أوامره ونواهيه من الجهاد وغيره، ومعكم؛ أي: مُعِينُكم وناصرُكم وحافظُكم (١).

(١٢٤) - ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾: أي: فمِن المنافقين مَن يقول لأصحابه أو لضَعَفة المؤمنين على سبيل الهزء والاستخفاف بالقرآن عند نزول السورة: أيُّكم زادته هذه السورة تصديقًا؛ أي: إنَّا لم نزدَدْ بهذه إيمانًا، ولا أحدث بنا نزولُها تصديقًا بما يدَّعيه محمد من الوحي والشرائع التي فيها المشاقُّ والمخاطرةُ بالنفوس والأموال والأولاد. ثم أجيبوا عن هذا بما يذكر بعده، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: فأما المخلِصون فإن هذه السورة صارت سببًا لزيادة تصديقهم ويقينهم وإخلاصهم، وهم يفرحون بما نزل فيها من الوعد على الإيمان والعمل حتى يتبيَّنُ ذلك في وجوههم وبشرتهم.

(١٢٥ -١٢٧) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: شك، وقيل: أي: نفاق، وقيل: غلٌّ، وقيل: ضغنٌ على المؤمنين. ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾: أي: صارت سببًا لزيادة كفرهم وتكذيبهم، وقيل: الرِّجس: الأذى، ومعناه: امتلاءُ

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ١١١)، ومعالم التنزيل (٤/ ١١٢)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٥١٠ - ٥١١)، ولطائف الإشارات (٢/ ٧٣).

صدورهم من الغيظ مما يَرون من علوِّ المسلمين وقهرِ الكافرين والمنافقين. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: وهو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت. ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: عجبًا منهم كيف قستْ قلوبهم وعَمِيت أبصارهم عما يَتتابع عليهم من أنواع المحن حتى لا يخلو كلُّ عامٍ من محنةٍ أو محنتين، ثم لا يرجعون عن كفرهم ولا يتَّعظون بما يصيبهم. ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: أي: بعضُ هؤلاء المنافقين إلى بعضٍ إيماءً ببصره واستخبارًا بإشارته. ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾: أي: هل يتفقَّد انصرا فكم أحدٌ من المخلِصين. ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾: أي إذا وجدوا غفلةً من المؤمنين انصرفوا كراهيةً لسماع القرآن، وقيل: خوفًا مما ينزل من ذكر مقابحهم. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: حيث اختاروا الانصراف عن الإيمان، وعلِم اللَّه ذلك منهم فصرفهم عنه، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي: استَحقُّوا ذلك عقوبةً لهم على تركهم التدبُّر في القرآن كمَن لا يفقهُ ذلك(١).

(١٢٨-١٢٩) - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾: ختم السورة بذكر صفات الرسول الذي أنزل عليه القرآن، ومنه كان لهم البيان؛ كما في هذه السورة وسائر الفرقان. ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: آدميٌّ مثلِكم، وقيل: هو خطاب للعرب؛ أي: من نسبكم عربيٌّ مثلُكم، وذاك أقرب إلى الألفة، وأبعدُ من اللَّجاجة، وأسرع إلى فهم الحُجة. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي: شديدٌ عليه عنَتُكم؛ أي: هلاكُكم،

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٩٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٥)، وتأويلات أهل السنة (٥/ ٥١٥)، والكشف والبيان (٥/ ١١٣)، ولطائف الإشارات (٢/ ٧٥)، والتيسير في التفسير (٧/ ٥٢٤).

وقيل: مشقَّتُكم، وقيل: إثمكم. وقيل: العنتُ: الأذى الذي يَضيقُ به الصدر، ولا يهتدي للمخرج منه؛ أي: لشفقته عليكم يَشُقُّ عليه ما يسوءكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: على إيمانِ مَن لم يؤمِن منكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: الرأفة: أشدُّ الرحمة، والرحمةُ أعمُّ من الرأفة؛ أي: شَدِيد الرَّحْمَة ﴿رَحِيمٌ﴾ أي: يُرِيد لَهُمْ الْخَيْر، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: قرَّرنا صفاتك عندهم، فإن أعرضوا عنك ولم يصدِّقوك بل خالفوك وعادَوك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فعرِّفْهم أن الله أن الذي لا إلهَ إلا هو كافيكَ مكروههم وناصرُك عليهم. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي: أخبرهم أنك فوَّضْتَ أمورك إليه. ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: أي: ذو القدرة والسلطان[١].

(انتهى تفسير سورة التوبة).

(١) التيسير في التفسير (٧/ ٥٢٧)، ولطائف الإشارات (٢/ ٧٦)، والتيسير في التفسير (٧/ ٥٢٨).

فهرس الجزء الأول

تقريظ الأستاذ الدكتور/ زكي محمد أبو سريع ١
تقريظ الأستاذ الدكتور/ عبد الشافي الشيخ ٣
تقديم الدكتور/ محمود صدقي الهوّاري ٥
تقريظ الشيخ مكي الإدريسي الحسني ٨
مقدمة ١٠
(١) سورة الفاتحة مكية ١٢
(٢) سورة البقرة مدنية ١٧
(٣) سورة آل عمران مدنية ١٨٨
(٤) سورة النساء مدنية ٢٨٩
(٥) سورة المائدة مدنية ٣٧٩
(٦) سورة الأنعام مكية ٤٤٠
(٧) سورة الأعراف مكية ٥١٢
(٨) سورة الأنفال مدنية ٥٨٣
(٩) سورة التوبة مدنية ٦١٢
فهرس الجزء الأول ٦٧٠

تم الجزء الأول بحمد الله تعالى